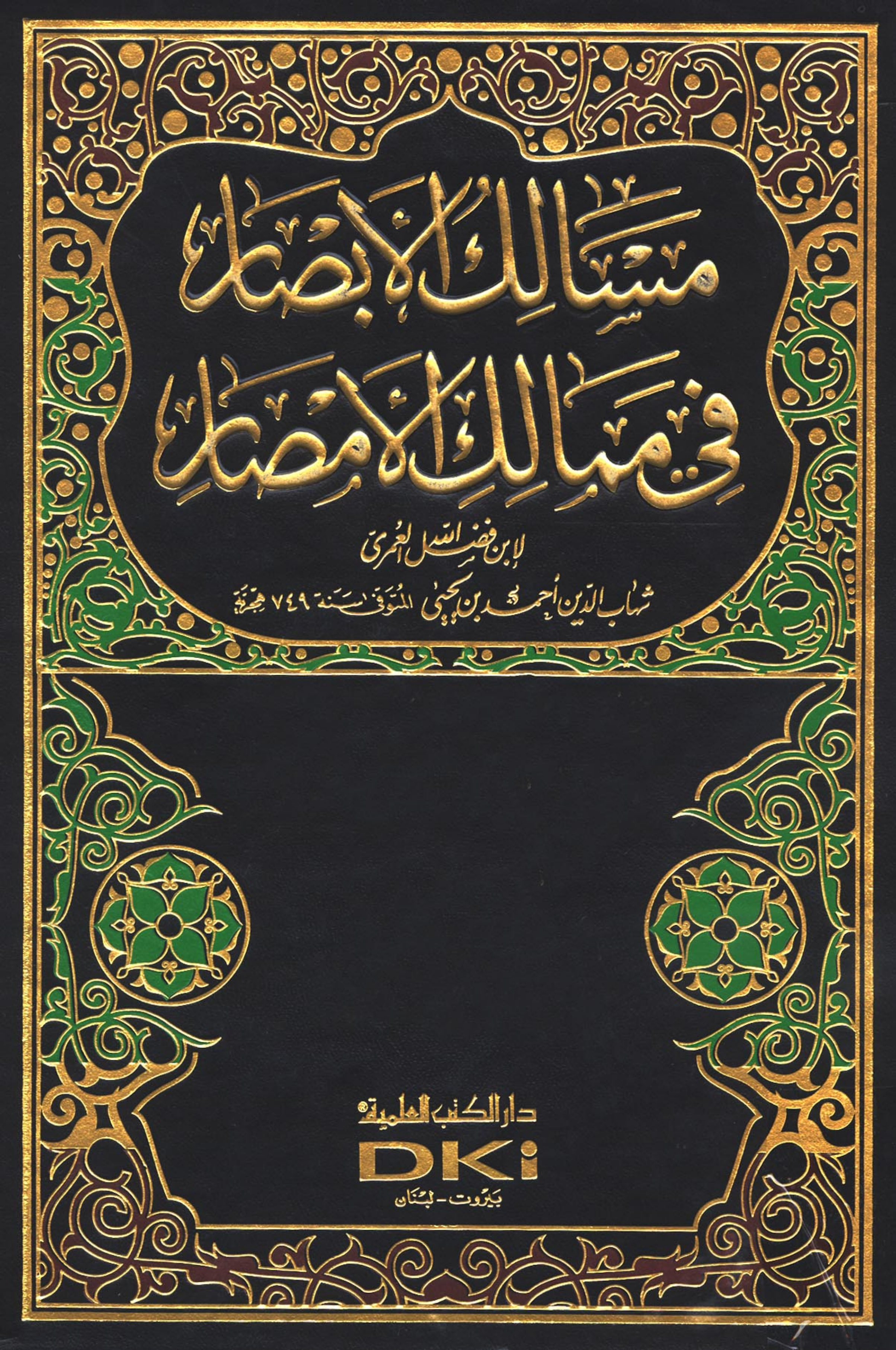

مسالك الأبصار
في ممالك الأمصار
لابن فضل الله العمري
شهاب الدين أحمد بن يحيى المتوفى سنة ٧٤٩ هجرية
دار الكتب العلمية
DKi
بيروت - لبنان

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

لابن فضل الله العمري
شهاب الدين أحمد بن يحيى
المتوفى سنة ٧٤٩ هجرية

أشرف على تحقيق الموسوعة
كامل سلمان الجبوري

حققه هذا السفر
مهدي النجم

الجزء السابع والعشرون

حوادث تاريخ الإسلام منه سنة ٥٤١ إلى سنة ٧٤٤ هـ



أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

تم تحقيق هذا الجزء، «وهو السابع والعشرون»، من:

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

بالاعتماد على نشرة فؤاد سزكين، وهي مصورة عن مخطوطة مكتبة أحمد الثالث باستانبول تحت رقم / ٣٤٣٩/ وهي مكتوبة بخط قريب من التعليق حتى الصفحة ٣٥٠ التي تنتهي بأحداث سنة ٦٨١هـ وقد كتبت بأحرف مهملة في الأغلب، كما حدثت فيها سقطات غير قليلة سببها سهو الناسخ، إلا أني استدركتها عن مصدر الخبر الذي ينقل عنه المؤلف وهو «المختصر في تاريخ البشر» لأبي الفداء المتوفى سنة ٧٣٢هـ.

وكُتب بقية هذا الجزء منذ الصفحة ٣٥١ بخط مغاير قريب من «الثلث» إلا أنه كثير الأخطاء وكتب في مواضع كثيرة بحروف مهملة.

ابتدأ هذا الجزء بأحداث سنة ٥٤١هـ. وانتهى بأحداث سنة ٧٤٤هـ وقد اعتمد المؤلف على «المختصر في تاريخ البشر» في تدوين الأحداث حتى سنة ٦٩٢هـ، بل كان ينقل عنه نقلا يكاد يكون حرفياً، حتى أنه لم يغير بعض الألفاظ التي تستدعي أمانة النقل تغييرها وقد أشرت إلى ذلك في حواشٍ علقتها على الأصل.

ولم يضف على ما أورده أبو الفداء شيئاً سوى أبيات وقصائد لابن عبد الظاهر وغيره قالوها بمناسبة بعض الأحداث.

إلاّ أن منهج المؤلف في تدوين الأحداث اختلف منذ أن انتهى من النقل عن المختصر، إذ كان حتى أحداث سنة ٦٩٢هـ يدون الأحداث السياسية وما يرتبط بها من وفيات الأعلام، ولم يتجاوزها إلى غيرها إلاّ القليل، فلم يذكر في وفيات أحداث تلك السنين وفيات الأعلام من الفقهاء والعلماء والعباد والأدباء وغيرهم، وإنما اقتصر على

ذكر وفيات رجال الدول والإدارة والحرب، إلا أنه منذ مفارقة أبي الفداء بدأ يسجل وفيات الأعلام من غير أرباب الدول.

وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين.

مهدي ع . الحسين النجم

المسيب ـ العراق ـ ص.ب ٤٥
٢٣ ربيع الثاني ١٤٢٦هـ
١ حزيران ٢٠٠٥م


الجزء السابع والعشرون

الصفحة الأولى، عنوان مخطوطة أحمد الثالث، استانبول

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم

سنة احدى واربعين الى سنة خمسين وخمسمائة

ذكر استيلاء الفرنج على طرابلس

وسبب ذلك انهم نزلوا عليها وحاصروها فلما كان اليوم الثالث
من نزولهم سمع الفرنج في المدينة ضجة عظيمة وخلت الاسوار
من المقاتلة وسببه ان اهل طرابلس اختلفوا فارادت طايفه
منهم تقديم بني مطروح فوقع الحرب بين الطايفتين وخلت
الاسوار فانتهز الفرنج الفرصة وطلعوا بالسلالم وملكوها
بالسيف في محرم هذه السنة وسفكوا دما اهلها وبعد ان
استقر الفرنج في طرابلس بذلوا الامان لمن بقي من اهل طرابلس
وتراجعت اليها الناس وحسن حالها وبها سار زنكي ونزل
على قلعة جعبر وحصرها وصاحبها على بن مالك بن سالم
بن مالك بن بدران بن المقلد العقيلي وارسل عسكرا الى قلعه
فنك وهي تجاور جزيره ابن عمر فحصرها ايضا وصاحبها حسام الدين
الكردي البشنوي ولما طال على زنكي منازلة قلعة جعبر
ارسل مع حسان البعلبكي الذي كان صاحب منبج يقول لصاحب
قلعة جعبر قل لي من يخلصك مني فقال صاحب جعبر يخلصني

منك

الصفحة الثانية من مخطوطة أحمد الثالث

الشاميين وفي جمادى الأولى توفي الإمام شمس الدين محمد بن
عبد الهادي عن ست وأربعين سنة وكان بحراً في العلم وفي
وفي شهر جمادى الآخرة قتل إبراهيم بن يوسف بن أبي بكر
المقصاتي الرافضي لعنه الله وشهد عليه بشتم الصحابة رضي
الله عنهم وقذف عائشة رضي الله عنها ووقع في جبريل عليه السلام

تم الجزء المبارك وهو آخره من كتاب مسالك الأبصار
في ممالك الأمصار جمع الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين
أبي العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري الشافعي
رحمه الله تعالى عليه ونسخ [illegible] المبارك
عام تسع عشر وثمانمائة من الهجرة النبوية على
صاحبها أفضل الصلوات والسلام
[illegible]
والحمد لله وحده وصلى الله
على سيدنا محمد
وآله وصحبه
وسلم

٨١٩ هـ

الصفحة الأخيرة من مخطوطة أحمد الثالث

مسالك الأبصار
في ممالك الأمصار

لابن فضل الله العمري
شهاب الدين أحمد بن يحيى
المتوفى سنة ٧٤٩ هجرية

أشرف على تحقيق الموسوعة
كامل سلمان الجبوري

حققه هذا السفر
مهدي النجم

الجزء السابع والعشرون

حوادث تاريخ الإسلام من سنة ٥٤١ إلى سنة ٧٤٤ هـ

/ ٢/ بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على محمد وآله وسلم.

سنة إحدى وأربعين إلى سنة خمسين وخمسمائة

ذكر استيلاء الفرنج على طرابلس [(١)]:

وسبب ذلك أنهم نزلوا عليها وحاصروها، فلما كان اليوم الثالث من نزولهم سمع الفرنج في المدينة ضَجَّةً عظيمة، وَخَلَت الأسوار من المقاتلة، وسببه أن أهل طرابلس اختلفوا فأرادت طائفة منهم تقديم بني مطروح.

فوقع الحرب بين الطائفتين وَخَلَت الأسوار، فانتهز الفرنج الفرصة وطلعوا بالسلالم وملكوها بالسيف في محرم هذه السنة، وسفكوا دماء أهلها، وبعد أن استقرّ الفرنج في طرابلس بذلوا الأمان لمن بقي من أهل طرابلس، وتراجعت إليها الناس، وحَسُن حالُها.

وفيها[(٢)]: سار زنكي[(٣)] ونزل على قلعة جعبر[(٤)] وحصرها، وصاحبها علي بن مالك بن سالم بن مالك بن بدران بن المقلد العقيلي، وأرسل عسكراً إلى قلعة فنك[(٥)] وهي تجاور جزيرة ابن عمر[(٦)].

---

(١) المختصر ٣/ ١٨ والخبر أيضاً في كامل ابن الأثير ٩/ ١٢ وشذرات الذهب ٤/ ١٢٨.

(٢) المختصر ٣/ ١٨ والخبر في: كامل ابن الأثير ٩/ ١٢ ومرآة الجنان ٣/ ٢٧٤.

(٣) زنكي الأتابك، عماد الدين بن آق سنقر الحاجب قسيم الدولة التركي، ولي شحنكية بغداد ثم نقل إلى الموصل سنة ٥٢١هـ ثم استولى على ما والى الموصل من البلاد وفتح الرها، اغتيل وهو يحاصر جعبر سنة ٥٤١هـ (انظر الشذرات ٤/ ١٢٨) والوافي بالوفيات ١٤/ ٢٢١ ووفيات الأعيان ٢/ ٧٩ والدارس ١/ ٦١٦.

(٤) في ذيل تاريخ دمشق ٢٨٥: قلعة دوسر المعروفة حينئذ بجعبر، والدوسرية نسبة إلى دوسر غلام النعمان بن المنذر ملك الحيرة، وجعبر، هوجعبر بن مالك القشيري، انظر معجم البلدان ـ جعبر. ووفيات الأعيان ٣/ ٣٦٣.

(٥) قلعة حصينة للأكراد الشنوية قرب جزيرة ابن عمر، انظر: معجم البلدان ـ فنك.

(٦) بلدة فوق الموصل بينهما ثلاثة أيام، تنسب إلى الحسن بن عمر بن خطاب التغلبي أول من عمرها (معجم البلدان ٢/ ١٣٨).

فحصرها أيضاً، وصاحبها حسام الدين الكردي البشنوي ولما طال على زنكي منازلة قلعة جعبر أرسل مع حسان البعلبكي الذي كان صاحب منبج يقول لصاحب قلعة جعبر: قُلْ لي من يخلصك مني؟ فقال صاحب جعبر: يخلّصني /٣/ منك الذي خلصك من بلك بن بهرام بن أرتق.

وكان محاصراً لمنبج فجاءه سهم فقتله، فرجع حسان إلى زنكي ولم يخبره بذلك، فاستمرّ زنكي منازلا قلعة جعبر، فوثب عليه جماعة من مماليكه وقتلوه[1] في خامس ربيع الآخر هذه السنة بالليل وهربوا إلى قلعة جعبر، وصاح من بها على العسكر، وأعلموهم بقتل زنكي، فدخل أصحابه إليه وبه رَمَق.

وكان عماد الدين زنكي حسن الصورة، أسمر اللون، مليح العينين، قد وَخَطَهُ الشيب، وكان زاد عمره على ستين سنة، ودفن بالرقّة، وكان شديد الهيبة على عسكره عظيمها، كان له الموصل وما معها من البلاد، وملك الشام خلا دمشق، وكان شجاعاً.

وكانت الأعداء تحيط بمملكته من كل جهة، وهو ينتصف منهم، ويستولي على بلادهم، ولما قُتل زنكي كان ولده نور الدين محمود[2] حاضراً عنده، وأخذ خاتم والده وهو ميّت من إصبعه، وسار إلى حلب فملكها، وكان صحبة زنكي أيضاً الملك ألب أرسلان بن محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي.

فركب في يوم قتل زنكي، واجتمعت عليه العساكر، فحسّن بعض أصحاب زنكي الأكل والشرب وسماع المغاني، فسار ألب أرسلان إلى الرقّة، وأقام بها منعكفاً على ذلك، وأرسل كبراء دولة زنكي /٤/ إلى ولده سيف الدين غازي[3] بن زنكي يعلمونه بالحال وهو يشهرون، فسار إلى الموصل، واستقرّ في ملكها، وأما ألب أرسلان فتفرّقت عنه العساكر، وسار إلى الموصل يريد ملكها، فلما قرب منها قبض عليه

---

(١) انظر في قتله مرآة الجنان ٣/ ٢٧٤ وشذرات الذهب ٤/١٢٨، وفي عيون التواريخ ١٢/٤٠٨، إن العقيلي بَرْطَلَ بعض مماليك زنكي حتى قتلوه.

(٢) محمود بن زنكي بن آقسنقر، العادل نور الدين، أبو القاسم، التركي، ولي بعد أبيه ولاية الموصل وديار بكر والبلاد الشامية، ثم ملك دمشق وحصنها وبنى بها المدارس والمساجد، وأخذ من الفرنج مدناً كثيرة. وستأتي بعض أخباره، انظر: المنتظم ١٠/٢٤٨ والباهر ٨٧ والكامل ١١/ ١١٢ وسنا البرق الشامي ١/ ١٥٣ ومرآة الزمان ٨/١/١٩١ وكتاب الروضتين ١/٤٨ ووفيات الأعيان ٥/ ١٨٤ ومفرج الكروب ١/١٠٩ والبداية والنهاية ١٢/ ٢٢٢ والنجوم الزاهرة ٦/ ٧١ والوافي بالوفيات ٢٥/٢٠٧، ولابن قاضي شهبة كتاب في سيرته سماه (الكواكب الدرية في السيرة النورية) تحقيق محمود زايد، بيروت ١٩٧١.

(٣) سيذكر المؤلف خبر وفاته في حوادث سنة ٥٤٤هـ، انظر ترجمته ومصادرها هناك.

غازي بن زنكي، وحَبَسَهُ في قلعة الموصل، واستقر ملك سيف الدين غازي للموصل وبلادها.

وفيها[١]: أرسل عبد المؤمن بن علي[٢] جيشاً إلى جزيرة الأندلس، فملكوا ما فيها من بلاد الإسلام، واستولى عليها.

وفيها[٣]: بعد قتل عماد الدين زنكي قصد مجير الدين ابن صاحب دمشق حصن بعلبك وحصره، وكان به نجم الدين أيوب[٤] بن شاذي مستحفظاً فخاف إن أولاد زنكي لا يمكنهم إنجاده العاجل فصالحه وسلم القلعة إليه وأخذ منه إقطاعاً ومالاً وملّكه عدّة قرى من بلاد دمشق. وانتقل أيوب إلى دمشق وسلّمها.

وفي سنة اثنتين وأربعين:

دخل[٥] نور الدين محمود بن زنكي صاحب حلب بلاد الفرنج، ففتح منها أرتاح[٦] بالسيف وحصن مامولة[٧] وبصرفوت وكفر لاثا[٨].

وفيها[٩]: ملك الفرنج المهديّة بإفريقية، كان قد حصل بإفريقية غلاء شديد حتى أكل الناس بعضهم بعضاً، ودام من سنة سبع وثلاثين وخمسمائة إلى هذه السنة، ففارق الناس القرى، ودخل أكثرهم إلى جزيرة صقلية، فاغتنم رجاء[١٠] الفرنجي

---

(١) المختصر ٣/ ١٩ والخبر في عيون التواريخ ١٢/ ٤٠٨ وكامل ابن الأثير ٩/ ١٤.

(٢) عبد المؤمن بن علي بن علوي القيسي المغربي، الكومي، التلمساني، المتوفى سنة ٥٥٨هـ. انظر ترجمته وأخباره في الوافي بالوفيات ١٩/ ٢٣٣ ومرآة الزمان ٨/ ١٥١ ووفيات الأعيان ٣/ ٢٧٧ والعبر ٤/ ١٦٥ والبداية والنهاية ١٢/ ٢٤٦ ونفح الطيب ١/ ٤٤٢.

(٣) المختصر ٣/ ١٩ وانظر: كامل ابن الأثير ٩/ ١٩ وعيون التواريخ ١٢/ ٤٠٨.

(٤) أيوب بن شاذي بن مروان بن يعقوب الأمير نجم الدين، أبو الشكر، الدويني، اتصل بنور الدين محمود لما حاصر بغداد، وكان قد ولي تكريت بعد أبيه، وهو والد الملوك الأيوبيين، توفى بالقاهرة سنة ٥٦٨هـ. انظر ترجمته في الوافي بالوفيات ١٠/ ٤٧ ووفيات الأعيان ١/ ٢٥٥ والمرآة ١/ ٢٩٥ والروضتين ١/ ٢٠٩.

(٥) المختصر ٣/ ١٩ انظر: كامل ابن الأثير ٩/ ١٧ وشذرات الذهب ٤/ ١٣٠ وعيون التواريخ ١٢/ ٤١٢.

(٦) أرتاح: اسم حصن منيع من أعمال حلب (معجم البلدان ـ أرتاح).

(٧) في كامل ابن الأثير: ما بولة.

(٨) كفر لاثا: بلدة في سفح جبل عامل من نواحي حلب (معجم البلدان).

(٩) المختصر ٣/ ١٩ والخبر في كامل ابن الأثير ١٩/ ١٨ (أحداث سنة ٥٤٣هـ) وشذرات الذهب ٤/ ١٣٤ أحداث سنة (٥٤٣هـ) والبيان المغرب ١/ ٤٤٤ وما بعدها.

(١٠) رجاء ويقال له أجار، ملك الإفرنج صاحب صقلية، سيذكر المؤلف وفاته في أحداث سنة ٥٤٨هـ. انظر ترجمته هناك.

صاحب /٥/ صقلية الفرصة، وجهّز أسطولاً نحو مائتين وخمسين شينياً[١] مملوءةً رجالاً وسلاحاً، واسم مقدمهم جرج، وساروا من صقلية إلى جزيرة قوصرة، وهي ما بين المهدية وصقلية، وساروا منها وأشرفوا على المدينة ثامن صفر هذه السنة.

وكان في المهديّة الحسن[٢] بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي، صاحب إفريقية، فجمع كبار البلد واستشارهم فرأوا ضعف حالهم وقلّة المؤنة عندهم. فاتفق رأي الأمير حسن على إخلاء المهديّة، فخرج منها، وأَخَذَ ما خفّ حملُهُ، وخرج أهل المدينة على وجوههم بأهليهم وأولادهم، وبقى الأسطول في البحر تمنعه الريح من الوصول إلى المهديّة.

ثم دخلوا المدينة بعد مضي ثلثي النهار المذكور بغير مانع ولا مدافع، ولم يكن قد بقى من المسلمين بالمهديّة ممن عزم على الخروج أحد.

ودخل جُرج مقدم الفرنج إلى قصر الأمير حسن فوجده على حاله لم يعدم منه إلاّ ما خفّ حملُهُ، وَوَجَدَ فيه جماعة من حظايا الحسن والذخائر مملوءة من الذخائر النفيسة من كل شيء غريب، وسار الأمير حسن بأمواله وأولاده إلى بعض أمراء الغرب ممن كان يحسن إليه، وأقام عنده، وأراد الحسن السير إلى الخليفة الحافظ العلوي صاحب مصر فلم يقدر على ذلك لخوف الطرق، فسار إلى ملك بجاية يحيى بن العزيز من بني حماد[٣]، فوكل يحيى المذكور على الحسن وعلى أولاده من يَمْنَعهم /٦/ من التصرف، ولم يجتمع يحيى بهم، وأنزلهم في جزائر بني مزغتان.

وبقي الحسن كذلك حتى ملك عبد المؤمن بن علي بجاية في سنة سبع وأربعين وخمسمائة، وأخذها هي وجميع ممالك بني حماد فحضر الأمير حسن عنده، فأحسن إليه عبد المؤمن وأكرمه، واستمرّ في خدمة عبد المؤمن إلى أن ملك عبد المؤمن المهديّة، فأقام حسن فيها، وأمر عبد المؤمن الوالي الذي ولاّه على المهديّة أن يقتدي برأي الأمير حسن ويرجع إلى قوله.

---

(١) شيني، وجمعها شواني، نوع من السفن الحربية.

(٢) الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري، ولد بمدينة سوسر سنة ٥٠٢هـ وولي بعد أبيه سنة ٥١٥هـ وجرت أيامه حروب كثيرة مع الافرنج انتهت باحتلال المهدية، انظر: البيان المغرب ١/ ٤٤٤ والوافي ١٢/ ١١٩ والعبر ٤/ ١٩.

(٣) بنو حماد: أسرة إسلامية حكمت المغرب الأوسط، حاضرتها قلعة بني حماد، أسسها حماد ابن بلكين، ومن ملوكهم المنصور بن الناصر الذي اتخذ بجاية حاضرة لملكه، قضى الموحدون على ملكهم في أثناء حكم يحيى بن عبد العزيز. «الموسوعة الميسرة ص٤١٥».

وكان عدّة من ملك من بني باديس بن زيري بن مناد إلى الحسن تسعة ملوك وكانت ولايتهم في سنة إحدى وستين وثلاثمائة، وانقضت في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة.

ثم إن جرج بذل الأمان لأهل المهديّة، وأرسل وراءهم بذلك، وكانوا قد أشرفوا على الهلاك من الجوع فتراجعوا إلى المهديّة.

وفيها[1]: سار ملك الألمان، والألمان بلادُهُم بلاد القسطنطينية حتى وصل إلى الشام في جمع عظيم، ونزل على دمشق وحصرها، وصاحبها مجير الدين أتق بن محمد بن بوري والحكم وتدبير المملكة لمعين الدين أتز مملوك جدّه طغتكين.

وفي سادس ربيع الآخر[2]: زحفوا على مدينة دمشق، ونزل ملك الألمان بالميدان الأخضر، وأرسل أتز إلى سيف الدين غازي صاحب الموصل يستنجده فسار بعسكره، وسار معه /٧/ أخوه نور الدين محمود بعسكره، ونزلوا على حمص، فَفَتّ ذلك في أعضاء الفرنج، وأرسل أتز إلى فرنج الشام يبذل لهم قلعة بانياس فتخلّوا عن ملك الألمان، وأشاروا عليه بالرحيل، وخوّفوه من إمداد المسلمين، فرحل عن دمشق إلى بلاده، وسلم أتز قلعة بانياس إلى الفرنج حسبما شرطه لهم.

وفيها[3]: كان بين نور الدين محمود و بين الفرنج مصاف بأرض يغري من العمق وانهزم الفرنج، وقتل منهم جماعة، وأسر جماعة، وأرسل من الأسرى والغنيمة إلى أخيه سيف الدين غازي صاحب الموصل.

وفيها[4]: ملك الفرنج من الأندلس مدينة طرطوشة وجميع قلاعها، وحصون لاردة.

وفيها[5]: كان الغلاء العام من خراسان إلى العراق إلى الشام إلى المغرب وفيها: قُتل نور الدين[6] شاهنشاه بن أيوب أخو صلاح الدين، قتلته الفرنج في منازلتهم

---

(١) المختصر ٣/ ٢٠ وانظر: كامل ابن الأثير ٩/ ٢٠ ومرآة الجنان ٣/ ٢٧٧ وشذرات الذهب ٤/ ١٣٤ وعيون التواريخ ١٢/ ٤١٦ والباهر لابن الأثير ص ٨٨.

(٢) في المختصر وكامل ابن الأثير: ربيع الأول.

(٣) المختصر ٣/ ٢٠ والخبر في كامل ابن الأثير ٩/ ٢٢.

(٤) المختصر ٣/ ٢٠ وانظر كامل ابن الأثير ٩/ ٢٣.

(٥) المختصر ٣/ ٢٠ وانظر: كامل ابن الأثير ٩/ ٢٣.

(٦) نور الدين شاهنشاه، انظر ترجمته في شفاء القلوب ص ٤٩ ومرآة الزمان ٨/ ٣٦٢ ووفيات الأعيان ٢/ ٤٥٢ والبداية والنهاية ١٢/ ٢٢٤ والروضتين ١/ ١٤٤ والكامل.

لدمشق، فجرى بينهم وبين المسلمين مصاف قتل فيه شاهنشاه، وهو أكبر من صلاح الدين، وكانا شقيقين.

وفي سنة أربع وأربعين:

توفي[١] غازي بن عماد الدين أتابك زنكي صاحب الموصل بمرض حاد في أواخر جمادى الآخرة، وكانت[٢] ولايته ثلاث سنين وشهراً وعشرون[٣] يوماً، وكان حسن الصورة، ومولدهُ سنة خمسمائة وخلّف ولداً ذكراً، فربّاه عمّه نور الدين وأحسن إليه، وتوفي المذكور شاباً وانقرض بموته عقب /٨/ سيف الدين غازي وكان سيف الدين كريماً يصنع لعسكره كل يوم طعاماً كثيراً، بكرةً وعشيّا، وهو أول من حمل على رأسه السنجق[٤] في ركوبه، وأمر الأجناد ألاّ يركبوا إلاّ بالسيوف في أوساطهم، والدبّوس تحت ركبهم، فلما فعل ذلك اقتدى به أصحاب الأطراف.

ولما توفي سيف الدين غازي، كان أخوه قطب الدين مودود بن زنكي مقيماً بالموصل، فاتفق جمال الدين[٥] الوزير وزين الدين[٦] أمير الجيش على تمليكه، فحلّفاه وحلفا له، وأطاعه جميع بلاد سيف الدين أخيه.

ولما تملك تزوج الخاتون ابنة حسام الدين تمرتاش صاحب ماردين، وكان أخوه سيف الدين قد ملكها، ومات قبل الدخول بها، وهي أم أولاد قطب الدين.

وفيها[٧]: توفي الحافظ[٨] العلوي صاحب مصر، وكانت خلافته عشرين سنة إلاّ

---

(١) المختصر ٣/ ٢١ وانظر خبر وفاته في كامل ابن الأثير ٩/ ٢٣ ومرآة الجنان ٣/ ٢٨٣ وشذرات الذهب ٤/ ١٣٩ وعيون التواريخ ١٢/ ٤٣٥ والبداية والنهاية ١٢/ ٢٢٧.

(٢) الأصل: كان.

(٣) كذا، والصواب عشرين.

(٤) السنجق، لفظ تركي يطلق في الأصل على الرمح، ثم أُريد به الراية التي تربط به، والجميع سناجق (صبح الأعشى ٤/ ٨).

(٥) جمال الدين محمد بن علي بن أبي منصور، أبو جعفر المعروف بالجواد الأصبهاني، وزير صاحب الموصل، توفي سنة ٥٥٩، انظر عيون التواريخ ١٢/ ٤٣٦ ووفيات الأعيان ٤/ ٢٢٨ وشذرات الذهب ٤/ ٨٥.

(٦) زين الدين علي كجك بن بكتكين، وكجك تعني الصغير، ملك فيما بعد أربل وبلاداً واسعة، ثم اقتصر على أربل وتوفي سنة ٥٦٣هـ (وفيات الأعيان ٤/ ١١٤).

(٧) المختصر ٣/ ٢١ وهو الحافظ لدين الله عبد المجيد بن الأمير أبي القاسم بن المستنصر العلوي، انظر: كامل ابن الأثير ٩/ ٢٤ وشذرات الذهب ٤/ ١٣٨ وعيون التواريخ ١٢/ ٧٣٢.

(٨) الحافظ أبو الميمون عبد المجيد بن محمد بن المستنصر بالله، وهو الحادي عشر من ملوك الدولة العبيدية والثامن من ملوك الديار المصرية منهم. بويع له بعد مقتل ابن عمه الآمر سنة ٥٢٤هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٥/ ١٩٩ والمغرب (قسم مصر) ص٨٦ ونهاية الأرب ٢٨/ ٢٩٦ واتعاظ الحنفا ٣/ ١٢٣.

خمسة أشهر، وعمره نحواً من سبعٍ وسبعين سنة، ولم يلِ الأمر من الخلفاء العلويين بمصر من أبوه غير خليفة غير الحافظ والعاضد على ما سنذكره.

ولما توفي الحافظ بويع بعده ولده الظافر بأمر الله أبو منصور إسماعيل(١)، واستوزَرَ ابن مصال(٢)، فبقي أربعين يوماً وحضر من الإسكندرية العادل(٣) بن السلاّر، وكان قد خرج ابن السلاّر في طلب بعض المفسدين، فأرسل العادل بن السلاّر ربيبه عباس(٤) ابن أبي الفتوح بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي، وكان أبوه /٩/ أبو الفتوح قد فارق أخاه علي بن يحيى صاحب إفريقية وقدم إلى الديار المصرية وتوفى بها.

فتزوج العادل بن السلاّر بزوجة أبي الفتوح، ومعها ولدها عباس، فربّاه العادل، وأحسَنَ تربيته، ولما قدم العادل إلى مصر. يريد الاستيلاء على الوزارة، أرسل ربيبه عباس في عسكر إلى ابن مصال، فظفر به عباس وقتله وعاد إلى العادل بالقاهرة، فاستقرّ العادل في الوزارة وتمكّن، ولم يكن للخليفة معه حكم، وبقي كذلك إلى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، فقتله ربيبه عباس وتولّى الوزارة على ما ستذكرُهُ.

وفيها: حصر(٥) نور الدين محمود بن زنكي حصن حارم(٦)، فجمع البرنس صاحب إنطاكية الفرنج، وسار إلى نور الدين، واقتتلوا، فانتصر نور الدين وقتل البرنس، وانهزم الفرنج، وكثر القتل فيهم.

ولما قتَل البرنس ملك بعده ابْنُه بيمند. وهو طفل، وتزوجت أمّه برجل آخر ويُسمّى بالبرنس، ثم أن نور الدين غزاهم غزوة أخرى، فهزمهم وقتل فيهم وأسر، وكان

---

(١) الظافر بأمر الله اسماعيل بن الحافظ. بويع له بعد وفاة أبيه. ووزر العادل، وقتل العادل غيلة فوزر له الأفضل الصنهاجي، وقتل الظاهر ابن وزيره عباس. وكانت خلافته خمس سنين. انظر: المغرب (مصر) ص٨٩ ونهاية الارب ٢٨/ ٣١٠.

(٢) ابن مصال، نجم الدين، أبو الفتح سليم بن محمد بن مصال، من أهل لكَ بُلَيْدَة من أعمال برقة، كان هو وأبوه يتعاطيان البيزرة والبيطرة، ثم تقدم حتى وزر للظافر (وفيات الأعيان ٣/ ٤١٦).

(٣) أبو الحسن علي بن السلاّر، الملك العادل سيف الدين، كان كردياً زرزارياً، وتقلبت به الأحوال حتى غلب على الوزارة أيام الظافر العبيدي، إلى أن قتله ربيبه عباس الآتي ذكره سنة ٥٤٨هـ. انظر: وفيات الأعيان ٣/ ٤١٦ واتعاظ الحنفا ٣٢٤ والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٩٩ وعبر الذهبي ٤/ ١٣١، والشذرات ٤/ ١٤٩.

(٤) انظر: وفيات الأعيان ٣/ ٤١٧ والكامل ٩/ ٢٥.

(٥) المختصر ٣/ ٢٢ وانظر الخبر مفصلاً في كامل ابن الأثير ٩/ ٢٥.

(٦) حارم: حصن تجاه أنطاكية، وهي من أعمال حلب (معجم البلدان ـ حارم).

فيمن أسر البرنس الثاني زوج أم بيمند، فتمكن حينئذ بيمند في ملك إنطاكية.

وفيها[١]: زلزلت الأرض زلزلة شديدة.

وفيها[٢]: توفي معين الدين أتز صاحب دمشق، وهو الذي كان ينسب إليه الحكم فيها، وإليه ينسب قصر معين الدين الذي في الغور.

وفيها[٣]: تولّى أبو المظفر يحيى[٤] بن هبيرة وزارة الخليفة / ١٠/ المقتفي يوم الأربعاء، رابع ربيع الآخر، وكان قبل ذلك اليوم صاحب ديوان الزمام.

وفي سنة خمس وأربعين:

في رابع عشر المحرّم، أَخَذَتْ[٥] العرب جميع الحجاج بين مكة والمدينة، فهلك أكثرهم، ولم يصل منهم إلى البلاد إلاّ القليل.

وفيها: سار[٦] نور الدين محمود بن زنكي إلى فامية[٧]، وحَصَر قلعتها وتسلّمها من الفرنج، وحصّنها بالرجال والذخائر، وكان قد اجتمع الفرنج وساروا ليرحلوه عنها. فملكها قبل وصولهم، فلما بلغهم فتحها تفرّقوا.

وفيها: سار[٨] الأدفونش صاحب طليطلة بجموع الفرنج إلى قرطبة وحصرها ثلاثة أشهر ولم يملكها ورحل عنها.

وفي سنة ست وأربعين:

انهزم[٩] نور الدين من جوسلين، ثم أُسر جوسلين، وكان جوسلين من أعظم فرسان الفرنج، قد جمع بين الشجاعة وجَوْدةِ الرأي، وكان نور الدين قد عزم على قصد بلاده. فجمع جوسلين الفرنج وأكْثَرَ، وسار نحو نور الدين، والتقوا، فانهزم المسلمون،

---

(١) المختصر ٣/ ٢٢، والخبر في كامل ابن الأثير ٩/ ٢٦.

(٢) المختصر ٣/ ٢٢ والخبر في كامل ابن الأثير ٩/ ٢٦ وشذرات الذهب ٤/ ١٣٨ وعيون التواريخ ١٢/ ٤٣٠.

(٣) المختصر ٣/ ٢٢، وعيون التواريخ ١٢/ ٤٢١، وكامل ابن الأثير ٩/ ٢٦.

(٤) عون الدين أبو المظفر يحيى بن هبيرة، نشأ في قرية تعرف بالدور ومات أبوه وهو صبي وتردد إلى بغداد وحضر مجالس العلماء وولي الوزارة للمقنفي، وكان عالماً أديباً، توفي سنة ٥٦٠هـ. انظر الفخري ص٢٢٩.

(٥) المختصر ٣/ ٢٢ وانظر: كامل ابن الأثير ٩/ ٢٧ وعيون التواريخ ١٢/ ٤٣٨ والمنتظم ١٠/ ٢٤٢.

(٦) المختصر ٣/ ٢٢ وانظر: الكامل ٩/ ٢٧ وعيون التواريخ ١٢/ ٤٢١.

(٧) فامية ويقال لها أفامية: مدينة كبيرة، وكورة من سواحل حمص (معجم البلدان ـ أفامية، فامية).

(٨) المختصر ٣/ ٢٢ وانظر: الكامل ٩/ ٢٨.

(٩) المختصر ٣/ ٢٣ وانظر: الكامل ٩/ ٢٩.

وأُسِر منهم جمع كبير، وكان من جملة مَنْ أُسِر منهم السلاح دار، ومعه سلاح نور الدين، فأرسَلَهُ جوسلين إلى مسعود بن قليج أرسلان صاحب قونية[١] وأقصرا، وقال: هذا سلاح زوج ابنتك، وسيأتيك بعده ما هو أعظم منه، فَعَظُم ذلك على نور الدين، وهجر «الملاذ»[٢] وافتكر في أمر جوسلين، وجمع التركمان، وبَذَل لهم الوعود إن ظفروا به إما بإمساكٍ / ١١/ أو بقتل.

فاتفق أن جوسلين طلع إلى الصيد، فكبَسَهُ التركمان وأمسكوه، فبذل لهم مالاً فأجابوا إلى إطلاقه، فسار بعض التركمان إلى أبي بكر ابن الداية[٣] نائب نور الدين بحلب، فأرسل عسكراً كبسوا التركمان الذين عندهم جوسلين، وأحضروه إلى نور الدين أسيراً، وكان أسر جوسلين من أعظم الفتوح، وأُصيبت النصرانية كافة بأسرِهِ، ولما أُسِر سار نور الدين إلى بلادِهِ ومَلَكها، وهي: تل باشر[٤] وعين تاب[٥] ودلوك[٦] وإعزاز[٧]، وتل خالد[٨]، وقورس[٩] والراوندان[١٠]، وبرج الرصاص[١١]، وحصن البارة[١٢]، وكفر سود[١٣]، وكفر لاثا[١٤]، ومرعش[١٥]، ونهر الجوز[١٦]، وغير ذلك

---

(١) قونية: في طريق عمورية إلى أنطاكية، وبينها وبين اللاذقية يوم، وبها وبأقصرا يسكن ملوك الروم انظر: الروض المعطار ص ٤٨٤ ومعجم البلدان ٤/ ٤١٥.

(٢) التكملة عن المختصر.

(٣) أبو بكر بن الداية، مجد الدين، من أكبر الأمراء النورية، ناب عن نور الدين على حلب، توفي سنة ٥٦٥هـ، انظر ترجمته في الوافي بالوفيات ١٠/ ٢٣١ والأعلاق الخطيرة ١/ ١: ١١١ وفيه: مجد الدين أبو بكر محمد بن نوشتكين.

(٤) تل باشر، قلعة حصينة وكورة واسعة في شمالي حلب، بينها وبين حلب يومان (معجم البلدان ٢/ ٤٠).

(٥) عين تاب: قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية، وكانت تعرف بدلوك، ودلوك رستاقها (معجم البلدان ٤/ ١٧٦).

(٦) بلدة من نواحي حلب (معجم البلدان ٢/ ٤٦١).

(٧) عزاز أو إعزاز، بلدة فيها قلعة وبها رستاق شمالي حلب، بينهما يوم (معجم البلدان ٤/ ١١٨).

(٨) تل خالد: قلعة من نواحي حلب (معجم البلدان ٢/ ٤١).

(٩) قورس، مدينة قديمة من نواحي حلب (معجم البلدان ٤/ ٤١٢)

(١٠) الراوندان: قلعة حصينة، من نواحي حلب (معجم البلدان ٣/ ١٩).

(١١) برج الرصاص: قلعة بها رساتيق من أعمال حلب، قرب أنطاكية، (معجم البلدان ٢/ ٣٧٣).

(١٢) البارة، بلدة وكورة من نواحي حلب، وبها حصن انظر (معجم البلدان ١/ ٣٢٠).

(١٣) كذا في الأصل، وفي معجم البلدان ٤/ ٤٦٩: كفرسوت، من أعمال حلب قرب بهسنا.

(١٤) كفرلاثا: بلد في سفح جبل عاملة من نواحي حلب بينهما يوم واحد (معجم البلدان ٤/ ٤٧٠).

(١٥) مرعش، مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم (معجم البلدان ٥/ ١٠٧).

(١٦) نهر الجوز: ناحية ذات قرى وبساتين بين حلب والبيرة، التي على الفرات (معجم البلدان ـ الجوز ٢/ ١٨٣).

في مدّة يسيرة، وكان نور الدين كلّما فتح منها موضعاً حصَّنَه بما يحتاج إليه من الرجال والذخائر.

وفي سنة سبع وأربعين وخمسمائة:

سار عبد المؤمن بن علي إلى بجاية[(١)] ومَلَكها، ومَلَكَ جميع ممالك بني حماد[(٢)]، وأَخَذَها من صاحبها يحيى بن العزيز آخر ملوك بني حماد.

وكان يحيى المذكور مولعاً بالصيد واللهو، لا ينظر في شيء من أمر مملكته، ولما هزم عبد المؤمن عسكر يحيى هرب يحيى وتحصَّن بقلعة قسطنطينة من بلاد بجاية، ثم نزل يحيى إلى عبد المؤمن بالأمان فأمنه وأرسله إلى بلاد المغرب، وأقام بها، وأجرى عليه عبد المؤمن رزقاً كثيراً، وقد ذكر في تاريخ القيروان، أن مسير عبد المؤمن وملكه تونس وأفريقية إنما كان في سنة أربع وخمسين.

/ ١٢/ وفي هذه السنة: في أول رجب توفي[(٣)] السلطان مسعود بن محمد بن السلطان ملكشاه بهمدان، ومولده سنة اثنتين وخمسمائة في ذي القعدة، ومات معه سعادة البيت السلجوقي، فلم يَقُم بعده راية يُعْتَدُّ بها، وكان حسن الأخلاق كثير المزاح والانبساط مع الناس، كريماً، عفيفاً عن أموال الرعايا.

ولما مات عهد بالملك إلى ابن أخيه ملكشاه بن محمود، فَقَعَد في السلطنة وخُطِبَ له، وكان المتغلّب على المملكة أمير يقال له خاص بك[(٤)]، وأَصْلُهُ صبي تركماني، اتصل بخدمة مسعود، فتقدم على سائر أمرائه ثم أن خاص بيك المذكور قبض على السلطان ملكشاه محمود وسجنه، وأرسل إلى أخيه محمد بن محمود وهو بخوزستان، فأَحْضَرَهُ، وتولّى السلطنة، وجَلَسَ على السرير، وكان قصْد خاص بيك أن يمسكه ويخطب لنفسه بالسلطنة، فَبَدَرَهُ السلطان محمود ثاني يوم وصوله، فقتل خاص بيك، وقتل معه زنكي الجاندار، وألقى برأسيهما فتفرق أصحابهما.

وفيها: جمعت الفرنج، وساروا إلى نور الدين وهو محاصر دَلُوك، فرحل عنها،

---

(١) مدينة على ساحل البحر بين افريقية والمغرب، أول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد سنة ٤٥٧هـ (معجم البلدان ٢/ ٣٣٩).

(٢) بنو حماد: أسرة إسلامية كبيرة حكمت المغرب الأوسط، أسسها عماد بن بلكين، قضى الموحدون على ملكهم، انظر الموسوعة الميسرة ص ٤١٥.

(٣) انظر: عيون التواريخ ١٢/ ٤٦٢ والبداية والنهاية ١٢/ ٤٣٠.

(٤) انظر ترجمته خاص بك في الوافي ١٣/ ٢٤٤ والمنتظم ١٠/ ١٥٣ وعيون التواريخ ١٢/ ٤٦٢، وفيه وفاته ٥٤٧ والكامل ١١/ ١٦٢ والسلوك ١/ ٣٨.

وقاتلهم أشدّ قتال، وهزمهم، وقَتل وأسر منهم خلق كثير، ثم عاد نور الدين إلى دلوك، فملكها، ومما مُدح به في ذلك: [المتقارب]

أعدت بعصرك هذا الجديد ... فتوح النبي وأَعْصارها
/١٣/ وفي تل باشر باشرتهم ... بزحفٍ تسوّر أسوارها
وإن دالكتهم دلوك فقد ... أسرت فصدّقت أخبارها

ابتداء ظهور دولة الغوريّة وانقراض آل سبكتكين:

أول من اشتهر من الملوك الغورية أولاد الحسين، وأولهم محمد بن الحسين[١]، وكان قد صاهر بهرام شاه بن مسعود صاحب غزنة من آل سبكتكين، وسار محمد بن «الحسين»[٢] إلى غزنة مظهراً الطاعة لبهرام شاه، ويُبْطِن الغدر، فأمسكه بهرام وقتله، فتولّى بعده في «الملوك»[٣] الغورية أخوه سودي بن الحسين وسار إلى غزنة طالباً بثأر أخيه، وجرى القتال بينه وبين بهرام شاه، فظفر به بهرام شاه وقتله وانهزم عسكره، ثم ملك بعدهما أخوهما علاء الدين[٤] بن الحسين، وسار إلى غزنة، فانهزم عنها صاحبها بهرام شاه، واستولى علاء الدين «بن»[٥] الحسين على غزنة وأقام فيها أخاه سيف الدين «شاه» بن الحسين.

وعاد علاء الدين إلى الغور، وكاتب أهل غزنة بهرام شاه، فسار إليهم، فاقتتل مع سيف الدين، فانتصر بهرام شاه، وظفر بسيف الدين وقتله، واستقرّ بهرام شاه في ملك غزنة، ثم توفي بهرام شاه وتولّى بعده ابنه خسرو شاه، وتجهّز علاء الدين بن الحسين ملك الغوريّة وسار إلى غزنة في سنة خمسين وخمسمائة، فلما قَرُبَ / ١٤/ «منها»[٦] فارقها صاحبها خسرو شاه بن بهرام شاه، وسار إلى لهاوور[٧]، وملك علاء الدين الحسين بن الحسين غزنة ونهبها ثلاثة أيام، وتلقّب علاء الدين بالسلطان المعظّم، وحمل الجتر على عادة السلاطين السلجوقية، وأقام الحسين على ذلك مدّة، واستعمل

---

(١) محمد بن الحسين، سيف الدين بن علاء الدين، الغُوري، ملك بعد أبيه فلم تطل مدته، إذْ قتله الغزّ سنة ٥٥٨هـ. انظر: الوافي ٢/ ٣٧٢.

(٢) الزيادة عن المختصر.

(٣) الزيادة عن المختصر.

(٤) هو الحسين بن الحسين، علاء الدين الغوري، توفي ببغداد سنة ٥٦٥هـ بعد محاصرة غزنة، وتملّك بعده ولده الملك سيف الدين محمد، انظر الوافي ١٢/ ٣٥٩ وشذرات الذهب ٤/ ١٧٦ والعبر ٤/ ١٦٠.

(٥) الزيادة عن المختصر.

(٦) الزيادة عن المختصر.

(٧) لهاور أولوهور، مدينة كبيرة بالهند. (معجم البلدان ٥/ ٢٦ و ٢٧).

على غزنة ابني[١] أخيه غياث الدين محمد بن سام، وأخوه شهاب الدين محمد[٢] بن سام ثم جرى بينهما وبين عمهما علاء الدين حرب انتصرا فيه على عمهما وأسراه، وأسرا عمهما ثم أطلقاه وأجلساه على التخت ووقفا في خدمته، فاستمرّ في السلطان، وزوّج غياث الدين بابنته، وجعله وليّ عهده، وبقي كذلك إلى أن مات علاء الدين الحسين بن الحسين في سنة ست وخمسين على ما ستذكره.

وملك بعده غياث الدين محمد بن سام بن الحسين، وخطب لنفسه بالغور وغزنة بالملك، ثم استولى الغزّ على غزنة وملكوها منه مدة خمس عشرة سنة، فأرسل غياث الدين أخاه شهاب الدين إلى غزنة، فهزم الغزّ عنها، وقتل منهم خلقاً كثيراً، واستولى على غزنة وما جاوَرَها من البلاد، مثل: كرمان و«شتوران»[٣] وماه السند وورد «لهاوور» وبها خُسرو شاه بن بهرام شاه السبكتيني، فملكها شهاب الدين وأعطى خسرو شاه الأمان وحَلَفَ له، فحضر خسرو شاه عند شهاب الدين «فأكرمه شهاب الدين، وأقام خسرو شاه على ذلك شهرين، ولما بلغ غياث الدين بن سام ذلك أرسل إلى أخيه شهاب الدين»[٤] يطلب منه خسرو شاه، فأمره شهاب الدين بالتوجّه.

فقال له خسرو شاه: /١٥/ أنا ما اعرف أخاك، ولا سلّمتُ نفسي إلاّ إليك، فطيّب خاطره، وأرسل معه ولده «مع أبيه» إلى غياث الدين، وأرسل معهما عسكراً يحفظونهما، فلما وصلا إلى الغور لم يجتمع بهما غياث الدين، وإنما أمر بهما فرفعا إلى بعض القلاع، وكان آخر العهد بهما، وخسرو شاه المذكور هو ابن بهرام شاه بن مسعود بن محمود بن سبكتكين، وهو آخر ملوك سبكتكين، وكان ابتداء دولتهم سنة ست وستين وثلاثمائة، وملكوا مائتي سنة وثلاثة عشر سنة تقريباً، فيكون انقراض دولتهم في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، وقدمنا ذلك لتتصل أخبارهم.

وكان ملوكهم من أحسن الملوك سيرة، وقيل أن خسرو شاه توفي في الملك وملك بعده ولده ملكشاه على ما نشير إليه في موضعه إن شاء الله تعالى.

ولما استقرّ ملك الغوريّة بلهاوور واتسعت مملكتهم، وكثرت عساكرهم كتب

---

(١) كذا في الأصل والصواب: ابنا.

(٢) محمد بن سام السلطان شهاب الدين الغوري، صاحب غزنة، قتله الباطنية سنة ٦٠٢هـ، انظر الوافي بالوفيات ٣/ ٨٣ وطبقات السبكي ٥/ ٢٥.

(٣) الزيادة عن المختصر.

(٤) سقطت من الأصل، وأكملتها عن المختصر.

غياث الدين إلى أخيه شهاب الدين بإقامته الخطبة له بالسلطنة، وتلقّب بألقاب منها: معين الإسلام، قسيم أمير المؤمنين، ولما استقرّ ذلك سَار شهاب الدين إلى أخيه غياث الدين وسارا إلى خراسان وقصدا مدينة هراة، وحصراها، وتسلّمها غياث الدين بالأمان، ثم سار وأخوه بعساكرهما إلى بوشنج[1] فملكاها، ثم إلى باذغيس[2] وكالين وبيوار /١٦/ فملكها، ثم رجع غياث الدين إلى بلده فيروزكوه، ورجع أخوه شهاب الدين إلى غزنة.

ولما استقرّ شهاب الدين في غزنة قصد بلاد الهند وفتح مدينة أجُر، ثم رجع إلى غزنة، ثم قصد الهند فذلّل صعابها وتيسّر له فتح الكثير من بلادها ودوّخ ملوكها، وبَلَغَ منها كلّ مبلغ، ولما كثر فتوحه للهند اجتمعت الهند مع ملوكهم في خلق كثير، والتقوا مع شهاب الدين، وجرى بينهم قتال عظيم، وانهزم المسلمون وجُرح شهاب الدين، وبقي مع القتلى، ثم اجتمعت عليه أصحابُه، وحملوهُ إلى مدينة آجُر، واجتمعت عليه عساكره، وأقام في آجُر حتى اجتمعت عليه أمداد أخيه غياث الدين، ثم اجتمعت الهنود، وتنازل الجمعان وبينهما نهر، فكبس عسكر المسلمين الهنود وتمّت الهزيمة عليهم، وقتل المسلمون من الهنود ما يفوق الحصر وقتلت «ملكتهم»[3] وتمكن شهاب الدين بعد هذه الوقعة من بلاد الهند، وأقطع مملوكه قطب الدين أيبك مدينة دهلى، وهي من كراسي ممالك الهند، وأرسل أيبك عسكراً مع مقدّم يقال له محمد بن بختيار فملكوا من الهند مواضع ما وصلها مسلم قبله حتى قاربوا جهة الصين.

وفيها: توفي حسام الدين تمرتاش[4] بن الغازي، صاحب ماردين وميا فارقين وكانت ولايته نيفاً وثلاثين سنة، لأنه تولى بعد موت أبيه في سنة ست عشرة وخمسمائة /١٧/ حسبما تقدّم، وتوفي بعده ابنه نجم الدين «الباي» بن تمرتاش بن أيلغازي ابن أرتق.

وفي سنة ثمان وأربعين:

في المحرم انهزم[5] السلطان سنجر من الأتراك الغزّ، وهم طائفة من الترك، كانوا بما وراء النهر، فلما ملكهم الخط أخرجوهم منه، فقصدوا خراسان، وأقاموا بنواحي بلخ مدّة طويلة، ثم عَنَّ للأمير قماج مقطع بلخ أن يخرجهم من بلادهم، فسار

---

(١) بليدة من نواحي هراة، بينهما عشرة فراسخ (معجم البلدان ١/ ٥٠٨).
(٢) ناحية تشتمل على قرى من أعمال هراة ومرو الروز (معجم البلدان ١/ ٣١٨).
(٣) التكملة عن المختصر.
(٤) انظر ترجمته في: الوافي ١٠/ ٤٠٤.
(٥) انظر: عيون التواريخ ١٢/ ٤٦٥ والكامل في التاريخ ٩/ ٣٧.

إليهم في عشرة آلاف فارس، فحضر إليه كبراء الغز وسألوه أن يكفّ عنهم، ويتركهم في مراعيهم، ويعطونه من كل بيت مائتي درهم، فلم يجبهم إلى ذلك، وأصرّ على إخراجهم وقتالهم، فقاتلوه وهزموه وتبعوه يقتلون ويأسرون، ثم عاثوا في البلاد، فاسترقوا النساء والأطفال، وخرّبوا المدارس، وقتلوا الفقهاء، فسار قماج إلى السلطان سنجر منهزماً، وأعلمه بالحال، فسار إليهم سنجر في عساكره، وهم نحو مائة ألف فارس، فأرسل الغز يعتذرون إليه مما وقع وبذلوا له بذلاً كثيراً ليكف عنهم.

فلم يجبهم، وقصدهم، ووقعت بينهم حرب شديدة، فانهزم عسكر سنجر، وتبعهم الغزّ يقتلون ويأسرون، فقتل علاء الدين قماج، وأسر السلطان سنجر، وأُسِر معه جماعة من الأمراء، فضربوا أعناقهم، وأما سنجر فإنهم لما أسروه، اجتمع رؤساء الغز، وقبّلوا الأرض بين يديه، وقالوا: نحن عبيدك، ولا نخرج عن /١٨/ طاعتك، وبقي معهم كذلك ثلاثة أشهر، ودخلوا معه إلى مرو، وهي كرسي ملك خراسان فطلبها من بختيار رئيس من رؤساء الغُزّ إقطاعاً، فقال سنجر: هذه دار الملك ولا يجوز أن تكون إقطاعاً لأحد، فضحكوا منه، وحبق بختيار بفمه، فلما رأى سنجر ذلك، نزل عن سرير الملك، ودخل خانقاه مرو، وتاب عن سرير الملك، واستولى الغزّ على البلاد، فنهبوا نيسابور، وقتلوا الكبار والصغار وقتلوا القضاة والعلماء الذين بتلك البلاد، فقتلوا الحسين بن محمد الأرسابيدي والقاضي علي بن مسعود، والشيخ محيي الدين محمد بن يحيى، الفقيه الشافعي، الذي لم يكن في زمانه مثله، وكان رحلة الناس من الشرق والغرب إليه، وغيرهم ـ من الأئمة والفضلاء، ولم يسلم شيء من خراسان من النهب غير هراة ودهستان لحصانتهما.

ولما كان من هزيمة سنجر وأسره ما كان، اجتمع عسكره على مملوكه «أي به» ولقبه المؤيّد[1]، واستولى المؤيّد على نيسابور وطوس ونسا وأبيورد وشهرستان والدامغان، وازاح الغزّ عنها، وأحسن السيرة في الناس، وكذلك استولى في السنة المذكورة على الريّ مملوك لسنجر اسمه «إيتاخ» وهادى الملوك واستقرّت قدمه، وعظم شأنه.

وفيها: قتل[2] العادل بن السلار وزير الظافر العلوي، قتله ربيبه عباس بن أبي الفتوح /١٩/ الصنهاجي، بإشارة أسامة بن منقذ، وكان العادل قد تزوج أم عباس

---

(١) انظر: عيون التواريخ ١٢/ ٤٧٥ وشذرات الذهب ٤/ ١٤٩ ووفيات الأعيان ٣/ ٩٢ والكامل لابن الاثير ٩/ ٤١.

(٢) انظر خبره في الكامل لابن الاثير ٩/ ٤٠.

المذكور، وأحسن تربيته، فجازاه بقتله وولى مكانه، وكانت الوزارة في مصر لمن غلَبَ.

وفيها[١]: كان بين عبد المؤمن ملك المغرب وبين العرب حرب شديد انتصر فيه عبد المؤمن.

وفيها: مات رجار[٢] الفرنجي ملك صقلية بالخوانيق، وعمره نحو ثمانين سنة، وملكه عشرين سنة، وملك بعده ابنُه غليالم.

وفيها[٣]: في رجب توفي بغزنة بهرام شاه بن مسعود السبكتكيني، صاحب غزنة، وقام بالملك بعده ولده نظام الدين خسروشاه، وكانت مدة ملك بهرام نحو ست وثلاثين سنة، وذلك من حين قتل أخاه أرسلان شاه في سنة اثنتي عشرة وخمسمائة، كان ابتداء ولايته من حين هُزم أخوه قبل ذلك بثلاث سنين حسبما تقدم ذكره في السنة المذكورة، وكان بهرام حسن السيرة.

وفيها[٤]: ملك الفرنج مدينة عسقلان، وكانت لخلفاء مصر والوزراء يجهزون إليها المؤن والسلاح، فلما كانت هذه السنة قتل العادل بن السلاّر، واختلفت الأهواء بمصر، فتمكن الفرنج من عسقلان، وحاصروها وملكوها.

وفيها: وَصَلَتْ مراكب من صقلية فملكوا مدينة نيس بالديار المصرية وفي سنة تسع وأربعين، في المحرّم قتل الظافر[٥] بأمر الله أبو منصور /٢٠/ إسماعيل بن الحافظ العلوي، قتله وزيره عباس الصنهاجي، وسببه أنه كان لعباس ولد حسن الصورة اسمه نصر، فأحبّه الظافر، وما بقى يفارقه، وكان قد قدم من الشام مؤيد الدولة أسامة بن منقذ الكناني في وزارة العادل، فحسّن للعباس قتل العادل، فقتله وتولّى مكانه، ثم حَسَّنَ له قتل الظافر، لأنه قال له: كيف تصبر على ما أسمع من قبيح القول؟ فقال له عباس: ما هو؟ فقال: إن الناس يقولون: إن الظافر يفعل بابنك نصر، فأنف عباس، وأمر ابنه نصرا، فدعا الظافر إلى بيته، وقتلاه، وقتلا كل من معه، وسلم خادم صغير فحضر إلى القصر، وأعلمهم بقتل الظافر، ثم حضر عباس إلى القصر، وطلب الاجتماع بالظافر، وطلبه من

---

(١) انظر: كامل ابن الاثير ٩/ ٤١.

(٢) ويقال له أجار، ملك الافرنج صاحب صقلية، اهتم بالعلم وقرب الفلاسفة وألف له الشريف الإدريسي (نزهة المشتاق) أخذ طرابلس والغرب عنوة سنة ٥٤١هـ والمهدية سنة ٥٤٣هـ انظر: الوافي ١٤/ ١٠٥ والشذرات ٤/ ١٤٧ وكامل ابن الاثير ٩/ ٤٢.

(٣) انظر الخبر في كامل ابن الاثير ٩/ ٤٢.

(٤) كامل ابن الاثير ٩/ ٤٢.

(٥) انظر الخبر في شذرات الذهب ٤/ ١٥٢ وكامل ابن الاثير ٩/ ٤٣ والمغرب (قسم مصر) ص٩٠.

أهل القصر فلم يجدوه، فقال: أنتم قد قتلتموه، وأحضر أخوين للظافر يقال لهما: يوسف وجبريل، وقتلهما عباس المذكور أيضاً، ثم أحضر الفائز[١] بنصر الله أبا القاسم عيسى بن الظافر إسماعيل ثاني يوم قتل أبيه وله من العمر خمس سنين، فحمله عباس على كتفه وأجلسه على سرير الملك وبايعه الناس وأخذ عباس من القصر الأموال والجواهر النفيسة شيئاً كثيراً، ولما فعل عباس ذلك اختلفت عليه الكلمة، وثار عليه الجند، وكان طلائع[٢] بن رزيك في منية أبي الخصيب[٣]، والياً عليها.

فأرسل إليه أهل القصر من النساء والخدم يستغيثون به، / ٢١/ وكان فيه شهامة، فجمع جمعه وقصد عباساً، فهرب عباس ومن معه إلى الشام بالأموال والتحف التي لا يوجد مثلها، ولما كان عباس في أثناء الطريق خرجت عليه الفرنج فقتلوه، وأخذوا ما كان معه، وأسروا ابنه نصْراً، وكان قد استقرّ طلائع ابن رزيك بعد هروب عباس في الوزارة، ولقب الملك الصالح، فأرسل إلى الفرنج وبذل لهم أموالاً، وأخذ نصر بن عباس، وأُحضر إلى مصر، فقتل وصلب على باب زويلة وأما أسامة[٤] بن منقذ، فإنه كان مع عباس، فلما قتل عباس هرب أسامة ونجا إلى الشام، ولما استقرّ أمر الصالح بن رزيك وقع في الأعيان بالديار المصرية وأبادهم بالقتل والهرب إلى البلاد البعيدة.

وفيها: سار[٥] المقتفي لأمر الله بعساكر بغداد، وحصر تكريت، وأقام عليها عدّة مناجيق، ثم رحل عنها ولم يظْفر بها.

«ذكر ملك نور الدين محمود دمشق»[٦]:

كان الفرنج قد تغلّبوا بتلك الناحية بعد ملكهم عسقلان حتى أنهم استعرضوا كل

---

(١) انظر عن الفائز المغرب (قسم مصر) ص٩٢ والكامل ٩/ ٩٨ والمختصر ٣/ ٣٩ والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٠٦ وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٠٥.

(٢) طلائع بن زريك، الأرمني، ثم المصري، أبو الغارات، الوزير الأديب الشاعر، المتوفى سنة ٥٥٦هـ انظر ترجمته في الوافي بالوفيات ١٦/ ٥٠٣ والخريدة (قسم مصر) ١/ ١٧٣ والعبر ٤/ ١٦٠ ومرآة الزمان ٨/ ٢٣٧ وشذرات الذهب ٤/ ١٧٧ وكامل ابن الاثير ٩/ ٤٤.

(٣) مدينة أبي الخصيب، مدينة كبيرة على شاطىء النيل في الصعيد الأدنى وهي مدينة المنيا حالياً. (معجم البلدان ٥/ ٢١٨).

(٤) أسامة بن مرشد بن علي بن مقلّد بن نصر بن منقذ الكناني، من آل منقذ أصحاب قلعة شيزر، الأديب والشاعر المصنف، المتوفى بدمشق سنة ٥٨٤هـ، انظر ترجمته في الوافي ٨/ ٣٧٨ والخريدة (قسم الشام) ١/ ٤٩٨ ووفيات الأعيان ١/ ١٧٥ ومعجم الأدباء ١/ ١٨٨.

(٥) المختصر ٢/ ٢٩ وكامل ابن الاثير ٩/ ٤٤.

(٦) المختصر ٢/ ٢٩، وفيه بعدها: وأخذها من صاحبها مجير الدين أتق بن محمد بن نوري بن

=

جارية ومملوك بدمشق من النصارى، وأطلقوا قهراً كل مَنْ أراد منهم الخروج من دمشق واللحوق بوطنه، شاء صاحبه أو أبى، فخشي نور الدين محمود أن يملكوا دمشق فكاتب أهل دمشق، واستمالهم في الباطن، ثم سار إليها وحصرها /٢٢/ ففتح له الباب الشرقي، فدخل وملك المدينة، وحصر مجير الدين أتق في القلعة، وبَذَل له إقطاعاً من جملته مدينة حمص، فسلم مجير الدين القلعة إلى نور الدين، وسار إلى حمص فلم يعطه إياها نور الدين، وأعطاه بدلها بالس، فلم يرضها مجير الدين وسار عنها إلى العراق، وأقام ببغداد، وابتنى داراً بقرب النظامية[1]، وسكنها حتى مات بها.

وفيها[2]: أخَذَ نور الدين قلعة تل باشر من الفرنج.

سنة إحدى وخمسين إلى ستين وخمسمائة

في سنة إحدى: ثارت[3] بلاد إفريقية على مَنْ بها من الفرنج فقتلوهم، وسار عسكر عبد المؤمن فملك بونة، وخرج جميع أهل إفريقية عن طاعة الفرنج ما عدا المهدية وسوسة.

وفيها: قبض[4] زين الدين علي كوجك نائب قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل على الملك سليمان شاه بن السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي، وكان سليمان المذكور قد قدم بغداد، وخطب له بالسلطنة في هذه السنة، وخلع عليه الخليفة وقلّده السلطنة على عادتهم، وخرج من بغداد بعسكر الخليفة ليملك به بلاد الجبل، فاقتتل هو وابن عمه السلطان محمد بن محمود بن ملكشاه[5]، فانهزم سليمان شاه، وسار يريد بغداد على شهرزور، فخرج إليه كوجك بعسكر الموصل، فأسَرَهُ وحَبَسَهُ بقلعة الموصل /٢٣/ مكرماً إلى أن كان منه ما نذكره في سنة خمس وخمسين.

وفيها[6]: تاسع جمادى الآخرة توفي خوارزم شاه أطسز بن محمد بن أنوش تكين وكان قد أصابه فالج فاستعمل أدوية شديدة الحرارة، فاشتدَّ مرضُه وتوفي، وكانت

= طغتكين، وعيون التواريخ ١٢/ ٤٧٨ (أحداث سنة ٥٤٩)، وكامل ابن الاثير ٩/ ٤٥.

(١) النظامية، بناها نظام الملك أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق. قوام الدين الطوسي سنة ٤٠٨هـ. أنشأها لتدريس المذهب الشافعي خاصة. انظر: وفيات الأعيان ٢/ ١٢٨.

(٢) انظر كامل ابن الاثير ٩/ ٤٦.

(٣) انظر كامل ابن الاثير ٩/ ٤٧.

(٤) عيون التواريخ ١٢/ ٤٩١ والمنتظم ١٠/ ١٦٤ وكامل ابن الاثير ٩/ ٤٩.

(٥) في المختصر ٢/ ٢٩: محمد بن محمد بن محمد بن ملكشاه.

(٦) كامل ابن الاثير ٩/ ٥٠.

ولادتُهُ في رجب سنة تسعين وأربعمائة، وكان حسن السيرة، وملك بعده ابنه أرسلان.

وفيها: توفي الملك مسعود بن قلج أرسلان بن سليمان بن قطلومش بن أرسلان بن سلجوق صاحب قونية وغيرها من بلاد الروم، ولما توفي ملك ابنه قليج أرسلان.

وفيها: في رمضان هرب[(١)] السلطان سنجر بن ملكشاه من أسْر الغزّ وسار إلى قلعة تَرْمذ، ثم إلى جيحون، ووصل إلى دار ملكه مرو، وكان مدّة أسره من سادس جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين إلى رمضان سنة إحدى وخمسين.

وفيها[(٢)]: بايع عبد المؤمن لولده محمد بولاية العهد، وكانت ولاية العهد بعده لأبي حفص عمر، وكان من أصحاب ابن تومرت «وهو» من أكبر الموحدين، فأجاب إلى خلع نفسه، والبيعة لإبن عبد المؤمن.

وفيها[(٣)]: استعمل عبد المؤمن أولاده على البلاد، فاستعمل ابنه عبد الله على بجاية وأعمالها، وابنه عمر على تلمسان وأعمالها، وابنه عليا على فاس وأعمالها، وابنه أبا سعيد على سبتة والجزيرة الخضراء ومالقة، وكذلك / ٢٤/ غيرهم.

وفيها: سار الملك محمد بن السلطان «محمود»[(٤)] السلجوقي من همذان بعساكره إلى بغداد وحصرها، وجرى بينهم قتال، وحصَّن الخليفة دار الخلافة، واعتدّ للحصار واشتدّ الأمر على أهل بغداد، وبينا الملك على ذلك إذْ وصل إليه الخبر إنّ أخاه ملكشاه، والدكز صاحب بلاد أرّان، ومعه الملك أرسلان بن طغريل بن السلطان محمد، وكان الدَكز مزوجاً بأم أرسلان المذكور قد دخلوا إلى همدان، فسار الملك محمد من بغداد إليهم، في الرابع والعشرين من ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة.

وفيها[(٥)]: احترقت بغداد، فاحترق درب فراشا ودرب اللبان وخرابة ابن جردة[(٦)] والظفرية والخاتونية ودار الخلافة، وباب الأزج، وسوق السلطان وغير ذلك.

وفيها: قتل مظفر بن حماد صاحب البطيحة في الحمام، وتولى بعده ابنه[(٧)].

---

(١) الخبر في: عيون التواريخ ١٢/ ٤٩١ وذيل تاريخ دمشق ٣٣٦ وكامل ابن الاثير ٩/ ٥٠.

(٢) كامل ابن الاثير ٩/ ٥٠.

(٣) الكامل ٩/ ٥٠.

(٤) الزيادة عن المختصر. والخبر في كامل ابن الاثير ٩/ ٥١.

(٥) الكامل ٦/ ٥٣.

(٦) في الكامل: ابن حربة.

(٧) كامل ابن الاثير ٩/ ٥٢، وفيه: قتل مظفر بن حماد بن أبي الخير صاحب البطيحة، قتله نفيس بن فضل بن أبي الخير في الحمام وولي بعده.

وفي سنة اثنتين وخمسين:

في رجب كان بالشام زلازل قويّة[1]، فخربت بها حماة وشيزر وحمص، وحصن الأكراد وطرابلس وإنطاكية وغيرها من البلاد المجاورة لها حتى وقعت الأسوار والقلاع، فقام نور الدين بن زنكي في ذلك القيام الرضي من تداركها بالعمارة، وإغارته على الفرنج ليشغلهم عن قصد البلاد، وهلك تحت الردم ما لا يُحصى.

ويكفي أن معلم كتّاب كان بمدينة حماة فارق المكتب وجاءت الزلزلة / ٢٥/ فسقط المكتب على الصبيان كلّهم، فلم يحضر أحد ليسأل عن صبي لهلاكهم.

ولما خرّبت شيزر بهذه الزلزلة وسقط سورها، بادر إليها بعض أمراء نور الدين «محمود بن زنكي، وكان بالغرب منها، فصعد إليها وتسلّمها وتملّكها»[2]، وعمر أسوارها وكانت شيزر لبني منقذ الكنانيين يتوارثونها من أيام صالح[3] بن مرداس، هكذا ذكر ابن الأثير في الكامل: إن بني منقذ المذكورين ملكوا شيزر من أيام الصالح بن مرداس، وكان ملك صالح بن مرداس حلب في سنة أربع عشرة وأربعمائة، وانقضى ملكه سنة عشرين وأربعمائة.

وقد ذكر ابن الأثير والقاضي شمس الدين بن خلكان والقاضي شهاب الدين ابن أبي الدم الحموي وغيرهما ما يخالف ذلك ونحن نذكر ما قالوه مختصراً، ثم نرجع إلى ما ذكره ابن الأثير، قالوا: في سنة أربع وسبعين وأربعمائة استولى بنو منقذ على شيزر وأخذوها من الروم، قال ابن أبي الدم: وكان فَتَحَها منهم عليّ[4] بن مقلّد بن نصر بن منقذ قال: وورد كتابه إلى بغداد يشرح قصته، فمنه بعد البسملة: كتابي من حضرة شيزر حماها الله تعالى، وقد رزقني الله عز وجل من الاستيلاء على هذا المعقل العظيم ما لم يأتِ لمخلوق في هذا الزمان.

---

(١) عيون التواريخ ١٢/ ٤٩٥ وكامل ابن الاثير ٩/ ٥٣.

(٢) ما بين قوسين سقط من الأصل، وأثبت ما في المختصر.

(٣) صالح بن مرداس بن إدريس بن نصر بن حميد بن مدرك بن شداد، أسد الدولة الكلابي، من عرب البادية استولى على حلب ونزعها من حكم العبيديين سنة ٤١٧هـ، فجهز إليه نائب العبيديين بدمشق جيشاً فقتله سنة ٤١٩هـ، انظر ترجمته في الوافي ١٦/ ٢٧٢ ووفيات الأعيان ٢/ ٤٨٧ وشذرات الذهب ٣/ ٢١٤.

(٤) علي بن مقلد الكناني، المتوفى سنة ٤٧٣هـ انظر ترجمته في الوافي ٢٢/ ٢٢٣ والخريدة (قسم شعراء الشام) ١/ ٥٥٢ ومعجم الأدباء ٥/ ٢٣٠ ووفيات الأعيان ٣/ ٤٠٩ والنجوم الزاهرة ٥/ ١٢٤ و ١٦٣.

وإذا عرف الأمر على حقيقته علم أني هرون هذه الأمة، وسليمان الجن والمردة أفرق بين المرء وزوجه، واستنزل القمر من محله، أنا أبو النجم وشعري شعري، نظرت إلى هذا الحصن، فرأيتُ /٢٦/ أمراً يذهل الألباب، يسع ثلاثة آلاف بالأهل والمال، ويمسكه خمس نسوةٍ، فعمدتُ إلى تلّ بينه وبين حصن الروم يعرف بالخواص، ويسمى هذا التل تلّ الجسر، فعمرته حصناً وجمعتُ فيه أهلي وعشيرتي.

وقفزتُ قفزةً على حصن الخواص فأخذته بالسيف من الروم، ومع ذلك فلما أخذت مَنْ به من الروم أَحْسَنْتُ إليهم، وأكرمتهم ومزجتهم بأهلي وعشيرتي، وخَلَطْتُ خنازيرهم بغنمي، ونواقيسهم بصوت الأذان، فلما رأى أهل شيزر فعلى ذلك وأنسوا بي، ووصل إليهم من الإكرام والإتحاف، فوصل إليّ منهم نصفهم، فبالغتُ في إكرامهم، ووصل إلى مسلم ابن قريش، فقتل منهم من أهل شيزر نحو عشرين رجلا، فلما انصرف عنهم مسلم سلّموا الحصن إليّ.

هذا خلاصة ما ذكره القاضي شهاب الدين المذكور، وبين ما ذكره وما ذكر ابن الأثير من التفاوت أكثر من خمسين سنة، قال الملك عماد الدين: والذي يخطر لي أنّ ما ذكره ابن الأثير أولى لأن حماة وشيزر فتحتا مع الشام على يد أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، واستمر الشام للمسلمين إلى حدود سنة تسعين وأربعمائة، فسار الفرنج إلى الشام وملكوا أعاليه بسبب اشتغال ملوك المسلمين بقتال بعضهم بعضاً، ولم يذكر ملكهم لشيزر.

قال ابن الأثير(١): فلما انتهى ملك شيزر إلى نصر(٢) بن علي بن منقذ استمر فيها إلى أن مات سنة إحدى وتسعين وأربعمائة، فلما حضَرَه الموت استخلف /٢٧/ أخاه مرشد(٣) ابن علي على حصن شيزر، فقال مرشد: والله لا وليته ولأخرجنّ من الدنيا كما دَخَلْتُها، ومرشد هو والد مؤيد الدولة أسامة بن منقذ.

فلما امتنع مرشد من الولاية ولاّها نصر أخاه الصغير سلطان الدولة بن علي، واستمر مرشد مع أخيه سلطان على أجمل صحبة مدّة من الزمان، وكان لمرشد عدّة أولاد نجباء ولم يكن لسلطان الدولة ولد، ثم جاء لسلطان الدولة أولاد فخشي عليهم

---

(١) الكامل ٩/ ٥٣.

(٢) نصر بن علي بن مقلة، عم أسامة، انظر ترجمته في معجم الأدباء ٥/ ٢٣٨ والوافي بالوفيات ٢٧/ ٧٧ وخريدة القصر (قسم شعراء الشام) ١/ ٥٦٨.

(٣) انظر ترجمته في معجم الأدباء ٥/ ٢٢٦.

من أولاد أخيه مرشد، وسعى المفسدون بين مرشد وسلطان، فتغيّر كل منهما على صاحبه، فكتب سلطان إلى أخيه مرشد أبياتاً يعاتبه، وكان مرشد عالماً بالأدب والشعر فأجاب مرشد بقصيدة طويلة منها: [الطويل]

شكت[1] هجرنا والذنب في ذاك ذنبها ... فيا عجبا من ظالم جاء شاكيا
وطاوَعَتِ الواشين فيّ وطالما ... عَصَيْتُ عَذُولاً في هواها وواشيا
ومال بها تِيهُ الجمال إلى القلى[2] ... وهيهات أن أمسي لها الدهر قاليا

«ومنها»:

ولما أتاني من قريظك جوهرٌ ... جمعت المعالي فيه «لي» والمعانيا
وكنت هجرت الشعر حينا لأنّه ... تولّى برغمي حين ولّى شبابيا

«ومنها»:

وقلتُ أخي يرعى بنيّ وأسرتي ... ويحفظ عهدي فيهم وذماميا
فما لك لما أن حنى الدهر صعدتي ... وثلم مني صار ما كان ماضيا
تنكرت حتى صار برّك قسوةً ... وقربك منهم[3] جفوة وتنائيا
/٢٨/ على أنني ما حلتُ عما عهدته ... ولا غيّرت هذي السنون واديا

وكان الأمر بين مرشد وأخيه سلطان فيه تماسك إلى أن توفي مرشد سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة، فأظهر سلطان التغيّر على أولاد أخيه مرشد، وجاهرهم بالعداوة ففارقوا شيزر، وقصد أكبرهم نور الدين محمود بن زنكي، وشكوا إليه من عمّهم سلطان، فغاظَهُ ذلك، ولم يمكنه قصده لاشتغاله بجهاد الفرنج.

وبقي سلطان كذلك إلى أنِ توفي، وولي بعده أولاده، فلما خربت القلعة هذه السنة بالزلزلة لم يَنْجُ من بني منقذ الذين كانوا بها أحد، فإن صاحبها كان قد خَتَن ولده وعمل دعوةً للناس، وأحضر جميع بني منقذ في دارِهِ، وجاءت الزلزلة فسقطت القلعة والدار عليهم فهلكوا عن آخرهم، وكان لصاحب شيزر ابن منقذ حصان يحبّه، ولا يزال على باب داره.

فلما سقطت الدار سلم من بني منقذ واحد، وهرب يطلب باب الدار، فلما خرج رفسه الحصان المذكور فقتله، وتسلم نور الدين القلعة والمدينة.

---

(١) الأصل: سكرت، انظر كامل ابن الاثير ٩/ ٥٤، وبعض الأبيات في معجم الأدباء ٥/ ٢٢٨.
(٢) في معجم الأدباء: العلا. (٣) في الكامل: مني.

وفي هذه السنة: توفي[١] السلطان سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود ابن ميكائيل بن سلجوق، أصابه قولنج، ثم إسهال فمات منه، ومولده بسنجار في رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة، استوطن مدينة مرو من خراسان.

وقدم بغداد مع أخيه السلطان محمد. /٢٩/ واجتمع بالخليفة المستظهر، فلما مات محمد خوطب سنجر بالسلطان واستقام أمره، وأطاعَتْهُ السلاطين، وخُطب له على منابر الإسلام بالسلطنة نحو أربعين سنة، وكان قبلها يخاطب بالملك نحو عشرين سنة، ولم يزل أمره عالياً إلى أن أسره الغزّ، ولما خلص من أسرهم وكاد أن يعود إليه ملكه أَدركَهُ أَجَلُهُ.

وكان مهيباً كريماً، وكانت البلاد في زمانهِ آمنةً، ولما وصل خبر موته إلى بغداد قطعت خطبته، ولما حضر السلطان سنجر الموت استخلف على خراسان الملك محمود بن محمد بن بغراجان، وهو ابن أخت سنجر، فأقام خائفاً من الغزّ.

وفيها[٢]: استولى أبو سعيد بن عبد المؤمن على غرناطة من الأندلس، وأخذها من الملثمين، وانقرضت دولة الملثمين، ولم يبق لهم غير جزيرة ميورقة، ثم سار أبو سعيد في جزيرة الأندلس وفتح المريّة، وكانت بأيدي الفرنج مدة عشر سنين.

وفيها[٣]: أخَذَ نور الدين بعلبك من إنسان كان استولى عليها يقال له الضحّاك البقاعي[٤]، وكان قد ولاّه صاحب دمشق عليها، فلما ملك نور الدين دمشق استولى الضحاك على بعلبك.

وفيها[٥]: قلع الخليفة المقتفي باب الكعبة، وعمل عوضه باباً مصفحاً[٦]، وعمل لنفسه من الباب الأول تابوتاً فدفن فيه.

وفي سنة ثلاث وخمسين:

قصد[٧] السلطان ملكشاه بن محمود السلجوقي قم وقاشان /٣٠/ ونهبهما، وكان أخوه السلطان محمد بن محمود بعد رحيله عن حصار بغداد، قد مرض وطال

---

(١) المختصر ٣/ ٣٣ وانظر: عيون التواريخ ١٢/ ٥٠١ والمنتظم ١٠/ ١٧٨ ووفيات الأعيان ٢/ ١٤٧ وكامل ابن الاثير ٩/ ٥٥.

(٢) المختصر ٣/ ٣٣ وكامل ابن الاثير ٩/ ٥٥.

(٣) المختصر ٣/ ٣٣ وكامل ابن الاثير ٩/ ٥٧.

(٤) المختصر ٣/ ٣٣ والكامل بعده فيه: نسبة إلى بقاع بعلبك.

(٥) الكامل ٩/ ٥٧.

(٦) بعده في الكامل: بالنقرة المذهبة.

(٧) المختصر ٣/ ٣٣.

مرضُه، فأرسل إلى أخيه محمد أن يكفّ عن النهب، ويجعله وليّ عهده، فلم يقبل ملكشاه ذلك، ثم سار ملكشاه إلى خوزستان وأخذها من صاحبها شملة التركماني[١].

وفي أواخر سنة أربع وخمسين:

نزل[٢] عبد المؤمن على مدينة المهدية وأخذها من الفرنج يوم عاشوراء سنة خمس وخمسين، وملك جميع إفريقية، وكانَ قد ملك الإفرنج إفريقية في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وأخذوها من صاحبها الحسن بن علي بن يحيى بن تميم الصنهاجي، وبقيت في أيديهم إلى هذه السنة، ففتحها عبد المؤمن، فكان ملك الفرنج للمهدية اثنتي عشرة سنة تقريباً، ولما ملكها عبد المؤمن أصلح أحوالها، واستعمل عليها بعض أصحابه وجعل معه الحسن بن علي الصنهاجي الذي كان صاحبها، وكان قد سار إلى بني حماد ملوك بجاية، ثم اتصل بعبد المؤمن حسبما تقدم، فأقام عنده مكرماً إلى هذه السنة، فأعاده عبد المؤمن إلى المهدية، وأعطاه بها دوراً نفيسةً وإقطاعاً، ثم رحل عبد المؤمن عنها إلى المغرب.

وفيها[٣] : توفي السلطان محمد بن محمود[٤] بن محمد بن ملكشاه السلجوقي في ذي الحجة وهو الذي حاصر بغداد ولما عاد عنها لحقه سلّ وطال به فمات بباب همدان، وكان مولده في ربيع الآخر سنة اثنين وعشرين وخمسمائة، وكان كريماً / ٣١/ عاقلاً، وخلف ولداً صغيراً، ولما حضره الموت سلم ولده إلى أقسنقر الأحمد باي وقال: أنا أعلم أن العساكر لا تطيعه لأنه طفل، فهو وديعة عندك، فارحل به إلى بلادك.

فرحل به أقسنقر إلى بلد مراغة، ولما مات السلطان محمد اختلفت الأمراء فطائفة طلبت ملكشاه أخاه، وطائفة طلبوا سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه بن السلطان ألب أرسلان الذي كان اعتقل في الموصل وهم الأكثر، ومنهم من طلب أرسلان بن طغريل الذي مع الدكز، وبعد موت محمد سار أخوه ملكشاه إلى أصفهان وملكها.

وفيها: مرض[٥] نور الدن محمود بن زنكي مرضاً «شديداً»، أرجف بموته بقلعة حلب، فجمع أخوه أمير ميران بن زنكي جمعاً وحصر قلعة حَلَب، وكان شيركوه بحمص، وهو من أكبر أمراء نور الدين، فسار إلى دمشق ليستولي عليها، وبها أخوه

---

(١) عيون التواريخ ١٢/ ٥٠٦.
(٢) المختصر وانظر: عيون التواريخ ١٢/ ٥١٧.
(٣) المختصر ٣/ ٣٤ وانظر: عيون التواريخ ١٢/ ٥١٨ والبداية والنهاية ١٢/ ٢٤٠ ووفيات الأعيان ٤/ ٢٧٠ والشذرات ٤/ ١٧٢ وكامل ابن الاثير ٩/ ٦٦.
(٤) الأصل: محمد، والتصويب عن المختصر.
(٥) المختصر ٣/ ٣٥ وانظر الكامل ٩/ ٦٧.

نجم الدين أيوب فأنكر أيوب عليه ذلك، وقال: أهلكتنا، المصلحة أن تعود إلى حلب، فإن كان نور الدين حيّاً خدمته في هذا الوقت، وإن كان ميتاً فأنا في دمشق أكفيكها، فعاد شيركوه إلى حلب مجدّاً، وجلس نور الدين في شباك يراه الناس، فلما رأوه حيّاً تفرّقوا عن أخيه أمير ميران واستقامت الأحوال.

وفيها[(١)]: استقرّ في ملك اليمن علي بن مهدي[(٢)]، وأزال ملك بني نجاح على ما قدّمنا في سنة اثنتي عشرة وأربعمائة، وعلي بن مهدي المذكور / ٣٢/ من حمير من قرية يقال لها العنبرة من سواحل زبيد، وكان أبوه مهدي رجلاً صالحاً ونشأ ابنه على طريقة أبيه في العزلة والتمسك بالصلاح، ثم حجّ واجتمع بالعراقيين.

وتضلّع من معارفهم، ثم صار واعظاً، وكان فصيحاً صبيحاً، حسن الصوت، عالماً بالتفسير غزير المحفوظات، وكان يتحدث في شيء من أحوال المستقبلات، فتصدق، فمالت إليه القلوب، واستفحل أمرُهُ، وصار له جموع فقصد الجبال، وأقام بها إلى سنة إحدى وأربعين وخمسمائة، ثم عاد إلى أملاكه، وكان يقول في وعظه:

أيها الناس، دنا الوقت، أزف الأمر، لأنكم بما أقول لكم قد رأيتموه عياناً، ثم عاد إلى الجبال إلى حصن يقال له المشرف، وهو لبطن من خولان وأطاعوه، وسمّاهم الأنصار، وسمّى كل من صعد معه من تهامة المهاجرين، وأقام على خولان رجلاً اسمه سبأ، وعلى المهاجرين رجلاً اسمه التويتي، وسمّى كلا الرجلين شيخ الإسلام، وجعلهما نقيبين على الطائفتين، فلا يخاطبه أحد غيرهما وهما يوصلان كلامه إلى الطائفتين وحوائجهما إليه، وأخذ يغادي الغارات ويرَاوحها على التهائم حتى أخلى البوادي، وقطع الحرث والقوافل، ثم أنه حاصر زبيد، واستمرّ مقيماً عليها حتى «قُتل» فاتك بن محمد آخر ملوك بني نجاح، قتله عبيده، وجرى بين ابن مهدي وعبيد فاتك حروب شديدة وآخرها أن ابن مهدي انتصر عليهم، / ٣٣/ وملك زبيد واستقرّ في دار الملك يوم الجمعة رابع عشر رجب من هذِهِ السنة، أعني سنة أربع وخمسين، وبقي ابن مهدي في الملك شهرين وإحدى وعشرين يوماً. ومات علي بن مهدي في السنة التي ملك فيها[(٣)].

---

(١) المختصر ٣/ ٣٥.

(٢) علي بن مهدي الحميري، تلقب بالمهدي وحكم اليمن، وكان أديباً شاعراً، توفي سنة ٥٦٠هـ، وتولى اليمن بعده أخوه، ومنهم أخذ الناصر صلاح الدين اليمن. انظر: الوافي بالوفيات ٢٢/ ٢٤٧ والخريدة (قسم شعراء الشام) ٣/ ٦٤ والبداية والنهاية ٢/ ٢٧٤ وتاريخ ابن خلدون ٤/ ٤٦٨ والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٣٠.

(٣) بعده في المختصر: في شوال.

فملك اليمن بعده ولده مهدي[١]، ثم عبد النبي[٢] بن مهدي بن علي بن مهدي، وخرجت المملكة عن عبد النبي إلى أخيه عبد الله، ثم عادت إلى عبد النبي واستقرّ فيها حتى سار إليه توران شاه[٣] بن أيوب من مصر في سنة تسع وسبعين وخمسمائة، وفتح اليمن واستقرّ في ملكه، وأسر عبد النبي وهو آخر ملوك اليمن من آل مهدي، وكان مذهب علي بن مهدي التكفير بالمعاصي، وقتل مَنْ خالف اعتقاده من أهل القبلة واستباحة وطيء سباياهم، واسترقاق ذراريهم وكان حنفي الفروع، وكان أصحابه يعتقدون فيه فوق ما يعتقده الناس في الأنبياء صلوات الله عليهم، ومن مذهبه قتل مَنْ شرب ومن سمع الغناء.

وفي سنة خمس وخمسين:

سار سليمان شاه إلى همدان، وما كان منه إلى أن مات، وسببه: أنه لما مات محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي أرسلت الأمراء، وطلبوا عمّه سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه ليولوه السلطنة، وكان قد اعتقل في الموصل مكرماً، فجهّزه قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل بشيء كثير، وجهاز يليق بالسلطنة / ٣٤/ وسار معه زين الدين علي كوجك بعسكر الموصل إلى همدان، وأقبلت العساكر إليه كل يوم تلقاه طائفة وأمير، ثم تسلطت العساكر عليه، ولم يبق له حكم، وكان سليمان شاه فيه تهوّر وخَرَق، وكان يُدْمن شرب الخمر حتى شرب في رمضان، نهاراً، وكان يجمع عنده المساخر ولا يلتفت إلى الأمراء، فأهمل العسكر بابه. وكانوا لا يحضرون بابه، وكان قد ردّ جميع الأمور إلى شرف الدين كردباز[٤] الخادم، وهو من مشايخ خدّام السلاجقة، يرجع إلى دين وحسن تدبير، فاتفق أن سليمان قعد يشرب بالكشك ظاهر

---

(١) بعده في المختصر: لم يقع تاريخ وفاته.
عبد النبي بن مهدي، ملك اليمن بعد أبيه، وكانا يريان رأي القرامطة، وكان سفاكين، دحره توران شاه واستولى على اليمن وقتله سنة ٥٦٩هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٥٨٢ ومرآة الجنان ٣/ ٣٩٠ والبداية والنهاية ١٢/ ٢٧٣ والنجوم الزاهرة ٦/ ٦٩ وشذرات الذهب ٤/ ٢٣٤ والوافي بالوفيات ١٩/ ٢٤٦ وكامل ابن الاثير ٩/ ١٢٢.

(٢) توران شاه بن أيوب، الملك المعظم أخو صلاح الدين، وكان أسن من صلاح الدين، أرسله صلاح الدين إلى اليمن فأخذها، ثم أقام بدمشق، ثم انتقل إلى مصر ومات بالاسكندرية سنة ٥٧٦هـ.
انظر: مرآة الزمان ٨/ ٣٦٢ وطبقات السبكي ٥/ ٥٢ والوافي ١٠/ ٤٤١.

(٣) انظر تفاصيل الخبر في كامل ابن الاثير ٩/ ٦٨ و٧٢.

(٤) في كامل ابن الاثير: كردبازو.

همدان، فحضر إليه مشايخ خدام السلاجقة، فسلّط عليهم المساخر فعبثوا بهم، فحضر إليه كردباز ولامه، فأمر مَنْ عنده من المساخر، فعبثوا بكردباز أيضاً، حتى أن بعضهم كشفوا له سؤته[١].

فاتفق كردباز مع الأمراء على قبضه، وعمل كردباز دعوة عظيمة، فلما حضرها سليمان شاه قبض عليه كردباز شاه وحبسه، وبقي في الحبس مدّة، ثم أرسل إليه كردباز من خنقه، وقيل سقاه سما فمات في ربيع الآخر سنة ست وخمسين، ولما مات سار الدكز[٢] بعشرين ألفاً ومعه أرسلان شاه بن طغريل بن محمد بن ملكشاه بن السلطان ألب أرسلان، ووصل إلى همدان، فلقيه كردباز وأنزله بدار المملكة، وخطب لأرسلان شاه / ٣٥/ بالمملكة.

وكان الدكز مزوجاً بأم أرسلان شاه، فولدت للدكز أولاداً منهم: البهلوان محمد وقزل أرسلان عثمان أبناء الدكز، وبقي الدكز أتابك أرسلان وابنه البهلوان أخو أرسلان لأمه صاحبه، وكان الدكز أحد مماليك السلطان مسعود، اشتراه في أول أمره ثم أَقْطَعَهُ أرّان وبعض بلاد أذربيجان، فعظم شأنه، وقوي أمره، ولما خطب لأرسلان شاه بالسلطنة في تلك البلاد أرسل الدكز إلى بغداد يطلب الخطبة لأرسلان شاه بالسلطنة على عادة الملوك السلجوقية، فلم يُجَبْ إلى ذلك، وقد قدمنا «ذكر»[٣] موت سليمان وولاية أرسلان ليتصل «ذكر»[٤] الحادثة.

وفيها[٥]: توفي الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى ابن إسماعيل الظافر إسماعيل خليفة مصر، وكانت خلافته ست سنين وشهرين، وكان عمره لما ولي خمس سنين، ولما ولي دخل الصالح بن رزيك القصر، وسأل عمّن يصلح فأحضر منهم إنسان كبير السن، فقال بعض أصحاب الصالح، لا يكون عباس أحْزم منك حيث اختار الصغير،

---

(١) بعده في الكامل: فخرج مغضباً، فلما صحا سليمان أرسل إليه يعتذر فقبل عذره إلا أنه تجنب الحضور عنده. فكتب سليمان إلى اينانج صاحب الري يطلب منه أن ينجده على كردبازو، فوصل الرسول واينانج مريض، فبلغ الخبر كردبازو فازداد استيحاشاً... الخ.

(٢) في الكامل: ايلدكز، وفيه أنه أرسل إلى ايلدكز صاحب أرانية وأكثر بلاد أذربيجان يستدعيه إليه ليخطب الملك أرسلان شاه.

(٣) التكملة عن المختصر ٣/ ٣٧.

(٤) التكملة عن المختصر ٣/ ٣٧ وكامل ٩/ ٦٨ وانظر المغرب (قسم مصر) ص٩٢ وابن الوردي ٢/ ٦٢ والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٠٦.

(٥) نقلاً عن المختصر ٣/ ٣٧.

فأعاد الصالح الرجل إلى موضعه وأحضر العاضد لدين الله أبي محمد عبد الله[١] بن الأمير يوسف بن الحافظ، ولم يكن أبوه خليفة، وكان العاضد ذلك الوقت مراهقاً، فبايع له بالخلافة، وزوّجه الصالح ابنته، ونقل معها من الجهاز ما لا سمع بمثله.

وفيها[٢]: في ربيع الآخر، توفي /٣٦/ الخليفة المقتفي لأمر الله أبي عبيد الله محمد ابن المستظهر أبي العباس أحمد بعلّة التراقيا[٣].

خلافة المستنجد بالله ابن المقتفي ثاني ثلاثين خلفاء بني العباس رضي الله تعالى عنهم[٤]:

وبويع له لما توفي أبوه المقتفي، وبايعه أهلَه وأقاربُه، فمنهم عمه أبو طالب ثم أخوه أبو جعفر، وأُمّه أم ولد تدعى طاووس، ثم بايع الوزير ابن هبيرة وقاضي القضاة وغيرهم.

وفيها[٥]: في رجب، توفي السلطان خسرو شاه بن بهرام شاه بن مسعود بن إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة، كان عادلاً من السيرة وكانت ولايته في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، ولما مات ملك ابنه ملكشاه، وقيل أن خسرو شاه مات في حبس غياث الدين الغوري، وإنه آخر ملوك سبكتكين[٦]، حسبما تقدم في سنة سبع وأربعين.

وفيها[٧]: توفي السلطان ملكشاه بن محمود بن ملكشاه بن ألب أرسلان بأصفهان مسموماً.

وفيها[٨]: حجّ أسد الدين شيركوه بن شاذي، مقدّم جيش نور الدين محمود بن زنكي.

---

(١) الأصل: عبيد الله.

(٢) نقلاً عن المختصر ٣/ ٣٧. وانظر كامل ابن الاثير ٩/ ٦٨.

(٣) المختصر والكامل: التراقي.

(٤) المختصر ٣/ ٣٧ وفيه: ذكر خلافة المستنجد. وهو ثاني ثلاثينهم. وهو يوسف بن المقتفي. انظر: الكامل ٩/ ٦٨ والفخري ص٣٢١ وفيه: كان المستنجد شهماً، عارفاً بالأمور، لما ولي الخلافة أزال المكوس والمظالم، إلا أنه فعل أفعالاً قبيحة، حل المقاطعات وأعادها إلى الخراج. وانظر كذلك تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص٣٦٧.

(٥) المختصر ٣/ ٣٨ وكامل ابن الاثير ٩/ ٧٠ والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٣٣.

(٦) الأصل سبكين وكامل ابن الاثير ٩/ ٧١.

(٧) المختصر ٣/ ٣٨.

(٨) المختصر ٣/ ٣٨ وكامل ابن الاثير ٩/ ٧١.

وفي سنة ست وخمسين:

في[١] ربيع الآخر: توفي الملك علاء الدين الحسين[٢] بن الحسين الغوري، ملك الغور، وكان عادلاً حسن السيرة، ولما مات ملك بعده ابنُ أخيه غياث الدين محمد[٣] وقد قدمنا ذلك في سنة سبع وأربعين.

وفيها[٤]: تقدم المؤيد «أي به» السجزي[٥] بإمساك أعيان / ٣٧/ نيسابور، لأنهم كانوا رؤساء للحرامية والمفسدين، وأخذ المؤيد يقتل المفسدين فخربت نيسابور وكانت من جملة ما خرّب مسجد عقيل، وكان مجمعاً لأهل العلم، وكان فيه خزائن الكتب الموقوفة، وخرّب من مدارس الحنفيّة سبع عشرة مدرسة وأحرق ونهب عدّة من خزائن الكتب.

وأما الشاذياخ، فإن عبد الله «بن» طاهر بن الحسين بناها لما كان أميراً للمأمون[٦] على خراسان، وسكنها هو الجند، ثم خربت بعد ذلك، ثم جدّدت في أيام ألب أرسلان السلجوقي، ثم تشعثت بعد ذلك، فلما كان الآن وخربت نيسابور أمر المؤيد «أي به» بإصلاح سور الشاذياخ وسكنها هو والناس، فخربت نيسابور كلّ الخراب.

وفي هذه السنة[٧]: في رمضان قتل الملك الصالح أبو الغارات طلائع بن رزيك الأرمني، وزير العاضد العلوي، جهّزت عليه عمّة العاضد من قَتَلَهُ بالسكاكين، وهو داخل في دهليز القصر، فحمل إلى بيته وبه رمق، فأرسل يعتب على العاضد، فأرسل العاضد يحلف له أنه ما علم بذلك، وأمسك العاضد عمته فأرسلها إلى طلائع فقتلها، وسأل العاضد أن يولّي ابنه رزيك[٨] الوزارة، ولقب العادل، ومات طلائع، فاستقر ولده العادل رزيك في الوزارة.

وفيها: ملك[٩] عيسى مكة شرّفها الله تعالى، وكان أمير مكة قاسم بن أبي فليتة بن

---

(١) المختصر ٣/ ٣٨ وكامل ابن الاثير ٩/ ٧١. (٢) الأصل: الحسن.

(٣) في الكامل: ملك بعده ابنه سيف الدين محمد.

(٤) المختصر ٣/ ٣٨.

(٥) في الأصل الجزي وهي ليست في المختصر، والصواب ما أثبت نسبةً إلى سجستان.

(٦) انظر كامل ابن الاثير ٩/ ٧٥ وفيه سبب بناء عبد الله بن طاهر للشاذياخ.

(٧) المختصر ٣/ ٣٨. وانظر كامل ابن الاثير ٩/ ٧٥.

(٨) محيي الدين رزيك بن طلائع، أبو شجاع أوصاه أبوه ألا يقلق شاورا، ولكنه عصى وصيته وعزله عن الصعيد، فهرب شاور إلى الواحات، وأتى إلى القاهرة، فاستولى عليها، واعتقل رزيك ثم قتله سنة ٥٥٨هـ. انظر: نهاية الارب ٢٨/ ٣٢٨.

(٩) المختصر ٣/ ٣٩، وفيه: كان أمير مكة قاسم بن أبي فليتة بن قاسم بن أبي هاشم العلوي الحسيني (كذا) والصواب الحسني فلما سمع بقرب الحاج من مكة صادر المجاورين وأعيان مكة وأخذ =

قاسم بن أبي هاشم العلوي، فلما وصل أمير الحاج إلى مكة /٣٨/ رتّب عوض قاسم عمّه عيسى بن قاسم بن أبي هاشم، فبقي كذلك إلى شهر رمضان، ثم إن قاسم بن أبي فليتة جمع العرب، وقصد عمّه عيسى، فلما قارب مكة رحل عنها عيسى، وعاد قاسم إلى ملكها، ولم يكن معه ما يرضى به العرب، فكاتبوا عمه عيسى وصاروا معه، وقدم عيسى إليهم، وهرب قاسم وصعد إلى جبل أبي قبيس، فسقط عن فرسه، وأخذه أصحاب عمّه عيسى وقتلوه، فغسّله عيسى ودفنه بالمعلّى عند أبيه أبي فليتة واستقرّت مكة لعيسى.

وفيها[١]: عبر عبد المؤمن بن علي على المجاز إلى الأندلس، وبنى على جبل طارق من الأندلس مدينة حصينة، وأقام بها ستة[٢] أشهر، وعاد إلى مراكش.

وفيها: ملك[٣] قرا أرسلان صاحب حصن كيفا قلعة شاتان، وكانت لطائفة من الأكراد[٤]، ولما ملكها أخربها وأضاف أعمالها إلى حصن طالب.

وفي سنة سبع وخمسين:

نازل[٥] نور الدين محمود بن زنكي قلعة حارم، وهي للفرنج مدةً، ثم رحل عنها ولم يَمْلكها.

وفيها[٦]: سارت الكرج في جمع عظيم ودخلوا بلاد الإسلام وملكوا مدينة دوين من أعمال أذربيجان، ونهبوها، ثم جمع الدكز صاحب أذربيجان جمعا وغزا الكرج، وانتصر عليهم، وقتل منهم مقتلة عظيمة.

وفيها[٧]: حجّ الناس، فوقعت[٨] فتنة، وقتال بين صاحب مكة وأمير الحاج، فوصل الحجاج ولم يقدر بعضهم على الطواف، بعد /٣٩/ الوقوف[٩].

قال ابن الأثير[١٠]: وكان ممّن حجّ ولم يطف جدّته أم أبيه، فوصلت إلى بلادها وهي على إحرامها إلى قابل، فاستفتت الشيخ أبا القاسم بن البرزي.

= أموالهم وهرب إلى البريّة، فلما وصل الحاج إلى مكة رتب أمير الحاج مكان قاسم عمه عيسى بن قاسم بن أبي هاشم، فبقي كذلك إلى شهر رمضان. انظر كذلك كامل ابن الاثير ٩/ ٧٧.

(١) المختصر ٣/ ٣٩ والكامل ٩/ ٧٧.
(٢) المختصر: عدة.
(٣) المختصر ٣/ ٣٩ والكامل ٩/ ٧٨.
(٤) بعده في الكامل يقال لهم الجونية.
(٥) المختصر ٣/ ٣٩. وانظر التفاصيل في كامل ابن الاثير ٩/ ٧٩.
(٦) المختصر ٣/ ٣٩ والكامل ٩/ ٧٩.
(٧) المختصر ٣/ ٣٩ والكامل ٩/ ٨٠.
(٨) الأصل: وقع، والتصويب عن المختصر.
(٩) كذا في الأصل، وفي المختصر: الوقفة.
(١٠) الكامل ٩/ ٨٠.

فأفتى أنها إذا دامت على إحرامها إلى قابل وطافت كمل حجّتها الأوّل، ثم تفدي وتحلّ، ثم تحرم إحراماً ثانياً وتقف بعرفات، وتكمل مناسك الحجّ فيصير لها حجّة ثانية، فبقيت على إحرامها إلى قابل، وفعلت كما قال فتمّ حجّها الأول والثاني.

وفيها[١]: مات الكيا الصنهاجي صاحب الألموت[٢]، مقدم الإسماعيلية، وقام ابنه مقامه، فأظهر التوبة.

وفي سنة ثمان وخمسين:

في صفر[٣] وزر شاور[٤] للعاضد لدين الله العلوي، وكان شاور يخدم الصالح ابن رزيك، فولاّه الصعيد، وكانت الصعيد أكبر المناصب بعد الوزارة، ولما جرح الصالح وأوصى ولده العادل أن لا يغيّر على شاور شيئاً لعلمه بقوّة شاور.

فلما تولّى العادل بن الصالح الوزارة كتب إلى شاور بالعزل، فجمع شاور جموعه وسار نحو العادل إلى القاهرة، فهرب العادل، فطرد شاور وزراءه وأمسكه وقتله، وانقضت بمقتله دولة بني رزيك، واستقر شاور في الوزارة، وتلقّب أمير الجيوش وأخذ أموال بني رزيك وودائعهم.

ثم إن أبا الأشبال ضرغام[٥] جمع جمعاً، ونازع شاور في الوزارة في شهر رمضان وقوي على شاور، فانهزم شاور إلى الشام مستنجداً بنور الدين / ٤٠/ ولما تمكن ضرغام من الوزارة قتل كثيراً من الأمراء المصريين، لتخلو له البلاد، فضعفت الدولة لهذا السبب حتى خرجت البلاد من أيديهم.

وفيها[٦]: في العشرين من جمادى الآخر، توفي عبد المؤمن بن علي صاحب

---

(١) المختصر ٣/ ٤٠. وفي الأصل: الصنهاجي والتصويب عن كامل ابن الاثير ٩/ ٨٠.

(٢) في الأصل: الموت.

(٣) المختصر ٣/ ٤٠.

(٤) شاور بن مجير السعدي، والي الصعيد، ثار على رزيك وقتله. وتولى الوزارة سنة ٥٨٨هـ، ثم خرج عليه أبو الأشبال ضرغام، وهو من أمراء زريك، فهرب إلى الشام واستنجد بالملك العادل نور الدين فأرسل معه أسد الدين شيركوه بن شادي، فقتل ضرغام واستقر شاور ثم قتله صلاح الدين بعد إزالة الخلافة الفاطمية. انظر: المغرب (قسم مصر) ص٩٣ والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٤٨ والكامل ٩/ ٨١.

(٥) في المختصر: ثم إن الضرغام، وهو أبو الأشبال ضرغام بن عامر بن سوار اللخمي من كبار الأمراء الذين أنشأهم رزيك. وولي باب شاور. ثم خرج على شاور وطرده سنة ٥٥٨هـ. فخرج شاور إلى الشام وعاد ومعه أسد الدين شيركوه نجدةً، فقاتلهم ضرغام وقتل سنة ٥٥٩هـ. انظر: المغرب (قسم مصر) ص٩٤ والنجوم الزاهرة ص٣٤٧.

(٦) المختصر ٣/ ٤٠، وانظر: كامل ابن الأثير ٩/ ٨١ ومرآة الجنان ٣/ ٣١٥ وشذرات الذهب ٤/

=

بلاد المغرب وإفريقية والأندلس، وكان قد سار من مراكش إلى سلا[١] فمرض بها ومات ولما حضرهُ الموت جمع شيوخ الموحدين وقال لهم: قد جرّبتُ ابني محمداً فلم أجِدْهُ يصلح لهذا الأمر، وإنما يصلح له ابني يوسف، فقدموه وبايعوه، ودعيَ بأمير المؤمنين[٢] واستقرّت قواعد ملكه، وكانت مدة ولاية عبد المؤمن ثلاثاً وثلاثين سنة وشهوراً، وكان حازماً سديد الرأي، حسن السياسة للأمور، كثير سفك الدم على الذنب الصغير، وكان يعظم أمر الدين ويقوّيه، ويلزم الناس بالصلاة بحيث أنه من رؤي وقت الصلاة غير مصلّ قتل، وجمع الناس في المغرب على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه في الفروع وعلى مذهب أبي الحسن الأشعري في الأصول.

وفيها[٣]: ملك المؤيد «أي به» السجزي[٤] قومس، ولما ملكها أرسل إليه السلطان أرسلان بن طغريل بن محمد بن ملكشاه خلعةً وألوية وهدية جليلة، فلبس المؤيد الخلعة وخطب له في بلاده.

وفيها[٥]: كبس الفرنج نور الدين محمود وهو نازل بمعسكره في البقيعة تحت حصن الأكراد، فلم يشعر نور الدين إلاّ وقد أظلّت عليهم صلبان الفرنج، وقصدوا خيمة نور الدين فلسرعة ذلك / ٤١/ ركب نور الدين فرساً وفي رجله الشبحة، فنزل كردي وقطعها، فنجا نور الدين، وقُتل الكردي، فأحسن نور الدين إلى مخلّفيه، ووقف عليهم الوقوف، وسار نور الدين إلى بحيرة حمص[٦]، فنزل عليها، وتلاحق به مَنْ سلم من المسلمين.

وفيها[٧]: أمر المستنجد بإخلاء بني أسد، وهم أهل الحلّة المزيدية، فقتل منهم جماعة وهرب الباقون، وتشتّتوا في البلاد، وذلك لفسادهم في البلاد، وسلّمت بطائحهم وبلادهم إلى رجل يقال له ابن معروف.

= ١٨٣ والعبر للذهبي ٤/ ١٦٥.

(١) سلا: مدينة بأقصى المغرب، متوسطة حاذاها البحر والنهر، وعلى غربي النهر المهدية التي بناها عبد المؤمن فكان ينزلها إذا أراد تجهيز جيش. (معجم البلدان ـ سلا).

(٢) في وفيات الأعيان: إنه عهد إلى محمد، فاضطرب أمره، فخلعوه في شعبان من سنة ولايته وبايعوا أخاه يوسف.

(٣) المختصر ٣/ ٤١، وانظر الخبر في: كامل ابن الأثير ٩/ ٨٢.

(٤) في الأصل: السنجري، والصواب ما أثبت نسبة إلى سجستان.

(٥) المختصر ٣/ ٤١ وانظر الخبر في كامل ابن الأثير ٩/ ٨٢.

(٦) كذا في الأصل وفي الكامل: قدس بالقرب من حمص.

(٧) المختصر ٣/ ٤١ وانظر: كامل ابن الأثير ٩/ ٨٣ وشذرات الذهب ٤/ ٨١.

وفي سنة تسع وخمسين:

سيّر[١] نور الدين محمود بن زنكي عسكراً مقدمهم أسد الدين شيركوه بن شاذي إلى الديار المصرية، ومعهم شاور، وكان قد سار من مصر هارباً من ضرغام الوزير، فلحق شاور بنور الدين واستنجده وبذل له ثلث أموال مصر بعد رزق جندها إن أعاده إلى الوزارة، فوصل شيركوه إلى مصر، وهزم عسكر ضرغام عند قبر السيدة نفيسة، وأعاد شاوراً إلى وزارته.

وكان مسير أسد الدين في جمادى الأولى هذه السنة.

واستقرّ شاور في الوزارة، وخرجت إليه الخلع في مستهل رجب هذه السنة، ثم غدر شاور بنور الدين ولم يفِ له بشيء مما شرط، فسار أسد الدين واستولى على بلبيس والشرقية، فأرسل شاور يستنجد بالفرنج ليخرجوا أسد الدين شيركوه من البلاد، فسار الفرنج واجتمع معهم شاور بعسكر مصر، وحصروا شيركوه ببلبيس، ودام الحصار ثلاثة أشهر، وبلغ الفرنج حركة / ٤٢/ نور الدين وأخذِهِ حارم.

فراسلوا شيركوه في الصلح، وفتحوا له، فخرج من بلبيس بمن معه من العسكر، ووصلوا إلى الشام سالمين.

وفيها[٢]: في شهر رمضان فتح نور الدين قلعة حارم، وأخذها من الفرنج بعد مصاف جرى بينه وبين الفرنج، فانتصر نور الدين، وقَتَلَ وأسر من الفرنج عالماً كثيراً، وكان في جملة الأسرى البرنس صاحب إنطاكية، والقومص صاحب طرابلس وغنم منهم المسلمون شيئاً كثيراً.

وفيها[٣]: في ذي الحجة سار نور الدين وفتح بانياس، وكانت بيد الفرنج من سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة إلى هذه السنة.

وفيها[٤]: توفي جمال الدين أبو جعفر محمد بن علي بن أبي منصور الأصفهاني وزير قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل في شعبان مقبوضاً عليه، وكان قد قبض عليه قطب الدين في سنة ثمان وخمسين، وكان قد تعاهد جمال الدين المذكور

---

(١) المختصر ٣/ ٤١ وانظر: كامل ابن الأثير ٩/ ٨٤ وشذرات الذهب ٤/ ١٨٦ وتاريخ مختصر الدول ص٣٦٨ والمغرب (قسم مصر) ص٩٤ والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٤٦ ونهاية الارب ٢٨/ ٣٣٢.

(٢) المختصر ٣/ ٤١ وانظر الخبر في: كامل ابن الأثير ٩/ ٨٦.

(٣) المختصر ٣/ ٤١ وانظر الخبر في: كامل ابن الأثير ٩/ ٨٧.

(٤) المختصر ٣/ ٤١ وانظر الخبر في: كامل ابن الأثير ٩/ ٨٧.

وأسد الدين شيركوه أنه من مات منهما قبل الآخر ينقله الآخر إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فيدفنه بها، فنقله شيركوه[(١)]، وقد ذكرنا طرفاً من أخباره مع الوزراء[(٢)].

وفي سنة ستين وخمسمائة:

في[(٣)] ربيع الأول توفي شاه مازندران[(٤)] رستم بن علي بن شهريار بن قارن، وملك بعده ابنُه علاء الدين الحسن.

وفيها[(٥)]: ملك المؤيد «أي به» مدينة هراة.

وفيها[(٦)]: كان بين قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان /٣/٤٣/ صاحب قونية وما جاورها من بلاد الروم، وبين ياغي أرسلان[(٧)] صاحب ملطية وما يجاورها حروب شديدة، انهزم فيها قليج أرسلان، فاتفق موت ياغي أرسلان[(٨)] صاحب ملطية في تلك المدة وملك بعده ابن أخيه إبراهيم بن محمد بن الداشمند، واستولى ذو النون بن محمد بن الداشمند على قيسارية، وملك شاهنشاه بن مسعود أخو قليج أرسلان مدينة أنكورية، واصطلح المذكورون على ذلك، واستقرت بينهم القواعد واتفقوا.

وفيها[(٩)]: توفي الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة[(١٠)] في جمادى الأولى.

سنة إحدى وستين إلى سبعين وخمسمائة

في[(١١)] سنة إحدى وستين:

فتح نور الدين محمود حصن المنيطرة[(١٢)] من الشام، وكانت بيد الفرنج.

---

(١) بعده في المختصر خبر نقل جنازة جمال الدين إلى المدينة المنورة من مدينة إلى أخرى وما قيل فيه من شعر.

(٢) انظر خبره في أحداث سنة ٥٤٧هـ.

(٣) المختصر ٣/ ٤٢.

(٤) في الأصل مازندران شاه، والتصويب عن مصادر الخبر: المختصر ٣/ ٤٢ وكامل ابن الأثير ٩/ ٩٠ وشذرات الذهب ٤/ ٨٩.

(٥) المختصر ٣/ ٤٢ وانظر الخبر في: كامل ابن الأثير ٩/ ٩١.

(٦) المختصر ٣/ ٤٢ وكامل ابن الأثير ٩/ ٩١.

(٧) في الأصل: سنان والتصويب عن مصادر الخبر.

(٨) الأصل: سنان.

(٩) المختصر ٣/ ٤٢.

(١٠) يحيى بن محمد بن المظفر انظر خبر وفاته وترجمته في: كامل ابن الأثير ٩/ ٩٣ وشذرات الذهب ٤/ ١٩١ ووفيات الأعيان ٦/ ٢٣٠ والمنتظم ١٠/ ٢١٤ والروضتين ١/ ١٤١ ومرآة الجنان ٣/ ٣٤٤ والفخري ٢٧٦ والبداية والنهاية ١٢/ ٥١، وعبر الذهبي ٤/ ١٧٢، والخريدة (قسم العراق) ١/ ٩٦.

(١١) المختصر ٣/ ٤٣ وانظر الخبر في: كامل ابن الأثير ٩/ ٩٤.

(١٢) المنيطرة: حصن بالشام قريب من طرابلس (معجم البلدان).

وفي[1] سنة اثنتين:

عاد أسد الدين شيركوه إلى الديار المصرية، جهّزه نور الدين بألفي فارس، فوصل إلى ديار مصر واستولى على الجيزة، وأرسل شاور إلى الفرنج واستنجدهم وجمعهم، وساروا في أثر شيركوه إلى جهة الصعيد[2] والتقوا بموضع يقال له إيوان[3]، فانهزم الفرنج والمصريون، واستولى شيركوه على بلاد الجيزة واستغلّها، ثم سار إلى الإسكندرية وملكها، وجعل فيها ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب.

وعاد شيركوه إلى جهة الصعيد / ٤٤/ واجتمع عسكر مصر والفرنج وحصروا صلاح الدين بالإسكندرية مدة ثلاث شهور، فسار شيركوه إليهم، فاتفقوا على الصلح على مال[4] يحملوه إلى شيركوه، ويُسلّم إليهم الإسكندرية ويعود إلى الشام.

فتسلّم المصريون الإسكندرية في منتصف شوال من هذه السنة، وسار شيركوه إلى الشام فوصل دمشق في ثامن عشر ذي القعدة واستقر الصلح بين الفرنج والمصريين على أن يكون للفرنج بالقاهرة شحنة، وتكون أبوابها بيد فرسانهم، ويكون لهم من دخل مصر كل سنة مائة ألف دينار.

وفيها[5]: فتح نور الدين صافيتا والغربية.

وفيها[6]: عصى غازي بن حسان صاحب منبج على نور الدين بمنبج فجهز إليه نور الدين عسكراً أخذ منه منبج، ثم أقطعها نور الدين لقطب نور الدين ينال بن حسان أخا غازي المذكور، فبقي فيها إلى أن أخذها منه صلاح الدين يوسف بن أيّوب سنة اثنتين وسبعين.

وفيها[7]: توفي فخر الدين قرا أرسلان بن داود بن سقمان بن أرتق صاحب

---

(١) المختصر ٣/ ٤٣ وانظر الخبر في: كامل ابن الأثير ٩/ ٩٤ وشفاء القلوب ص ٢٨ وتاريخ الخلفاء ص ٤٤٣.

(٢) بعدها في الأصل: (واجتمع عسكر مصر والفرنج وحوصر الناصر صلاح الدين بالإسكندرية مدة ثلاثة أشهر فسار شيركوه إليهم) وهي عبارة كررها الناسخ رأيت حذفها اعتماداً على المختصر. إذ ينقل المؤلف نص كلامه.

(٣) كذلك في الأصل وفي المختصر، وفي كامل ابن الأثير: مكان يعرب بالبابين، وفي شفاء القلوب: يقال له «البابين» وقيل «أبوان».

(٤) في كامل ابن الأثير وشفاء القلوب: خمسون ألفاً.

(٥) المختصر ٣/ ٤٤ وانظر الكامل ٩/ ٩٦. وفيه: صافيثا والعريمة.

(٦) المختصر ٣/ ٤٤ وانظر الكامل ٩/ ٩٧.

(٧) المختصر ٣/ ٤٤.

حصن كيفا، وملك بعده نور الدين محمد.

وفي سنة ثلاث وستين:

فارق[(١)] زين الدين علي كوجك بن بكتكين نائب قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل خدمة قطب الدين واستقرّ بأربل، وكانت في إقطاعه، وكانت له أربل مع غيرها، فقنع بها وسكنها وسلّم ما كان بيده من البلاد إلى قطب الدين، وكان زين الدين قد عمي وطرش.

وفي[(٢)] سنة أربع وستين:

ملك نور الدين محمود قلعة جعبر وأخذها / ٤٥/ من شهاب الدين مالك بن علي بن مالك بن سالم بن مالك بن بدران العقيلي، وكانت بأيديهم من أيام السلطان ملك شاه، ولم يقدر نور الدين على أخذها إلاّ بعد أن أسرَ صاحبها المذكور بنو كلاب وأحضروه إلى نور الدين، فاجتهد به على تسليمها، فلم يفعل.

فأرسل عسكراً يقدمهم فخر الدين مسعود بن علي الزعفراني، وردفه بعسكر آخر مع مجد الدين أبي بكر المعروف بابن الداية، وكان رضيع نور الدين، وحصروا قلعة جعبر فلم يظفروا منها بشيء، ولم يزالوا على صاحبها مالك حتى سلّمها وأخذ عوضها مدينة سروج بأعمالها والملوحة من بلد حلب وعشرين ألف معجّلة وباب بزاعة[(٣)].

وفيها[(٤)]: في ربيع الأول سار أسد الدين شيركوه بن شاذي إلى ديار مصر ومعه العساكر النوريّة، وسبب ذلك تمكن الفرنج من الديار المصرية، وتحكمهم على المسلمين بها حتى ملكوا بلبيس قهراً في مستهل صفر هذه السنة، وقتلوا كل من فيها، ثم ساروا من بلبيس ونزلوا على القاهرة عاشر صفر وحاصروها، أحرق شاور مدينة مصر خوفاً من أن يملكها الفرنج، وأمر أهلها، ونقلهم إلى القاهرة، فبقيت النار تعمل أربعة وخمسين يوماً، فأرسل العاضد الخليفة إلى نور الدين يستغيث به، وأرسل في الكتب شعور النساء، وصانع شاور الفرنج على ألف ألف دينار يحملها إليهم، فحمل

---

(١) المختصر ٣/ ٤٤ وانظر تاريخ مختصر الدول ص ٣٦٩ والكامل ٩/ ٩٧ والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٧٨.

(٢) المختصر ٣/ ٤٤ وانظر: كامل ابن الأثير ٩/ ٩٨ والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٨١.

(٣) كذا في الأصل، وفي الكامل ٩/ ٩٩: والملاحة التي بين بلد حلب وباب بزاعة وعشرين ألف دينار معجّلة.

(٤) انظر: كامل ابن الاثير ٩/ ٩٩ والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٤٨ ونهاية الارب ٢٨/ ٣٣٥ واتعاظ الحنفا ٣/ ٢٨٢ والروضتين ١/ ٣٦٤.

إليهم مائة ألف دينار، وسألهم أن يرحلوا عن القاهرة، ليقدر على جمع المال فرحلوا، وجهز نور الدين العسكر مع شيركوه / ٤٦/ وأنفق فيهم المال، وأعطى شيركوه مائتي ألف دينار سوى الخيل والدوابّ والأسلحة.

وأرسل معه عدّة أمراء منهم ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب على كرهٍ منه، أحبَّ نور الدين مسير صلاح الدين وفيه ذهاب الملك من بيته، وكره صلاح الدين المسير وفيه سعادته، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم، وعسى أن تحبّوا شيئاً وهو شرٌّ لكم، ولما قرب شيركوه من مصر رحل الفرنج على أعقابهم إلى بلادهم، وكان هذا لمصر فتحاً جديداً، ووصل أسد الدين شيركوه إلى القاهرة في رابع ربيع الآخر، واجتمع بالعاضد وخَلَعَ عليه، وعاد إلى خيامه بالخلعة العاضدية، وأجرى عليه وعلى عسكره الاقامات الوافرة.

وشرع شاور يماطل شيركوه فيما بذله لنور الدين من تقرير المال وأفراد ثلث البلاد له، ومع ذلك «فكان»[١] شاور يركب كل يوم إلى أسد الدين شيركوه ويعده ويمنّيه وما يعدهم الشيطان إلاّ غرورا، ثم إن شاور عزم على أن يعمل دعوةً لشيركوه وأمرائه، ويقبض عليهم، فمنعه ابنه الكامل بن شاور من ذلك، ولما رأى عسكر نور الدين من شاور ذلك عزموا على قتله، واتفق على ذلك صلاح الدين يوسف وعز الدين جرديك وغيرها، وعرفوا شيركوه بذلك فنهاهم عنه واتفق أن شاور قصد شيركوه على عادته، ولم يجده في المخيّم، وكان قد مضى لزيارة قبر الإمام الشافعي رضي الله عنه، فلقي صلاح الدين وجرديك شاوراً، وأعلماه برواح / ٤٧/ شيركوه إلى الزيارة.

فساروا جميعاً إلى شيركوه، فوثب صلاح الدين وجرديك على شاور، ورموه عن فرسه إلى الأرض، وأمسكوه في سابع ربيع الآخر هذه السنة، فهرب أصحابه عنه، وأسروه حتى أعلموا[٢] شيركوه بما فعلوه، فحضر ولم يمكنه تخليصه، وسمع العاضد بذلك، فأرسل إلى شيركوه يطلب منه إنفاذ رأس شاور، فقتله وأنفذ رأسه إلى العاضد، ودخل عند ذلك شيركوه إلى قصر العاضد فخلع عليه للوزارة، ولقّبه الملك المنصور أمير الجيوش، وسار بالخلع إلى دار الوزارة وهي التي كان فيها شاور، واستقرّ في الأمر، وكتب له منشور بالإنشاء الفاضلي وكتب له بعد البسملة[٣]:

---

(١) زيادة تقتضيها السياق.

(٢) في الأصل: وأرسلوا اعلموا شيركوه، والتصويب عن الكامل ٩/ ١٠١ والمغرب (قسم مصر) ص١٨٣.

(٣) ورد التفويض في الروضتين ١/ ٤٠٢ وصبح الأعشى ٩/ ٤٠٥ وشفاء القلوب ص٣٥.

من عبد الله ووليّه الإمام العاضد لدين الله أمير المؤمنين، إلى السيّد الأجلّ الملك المنصور سلطان الجيوش، ولي الأئمة، مجير الأمة أبي الحارث شيركوه العاضدي عضد الله به الدين وامتع بطوله أمير المؤمنين، وأدام قدرته وأعلى كلمته، سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو، ونسأله أن يصلّي على محمد خاتم النبيين، وسيّد المرسلين، وعلى آله الطاهرين، والأئمة المهديين وسلم تسليما.

ثم ذكر تفويض أمور الخلافة إليه ووصايا، وكتب العاضد بخطّه على طرّة المنشور، هذا عهد لم يعهد لوزير بمثله، فتقلّد أمانة رآك أمير المؤمنين أهلاً لحملها[1]، وخذ كتاب أمير المؤمنين بقوّة، واسحب ذيل الفخار بأن اعتزت /٤٨/ خدمتك إلى بنوّة النبوّة.

ومدحت الشعراء أسد الدين ووصل إليه من الشام مديح العماد[2] الكاتب، قصيدة أولها[3]: [البسيط]

بالجدّ أدركت ما أدْركْت لا اللعب	كم راحةٍ جُنيتْ من دوحةِ التعب
يا شيركوه بن شاذي دعوة مَنْ	نادى، فعرّف خير ابنٍ لخير أبِ
جرى الملوك وما حازوا بركضهم	من المدى في العلى ما حزت بالخبب
تَمَلَّ مِنْ ملك مصر رتبةً قَصُرت	عنها الملوك فطالت سائر الرتب
قد أنكئت أسد الدين الفريسة مِن	فتح البلاد فبادر نحوها وثبِ

وفي شيركوه وقتل شاور يقول عرقلة[4] الدمشقي: [الطويل]

لقد فاز بالملك العقيم خليفة	له شيركوه العاضدي وزيرُ
هو الأسد الضاري الذي جلّ خطبُهُ	على مثلها كان اللعين يدور

---

(١) بعده في الروضتين وصبح الأعشى وشفاء القلوب.

(٢) محمد بن محمد بن محمد ابن حامد عماد الدين الأصفهاني المعروف بالعماد الكاتب. ولد بأصفهان سنة ٥١٩هـ وبها نشأ وقدم بغداد مع أبيه. واشتغل بالأدب وبرع بالانشاء وخدم الوزير يحيى بن هبيرة، ثم قدم دمشق أيام نور الدين واتصل به. ثم اتصل بصلاح الدين وخدمه. له مصنفات. توفي سنة ٥٩٧هـ. انظر: معجم الأدباء ٧/ ٨١ وطبقات السبكي ٤/ ٩٧ ووفيات الأعيان ٤/ ٢٣٣ والنجوم الزاهرة ٦/ ١٧٨.

(٣) الأبيات في سنا البرق ١/ ٧٩ والروضتين ١/ ٤٠٣ ومفرج الكروب ١/ ١٦٥.

(٤) عرقلة: حسان بن نمير، أبو الندى، الكلبي، الدمشقي، شاعر مطبوع خليع، اتصل بصلاح الدين ومدحه ونادمه. توفي سنة ٥٦٧هـ (الخريدة ـ قسم الشام) ١/ ١٧٨ وفوات الوفيات ١/ ٢٢٢. والأبيات في ديوانه ص٥٢.

فلا رحم الرحمن تربة قبره ولا زال فيها منكراً ونكيرُ

وأما الكامل بن شاور، فلما قُتل أبوه دخل القصر وكان آخر العهد به، ولما لم يبق لأسد الدين شيركوه منازع أتاه أجله ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً ﴾ [الأنعام: ٤٤].

فتوفي يوم السبت الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع وستين وخمسمائة وكانت ولايتُه شهرين وخمسة أيام، وكان شيركوه وأيوب ابني شاذي من بلد دوين[١].

قال ابن الأثير[٢]: وأهلهما /٤٩/ من الأكراد الروادية، فقصدا العراق وخدما بهروز شحنة السلجوقية ببغداد، وكان أيوب أكبر من شيركوه، فجعله بهروز مستحفظاً قلعة تكريت، ولما انكسر عماد الدين زنكي من عسكر الخليفة ومرّ على تكريت خدمهُ أيوّب وشيركوه، ثم إن شيركوه قتل إنساناً بتكريت فأخرجهما بهروز من تكريت، فلحقا بخدمة علاء الدين زنكي، فأحسن إليهما، وأعطاهما إقطاعات جليلة، ولما ملك عماد الدين قلعة بعلبك جعل أيوب مستحفظاً عليها، فلما حاصره عسكر دمشق بعد موت زنكي سلّمها أيوب إليهم على إقطاع كبير، وبقي أيوب من أكبر أمراء عسكر دمشق، وبقي شيركوه نور الدين محمود بعد قتل أبيه زنكي وأقطعه نور الدين حمص والرحبة لما رأى من شجاعته، وزاده عليهما، وجعله مقدم عسكره، فلما أراد نور الدين ملك دمشق أمر شيركوه فكاتب أخاه أيوب فساعد نور الدين على فتح دمشق. وبقيا معه إلى أن أرسل شيركوه إلى مصر مرةً بعد أخرى حتى ملكها. وتوفى هذه السنة على ما ذكرناه. ولما توفي شيركوه كان معه صلاح الدين يوسف ابن أخيه أيوب، وكان قد سار معه على كرهٍ، قال صلاح الدين: أمرني نور الدين المسير مع عمي شيركوه، وكان قد قال شيركوه بحضرته لي: تجهز يا يوسف للمسير فقلت: والله لو أعطيت ملك مصر ما سرتُ إليها فلقد قاسيت بالإسكندرية ما لا أنساه أبداً /٥٠/ فقال لنور الدين: لابدّ من مسيره معي، فأمر نور الدين وأنا أستقيل، فقال نور الدين لا بدّ من مسيرك مع عمك، فشكوت الضائقة، فأعطاني ما تجهزت به، فكأنما أساق إلى الموت، ولما مات شيركوه طلب جماعة من الأمراء النورية التقدم على العسكر وولاية الوزارة العاضدية منهم: عين الدين الياروقي، وقطب الدين ينال[٣] المنبجي، وسيف الدين علي بن أحمد المشطوب الهكاري، وشهاب الدين محمود الحارمي، خال صلاح الدين، فأرسل العاضد طلب صلاح الدين وولاه الوزارة، ولقبه الملك الناصر. فلم يطعه

(١) كذلك في المختصر وفي الكامل: بلدوين. (٢) الكامل ٩/١٠١.

(٣) كذا في الأصل والكامل ٩/١٠٢ وفي نهاية الأرب ٢٨/٣٨: قايماز.

الأمراء المذكورون وكان مع صلاح الدين الفقيه عيسى الهكاري[١]. فسعى مع المشطوب حتى أماله صلاح الدين ثم قصد الحارمي فقال هذا ابن أختك، وعزه وملكه لك، فمال إليه أيضاً، ثم فعل بالباقين كذلك فكلّهم أطاع غير عين الدولة الياروقي فإنه قال: لا أخدم يوسف وعاد إلى نور الدين بالشام، وثبت قدم صلاح الدين على أنه نائب لنور الدين، وكان نور الدين يكاتبه بالأمير الاسفهسلار[٢]. ويكتب علامته على رأس الكتاب تعظيماً (عن) أن يكتب اسمه، وكان لا يفرده بكتاب، بل الأمير صلاح الدين وكافة الأمراء بالديار المصرية، يفعلون كذا وكذا، ثم أرسل صلاح الدين يطلب من نور الدين أباه أيوب وأهله فأرسلهم إليه نور الدين، فأعطاهم صلاح الدين الاقطاعات بمصر، وتمكّن من البلاد، وضعف أمر / ٥١/ العاضد، ولما فوّض الأمر إلى صلاح الدين تاب عن شرب الخمر وأعرض عن أسباب اللهو، وتقمّص لباس الجدّ، ودام على ذلك إلى أن توفاه الله عز وجل..

قال ابن الأثير في الكامل[٣]: رأيت أكثر ما يقع ممن ابتدىء الملك منه ينتقل إلى غير عَقِبِهِ، فإن معاوية تغلّب على الشام وملك فانتقل الملك إلى بني مروان بعده، ثم ملك السفاح من بني العباس فانتقل الملك إلى بني أخيه المنصور، ثم السامانيّة أول من استبدّ[٤] بالملك منهم نصر بن أحمد، فانتقل الملك إلى عقب أخيه إسماعيل، ثم عماد الدين بن بويه ملك فانتقل الملك إلى بني أخيه ركن الدين ثم ملك طغرل السلجوقي فانتقل الملك إلى بني أخيه داود، ثم شيركوه ملك فانتقل الملك إلى ابن أخيه صلاح الدين. ولما قام صلاح الدين بالملك لم يبق في عقبه بل انتقل إلى بني العادل أبي محمد، ولم يبق لأولاد صلاح الدين غير حلب، وكان سبب ذلك كثرة قتل من يتولّى أولاً وأخذه الملك وعيون أصحابه فيه، فيحرم على عقبه ذلك. ولما استقر قدم صلاح الدين في الوزارة قتل موتّمن الخلافة[٥]، وهو مقدم السودان، فاجتمعت السودان وهم حفّاظ القصر في عددٍ كبير، وجرى بينهم وبين صلاح الدين وعسكره وقعة عظيمة بين القصرين، فانهزم السودان وقتل منهم خلق كثير، وتبعهم صلاح الدين فأجلاهم قتلاً وتهجيجاً، وحكم

---

(١) هو عيسى بن محمد بن عيسى الهكاري. توفي سنة ٥٨٥هـ (وفيات الأعيان ٣/ ٤٩٧).

(٢) الاسفهسلار: كلمة تركية، وهي اصطلاح عسكري مركب من كلمتين: اسفه، أي مقدم، وسلار: أي عسكر، فمعناه مقدم الجيش، صبح الأعشى ٣/ ٦.

(٣) الكامل ٩/ ١٠٣ وأخذه المؤلف عن المختصر ٣/ ٤٨.

(٤) كذلك في الكامل، وفي المختصر: ابتدىء.

(٥) انظر خبر قتله في نهاية الأرب ٢٨/ ٣٦٠ والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٥٤.

صلاح الدين على القصر، وأقام فيه بهاء الدين قراقوش[١] الأسدي، وكان خصياً أبيض وبقي لا / ٥٢/ يجري في القصر صغيرة ولا كبيرة إلا بأمر صلاح الدين.

وفيها[٢]: كان بين إينانج السجزي[٣] صاحب الري وبين الدكز حرب انتصر فيها الذكز وملك الري، وهرب إينانج وانحصر في بعض القلاع[٤]، فبعث الذكز ورغّب غلمان إينانج في الاقطاعات إن قتلوا إينانج، فقتلوه ولحقوا بالذكز (فلم يفِ لهم وقال[٥]): مثل هؤلاء لا ينبغي الإبقاء عليهم، فهربوا إلى خارج البلاد ولحقوا بخوارزم شاه، فصلب الذي تولىّ منهم قتل إينانج، لخيانته أستاذه.

وفيها[٦]: توفي ياروق بن[٧] أرسلان التركماني، وكان مقدماً كبيراً وإليه تنسب الطائفة الياروقية من التركمان، وكان عظيم الخلقة يسكن بظاهر حلب، وبني على شاطئ قويق[٨] هو وأتباعه عمائر كثيرة. وتعرف الآن بالياروقية[٩] مشهورة هناك. وفي سنة خمس وستين: سارت[١٠] الفرنج إلى دمياط وحصروها، وشحنها صلاح الدين بالرجال والسلاح والذخائر وأخرج على ذلك أموالاً عظيمة، فحصروها خمسين يوماً، وخرج نور الدين فأغار على بلادهم بالشام، فرحلوا عائدين على أعقابهم ولم يظفروا بشيء منها.

قال صلاح الدين: ما رأيت أكرم من العاضد أرسل إليّ مدّة مقام الفرنج دمياط ألف ألف دينار مصرية سوى الدواب[١١] وغيرها.

---

(١) أبو سعيد قراقوش بن عبد الله الأسدي، كان رقيقاً رومياً خصياً، ثم اعتق وصار عن كبار رجال صلاح الدين، فتح طرابلس الغرب وولي عكا وناب عن صلاح الدين بمصر. مات سنة ٥٩٧هـ. سخر منه المصريون وضربوا به المثل في الجهل وألف ابن مماتي (الفاشوش في أحكام قراقوش).

(٢) المختصر ٣/٤٨، وانظر: كامل ابن الأثير ٩/ ١٠٤، وفيه: وسبب ذلك أن ايلدكز كان قد استقرر الأمر بينه وبين إينانج على مال يؤديه إلى إيلدكز فمنعه سنتين.

(٣) في الأصل: السنجري.

(٤) في كامل ابن الأثير: قلعة طبرك.

(٥) ما بين قوسين سقط من الأصل، وأكملته عن المختصر.

(٦) المختصر ٣/٤٨ وانظر ترجمته في وفيات الأعيان ٦/١١٧.

(٧) ليست في الأصل.

(٨) قويق: نهر يخرج من شناذر قرية على ستة أميال من دابق ثم يمر في رساتيق حلب ثمانية عشر ميلاً، ثم يمتد إلى قنسرين اثني عشر ميلاً ثم إلى المرج الأحمر اثني عشر ميلاً ثم يفيض في أجمة هناك (ياقوت ـ قويق).

(٩) ذكرها ياقوت، قال محلة كبيرة بظاهر حلب تنسب إلى أمير من أمراء التركمان كان قد نزل بها بعسكره وقوته ورجاله وعمّر بها دوراً ومساكن ـ (معجم البلدان ـ ياروقية).

(١٠) المختصر ٣/٤٨ وانظر: كامل ابن الأثير ٩/ ١٠٥ وشفاء القلوب ص٧٣ والنجوم الزاهرة ٦/ ٧.

(١١) في المختصر والكامل والشفاء: للثياب بدل الدواب.

وفيها[١]: سار نور الدين وحاصر الكرك مدّة، ثم رحل عنها.

وفيها[٢]: كانت زلزلة عظيمة خربت الشام، فقام نور الدين في عمارة الأسوار وحفظ البلاد أتمّ قيام، وكذلك خربت بلاد الفرنج فخافوا من نور الدين واشتغل كل منهم /٥٣/ بعمارة ما يليه من بلاده عن قصد بلاد غيره.

وفيها[٣]: في ذي الحجة مات قطب الدين مودود بن زنكي بن أقسنقر، صاحب الموصل. وكان مرضه حمىّ حادةّ، ولما صرف أرباب الدولة الملك عن أبنه الأكبر عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي إلى أخيه الذي هو أصغر منه سيف الدين[٤] غازي بن مودود، فسار عماد الدين زنكي إلى عمه نور الدين مستنصراً به. وتوفي نور الدين وعمره أربعون سنة، وكانت مدة ملكه إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفاً، وكان من أحسن الملوك سيرةً.

وفيها[٥]: توفي الملك طغرلبك بن قاروت بيك صاحب كرمان، واختلف أولاده بهرام شاه وأرسلان شاه وهو الأكبر، واستنجد كل منهما وطلب الملك فأتفق موت أرسلان شاه في تلك المدة واستقر بهرام شاه في ملك كرمان.

وفيها[٦]: توفي مجد الدين أبو بكر بن الداية رضيع نور الدين، وكانت حلب وحارم وقلعة جعبر إقطاعه، فأمر نور الدين أخاه علياً على إقطاعه.

وفي[٧] سنة ست وستين:

في تاسع ربيع الآخر، توفي الخليفة المستنجد أبو المظفر يوسف بن المقتفي، وكان سبب موته أنه مرض واشتد مرضُه، وكان قد خاف منه أستاذ داره عضد الدين أبو

---

(١) المختصر ٣/ ٤٩ والكامل ٩/ ٢٠٦.
(٢) المختصر ٣/ ٤٩ وانظر: الكامل ٩/ ١٠٦ والشذرات ٤/ ٢١٥.
(٣) المختصر ٣/ ٤٩ وانظر الكامل ٩/ ١٠٦ وشذرات الذهب ٩/ ٢١٦ وتاريخ مختصر الدول ص٣٧١ والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٨٣.
(٤) في الكامل: وإنما صرف الملك عن ابنه الأكبر عماد الدين زنكي بن مودود لأن القيم بأمور دولته والمقدم فيها كان خادماً له يقال له فخر الدين عبد المسيح، وكان يكره عماد الدين لأنه كان طوع عمه نور الدين لكثرة مقامه عنده ولأنه زوج ابنته، وكان نور الدين يبغض عبد المسيح، فاتفق فخر الدين وخاتون ابنة حسام الدين تمرتامش بن إيلغازي وهي والدة سيف الدين على صرف الملك عن عماد الدين إلى سيف الدين.
(٥) المختصر ٣/ ٤٩ وانظر الكامل: ٩/ ١٠٨. (٦) المختصر ٣/ ٤٩ وكامل ابن الاثير ٩/ ١٠٨.
(٧) المختصر ٣/ ٤٩ وكامل ابن الاثير ٩/ ١٠٨ والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٨٦ وابن العبري ص٣٧١ والفخري ص٢٣٢.

الفرج بن رئيس الرؤساء، وقطب الدين قيماز المقتفوي وهو حينئذ أكبر أمراء بغداد، فاتفقا ووضعا للطبيب أن يضع له ما يهلكه فوصف له دخول الحمام فامتنع منه لضعفه ثم أنه / ٥٤/ دخلها وغلق عليه الباب فمات، فلما مات أحضر عضد الدولة وقطب الدين، المستضيء بالله أبو محمد الحسن بن المستنجد بالله ثالث ثلاثين خلفاء بني العباس رحمهم الله. وشرط عليه شروطاً أن يكون عضد الدين وزيراً وابنه كمال الدين أستاذ دار وقطب الدين أمير العسكر، وأجابهم إلى ذلك ولم يلِ الخلافة من اسمَهُ الحسن غيره وغير الحسن بن علي رضي الله عنهما. وبايعوا المستضيء بالله بالخلافة يوم موت أبيه بيعة خاصة، وفي غده بيعة عامة.

وفيها[١]: سار نور الدين محمود بن زنكي إلى الموصل، وهي بيد ابن أخيه غازي ابن مودود، فاستولى عليها نور الدين وملكها، فلما ملكها أطلق المكوس منها، وقرّر أمورها ثم وهبها لابن أخيه سيف الدين غازي، وأعطى سنجار لعماد الدين زنكي ابن مودود وهو أكبر من أخيه سيف الدين غازي، فقال كمال الدين الشهرزوي: (هذا طريق)[٢] إلى أذى يحصل للبيت الأتابكي، لأن عماد الدين كبير لا يرى طاعة أخيه غازي وهو صغير وسيف الدين هو الملك لا يرى الإغضاء لعماد الدين فيحصل الخلف ويطمع الأعداء.

وفيها[٣]: سار صلاح الدين عن مصر فغزا الفرنج قرب عسقلان والرملة وعاد إلى مصر، ثم رجع إلى أيلة وحصرها، وهي للفرنج على ساحل البحر الشرقي، ونقل إليها المراكب وحصرها براً وبحراً وفتحها في العشر الأول من ربيع الأول واستباح أهلها وما فيها، وعاد إلى مصر ولما / ٥٥/ استقّر بمصر كان بها دار للشحنة يسميّ دار المعونة يجلس فيها فهدمها صلاح الدين وبناها مدرسة للشافعية. وكذلك بنى دار الغزل مدرسة للشافعية وعزل قضاة المصريين وكانوا شيعة ورتب قضاة شافعية، وذلك في العشرين من جمادى الآخرة. وكذلك اشترى تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين منازل الغزّ[٤] وبناها مدرسة للشافعية. وفي سنة سبع وستين، ثاني جمعة من المحرم قطعت[٥] خطبة العاضد لدين الله أبي محمد عبد الله وكان سبب الخطبة العباسية بمصر إنه لما تمكّن

---

(١) المختصر ٣/ ٥٠ وكامل ابن الاثير ٩/ ١٠٩.

(٢) الزيادة عن الكامل.

(٣) المختصر ٣/ ٥٠ والكامل ٩/ ١١٠ والمغرب (قسم مصر) ص١٨٥.

(٤) في الكامل: العز.

(٥) المختصر ٣/ ٥٠ وكامل ابن الأثير ٩/ ١١١ وعنه: تاريخ الخلفاء ص ٤٤٥ وشذرات الذهب ٤/ ٢١٩ وتاريخ مختصر الدول ص ٣٧٣ ومرآة الجنان ٣/ ٣٧٩.

صلاح الدين من مصر وحكم على القصر وأقام فيه قراقوش الأسدي، وكان خصياً أبيض وبلغ نور الدين ذلك فأرسل إلى صلاح الدين يأمره بقطع الخطبة العلوية وإقامة الخطبة العباسية، فراجعه صلاح الدين في ذلك خوف الفتنة فلم يلتفت نور الدين إلى ذلك وأصر عليه، وكان العاضد قد مرض فأمر صلاح الدين الخطباء أن يخطبوا للمستضيء ويقطعوا خطبة العاضد، فامتثلوا ذلك ولم ينتطح فيها عنزان، وكان العاضد قد اشتدّ مرضُه فلم يعلمه أحد من أهله بقطع خطبته، فتوفى العاضد يوم عاشوراء ولم يعلم بقطع خطبته. ولما توفي جلس صلاح الدين للعزاء واستولى على قصر الخلافة وعلى جميع ما فيه وكان كثرته تخرج عن الإحصاء وكان فيه أشياء نفيسة من الأعلاق الثمينة والكتب والتحف /٥٦/ فمن ذلك الحبل الياقوت، وكان وزنه سبع عشرة[١] درهماً.

قال ابن الأثير في الكامل[٢]: أنا رأيته ووزنته، ومما حكى أنه كان بالقصر طبل للقولنج إذا ضُرب به الإنسان ضرط فكسر، ولم يعلموا به إلا بعد ذلك، ونقل صلاح الدين أهل العاضد إلى موضع من القصر، ووكّل بهم من يحفظهم، وأخرج جميع من فيه مَن عبد وأمة فباع البعض وأعتق[٣] البعض وَوَهَب البعض وخلا القصر من سكانه، كأن لم يغنَ بالأمس. ولما اشتدَّ مرض العاضد أرسل إلى صلاح الدين يستدعيه فظنّ ذلك خديعة، فلم يمض إليه، فلما توفي علم صدقه وندم على تخلّفه عنه. وجميع مدة خلافتهم في حين ظهر المهدي بسجلماسة في ذي الحجة سنة ست وتسعين ومائتين إلى أن توفي العاضد في هذه السنة، سنة سبع وستين وخمسمائة: مائتان واثنان وسبعون سنة تقريباً. وهذا دأب الدنيا لم تعط إلا واستردَّت، ولم تحلُ إلا وتمرَّرَت، ولم تصف إلا وتكدّرتٍ، بل صفوها لا يخلو من الكدر. ولما وصل خبر الخطبة العباسية بمصر إلى بغداد ضَربت البشائر ستة أيام وسُيّرت الخلع مع عماد الدين صندل وهو من خواص الخدم المقتفوية إلى نور الدين وصلاح الدين، والخطباء، وسيرت الأعلام السود.

وكان العاضد قد رأى مناماً أن عقرباً خرجت من مسجد بمصر معروف ذلك المسجد للعاضد ولدغتهُ، فأستيقظ العاضد مرعوباً، واستدعى من يعبرّ الرؤيا، وقصّه عليه، فعبرّ له بوصول /٥٧/ أذى إليه من شخص بذلك المسجد، فتقدم العاضد إلى والي مصر بإحضار أهل ذلك المسجد، فأحضر إليه شخصاً صوفياً يقال له نجم الدين

---

(١) كذلك في الأصل والصواب سبعة عشر.

(٢) الكامل في التاريخ ٩/ ١١٢ والمؤلف نقل كلامه عن المختصر.

(٣) الأصل، والمختصر: عتق.

الخويشاني، فاستخبره العاضد عن مقدمه وسبب مقامه بذلك المسجد، فأخبره بالصحيح في ذلك، ورآه العاضد أضعف من أن يناله بمكروه، فأمر له بمال وقال: أُدعُ لنا يا شيخ، وأَمَرهُ بالانصراف، فلما أراد السلطان صلاح الدين إزالة الدولة العلوية استفتى الفقهاء. وكان نجم الدين الخويشاني المذكور من جملتهم، فبالغ في الفتيا، وصرّح بتعدد مساويهم، وسَلَبَ عنهم الإيمان، وأطال الكلام في ذلك، فصح (بذلك) رؤيا العاضد.

وفيها[١]: وقع بين نور الدين وصلاح الدين وحشة في الباطن، فإن صلاح الدين سار ونازل الشوبك وهي للفرنج ثم رحل عنه خوفاً أن يأخذه، فلم يبق ما يعوق نور الدين عن مصر، فتركه ولم يفتحه لذلك وبلغ نور الدين ذلك فكتمه وتوحش خاطره لذلك، ولما استقرّ صلاح الدين في مصر جمع أقاربه وكبراء دولته، وقال: بلغني أن نور الدين يقصدنا، فما الرأي؟ فقال تقي الدين عمر ابن أخيه: نقاتله ونصده، وكان ذلك بمحضر أبيهم نجم الدين أيوب فأنكر على تقي الدين ذلك وقال: أنا والدكم، لو رأيت نور الدين (لنزلت) وقبلت الأرض بين يديه، بل أكتب وقل لنور الدين لو جاءني إنسان واحد من عندك وربط المنديل في عنقي وجرني إليك سارعت إليك /٥٨/ وانفضوا على ذلك، ثم اجتمع أيوب بابنه صلاح الدين خلوةً وقال: لو قصدنا نور الدين كنت أول من يمنعه ويقاتله. ولكن لو أظهرنا ذلك يترك نور الدين جميع ما هو فيه ويقصدنا، ولا ندري ما يكون من ذلك، فإن جميع عسكرنا إنما هم أمراء نور الدين وغلمانه، وإن أظهرنا الطاعة تمادى الوقت بما يحصل به الكفاية من عند الله تعالى فكان كما قال.

وفيها: توفي الأمير محمد بن مردنيش صاحب شرقي بلاد الأندلس وهي: مرسية وبلنسية وغيرهما، فقصد أولاده أبا يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ملك الغرب وسلّموا إليه بلادهم، فَسُرَّ بذلك يوسف وتسلمها منهم، وتزوج أختهم وأكرمهم ووصلهم بالأموال الجزيلة. وكان قد قصدهم يوسف المذكور في مائة ألف مقاتل فأجابوا بدون قتال كما ذكرنا.

وفيها[٢]: عبر الخطا نهر جيحون، فجمع خوارزم شاه أرسلان بن أطسز بن محمد بن أنوش تكين، عساكره وسار إلى لقائهم فمرض ورجع مريضاً، وأرسل عسكراً مع بعض المقدمين، فقاتلوا الخطا، وانهزم عسكر خوارزم شاه وأسر مقدمهم، ورجع الخطا إلى بلادهم بعد ذلك.

---

(١) الكامل ٩/ ١١٢.

(٢) المختصر ٣/ ٥٢ وكامل ابن الاثير ٩/ ١١٤.

وفيها[١]: اتخذ نور الدين بالشام الحمام الهوادي وتسمى المناسيب لنقل البطائق والأخبار.

وفيها: عزل المستضيء وزيره عضد الدولة بن رئيس الرؤساء مكرهاً، لأن قطب الدين قيماز ألزمه بعزله، فلم يمكنه مخالفته.

/٥٩/ وفي سنة ثمان وستين:

توفي خوارزم شاه أرسلان بن أطسز بن أنوش تكين. وكان قد عاد مريضاً. ولما مات ملك بعده ابنه الصغير سلطان شاه محمود. ودبرت والدته المملكة وكان ابنه الأكبر علاء الدين تكين مقيماً في جند قد أقطَعهُ أبوه إياها، فلما بَلَغَهُ موت أبيه وولاية أخيه أنف عن ذلك واستنجد بالخطا، وسار إلى أخيه الصغير سلطان شاه وطرده، ثم إن سلطان شاه قصد ملوك الأطراف واستنجدهم على أخيه تكين وطرده، وكانت الحرب بينهم سجالاً، حتى مات سلطان شاه في سنة تسع وثمانين وخمسمائة. واستقرّ تكش في خوارزم. وفي تلك الحروب بين الأخوين قتل المؤيد (أي به) السجزي[٢] قتله تكش صبراً. وملك ابنه طغا شاه ابن المؤيد (أي به).

وفيها: سار[٣] شمس الدولة توران شاه بن أيوب أخي صلاح الدين الأكبر من مصر إلى النوبة للتغلب عليها، ولم تعجبه تلك البلاد فغنم وعاد إلى مصر.

وفيها: توفي شمس الدين الدكز بهمدان، وملك بعده ابنه محمد البهلوان ولم يختلف عليه أحد، وكان[٤] الدكز (هذا)[٥] مملوكاً للكمال السميري وزير السلطان محمود، ثم صار للسلطان محمود، فلما ولي مسعود ولاّه وكبرّه حتى صار ملك أذربيجان وغيرها من بلاد الجبل أصبهان الري، وكان عسكره خمسين ألف فارس. وكان يخطب في بلاده /٦٠/ بالسلطنة للسلطان أرسلان بن طغرل، ولم يكن لأرسلان معه حكم، وكان الدكز حسن السيرة.

وفيها[٦]: سارت طائفة من الترك من ديار مصر مع مملوك لتقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب اسمه قراقوش إلى إفريقية[٧] واستولى عليها، وملك كثيراً من بلاد إفريقية.

وفيها[٨]: غزا أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بلاد الفرنج من الأندلس.

---

(١) المختصر ٣/ ٥٢ وكامل ابن الاثير ٩/ ١١٤. (٢) في الأصل: السنجري.

(٣) انظر كامل ابن الاثير ٩/ ١١٨. (٤) المختصر ٣/ ٥٣.

(٥) الأصل: وعاد.

(٦) المختصر ٣/ ٥٣ وكامل ابن الاثير ٩/ ١١٩ ونهاية الارب ٢٨/ ٣٧١.

(٧) بعدها في المختصر: ونزلوا على طرابلس الغرب، فحاصرها مدة ثم فتحها.

(٨) المختصر ٣/ ٥٣ وكامل ابن الاثير ٩/ ١١٩.

وفيها[١]: سار نور الدين محمود بن زنكي إلى بلاد قيلج أرسلان بن مسعود واستولى على مرعش وبهنسا ومرزبان وسيواس، فأرسل إليه قيلج أرسلان يستعطفه ويسأل الصلح، فقال نور الدين: لا أرضى إلا أن تردّ ملطية على ذي النون بن الداشمند وكان قيلج أرسلان قد أخذها منه، فبذل له سيواس، واصطلح مع نور الدين فلما مات نور الدين عاد قيلج أرسلان واستولى على سيواس وطرد عنها ذا النون بن الداشمند.

وفيها[٢]: سار صلاح الدين من مصر إلى الكرك وحصرها. وكان قد واعد نور الدين أن يجتمعا على الكرك، فخاف صلاح الدين من الاجتماع، وكان نور الدين قد وصل إلى الرقيم، وهو بالقرب من الكرك. فرحل صلاح الدين عن الكرك عائداً إلى مصر وأرسل تحفاً إلى نور الدين، واعتذر إن أباه مرض وهو يخشى موته، فتذهب مصر، فقبل نور الدين عذره في الظاهر وعلم المقصود في الباطن. ولما وصل / ٦١/ صلاح الدين إلى مصر وَجَدَ أباه نجم الدين أيوب بن شاذي قد مات. وقد كان سبب موته أنه ركب بمصر فنفرت به فرسه فوقع وحمل إلى قصره فبقي أياماً ومات في السابع والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة[٣].

وفي سنة تسع وستين:

ملك[٤] توران شاه اليمن، وكان صلاح الدين وأهله خائفين من نور الدين، فاتفق رأيهم على تحصيل مملكة غير مصر حيث أن قصدهم نور الدين قاتلوه، فإن هزمهم التجأوا إلى تلك المملكة. فجهز صلاح الدين أخاه شمس الدولة توران شاه بن أيوب إلى النوبة فلم تعجبه بلادها، ثم سيره في هذه السنة بعسكره إلى اليمن، وكان صاحب اليمن حينئذ عبد النبي المقدم ذكره في سنة أربع وخمسين وخمسمائة فتجهز توران شاه ووصل اليمن، وجرى بينه وبين عبد النبي قتال، فانتصر توران شاه وهزم عبد النبي. وهجم زبيد وملكها وأسر عبد النبي، ثم قصد عدن وكان صاحبها اسمه ياسر فخرج لقتال توران شاه، فهزمه توران شان وهجم عدن وملكها وأَسَرَ ياسر. واستولى توران شاه على بلاد اليمن، واستقر في ملك صلاح الدين. واستولى على أموال عظيمة من عبد النبي وكذلك من عدن.

---

(١) المختصر ٣/ ٥٣ وكامل ابن الاثير ٩/ ١٢٠.

(٢) المختصر ٣/ ٥٣ وكامل ابن الأثير ٩/ ١٢٠ والمغرب (قسم مصر) ص١٤٢.

(٣) انظر ترجمته وخبر وفاته في: كامل ابن الأثير ٩/ ١٢١، وشذرات الذهب ٤/ ٢٢٦ ومرآة الجنان ٣/ ٢٨٤.

(٤) المختصر ٣/ ٥٤ وانظر: الكامل ٩/ ١٢٢ وشذرات الذهب ٤/ ٢٢٥ (أحداث ٥٦٨هـ) والمغرب (قسم مصر) ص١٤٢ ونهاية الارب ٢٨/ ٣٧٣ والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٢.

وفيها[١]: في رمضان صلب صلاح الدين جماعة من أعيان المصريين فإنهم قصدوا الوثوب عليه، وإعادة الدولة العلوية، فعلم بهم وصلبهم عن آخرهم. فمنهم: عبد الصمد الكاتب، والقاضي / ٦٢/ العويرس، وداعي الدعاة، وعمارة بن علي اليمني.

وفي هذه السنة: توفي[٢] الملك العادل نور الدين محمود ين عماد الدين زنكي بن اقسنقر صاحب الشام وديار الجزيرة وغيرهم ذلك يوم الأربعاء حادي عشر شوال بعلّة الخوانيق بقلعة دمشق المحروسة. وكان نور الدين قد شرع بتجهيز الدخول إلى مصر وأخذها من صلاح الدين، وكان يريد أن يخلّي ابن أخيه سيف الدين غازي بالشام ويسير هو بنفسه إلى مصر فأتاه أمر الله لا يردّ. وكان نور الدين أسمر طويل القامة ليس له لحية إلا في حنكه، حسن الصورة، وكان قد اتسع ملكه جداً، وخطب له في الحرمين واليمن لما ملكهما توران شاه بن أيوب، وكذلك كان يخطب له بمصر، وكان مولد نور الدين سنة إحدى عشرة وخمسمائة، وطبق الأرض ذكره بحسن السيرة والعمل وكان من الزهد والعبادة على قدر عظيم، وكان يصلي غالب الليل كما قيل: [الكامل]

جمع الشجاعة والخشوع لربّه ما أحسن المحراب في المحراب

وكان عارفاً بالفقه على مذهب أبي حنيفة، وليس عنده فيه تعصّب. وهو الذي بنى أسوار مدن الشام مثل دمشق وحماة وحمص وشيزر وبعلبك وغيرها، لما تهدمت بالزلازل، وبنى المدارس الكبيرة الحنفية والشافعية، ولا يحتمل هذا المختصر ذكر فضائله. ولما توفي نور الدين قام ابنه الملك الصالح إسماعيل بعده وعمره إحدى عشرة سنة، وخلف له العسكر بدمشق، وأقام بها وأطاعه صلاح الدين بمصر وخطب له بها، وضُربت له السكّة، وكان المتولي لتدبير دولته الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك المعروف بابن المقدم، ولما مات نور الدين وتولى ولده الملك الصالح. سار سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود صاحب الموصل، وملك جميع البلاد الجزرية.

وفي سنة سبعين:

في أولها اجتمع[٣] على رجل من أهل الصعيد يقال له الكنز جمع عظيم، وأظهر الخلاف على صلاح الدين، فأرسل إليه صلاح الدين عسكراً، فقتل الكنز وجماعة معه، وانهزم الباقون.

---

(١) المختصر ٣/ ٥٤ وانظر: الكامل ٩/ ١٢٣ ونهاية الارب ٢٨/ ٣٦٧.

(٢) انظر كامل ابن الاثير ٩/ ١٢٤.

(٣) انظر الخبر في كامل ابن الاثير ٩/ ١٣٠ ونهاية الأرب ٢٨/ ٣٦٩ ومفرج الكروب ٢/ ١٦ والروضتين ١/ ٦٠٠ وشفاء القلوب ص٨٣.

في سلخ ربيع الأول: ملك[١] صلاح الدين يوسف بن أيوب مدينة دمشق وحمص وحماة، وسببه أن شمس الدين بن الداية[٢] المقيم بحلب أرسل سعد الدين[٣] كمشتكين يستدعي الملك الصالح نور الدين من دمشق إلى حلب ليكون مقامه بها فسار الملك الصالح مع سعد الدين إلى حلب. ولما استقرّ بحلب تمكن كمشتكين وقبض على شمس الدين بن الداية وإخوته وقبض على الرئيس ابن الخشاب وإخوته، وهو رئيس حلب، واستبدّ سعد الدين بن الداية بتدبير الملك الصالح، فخافه ابن المقدم وغيره من أمراء دمشق. وكاتبوا صلاح الدين بن أيوب صاحب مصر واستدعوه ليملكوه عليهم، فسار صلاح الدين / ٦٤/ جريدة[٤] في سبعمائة فارس، ولم يلبث فوصل دمشق فخرج كل من بها من العسكر والتقوه وخدموه. ونزل بدار والده أيوب المعروفة بدار العقيقي[٥]. وعصت عليه القلعة، وكان فيها من جهة الملك الصالح خادم اسمه ريحان، فراسله صلاح الدين واستماله فسلّم القلعة إليه، فصعد إليها صلاح الدين وأخذ منها ما فيها من أموال، ولما ثبتت قدمه في دمشق استخلف بها أخاه سيف الإسلام طغتكين بن أيوب، وسار إلى حمص مستهل جمادى الأولى، وكانت حمص وحماة وقلعة بارين[٦]، وسلميّة وتل خالد[٧] والرّها[٨] من بلد الجزيرة في إقطاع فخر الدين مسعود بن الزعفراني، فلما مات نور الدين لم يمكن فخر الدين مسعود المقام بحمص وحماة لسوء تدبيره مع الناس، وكانت هذه البلاد له بغير قلاعها، فإن قلاعها كان فيها ولاة لنور الدين وليس لفخر الدين معهم في القلاع حكم إلا بارين فإن قلعتها كانت له أيضاً، فنزل صلاح الدين على حمص في حادي عشر جمادى الأولى، وملك المدينة، وعَصَت عليه

---

(١) الكامل ٩/ ١٣٠ ونهاية الارب ٢٨/ ٣٧٤ وشفاء القلوب ص٨٤.
(٢) شمس الدين ابن الداية عن كبار أحرار حلب (النجوم ٦/ ٢٤).
(٣) سعد الدين بن كمشتكين هو خادم نور الدين. كان ولاه الموصل نيابة عنه، فلما مات نور الدين ذهب إلى حلب، وخدم ابن الداية، ثم اتصل بالملك الصالح بن نور الدين فأعطاه حارم ثم غضب عليه وقتله سنة ٥٧٣هـ. انظر: النجوم ٦/ ٨١.
(٤) الجريدة، الفرقة من الجيش، الخيالة لا رجالة فيها، ويقال: ركب السلطان جريدة، أي على وجه السرعة دون أن يصطحب معه أثقالاً.
(٥) العقيقي: نسبة إلى الشريف أحمد بن الحسين بن أحمد العلوي، صاحب الدار المشهورة بدمشق توفى سنة ٣٧٨هـ، (النجوم الزاهرة ٤/ ١٥٣).
(٦) بارين: مدينة بين حلب وحماة من جهة الغرب (معجم البلدان ـ بارين).
(٧) تل خالد: قلعة من نواحي حلب (معجم البلدان ـ تل خالد).
(٨) الرها: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام (معجم البلدان ـ الرها).

القلعة، فنزل عليها من يضيق عليها ورحل إلى حماة فملك مدينتها مستهل جمادى الآخر من السنة، وكان بقلعتها الأمير عز الدين جرديك[١] أحد المماليك النورية فأمتنع في القلعة، فذكر له صلاح الدين أنه ليس له غرض سوى حفظ بلاد الملك الصالح عليه، وإنما هو نائبه وقصده من جرديك المسير إلى حلب في رسالة، فاستحلفه جرديك على ذلك / ٦٥/ وسار جرديك إلى حلب برسالة من صلاح الدين، واستخلف في قلعة حماة أخاه فلما وصل جرديك إلى حلب قبض عليه كمشتكين وسجنه، فلما علم أخاه بذاك سلم قلعة حماة إلى صلاح الدين فملكها ثم سار صلاح الدين إلى حلب وحصرها وبها الملك الصالح بن نور الدين، فجمع أهل حلب وقاتلوا صلاح الدين وصدوه عن حلب، وأرسل سعد الدين كمشتكين إلى سنان[٢] مقدم الإسماعيلية أموالاً عظيمة ليقتلوا صلاح الدين، ووثبوا على صلاح الدين فقتلوا دونه. واستمر صلاح الدين محاصراً لحلب مستهل رجب، ورحل عنها بسبب نزول الفرنج على حمص ووصل صلاح الدين إلى حماة ثامن رجب، وسارا إلى حمص، فرحل الفرنج عنها. ووصل صلاح الدين إلى حمص وحصر قلعتها في حادي عشر من شعبان ثم أرسل إلى بعلبك فملكها، فلما استقر ملك صلاح الدين لهذه البلاد أرسل الملك الصالح إلى ابن عمه سيف الدين غازي يستنجده على صلاح الدين فجهز جيشه صحبة أخيه مسعود بن مودود بن زنكي، ومقدم الجيش عز الدين محمود المعروف بسلقندار وطلب أخاه الأكبر عماد الدين بن زنكي بن مودود ليسير في الصحبة فامتنع مصالحة لصلاح الدين، فسار سيف الدين وحصره بسنجار، ووصل الموصل صحبة عز الدين بن مسعود بن مودود وسلقندار إلى حلب، وانضمّ / ٦٦/ إليهم عسكر حلب وساروا إلى صلاح الدين يبذل حمص وحماة، وأن تفرد له دمشق ويكون فيها نائباً للملك الصالح فلم يجيبوه إلى ذلك، وساروا لقتاله، واقتتلوا عند قرون حماة، فانهزم عسكر الموصل وحلب، وغنم صلاح الدين وعسكره أموالهم، وتبعهم صلاح الدين حتى حصرهم بحلب، وقطع

---

(١) جرديك بن عبد الله النوري، من أكابر أمراء نور الدين محمود، ثم خدم السلطان صلاح الدين في جميع غزواته، توفي سنة ٥٩٤هـ (النجوم الزاهرة ٦/ ١٤٣).

(٢) سنان بن سليمان بن محمد، أبو الحسن، راشد الدين البصري، كبير الاسماعيلية وصاحب الدعوة النزارية، كان أديباً فاضلاً عارفاً بالفلسفة وشيئاً من الكلام والشعر والأخبار، نسب إليه أنه أحل لقومه المحرمات، وهي تهم لا تستند على دليل. كانت له مع صلاح الدين الأيوبي مراسلات اضطر صلاح الدين عن أثرها مصالحته، توفي بحصن الكهف سنة ٥٨٩هـ. انظر: الوافي بالوفيات ١٥/ ٤٦٣ والنجوم الزاهرة ٦/ ١١٧.

صلاح الدين حينئذ خطبة الصالح بن نور الدين، وانزل اسمه عن السكة، واستبدّ بالسلطة، فراسلوا صلاح الدين في الصلح على أن يكون له ما بيده من الشام ويكون لملك الصالح ما تبقى بيده منه فصالحهم على ذلك، ورحل من حلب في العشر الأول من شوال هذه السنة، أعني سنة سبعين وخمسمائة وفي العشر من شوال ملك السلطان صلاح الدين بارين وأخذها من صاحبها فخر الدين مسعود بن الزعفراني وكان فخر الدين من أكابر الأمراء النورية.

وفيها[١]: ملك البهلوان بن الدكز مدينة تبريز وأخذها من ابن اقسنقر الأحمد يلي.

وفيها[٢]: مات شملة التركماني صاحب خورستان، وتوليّ ولده.

وفيها[٣]: وقع بين الخليفة وبين قطب الدين قيماز مقدم عسكر الخليفة ببغداد فتنة. فَنُهِبَت دار قيماز وهرب إلى الحلة، ثم الموصل فلحقه في الطريق عطش شديد، وهلك أكثر أصحابه ومات هو قبل وصوله إلى الموصل فحُمل ودفن بظاهر باب العمادي، ولما هرب /٦٧/ قيماز خَلَع الخليفة عضد الدين وأعادوه إلى الوزارة.

سنة إحدى وسبعين إلى سنة ثمانين وخمسمائة

وفي سنة إحدى وسبعين:

في عاشر شوال كان المصاف بين السلطان صلاح الدين وبين[٤] غازي صاحب الموصل بتل السلطان، فهرب سيف الدين غازي والعساكر التي كانت معهم، فإنه كان قد استنجد بصاحب حصن كيفا وصاحب ماردين وغيرهما وتمّت على سيف الدين الهزيمة حتى وصل إلى الموصل مرعوباً، وقصد الهروب منها إلى بعض القلاع، فَسكَّنهُ وزيره، وأقام بالموصل واستولى صلاح الدين على أثقال عسكر الموصل وغيرها، وغنم ما فيها، ثم سار صلاح الدين إلى بزاعة[٥]، فحصرها وتسلمها، ثم سار إلى منبج[٦] فحصرها في آخر شوال وصاحبها قطب الدين ينال بن حسان المنبجي[٧]. وكان شديد البغض لصلاح

(١) المختصر ٣/ ٥٧، وانظر الكامل ٩/ ١٣٤، وتاريخ مختصر الدول ٣٧٦.

(٢) المختصر ٣/ ٥٧، وانظر الكامل ٩/ ١٣٤، وشذرات الذهب ٤/ ٢٣٧.

(٣) المختصر ٣/ ٥٧، وانظر الكامل ٩/ ١٣٤، وشذرات الذهب ٤/ ٢٣٨.

(٤) المختصر ٣/ ٥٨، وانظر الكامل ٩/ ١٣٠، وشفاء القلوب ص٩١ ونهاية الارب ٢٨/ ٣٧٧.

(٥) بزاعة من أعمال حلب بين منبج وحلب (معجم البلدان ـ بزاعة).

(٦) منبج: بلد قديم كبير بينه وبين الفرات ثلاثة فراسخ وإلى حلب عشرة فراسخ (معجم البلدان ـ منبج).

(٧) قطب الدين ينال بن حسان، كان من قواد نور الدين، وانحاز للملك الصالح بعد وفاة نور الدين أخذ السلطان صلاح الدين منبج.

الدين وفتحها عنوةً وأسر ينال وأخذ جميع موجوده، ثم أطلقهَ فسار ينال إلى الموصل، فأقطعهُ سيف الدين غازي مدينة الرقّة، ثم سار السلطان صلاح الدين إلى إعزاز، ونازلها ثالث ذي القعدة وتسلمها حادي عشر ذي القعدة، فوثب إسماعيلي على صلاح الدين فضربه بسكين في رأسه وجرحه، فمسك صلاح الدين يد الإسماعيلي على تلك الحال، ووثب آخر عليه وقتله، وثالث فقتل، وجاء السلطان إلى خيمته مذعوراً /٦٨/ وأعرض جنده. وأَبعدَ عنه من أنكره منهم. ولما ملك السلطان إعزاز رحل عنها ونازل في حلب في منتصف ذي الحجة وحصرها وبها الملك الصالح بن نور الدين، وانقضت هذه السنة وهو محاصر لحلب، فسألوا صلاح الدين في الصلح، فأجابهم واخرج إليه بنتاً صغيرة لنور الدين، فأكرمها وأعطاها شيئاً كثيراً، قال لها: ما تريدين؟ قالت: قلعة إعزاز، وكانوا قد علّموها ذلك، فسلمها السلطان إليها، واستقرّ الصلح ورحل السلطان عن حلب في العشرين من المحرم سنة اثنين وسبعين.

وفيها[١]: نازل طشتكين[٢] أمير الحج العراقي مكة. وكان قد أمره الخليفة بعزل مكثر بن عيسى صاحب مكة، فجرى بين الحجاج وبينه قتال، فأنهزم مكثر في البرية وأقام طاشتكين أخاه داود مقامه بمكة.

وفيها: في القعدة قدم توران شاه بن أيوب من اليمن إلى الشام، وأرسل إلى أخيه صلاح الدين يعلمه بالحال، وكتب إليه أبياتاً من شعر ابن المنجم المصري: [الكامل]

وإلى صلاح الدين أشكو إنني ... من بعده مضنى الجوانح مولَعُ[٣]
جزعاً لبعد الدار عنه ولم أكن ... لولا هواه لبعد دارٍ أجزع
ولأركبنَّ إليه متن عزائمي ... ويخبُ بي ركب الغرام ويوسع[٤]
ولأسرينَّ الليل لا يسري به ... طيف الخيال ولا البروقُ اللُّمَّعُ
وأقدمنّ إليه قلبي مخبراً ... إني بجسمي عن قريب أتبَعُ

---

(١) المختصر ٣/ ٥٨، وانظر الكامل ٩/ ١٣٧.

(٢) طاشتكين، الأمير مجد الدين، أبو سعيد المستنجدي، ثم صار لولده المستضيء، ولي أمرة الركب العراقي عدة مرات، وولي الحلة المزيدية، وولي تستر وخوزستان، قالوا: إنه كان سمحاً كريماً، قليل الكلام، مات بتستر وقد جاوز التسعين، وأوصى أن ينقل جثمانه إلى مشهد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فوات الوفيات ٢/ ١٢٩ الوافي بالوفيات ١٦/ ٣٨٥، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٩٠ والبداية والنهاية ١٣/ ٤٥ وشذرات الذهب ٥/ ٨ ومرآة الزمان ٨/ ٥٢٧.

(٣) الأبيات في المختصر ٣/ ٥٩ والكامل ٩/ ١٣٩.

(٤) في الكامل: يوضع.

/٦٩/ حتى أُشاهد منه أسعَدَ طلعةٍ   من أفقها صبح السعادةَ يطلَعُ

وفي سنة اثنين وسبعين:

قصد[١] صلاح الدين بلد الإسماعيلية في المحرم فنهبه وخرّبه وأحرقه. وحصر قلعة مصياف[٢] فأرسل سنان مقدم الإسماعيلية إلى خال صلاح الدين، وهو شهاب الدين الحارمي صاحب حماة يسأل أن يسعى في الصلح[٣]، فسأل الحارمي الصفع عنهم، فأجابهم صلاح الدين وصالحهم ورحل عنهم، وأتمَّ السلطان صلاح الدين مسيره إلى مصر، فإنه كان قد بعد عهده بها بعد أن استقرّ له ملك الشام. ولما وصل إلى مصر في هذه السنة أمر ببناء السور الدائر على مصر والقاهرة والقلعة التي على الجبل المقطم، ودور ذلك تسعة وعشرون ألف ذراع[٤] بالهاشمي، ولم يزل العمل فيه إلى أن مات صلاح الدين.

وفيها[٥]: أمر صلاح الدين ببناء المدرسة التي على قبر الإمام الشافعي بالقرافة وعمل بالقاهرة مارستان.

وفي سنة ثلاث وسبعين:

في جمادى الأولى سار[٦] السلطان صلاح الدين من مصر إلى الساحل لغزو الفرنج، فوصل إلى عسقلان[٧] في رابع عشرين فنهب وتفرق عسكره في الإغارة. وبقي

---

(١) المختصر ٣/ ٥٩ والخبر في الكامل ٣/ ١٣٩ وشفاء القلوب ص٩٢ ونهاية الارب ٢٨/ ٣٨١.

(٢) في الكامل: مصبات، وهو تصحيف، ومصياف حصن مشهور للإسماعيلية بالساحل الشامي قرب طرابلس (معجم البلدان ـ مصياف).

(٣) بعده في الكامل: ويقول له: إن لم تفعل قتلناك وجميع أهل صلاح الدين.

(٤) في الكامل ٩/ ١٣٩ والشذرات ٤/ ٢٤١، تسعة وعشرون ألف ذراع وثلثمائة ذراع، وانظر: شفاء القلوب ص٩٣ وفيه: ولم يزل العمل فيه حتى مات السلطان، ولم ينتفع به أحد، وتاريخ الخلفاء ص٤٢٧.
أما قلعة الجبل فلا تزال إلى اليوم قائمة بأسوارها العالية على قطعة مرتفعة منفصلة من جبل المقطم شرقي القاهرة تشرف على ميدان صلاح الدين بل على القاهرة كلّها، ولما تولى الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب سلطنة مصر أتم بناء القلعة سنة ٦٠٤هـ. وأنشأ بها الدور السلطانية. وقد استمرت من ذلك الوقت دار مملكة مصر إلى زمن السلطة الخديوية. وقد أنشأ محمد علي باشا الكبير والي مصر في هذه القلعة أبنية كثيرة منها جامعه الفخم الذي يشرف على المدينة وضواحيها. انظر: النجوم الزاهرة ٦/ ٥٤ (هامش ١).

(٥) المختصر ٣/ ٥٩ وانظر: شفاء القلوب ص٩٣ والبرق الشامي ٣/ ٣٧.

(٦) المختصر ٣/ ٥٩ وانظر: الكامل ٩/ ١٤١ وشفاء القلوب ص٩٣ وشذرات الذهب ٤/ ٥٤٤ ومرآة الجنان ٣/ ٣٩٨ ومفرج الكروب ٢/ ٥٨ ونهاية الارب ٢٨/ ٣٩٣ والبرق الشامي ٣/ ٣٨.

(٧) في الكامل: وصل صلاح الدين إلى الرملة عازماً على أن يقصد بعض حصونهم ليحصره، فوصل إلى نهر، فازدحم الناس للعبور فلم يرعهم إلا والفرنج قد أشرفت عليهم..

السلطان وبعض العسكر، ولم يشعر إلا الفرنج قد طلعت عليه، فقاتلهم أشد القتال، وكان لتقي الدين بن شاهنشاه بن أيوب ولد اسمه أحمد من أحسن الشباب. أول ما تكاملت لحيتهُ، فقال له أبوه تقي الدين / ٧٠/ احمل على الفرنج وقاتلهم، فأثر فيهم أثراً جميلاً وعاد سالماً، فأمره أبوه بالعَوْد فقتل رجلاً من الإفرنج وقتل شهيداً، وتمت الهزيمة على المسلمين، وقاربت حملات الفرنج السلطان فولّى منهزماً إلى مصر، على البرية ومعه من سلم، ولقوا في طريقهم مشقةّ العطش، وهلك كثير من الدواب، وأخذت الفرنج العسكر الذين كانوا تفرقوا للإغارة وأسر الفقيه عيسى[١]. وكان من أكبر أصحاب السلطان فافتداه السلطان من الأسر بعد سنتين بستين ألف دينار، ووَصَلَ السلطان إلى القاهرة. قال الأمير[٢]: رأيت كتاباً بخط صلاح الدين إلى أخيه توران شاه نائبه بدمشق، فذكر له الموقعة وأوله[٣]: [الطويل]

ذكرتك والخطيّ يخطر بيننا وقد نَهَلت منّا المثقفةُ السمرُ

ويقول فيه لقد أشرفنا على الهلاك غير مرة، وما نجانا الله تعالى منه إلا لأمر يريده سبحانه وتعالى.

«وما ثبتت إلا وفي نفسها أمر».

وفيها: سار[٤] الفرنج وحصروا مدينة حماة في جمادى الأولى وطمعت الفرنج بسبب بعد صلاح الدين بمصر وهزيمته من الفرنج، ولم يكن غير توران شاه بدمشق ينوب عن أخيه صلاح الدين، وليس عنده كثير من العسكر، وكان توران شاه أيضاً كثير الانهماك في اللذات، مائلاً إلى / ٧١/ الراحات ولما حصروا حماة كان بها صاحبها شهاب الدين الحارمي. خال صلاح الدين وهو مريض، واشتدَّ حصار الفرنج لحماة وطال زحفهم عليها، حتى أنهم هجموا بعض أطراف المدينة[٥]. وكادوا يملكون البلد قهراً بالسيف، ثم جدّ المسلمون في القتال، وأخرجوا الفرنج إلى ظاهر السور، وأقام الفرنج كذلك على حماة أربعة أيام، ثم رحلوا عنها إلى حارم. وعقيب رحيلهم مات صاحبها

---

(١) عيسى الهكاري، كما في الكامل والشفاء، وفيهما: وأخوه الظهير.

(٢) الكامل ٩/ ١٤٢ نقلاً عن المختصر ٣/ ٦٠.

(٣) البيت لأبي العطاء السندي: الزهرة ٢٠٠.

(٤) المختصر ٣/ ٦٠ والخبر أيضاً في الكامل ٩/ ١٤٢ وشفاء القلوب ص٩٤ والشذرات ٤/ ٢٤٤ والبرق الشامي ٣/ ٥٢.

(٥) كذا في الأصل وكذلك في المختصر، وفي الكامل الذي ينقل عند أبو الفداء: وهجموا بعض الأيام على طرف منه.

شهاب الدين الحارمي، وكان له ابنٌ من أحسن الناس شباباً فمات قبله بثلاثة أيام.

وفيها[١]: قبض السلطان الصالح بن نور الدين صاحب حلب على سعد الدين كمشتكين، وكان قد تغلّب على الأمر، وكانت حارم لكمشتكين فأرسل الملك الصالح إليهم فلم يسلّموها إليه، فأمر كمشتكين أن يسلّمها، فأمرهم بذلك فلم يقبلوا منه، فأمر بتعذيب كمشتكين ليسلموا القلعة، فعذب وأصحابه يرونه لا يرحمونه. حتى مات في العذاب، وأَصَرَّ (الحال) بأصحابُهُ[٢] على الامتناع. ووصل الفرنج إلى حارم بعد رحيلهم عن حماة، وحصروا حارم أربعة أشهر، فأرسل الملك الصالح مالاً للفرنج وصالحهم فرحلوا عن حارم، وبلغ أهلها الجهد. وبعد أن رحل الفرنج عنها أرسل إليها الملك الصالح عسكراً وحصرها. فلم يبق بأهلها ممانعة فسلّموها إلى الملك الصالح، فاستناب بها مملوكاً كان لأبيه اسمهُ سرخك.

/ ٧٢/ وفيها: في[٣] المحرم خطب للسلطان طغريل بن ارسلان بن السلطان محمد بن السلطان ملكشاه المقيم ببلاد الدكز وكان أبوه ارسلان الذي تقدّم ذكره قد توفّي.

وفيها: في ذي الحجة قتل[٤] عضد الدين محمد بن عبد الله بن هبة الله وزير الخليفة وكان قد عبر دجلة عازماً على الحج فقتله الإسماعيلية وحمل مجروحاً إلى منزله فمات به، وكان مولده جمادى الأولى سنة أربع عشرة وخمسمائة.

وفي سنة أربع وسبعين:

طلب[٥] توران شاه من أخيه صلاح الدين بعلبك وكان السلطان أعطاها شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم لما سلّم دمشق إلى صلاح الدين فلم يمكن صلاح الدين منع أخيه عن ذلك، فأرسل إلى ابن المقدم ليسلم بعلبك، فعصى بها ولم يسلمها، فأرسل السلطان وحصر بعلبك فطال حصارها، فعُوّض عنها وتسلّمها السلطان فأقطعها أخاه توران شاه.

---

(١) المختصر ٣/ ٦٠ والخبر أيضاً في كامل ابن الأثير ٩/ ١٤٢ والبرق الشامي ٣/ ٥٠.

(٢) كذا في الأصل والمختصر، وفي الكامل: وأصرَّ أصحابُه.

(٣) المختصر ٣/ ٦٠، وانظر: كامل ابن الأثير ٩/ ١٤٣.

(٤) المختصر ٣/ ٦١، وانظر تفاصيل الخبر في الكامل ٩/ ١٤٣ والفخري ص٢٣٥ والنجوم الزاهرة ٦/ ٨١.

(٥) المختصر ٣/ ٦١ والكامل في التاريخ ٩/ ١٤٥، وفيه أن الذي طلبها من صلاح الدين شمس الدولة محمد بن أيوب.

وفيها: كان[١] بالبلاد غلاء عام وتبعه وباء عام.

وفيها: سيّر[٢] السلطان صلاح الدين ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه إلى حماة وابن عمه محمد شيركوه إلى حمص. وأمرهما بحفظ بلادهما فاستقر كل واحد منهما بحفظ بلاده.

وفي سنة خمس وسبعين:

سار[٣] صلاح الدين وفتح حصناً كان قد بناه الفرنج عند مخاضة الأحزان[٤] بالقرب من بانياس عند بيت يعقوب. وفي ذلك يقول / ٧٣/ علي بن محمد الساعاتي الدمشقي[٥]: [الطويل]

أتسكن أوطان النبيين عصبةٌ تمينُ لدى إيمانها وهي تحلفُ
نصحتكم والنصح للدين واجبٌ ذروا بيت يعقوبٍ فقد جاء يوسف

وفيها: كانت حرب[٦] بين عسكر السلطان صلاح الدين ومقدمهم ابن أخيه تقي الدين عمر وبيت عسكر قيلج[٧] أرسلان بن مسعود صاحب بلاد الروم، وسببها أن حصن رعبان[٨] كان بيد شمس الدين بن المقدم، فطمع[٩] فيه قيلج أرسلان وأرسل إليه عسكراً ليحصروه، وكانوا قرب عشرين ألفاً فسار إليهم تقي الدين في ألف فارس، هزهم، وكان تقي الدين[١٠] يقول: هزمتُ بألفٍ عشرين ألفاً.

وفيها: في[١١] ثاني ذي الحجة توفي المستضيء بأمر الله أبو محمد

---

(١) المختصر ٣/ ٦١ وانظر: الكامل ٩/ ١٤٥.

(٢) المختصر ٣/ ٦١ وانظر: الكامل ٩/ ١٤٥ وشفاء القلوب ص٩٥.

(٣) المختصر ٣/ ٦١ وانظر: الكامل ٩/ ١٤٧، وشفاء القلوب ص٩٥. والتفاصيل في مفرج الكروب ٢/ ٨٠ ونهاية الارب ٢٨/ ٣٩٥.

(٤) وفي معجم البلدان: بيت الأحزان وهو بلد بين دمشق والساحل.

(٥) علي بن محمد بن رستم بن هردوز، شاعر مكثر مجيد، ولد بدمشق، وقرأ بآمد على البديع الأسطرلابي، وتوفي بالقاهرة سنة ٦٠٤هـ. انظر: وفيات الأعيان ٣/ ٣٩٥ وشذرات الذهب ٥/ ١٣ وسير أعلام النبلاء ٥١/ ٣٧١، وانظر الأبيات في ديوانه ٤/ ٤٠٩.

(٦) المختصر ٣/ ٦١، وانظر الكامل ٩/ ١٤٨ وشفاء القلوب ص٩٦.

(٧) قليج أرسلان بن مسعود بن قيلج أرسلان السلجوقي صاحب الروم، توفي سنة ٥٨٨هـ. وانظر: النجوم ٦/ ١١٧ والبداية والنهاية ٢/ ٣٥٢.

(٨) حصن رعبان: بين حلب وسميساط قرب الفرات (ياقوت ـ رعبان).

(٩) في الأصل: طلع.

(١٠) الأصل: وكاسنجر يقول.

(١١) المختصر ٣/ ٦٢، الكامل ٩/ ١٤٨ وشذرات الذهب ٤/ ٢٥٠ ومرآة الجنان ٣/ ٤٠١ وتاريخ =

الحسن[١] ين يوسف[٢]، وكان قد حكم في دولته ظهير الدين أبو بكر منصور المعروف بابن العطار[٣] بعد قتل عضد الدين الوزير، فلما مات المستضيئ قام ظهير الدين بن العطار واخذ البيعة لولده الناصر لدين الله.

خلافة الناصر لدين الله بن المستضيء رابع ثلاثين خلفاء بني العباس[٤]:

ولما استقرت بيعة الناصر حكم أستاذ دار مجد الدين أبو الفضل، وقبض على ظهير الدين بن العطار في سابع ذي القعدة، ونقل إلى التاج[٥]، واخرج ظهير الدين المذكور ميتاً على رأس حمال ليلة الأربعاء ثاني عشر (ذي) القعدة / ٧٤/ فثارت به العامة وألقوه عن رأس الحمال. وشدّوا في ذكره حبلاً وجرّوه في البلد، وكانوا يضعون في يده مغرفة، يعني أنها قلم. وقد غمّست في العذرة. ويقولون: وقع لنا يا مولانا. هذا فعلهم به مع حسن سيرته وكفه عن أموالهم ثم خلص منهم ودفن.

وفيها: في ذي القعدة نزل[٦] توران شاه أخو صلاح الدين عن بعلبك فطَلبَ عوضها الإسكندرية، فأجابه السلطان صلاح الدين إلى ذلك واقطع بعلبك لعز الدين فرخشاه بن[٧] شاهنشاه بن أيوب، فسار فرخشاه إلى بعلبك وسار شمس الدولة توران شاه إلى الإسكندرية وأقام بها إلى أن مات.

وفي سنة ست وسبعين:

في ثالث صفر توفي[٨] سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي صاحب الموصل

= مختصر الدول ص٣٧٧ والنجوم الزاهرة ٦/ ٨٥.

(١) الحسن: مكررة في الأصل.

(٢) بعده في المختصر: المستنجد، وأمه أم ولد أرمنية، وكانت خلافته نحو تسع سنين وسبعة أشهر وكان مولده سنة ست وثلاثين وخمسمائة، وكان عادلاً حسن السيرة.

(٣) انظر خبر ابن العطار في الكامل ٩/ ١٤٨ وتاريخ مختصر الدول ص٣٧٨.

(٤) العنوان، وضعه المؤلف وما بعده نقلاً عن المختصر ٣/ ٦٢.

(٥) التاج: اسم لدار مشهورة واسعة ببغداد من دور الخلافة، أسسها المعتضد وأتمها ابنه المكتفي (ياقوت ـ التاج).

(٦) المختصر ٣/ ٦٢، وانظر الكامل ٩/ ١٤٩ والعسجد المسبوك ص١٧٦.

(٧) وتكتب فرّوخ شاه، عز الدين أبو سعد، أقطعه صلاح الدين بعلبك فسار إلى الكرك، فنهب وقتل، وفتح الشقيف، وكان شجاعاً سخياً، أديباً شاعراً، توفي بدمشق سنة ٥٧٨هـ. انظر: شفاء القلوب ص٢٣٣ ومرآة الزمان ٨/ ٣٧٢ والروضتين ٢/ ٣٣ والبداية والنهاية ١٢/ ٣١١ والنجوم الزاهرة ٦/ ٩٦ والشذرات ٤/ ٢٥٩.

(٨) المختصر ٣/ ٦٢، وانظر الكامل ٩/ ١٥٠ وتاريخ مختصر الدول ٣٧٩ والشذرات ٤/ ٢٥٧، ومرآة الجنان ٣/ ٤٠٤.

والديار الجزرية، وكان مرضه السلّ وطال. وكان عمره نحو ثلاثين سنة وكانت ولايته عشر سنين ونحو ثلاثة أشهر، وكان حسن الصورة، مليح الشباب، تام القامة، أبيض اللون، عاقلاً عادلاً عفيفاً شديد الغيرة لا يدخل بيته غير الخدم إذا كانوا صغاراً، فإذا كبر أحدهم منعه، وكان عفيفاً عن أموال الرعيّة مع شحّ كان فيه، وأوصى بالمملكة بعده إلى أخيه عز الدين مسعود بن مودود[١]. وأعطى جزيرة ابن عمر وقلاعها لولده سنجرشاه[٢]، فاستقر ذلك بعد موته حسبما قرره وكان مدبّر الدولة والحاكم فيها مجاهد الدين قيماز.

وفيها: سار[٣] السلطان صلاح الدين / ٧٥/ إلى جهة قليج أرسلان بن مسعود صاحب بلاد الروم ووصل إلى رعبان، ثم اصطلحوا، فقصد صلاح الدين إلى جهة بلاد ابن ليون[٤] الأرمني، وشنّ فيها الغارات، فصالحه ابن ليون على مال حمله وأسرى أطلقهم.

وفيها: توفي[٥] شمس الدولة توران شاه ابن أيوب أخوه صلاح الدين الأكبر في الإسكندرية، وكان له معها أكثر بلاد اليمن، ونوّابه هناك يحملون إليه الأموال من زبيد وعدن وغيرها، وكان أجود الناس وأسخاهم كفاً، يخرج كلّما يحمل إليه من الأموال الثمينة. ودخل الإسكندرية ومع ذلك فلما مات كان عليه مائتي ألف دينار مصرية، فوفّاها أخوه صلاح الدين عنه. ولما وصل إلى مصر هذه السنة في شعبان واستخلف بالشام ابن أخيه عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب صاحب بعلبك.

وفي سنة سبع وسبعين:

عزم[٦] البرنس[٧] صاحب الكرك على المسير إلى مدينة الرسول صلى عليه وسلم

---

(١) عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي، كان مقدم الجيوش أيام أخيه غازي انظر أخباره في وفيات الأعيان ٥/ ٢٠٣ والباهر ١٨١ والنجوم الزاهرة ٦/ ١٣٦ وعبر الذهبي ٥/ ٢٦٩ والشذرات ٤/ ٢٩٧.

(٢) سنجرشاه بن غازي، انظر ترجمته في الوافي ١٥/ ٤٧٢.

(٣) المختصر ٣/ ٦٢، وانظر الكامل ٩/ ١٥٠ والشذرات ٤/ ٢٥٤ وشفاء القلوب ص٩٧ ونهاية الارب ٢٨/ ٣٩٦.

(٤) ويكتب ابن لاوون، وهو روبين الثالث كما في: الشرق الأوسط والحروب الصليبية ص٧٧٨.

(٥) المختصر ٣/ ٦٢ وانظر خبر وفاته وترجمته في: الكامل ٩/ ١٥٢ والشذرات ٤/ ٢٥٥ وتاريخ مختصر الدول ص٣٧٩ وشفاء القلوب ٥٠ ومرآة الجنان ٣/ ٤٠٣ ووفيات الأعيان ١/ ٣٠٦.

(٦) المختصر ٣/ ٦٣، والخبر في الكامل ٩/ ١٥٢ ومفرج الكروب ٢/ ١٢٧ ونهاية الارب ٢٨/ ٣٩٦.

(٧) في الكامل: البرنس أرناط، كان من شياطين الفرنج ومردتهم وأشدّهم عداوة للمسلمين. ويعرف في المصادر والمراجع الأوربية باسم ريجنالد شاتيون ـ انظر الشرق الأوسط والحروب الصليبية ص٧٨٠.

والاستيلاء على تلك النواحي الشريفة وسمع بذاك عز الدين فرخشاه نائب عمه صلاح الدين في دمشق، فجمع وقصد بلاد الكرك وأغار عليها، وأقام في مقاتلة البرنس، ففرق البرنس جموعه، وانقطع عزمّه عن الحركة. وفيها: وقع[١] بين نواب توران شاه باليمن بعد موته اختلاف كثير، فخشي السلطان صلاح الدين، فجهز إلية جيشاً مع جماعة من أمرائه، فوصلوا إلى اليمن وأسرعوا واستولوا عليه، وكان نائب /٧٦/ توران شاه على عدن عز الدين عثمان بن الزنجبيلي وعلى زبيد حطان[٢] بن كامل بن منقذ الكناني، من بيت صاحب شيزر.

وفيها: في رجب توفي[٣] الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود بن زنكي ابن اقسنقر صاحب حلب وعمره نحو تسع عشرة سنة. ولما اشتدّ به مرض القولنج وصف له الأطباء الخمر، فمات ولم يستعمله، وكان حليماً عفيف اليد والفرج واللسان وملازماً لأمور الدين. لا يعرف شيئاً مما يتعاطاه الشباب، وأوصى بملك حلب إلى عمه عز الدين مسعود بن مودود ابن زنكي صاحب الموصل، فلما مات سار مسعود ومجاهد الدين قيماز من الموصل إلى حلب واستقرّ في ملكها، وكاتبه أخوه عماد الدين بن زنكي بن مودود صاحب سنجار في أن يعطيه حلب ويأخذ منه سنجار فأشار قيماز بذلك، فلم يمكن مسعود إلا موافقته، وأجاب إلى ذلك، فسار عماد الدين إلى حلب وتسلّمها، وسلم سنجار إلى أخيه مسعود وعاد مسعود إلى الموصل.

وفي سنة ثمان وسبعين:

خامس المحرم سار[٤] السلطان صلاح الدين عن مصر إلى الشام ومن عجيب الاتفاق أنه لما برز من القاهرة وخرجت أعيان الناس لوداعه أخذ كل يقول شيئاً في الوداع وفراقه وفي الجماعة معلّم لبعض أولاد السلطان، فأخرج رأسه بين الحاضرين وأنشد: [الوافر]

تمتعّ من شميم عرار نجدٍ   فما بعد العشيّة من عرار[٥]

(١) المختصر ٣/ ٦٣، وانظر الكامل ٩/ ١٥٣.

(٢) في الأصل: خطاب، والتصويب عن المختصر والكامل.

(٣) المختصر ٣/ ٦٣، وانظر الكامل ٩/ ١٥٣ والشذرات ٤/ ٢٥٨ وتاريخ مختصر الدول ص٣٧٩ ومرآة الجنان ٣/ ٤٠٧ والمغرب (قسم مصر) ص١٤٨ ومفرج الكروب ٢/ ١٠٦ والروضتين ٢/ ٢١ والعسجد المسبوك ص١٨٣ والنجوم الزاهرة ٦/ ٨٩ والبداية والنهاية ١٢/ ٣٠٨.

(٤) المختصر ٣/ ٦٣، وانظر الخبر في الكامل ٩/ ١٥٥ وشفاء القلوب ص٩٨ والعسجد المسبوك ص١٨٦ والنجوم الزاهرة ٦/ ٩١.

(٥) البيت للصمة بن عبد الله القشيري، وهو شاعر غزل بدوي من شعراء الدولة الأموية، الحماسة ص٣٧٣.

فتطير صلاح الدين وانقبض بعد انبساطه، وتنكد المجلس على الحاضرين /٧٧/ فلم يعد بعدها صلاح الدين إلى مصر مع طول المدة، وسار السلطان صلاح الدين وأغار في طريقه على بلاد الفرنج وغنم، ووصل إلى دمشق في حادي عشر صفر، ولما سار السلطان إلى الشام واجتمعت الفرنج قرب الكرك ليكونوا على طريقه، فانتهز فرخشاه ابن أخي السلطان الفرصة وسار إلى الشقيف بعساكر الشام وفتحه وغار على ما يجاوره من بلاد الفرنج، وأرسل إلى السلطان وبشّره بذلك.

وفيها: سيّر[١] السلطان أخاه سيف الإسلام طغتكين إلى بلاد اليمن ليملكها، ويقطع الفتن عنها، وكان بها حطان[٢] بن منقذ الكناني، وعز الدين عثمان الزنجبيلي. وقد عادا إلى ولايتها فإن الأمير الذي كان قد سيره السلطان نائباً إلى اليمن تولى وعزلهما ثم توفي فعاد بين حطان وعثمان الفتن قائمة، فوصل سيف الإسلام إلى زبيد، فتحصّن حطان في بعض القلاع، فلم يزل سيف الإسلام يتلطف به حتى نزل إليه، فأحسن صحبته. ثم إن حطان طلب دستوراً ليسير إلى الشام، فلم يجبه إلا بعد جهد فجهز حطان أثقاله قدامه ودخل حطان ليودع سيف الإسلام، فقبض عليه وأرسل استرجع أثقاله، وأخذ جميع ماله، وكان فيما أَخَذَه سيف الإسلام من حطان سبعين غلاف زردية مملوءة ذهباً عيناً، ثم سجن حطان في بعض قلاع اليمن فكان آخر العهد به. وأما عثمان /٧٨/ الزنجبيلي، فأنه لما جرى لحطان ذلك خاف وسار نحو الشام وسيّر أمواله في البحر، فصادفها مراكب سيف الإسلام فأخذوا كلما لعثمان الزنجبيلي وصَفَتْ اليمن لسيف الإسلام.

وفيها: سار[٣] السلطان صلاح الدين من دمشق في ربيع الأول ونزل قرب طبرية، وشن الإغارة على بلاد الفرنج مثل بيسان[٤] وجنين والغور، فغنم وقتل وعاد إلى دمشق. ثم سار إلى بيروت وحصرها وأغار على بلادها ثم عاد إلى دمشق، ثم سار إلى البلاد الجزرية وعبر الفرات[٥] من البيرة فصار معه مظفر الدين كوكبري ابن زين الدين علي كوجك[٦] بن بكتكين، وكان حينئذ صاحب حرّان وكاتب السلطان صلاح الدين ملوك

(١) المختصر ٣/ ٦٤، وانظر الكامل ٩/ ١٥٥ وشفاء القلوب ص١٩٨ والعسجد المسبوك ١٨٦ وتاريخ مختصر الدول ص٢١٨ والنجوم ٦/ ٨٣.
(٢) في الأصل خطاب، والتصويب عن مصادر الخبر.
(٣) المختصر ٣/ ٦٤، وانظر الكامل ٩/ ١٥٦ وشفاء القلوب ص١٠٠ ونهاية الارب ٢٨/ ٣٩٦.
(٤) في المختصر: بانياس.
(٥) في الأصل: الفراة.
(٦) في الأصل: كرجلي، وهو مظفر الدين بن زين الدين علي كوجك بن بكتكين، صاحب حران ثم =

تلك الأطراف واستمالهم، فأجابه نور الدين محمد بن قرا أرسلان صاحب حصن كيفا وصار معه وحاصر السلطان الرها وملكها وسلّمها إلى مظفر الدين كوكبري صاحب حرّان. ثم سار السلطان إلى الرقة وأخذها من صاحبها قطب الدين ينال بن حسان المنبجي، فسار معه إلى عز الدين مسعود صاحب الموصل، ثم سار السلطان إلى الخابور[1] وملك قرقيسياء[2] وماكسين[3] وعربان[4] واستولى على الخابور جميعه. ثم سار إلى نصيبين وحاصرها وملك المدينة، ثم ملك القلعة، وأقطع نصيبين أميراً كان معه يقال له أبو الهيجاء السمين. ثم سار عن نصيبين، وقَصَدَ الموصل، وقد استعدّ صاحبها عز الدين مسعود /٧٩/ ومجاهد الدين قيماز للحصار وشحنوها بالرجال والسلاح، فحصر صلاح الدين الموصل وأقام عليها منجنيقاً، فأقاموا من داخل المدينة تسعة مناجيق، وضايق الموصل، فنزل السلطان محاذياً باب كندة، ونزل صاحب حصن كيفا (على) باب الجسر. ونزل تاج الملوك بوري أخو صلاح الدين على باب العمادي، وجرى القتال بينهم، وكان ذلك في شهر رجب، فلما رأى حصارها يطول رحل عن الموصل إلى سنجار وحاصرها وملكها واستناب بها سعد الدين بن معين الدين أنز، وكان من أكابر الأمراء وأحسنهم صورة ومعنى، ثم سار السلطان إلى حرّان وعزل في طريقه أبا الهيجاء السمين عن نصيبين.

وفيها[5]: عمل البرنس صاحب الكرك[6] أسطولاً في بحر أيلة، وساروا في البحر فرقتين، فرقة أقامت على حصن أيلة يحصرونه، وفرقة سارت نحو عيذاب[7] يفسدون السواحل، وبغتوا المسلمين بتلك النواحي، فإنهم لم يعهدوا بذلك البحر فرنجياً قط، وكان بمصر الملك العادل أبو[8] بكر نائباً عن أخيه السلطان صلاح الدين فعمل أسطولاً في بحر عيذاب، وأرسله مع حسام الدين لؤلؤ الحاجب وهو متولي

= أربل توفي سنة ٦٣٠هـ بأربل، ترجمته في (وفيات الأعيان ٤/ ١١٣ والبداية والنهاية ١٣/ ١٣٦ والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٨٢).

(١) الخابور، نهر كبير بين رأس العين والفرات من أرض الجزيرة، عليه ولايات واسعة ومدن كثيرة (معجم البلدان ـ الخابور).

(٢) فرقيسياء، بلد على الخابور، وعندها يصب نهر الخابور في الفرات (معجم البلدان ـ فرقيسياء).

(٣) ماكسين: بلد بالخابور قرب رحبة مالك بن طوق في ديار ربيعة (معجم البلدان ـ ماكسين).

(٤) عربان: بليدة بالخابور من أرض الجزيرة (معجم البلدان ـ عربان).

(٥) المختصر ٣/ ٦٥، وانظر: الكامل ٩/ ١٥٩ ونهاية الارب ٢٨/ ٣١٧.

(٦) هو المعروف في المصادر العربية باسم أرناط وفي المصادر والمراجع الأوربية باسم ريجنالد شاتيون.

(٧) المقصود ميناء عيذان على البحر الأحمر. (٨) في الأصل: أبي.

الأسطول بمصر، وكان مظفراً فيه شجاعة، فسار حسام الدين مُجدّاً في طلبهم وأوقع بالذين يحاصرون أيلة فقتلهم وأسرهم، ثم سار في طلب الفرقة الثانية وكانوا قد عزموا على الدخول إلى الحجاز الشريف مكة والمدينة[١] حرسهما الله تعالى، وسار لؤلؤ يقفوا أثرهم، فبلغ رابغ[٢] فأدركهم / ٨٠/ بساحل الحوراء، وقاتلوا في البحر أشد قتال، وظفر الله تعالى المسلمين بهم. وقتل لؤلؤ أكثرهم وأخذ الباقين أسرى. وأرسل منهم ألفي رجل إلى منى ليسخّروا بها، وعادوا بالباقين إلى مصر، فقتلوا عن أخرهم.

وفيها[٣]: توفي عزّ الدين بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب صاحب بعلبك وكان ينوب عن صلاح الدين بدمشق. وهو ثقته من بين أهله. وكان فرخشاه شجاعاً كريماً فاضلاً وله شعر جيّد. ووصل خبر موته إلى صلاح الدين وهو في البلاد الجزرية، فأرسل إلى دمشق شمس الأئمة محمد بن عبد الملك المقدم ليكون بها، وأقرّ بعلبك على بهرام شاه بن فرخشاه المذكور.

وفي سنة تسع وسبعين:

ملك[٤] صلاح الدين حصن آمد بعد حصارٍ وقتال، في العشر الأول من المحرم وسلّمها إلى نور الدين محمد بن قرا أرسلان بن داود بن سقمان بن أرتق صاحب حصن كيفا، ثم سار إلى الشام وقصد تل خالد من أعمال حلب وملكها وسار إلى عين تاب، وحصرها، وبها ناصر الدين محمد أخو الشيخ إسماعيل الذي كان خازن نور الدين محمود بن زنكي، وكان قد سلّم نور الدين عين تاب إلى إسماعيل المذكور، فبقيت معه إلى الآن فحصرها وملكها بتسليم صاحبها إليه، فأقره صلاح الدين عليها، وبقي في جملة أمراء السلطان، ثم سار السلطان إلى حلب وحصرها، وبها عماد الدين زنكي بن مودود بن عماد الدين زنكي اقسنقر، فطال الحصار عليه، وكان قد كثرت اقتراحات أُمراء حلب وأهلها عليه، وقد كره حلب لذلك، / ٨١/ فأجاب السلطان صلاح الدين إلى تسليم حلب على أن يعوّض عنها سنجار ونصيبين والخابور والرّقة وسروج[٥]،

---

(١) عبارة المختصر: إلى الحجاز ومكة والمدينة.

(٢) في الأصل: رابض.

(٣) المختصر ٣/ ٦٥، وانظر: الكامل ٩/ ١٦٠ والعسجد المسبوك ص١٨٧ والروضتين ٢/ ٣٣ والبداية والنهاية ١٢/ ٣١١ والنجوم الزاهرة ٦/ ٩٣ والشذرات ٤/ ٢٦٢.

(٤) المختصر ٣/ ٦٦ وانظر: الكامل ٩/ ١٦١ وشفاء القلوب من ١٠٧، تاريخ مختصر الدول ٣٨٠ والمغرب (قسم مصر) ص١٥٠.

(٥) سروج: مدينة قريبة من حران من ديار مصر (معجم البلدان ـ سروج).

واتفقوا على ذلك، وسلّم حلب إلى السلطان في صفر هذه السنة، فكان أهل حلب ينادون على عماد الدين: يا حمار بِعْتَ حَلَبْ بسنجار، وشرط السلطان على عماد الدين زنكي الحضور إلى خدمته بنفسه، وعسكره متى استدعاه لا يحتج بحجة عن ذلك، ومن عجيب الاتفاق أن محيي الدين بن الزكي[(١)] قاضي دمشق، مدح السلطان بقصيدة منها: [الطويل]

وفتحكم حلباً بالسيف في صفر مبشّر[(٢)] بفتوح القدس في رجبِ

فوافق فتح القدس في رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، وكان من جملة من قُتل على حلب تاج الدين بوري أخو السلطان الأصغر، وكان شجاعاً كريماً طعن في ركبته فانفكت، فمات منها.

ولمّا استقر الصلح عمل زنكي دعوة للسلطان، واحتفل فيها، فبيناهم في سرورهم إذْ جاء إنسان فأسرّ للسلطان بموت أخيه بوري، فوَجَد عليه في قلبه وجداً عظيماً وأمر بتجهيزه سرّاً، ولم يعلم السلطان في ذلك الوقت أحداً ممن كان في تلك الدعوة لئلا يتنكّد عليهم ما هم فيه، وكان السلطان يقول: ما وقعت علينا حلب رخيصة بموت بوري، وكان هذا من السلطان من الصبر العظيم.

ولما ملك السلطان حلب أرسل إلى حارم وبها سَرْخِك الذي ولاّه الملك الصالح بن نور الدين في تسليم حارم، وجرت[(٣)] / ٨٢/ بينهما مراسلات، فلم ينتظم بينهما حال، وكاتب سرخك الفرنج، فوثب عليه أهل القلعة، وقبضوا عليه[(٤)] وسلّموا حارم إلى السلطان، فتسلّمها وقرّر أمر بلاد حلب، واقطع أعزاز أميراً يقال له سليمان بن جندر[(٥)].

وفيها[(٦)]: لما فرغ السلطان من تقرير أمر حلب جعل فيها ولده الملك الصالح[(٧)] غازي وسار إلى دمشق وتجهز منها للغزو وعبر نهر الأردن تاسع جمادى الآخرة من هذه

---

(١) هو محمد بن علي بن محمد بن يحيى، أبو المعالي، محيي الدين المعروف بابن زكي الدين، قاضي قضاة دمشق وأعمالها، كان أديباً شاعراً من الكتاب المترسلين، توفي سنة٥٩٨هـ (وفيات الأعيان النجوم الزاهرة ٦/ ١٨١).

(٢) الأصل: مبشراً، والبيت في شفاء القلوب ص١٠٦ والكامل ٩/ ١٦٢.

(٣) الأصل: جرى، والتصويب عن المختصر.

(٤) الأصل: قبضوه، والتصويب عن المختصر.

(٥) سليمان بن جندر من أكابر أمراء حلب شهد مع صلاح الدين حروبه كلها ومات سنة ٥٨٧هـ النجوم الزاهرة ٦/ ١١٣ السلوك ١/ ١٠٧.

(٦) المختصر ٣/ ٩٧ وكامل ابن الاثير ٩/ ١٥٦ ومفرج الكروب ٢/ ١٤٨ ونهاية الارب ٢٨/ ٣٩٨.

(٧) كذا في الأصل، وهو في المختصر: الظاهر غازي.

السنة، وأغار على بيسان وأحرقها، وشنَّ الإغارة على تلك النواحي، ثم تجهز السلطان إلى الكرك، وأرسل إلى أخيه العادل أبي بكر بمصر يأمره أن يلاقيه إليها فسارا جميعاً عليها[١]، وحصر الكرك وضيّق عليها، ثم رحل عنها في منتصف شعبان وسار معه أخوه العادل، وأرسل السلطان ابن أخيه الملك المظفر تقي الدين عمر إلى مصر نائباً له موضع العادل، ووصل السلطان إلى دمشق وأعطى أخاه[٢] العادل مدينة حلب وقلعتها وأعمالها، وسيّرهُ إليها في شهر رمضان، وأحضر ولده الظاهر[٣] منها إلى دمشق.

وفيها[٤]: توفي شاه أرمن بن سكمان بن ظهير الدين إبراهيم بن سكمان القطبي صاحب خلاط، وكان عمره لما توفي أربعاً وستين سنة، ولما توفي شاه أرمن كان بكتمر مملوك أبيه بميافارقين، فلما سمع بكتمر بموته سار من ميافارقين إلى خلاط، وكان أهلها يريدونه، ومماليك شاه أرمن / ٨٣/ متفقين معه، فأول وصوله تملّك خلاط وجَلَس على كرسي شاه أرمن، واستقرّ في مملكة خلاط حتى قتل سنة تسع وثمانين.

وفي سنة ثمانين وخمسمائة:

سار[٥] أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ملك العرب إلى بلاد الأندلس وعبر البحر في جمع عظيم من عساكره، وقصد بلاد الفرنج وحصر شنترين من غرب الأندلس، وأصابه مرض فمات منه في ربيع الأول، وحمل في تابوت إلى مدينة إشبيلية، وكان حسن السيرة، واستقامت له المملكة لحسن تدبيره ولما مات بايع الناس ولده يعقوب بن يوسف، وكنيتُهُ أبو يوسف، وملّكوه عليهم، في الوقت الذي مات فيه أبوه لئلا يكونوا بغير ملك يجمع كلمتهم لقربهم من العدوّ، فقام يعقوب بالملك أحسن قيام، وأقام راية الجهاد، وأحسن السيرة.

وفيها: في ربيع الآخر سار[٦] السلطان صلاح الدين من دمشق للغزاة، وكتب

---

(١) بعده في الكامل ٩/ ١٦٤: وكان العادل قد أرسل إلى صلاح الدين يطلب منه مدينة حلب وقلعتها: فأجابه إلى ذلك، وانظر كذلك شفاء القلوب ص١٠٨.

(٢) الأصل: أخوه.

(٣) الملك الظاهر غازي، وفي الكامل: وهو وصبي، فجعل معه الأمير سيف الدين يازكج وكان من أكبر الأمراء الأسدية، وفي شفاء القلوب ص١٠٨ أن العادل أعطى الظاهر ثلثمائة ألف دينار عوض حلب.

(٤) المختصر ٣/ ٦٧ والكامل ٩/ ١٩٧ والمغرب (قسم مصر) ص١٥١.

(٥) المختصر ٣/ ٦٧ وانظر: الكامل ٩/ ١٦٥ وانظر عن أبي يعقوب وخبر وفاته أيضاً مرآة الجنان ٣/ ٤١٧.

(٦) المختصر ٣/ ٦٨ وانظر: الكامل ٩/ ١٦٥ وشفاء القلوب ص١١٤ ومفرج الكروب ٢/ ١٤٨ ونهاية الارب ٢٨/ ٣٩٨.

إلى مصر فسارت عساكره إليها، ونازل الكرك، وضيّق عليه وملك رِبْضَهُ، وبقيت القلعة، وليس بين القلعة والربض إلاّ خندق حسب، وقصد السلطان طَمَّهُ فلم يمكنه لكثرة المقاتلة فجمعت[١] الفرنج فارسها وراجلها، وقصدوه، فلم يمكن السلطان إلاّ الرحيل، فرحل «عن الكرك وسار»[٢] إليهم، فأقاموا في أماكن وعرة، وأقام السلطان قبالتهم، وسار من الفرنج جماعة ودخلوا الكرك، فعلم ما امتناعه عليهم، فسار إلى نابلس[٣]، وأحرقها ونهب ما يتلك النواحي، وقَتَل وسبى فأكثر، فسار إلى صبصطية[٤]، / ٨٤/ وبها مشهد زكريا فاستنقذ من بها من أسرى المسلمين، ثم سار إلى جنين وعاد إلى دمشق.

وفيها[٥]: مات قطب الدين إيلغازي[٦] بن نجم الدين أَلْبي بن تمرتاش بن إيلغازي ابن ارتق صاحب ماردين، وقد تقدم في سنة سبع وخمسمائة ملك ألبي تمرتاش، وبقي ألبي في ملك ماردين حتى مات وملك ولده قطب الدين إيلغازي، ولما مات إيلغازي المذكور كان له أولاد أطفال، فأقيم في الملك بعده ولده حسام الدين بولق أرسلان، وقام بتدبير المملكة مملوك والده نظام الدين البقش حتى كبر بولق أرسلان، وكان به هوج وخبط، فمات بولق «أرسلان»[٧] وأقام البقش بعده أخاه «الأصغر»[٨] أرتق أرسلان[٩] ولقبه ناصر الدين، ولم يكن له حكم بل الحكم إلى البقش وإلى مملوك لألبقش اسمه لؤلؤ، وكان قد تغلّب على أستاذه البقش، بحيث كان لا يخرج البقش عن رأي لؤلؤ المذكور، وبقي الأمر كذلك إلى سنة إحدى وستمائة، فمرض النظام البقش، وأتاه ناصر الدين صاحب ماردين يعوده، فلما خرج من عنده خرج معه لؤلؤ، فضربه ناصر الدين بسكين فقتله وعاد إلى البقش فضربه بسكين قتله

---

(١) في شفاء القلوب والكامل: فلما عجز الفرنج أرسلوا يستمدون الملك، فجمع فارسهم وراجلهم، فلما بلغ السلطان رحل عن الكرك.

(٢) ما بين قوسين سقط من الأصل، والتكملة عن المختصر.

(٣) في الشفاء: بانياس.

(٤) وتكتب: سبسطية وهي بلدة من نواحي فلسطين (معجم البلدان ـ سبطية).

(٥) المختصر ٣/ ٦٨ والكامل ٩/ ١٦٦.

(٦) وصف بالعدل والشجاعة، وقد ملك ماردين مدة طويلة، انظر ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٠/ ٢٦ والكامل ٩/ ١٦٦ ومرآة الزمان ١/ ٣٨٣ والشذرات ٤/ ٢٦٨.

(٧) التكملة عن المختصر.

(٨) التكملة عن المختصر.

(٩) أرتق أرسلان، وصف بالعدل وحسن السيرة، قتله فيما بعد مماليكه سنة ٦٣٦هـ بمواطأة من ولد ولدِهِ، انظر: الوافي ٨/ ٣٣٦، وتاريخ مختصر الدول ص٣٨٢.

أيضاً، واستقلّ ناصر الدين أرتق أرسلان بملك ماردين من غير منازع.

وفيها[١]: سار الشيخ صدر الدين عبد الرحيم[٢] من عند الخليفة إلى صلاح الدين في رسالة ومعه شهاب الدين بشير الخادم، ليصلحا بين السلطان صلاح الدين وبين عز الدين مسعود صاحب الموصل، فلم ينتظم / ٨٥/ حال، واتفق أنهما مرضا بدمشق وطلبا المسير إلى العراق، وسارا في الحرّ فمات بشير بالسخنة[٣]، ومات صدر الدين شيخ الشيوخ بالرحبة[٤]، ودفن بمشهد البوق[٥]، وكان أوحد زمانه، وقد جمع بين رئاسة الدين والدنيا.

وفيها: في المحرم أطلق[٦] عز الدين مسعود صاحب الموصل مجاهدَ الدين قيماز من الحبس وأحْسَنَ إليه.

سنة إحدى وثمانين إلى سنة تسعين وخمسمائة

في سنة إحدى وثمانين:

حصر[٧] السلطان صلاح الدين الموصل، وهو حصاره الثاني، فأرسل إليه عز الدين مسعود والدته «وابنه عمه»[٨] نور الدين محمود بن زنكي وغيرهما من النساء يطلبون منه ترك الموصل وما بأيديهم، فردّهم، واستقبح الناس ذلك من صلاح الدين لا سيما والشفعاء بنت نور الدين وأخوها ووالدة عز الدين[٩]، وحاصر الموصل وضايقها وبلغه وفاة شاه أرمن صاحب خلاط في ربيع الآخرة هذه السنة[١٠]، فسار عن الموصل إلى جهة خلاط وملكها.

---

(١) المختصر ٣/ ٦٨ والخبر في الكامل ٩/ ١٦٧.

(٢) كذا في الأصل والمختصر، وهو عبد الرحمن بن إسماعيل بن أبي سعيد أحمد، صدر الدين أبو القاسم بن أبي البركات، شيخ الشيوخ النيسابوري ثم البغدادي، من العلماء الزهاد، الأدباء الشعراء، ذوي الرأي، انظر ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٨/ ١٢١، وكامل ابن الأثير ١٩/ ١٦٧ والسلوك ١/ ١/ ٨٤ والنجوم الزاهرة ٦٥/ ٩٧ و ٩٨ و ٢٠٤ وهو فيه عبد الرحيم.

(٣) السُّخْنة: بلدة في برية الشام بين تدمر وأرك وعُرض. يسكنها قوم من العرب (معجم البلدان ـ سخنة).

(٤) الرحبة، من قرى دمشق (معجم البلدان ـ رحبة دمشق).

(٥) مشهد البوق، قرب رحبة مالك بن طوق، (معجم البلدان ـ بوق).

(٦) المختصر ٣/ ٦٨.

(٧) المختصر ٣/ ٦٩ وانظر: الكامل ٩/ ١٦٧ وتاريخ مختصر الدول ص٣٨٢ وشفاء القلوب ص١١٤ ومرآة الجنان ٣/ ٤١٨ والمغرب (قسم مصر) ص١٥١.

(٨) الأصل وابن عمه، والتصويب عن المختصر، ومصادر الخبر.

(٩) في المختصر: لا سيما وفيهن بنت نور الدين محمود.

(١٠) شفاء القلوب ص١١٤، وفيه: وكتب مقدّموها (خلاط) يطلبونه، فشاور في الأمر، فأشاروا عليه بقصدها.

وفيها: توفي[١] نور الدين محمد بن قرا أرسلان بن داود بن سقمان بن أرتق صاحب حصن كيفا وآمد، ملك بعده ولده قطب الدين سقمان، وكان صغيراً فقام بتدبيره القوام بن سماقا الأسعردي، وحضر سقمان إلى السلطان صلاح الدين وهو نازل على ميافارقين، فأقرّه على ما كان بيد والده نور الدين محمد بن قرا أرسلان، /٨٦/ وأقام معه أميراً من أصحاب والده.

ملك صلاح الدين ميافارقين[٢]:

لما سار السلطان عن الموصل إلى خلاط، جعل طريقه على ميافارقين، وكانت لصاحب ماردين الذي توفي، وبها من يحفظها من جهة شاه أرمن صاحب خلاط المتوفى، فحاصرها السلطان وملكها في سلخ جمادى الأولى، ثم إن السلطان رجع عن قصد أخلاط إلى الموصل، فجاءته رسل عز الدين مسعود، يسأل الصلح، واتفق إنّ السلطان مرض ورجع من كفر زمّار[٣] إلى حرّان، فلحقته رسل صاحب الموصل بالإجابة إلى ما طلب وهو أن يسلم صاحب الموصل إلى السلطان شهرزور[٤] وأعمالها، وولاية القرابلي وجميع ما وراء الزاب، وأن يخطب للسلطان صلاح الدين على جمع منابر الموصل، وان يُضرب اسمه على الدراهم والدنانير، وتسلم السلطان ذلك، واستقرّ الصلح، وأمنت البلاد، ووصل السلطان حرّان، وأقام بها مريضاً، واشتدَّ به المرض، حتى أنهم أيسوا منه ثم إنه عوفي، وعاد إلى دمشق في المحرّم سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة.

ولما اشتدَّ مرض السلطان سار ابن عمه محمد بن شيركوه صاحب حمص إلى حمص وكاتب بعض أكابر دمشق في أن يسلموا إليه دمشق إذا مات السلطان.

وفيها[٥]: ليلة عيد الأضحى شرب بحمص صاحبها ناصر الدين /٨٧/ محمد بن شيركوه بن شاذي، فأصبح ميتاً، قيل إن السلطان صلاح الدين دَسَّ عليه مَنْ سقاه سمّاً فمات لما بَلَغَهُ مكاتبة أهل دمشق في مرضه، ولما مات أقرّ السلطان حمص وما بيد

---

(١) المختصر ٣/ ٦٩، وانظر: كامل ابن الأثير ٩/ ١٦٩.

(٢) المختصر ٣/ ٦٩، وانظر: الكامل ٩/ ١٦٩ والعسجد المسبوك ص١٩٤.

(٣) كفر زمّار، بلدة قرب الموصل (معجم البلدان).

(٤) شهرزور: كورة واسعة بين أربل وهمدان (معجم البلدان).

(٥) المختصر ٣/ ٦٩ وانظر خبر وفاة محمد بن شيركوه وترجمته في: الكامل ٩/ ١٧٠ والشذرات ٤/ ٢٧٣ والعسجد المسبوك ص١٩٥ والبداية والنهاية ١٢/ ٣١٦ والنجوم الزاهرة ٦/ ٩٩ والوافي بالوفيات ٣/ ١٥٤.

محمد على ولده شيركوه، وعمره اثنا عشر سنة، وخلّف صاحب حمص شيئاً كثيراً من الدواب والآلات وغيرها، فاستعرضها السلطان عند نزوله بحمص في عودته من حرّان، وأخذ أكثرها، ولم يترك إلاّ ما لا خير فيه.

وفي سنة اثنتين وثمانين:

أَحْضر(١) السلطان ولده الملك الأفضل(٢) من مصر وأقطعه دمشق، وسببه: أن الملك المظفر تقي الدين عمر ابن أخي السلطان كان نائب عمه بمصر، ومعه الملك الأفضل فأرسل الملك المظفر يشتكي من الأفضل: أنني لا أتمكّن من استخراج الخراج لأنني إذا أحْضَرْتُ مَنْ عليه الخراج وأردتُ عقوبته يطلقه الملك الأفضل، فأخرج السلطان ولده من مصر، وأقطعه دمشق، وتغيّر السلطان على تقيّ الدين في الباطن لأنه ظنّ أنّه أخرج الأفضل من مصر ليتملّكها إذا مات السلطان، ثم أحْضر أخاه العادل من حلب، وجعل معه العزيز عثمان(٣) ولده نائباً عنه بمصر واستدعى تقي الدين من مصر، فتوقّف عن الحضور، وقصد اللحوق بمملوكه قراقوش المستولي على بلاد برقة وإفريقية من المغرب، وبلغ السلطان ذلك فساءه، وأرسل يستدعي تقي الدين ويلاطفه، فحضر إليه ولما حضر تقي الدين عند السلطان زادهُ حماة وعليها(٤) منبج والمعرّة(٥)، /٨٨/ وكفر طاب(٦) وميافارقين وجبل جور(٧) بجميع أعمالها، واستقر العزيز عثمان ولد السلطان بمصر هو والعادل.

---

(١) المختصر ٣/ ٧٠ وانظر: الكامل ٩/ ١٧٢ والعسجد المسبوك ص١٩٧.

(٢) الأصل، نور الدين علي وهو أكبر أولاد صلاح الدين، ولد بمصر سنة ٥٦٥هـ، وسمع الحديث، واستقل بدمشق بعد وفاة أبيه، ثم أخذها من عمه العادل وأخوه العزيز وأعطياه صرخد، مات بسمياط من٦٢٢هـ، وفيات الأعيان ٣/ ٤١٩ وذيل الروضتين ص١٤٥ ومرآة الزمان ٦٣٧ وعبر الذهبي ٤/ ٦١ والشذرات ٥/ ١٠١.

(٣) الملك العزيز، عماد الدين عثمان. ولد بمصر سنة ٥٦٧هـ. استقل بمصر بعد وفاة أبيه ومات بها سنة ٥٩٥هـ وصف بأنه كان كريماً محسناً سمع الحديث بالإسكندرية وبمصر، ويقال إن والده كان يؤثره. انظر: وفيات الأعيان ٣/ ٢٥١، مرآة الزمان ٤٦٠، ذيل الروضتين ١٦ والسلوك ١/ ١١٤ والنجوم الزاهرة ٦/ ١٢٠ والعبر ٤/ ٢٨٧ والشذرات ٤/ ٣١٩.

(٤) في المختصر: زاده على حماة منبج.

(٥) المعرة: مدينة كبيرة بين حلب وحماة، وهي من أعمال حمص (معجم البلدان ـ معرة النعمان).

(٦) كفر طاب، بلدة بين المعرة ومدينة حلب في بريّة معطشة ليس لهم ماء إلا ما يجمعونه من مياه الأمطار في صهاريج)معجم البلدان ـ كفر طاب).

(٧) جبل جور: اسم لكورة كبيرة متصة بديار بكر من نواحي أرمينية، أهلها نصارى أرمن وفيها قلاع وقرى (معجم البلدان ـ جبل جور).

ولما أخذ السلطان حلب من أخيه العادل عوّضه عنها حرّان والرها.

وفيها: غَدَر[١] البرنس صاحب الكرك، وأخذ قافلة عظيمة من المسلمين وأسرهم، وأرسل السلطان يطلب منه إطلاقهم بحكم الهدنة التي كانت بينهم على ذلك فلم يفعل، فنذر[٢] السلطان أنّه أن ظفر الله به قتله بيده.

وفيها: توفي البهلوان[٣] محمد بن الدكز صاحب بلد الجبل همدان والري وأصفهان وأذريبجان وأرانية، وغيرها من البلاد، وكان عادلاً حسن السيرة.

وملك البلاد بعده أخوه قزل[٤] أرسلان «واسمه»[٥] عثمان، وكان السلطان طغريل بن محمد بن ملكشاه السلجوقي مع البهلوان، وله الخطبة في بلاده، وليس له من الأمر شيء، فلما مات البهلوان خرج طغريل عن حكم قزل، وكثر جمعه واستولى على بعض البلاد، وجرى بينه وبين قزل أرسلان حروب.

وفي سنة ثلاث وثمانين:

كانت مبادئ غزوات صلاح الدين وفتوحه ففيها جمع السلطان العساكر، وسار[٦] بفرقةٍ من العسكر، وضايق الكرك، خوفاً على الحجاج من صاحب الكرك، وأرسل فرقة أخرى مع ولده الملك الأفضل، فأغاروا على بلاد عكا وتلك الناحية، وغنموا شيئاً كثيراً، ثم سار السلطان ونزل على طبرية وحصر مدينتها وفتحها عنوةً بالسيف، /٨٩/ وتأخرت القلعة، وكانت طبرية للقومص[٧] صاحب طرابلس وكان قد هادن السلطان، ودخل في طاعته، فأرسلت الفرنج إلى القومص القسوس والبطرك ينهونه على موافقة السلطان ويوبخّونه، فصار معهم، واجتمع الفرنج لملتقى السلطان

---

(١) المختصر ٣/ ٧١، وانظر الكامل ٩/ ١٧٤ واسمه فيه: البرنس أرناط.

(٢) في الأصل: فأنذر.

(٣) المختصر ٣/ ٧٠ وانظر: الكامل ٩/ ١٧٣، والشذرات ٤/ ٢٦٩ والعسجد المسبوك ص١٩٨ والمغرب (قسم مصر) ص١٥٢ وتاريخ مختصر الدول ص٣٨٢.

(٤) قزل أرسلان، ولي بعد أخيه وسار إلى أصفهان حيث الفتن بين المذاهب، فقبض على جماعة من الشافعية وصلب بعضهم. وقتل غيلة على فراشه سنة ٥٨٧هـ. (الوافي بالوفيات ٢٤/ ٢٤٠ وعبر الذهبي ٤/ ٢٦٢ والشذرات ٤/ ٢٨٩).

(٥) التكملة عن المختصر.

(٦) المختصر ٣/ ٧١ والكامل ٩/ ١٧٥ وشفاء القلوب ص١١٨ ونهاية الارب ٢٨/ ٣٩٨.

(٧) القومص: تعريب حرفي للفظة اللاتينية (Comes) أي الأمير، ومعناها الأصلي في اللاتينية (الرفيق) لأنه كان في بادئ الأمر يرافق الملك في حروبه وتنقلاته ثم سمي الأمير (مفرج الكروب ١/ ٧٣ هامش ١.

فكانت وقعة حطين[١] وهي الوقعة العظيمة التي فتح الله بها الساحل وبيت المقدس.

لما فتح السلطان طبرية اجتمعت الفرنج بفارسهم وراجلهم وساروا إلى السلطان، فركب السلطان من طبرية وسار إليهم يوم السبت لخمس بقين من ربيع الآخر، والتقى الجمعان.

واشتدَّ بينهم القتال، فلما رأى القومص شدّة الأمر حمل على من قِبلِهِ من المسلمين وكان هناك تقي الدين عمر صاحب حماة، فأفرج له ثم عطف عليه، فقتل ألف فارس من أصحابه، ونجا القومص من المعركة ووصل إلى طرابلس، وبقي مدة ومات غبناً، ونصر الله المسلمين، وأحدقوا بالفرنج من كل جانب، وأبادوهم قتلاً وأسراً، وكان من جملة من أسر ملك الفرنج الكبير[٢] والبنس أرناط صاحب الكرك، وصاحب جبيل «والهنفري بن الهنفري»[٣] ومقدم الدويّة[٤]، وجماعة من الاسبتارية[٥]، وما أصيب الفرنج من حين خرجوا إلى الشام وهي سنة إحدى وتسعين وأربعمائة بمصيبةٍ مثل هذه الوقعة، ولما انقضى المصاف جلس السلطان، واحضر ملك الفرنج وأجلسه إلى جانبه، /٩٠/ وكان الحر والعطش به شديداً فسقاه ماءً مثلوجاً، فسقى ملك الفرنج منه البرنس أرناط صاحب الكرك، فقال له السلطان: إن هذا الملعون لم يشرب الماء بإذني فيكون أماناً له، ثم كلّم السلطان البرنس ووبّخهُ وقرّعه على غَدْرِهِ، وقصده الحرمين الشريفين، وقام السلطان بنفسه لضرب عنقه بيده فارتعدت فرائص ملك الفرنج فسكّنه السلطان.

ثم عاد السلطان إلى طبريّة وفتح قلعتها بالأمان، ثم سار إلى عكا وحاصرها وفتحها بالأمان، ثم أرسل أخاه الملك العادل محاصر مجدل يابا[٦] وفتحه عنوة بالسيف ثم فرّق السلطان عساكره، ففتحوا الناصرة[٧] وقيسارية[٨]

---

(١) انظر عن وقعة حطين: الكامل ٩/ ١٧٨ وشفاء القلوب ص١١٨ والشذرات ٤/ ٢٧٤.

(٢) بعدها في الكامل وأخوه، وفي الشفاء: الملك جفري وأخوه كابي.

(٣) كذا في الأصل، وفي المختصر (ابن الهنفري) وكذلك في كامل ابن الأثير وشفاء القلوب ص١٢٠.

(٤) كذا في الأصل، وهم الداوية، وهم نوع من الفرنج يحبسون أنفسهم لجهاد المسلمين ويمنعون أنفسهم عن النكاح وغيره ينسبون إلى حصن حصين بنواحي الشام (معجم البلدان ـ الحصين).

(٥) الاسبتار: جماعة من فرسان الصليبيين حبسوا أنفسهم على حرب المسلمين.

(٦) كذا اسمه في الأصل المختصر وكامل ابن الأثير، وفي شفاء القلوب: لم يحضر العادل هذا الفتح لأنه كان بمصر، فجاء وفتح مجدل ويافا، ثم مضى العادل إلى مصر.

(٧) الناصرة: قرية بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلاً (معجم البلدان ـ الناصرة).

(٨) قيسارية: بلد على ساحل البحر الشامي (البحر الأبيض المتوسط) من أعمال فلسطين (معجم البلدان ـ قيسارية).

وحيفا[١] و صفورية[٢] ومعليا[٣] والفولة[٤] وغيرها من البلاد المجاورة لعكا بالسيف، وغنموا وقتلوا وأسروا أهل هذه الأماكن.

وأرسل فرقة إلى نابلس ففتحوا قلعتها بالأمان، ثم سار الملك العادل بعد فتح مجدل يابا إلى يافا وفتحها بالسيف، وسار السلطان إلى تبنين[٥] وفتحها بالأمان، ثم سار السلطان الملك الناصر صلاح الدين صيدا[٦] فأخلاها صاحبها وتسلّمها السلطان ساعة وصوله لسبع بقين من جمادى الأولى هذه السنة، ثم سار إلى بيروت وحصرها وتسلّمها في التاسع والعشرين من جمادى الأولى بالأمان، وكان حصرها مدة ثمانية أيام، وكان صاحب جُبيل من أعظم الفرنج وأشدّهم عداوة للمسلمين، ولم تكن عاقبة إطلاقه / ٩١/ حميدة وأرسل السلطان من تسلّم جبيل وأطلقه[٧].

وفيها: حضر[٨] المركيس في سفينة إلى عكا وهي للمسلمين، ولم يعلم المركيس بذلك واتفق هجوم[٩] الهواء، فراسل المركيس الملك الأفضل، وهو بعكا يقترح أماناً[١٠]، فكتب له الملك الأفضل أماناً فردّه يشترط فيه شروطاً، فأجيب إليها «فراسل الملك الأفضل يعلمه أن يدوس بساطه في يوم معلوم فيصير عليه الملك الأفضل»[١١]، فاتفق في ذلك اليوم تحرك الهواء، فأقلع المركيس إلى صور واجتمعت عليه الفرنج الذين بها، وملك صور، وكان وصول المركيس إلى صور وإطلاق الفرنج الذين أخذ السلطان بلادهم بالأمان ويطلقهم من أعظم أسباب الضرر التي حصلت حتى راحت عكا، وقوي الفرنج بذلك.

ثم سار السلطان إلى عسقلان وحاصرها أربعة عشر يوماً وتسلّمها بالأمان، سلخ

---

(١) في الأصل والمختصر: هيفاء (بالهاء) وهي حيفاتا في مصادر الخبر الأخرى.
(٢) صفورية، قرية في نواحي الشام، قرب طبرية (معجم البلدان ـ صفوية).
(٣) في الأصل والمختصر: معلثا، ومعلية من نواحي الأردن بالشام (معجم البلدان ـ معليا).
(٤) الفولة ـ بلدة بفلسطين من نواحي الشام، (معجم البلدان ـ الفولة).
(٥) تبنين: بلد في جبال بني عاملة المطلّة على بلد بانياس بين دمشق وصور (معجم البلدان ـ تبنين).
(٦) في كامل ابن الأثير ٩/ ١٨٠ أنه أخذ في طريقه إليها صرفند فأخذها صفواً عفواً بغير قتال.
(٧) كان صاحب جبيل أسيراً في دمشق. فتحدث مع نائب صلاح الدين بدمشق في تسليم جبيل على شرط إطلاقه (الكامل ٩/ ١٨٠ وشفاء القلوب ص١٢٥).
(٨) المختصر ٣/ ٧٢ وانظر تفاصيل الجزء الكامل ٩/ ١٨١.
(٩) كذا في الأصل المختصر، وفي الكامل: فلم يمكنه الحركة لعدم الريح.
(١٠) في المختصر ٣/ ٧٢: يقترح أمراً بعد آخر والملك الأفضل يجيب المركيس إلى ذلك.
(١١) ما بين قوسين لم يرد في المختصر.

جمادى الآخرة، ثم بث السلطان عسكره ففتحوا الرملة والدارون[١] وغزّة وبيت لحم وبيت جبريل[٢] والنطرون[٣] وغير ذلك.

ثم سار السلطان ونازل القدس، وبه من النصارى عدد يفوق الحصر، وضايق السلطان السور[٤] بالنقابين، واشتدّ القتال بينهم، وغلقوا السور، فطلب الإفرنج الأمان فلم يجيبهم السلطان إليه، وقال: لا آخذها إلا بالسيف، مثل ما أخذها الفرنج من المسلين فعاودوه بالأمان وعرفوه ماهم عليه من الكثرة، وأنهم أن أيسوا من الأمان قاتلوا خلاف ذلك، فأجابهم السلطان إليه بشرط أن يؤدي كل من بها / ٩٢/ من الرجال عشرة دنانير ومن النساء خمسة ومن الطفل دينارين، ومَنْ عجز عن الأداء كان أسيراً، فأجيب إلى ذلك وسلّمت إليه المدينة يوم الجمعة سابع وعشرين رجب، وكان يوماً مشهوداً.

ورفعت الأعلام الإسلامية على أسواره، ورتّب السلطان على أبواب البلد من يقبض منهم المال المذكور، فخان المرتَبون في ذلك ولم يقبضوا[٥] منه إلاّ القليل، وكان على رأس قبة الصخرة صليب كبير مذهب، فتسلّق المسلمون، وقلعوه، وسمع بذلك ضجة عظيمة لم يُعهد مثلها المسلمين من الفرح والسرور، ومن الكفار التفجّع والتوجّع وكان الفرنج قد عملوا في الجامع الأقصى مستراحاً[٦]، فأمر السلطان إزالة ذلك وإعادة الجامع على ما كان عليه، وكان نور الدين محمود بن زنكي قد عمل منبراً بحلب وتعب عليه مدة، وقال: هذا لأجل القدس، فأرسل صلاح الدين، أحضره من حلب وجعله في الجامع الأقصى، وأقام السلطان بعد فتوح القدس بظاهره إلى الخامس والعشرين من شعبان يدّبر أمور البلد وأحواله، وتقدم بعمل الربط والمدارس للشافعية، ثم رحل إلى عكا، ومنها إلى صور، وصاحبها المركيس قد حصّنها بالرجال وحَفَر خنادقها ونزل السلطان على صور تاسع شهر رمضان، وحاصرها وضايقها، وطلب الأصطول فوصل إليه في عشرة شوان[٧] فاتفق أن الفرنج كبسوهم وأخذوا خمسة شوان

(١) في المختصر: الداروم، وهي تلفظ بالميم والنون، وهي بلدة بعد غزة للقاصد إلى مصر (معجم البلدان ـ الداروم).

(٢) بيت جبريل: اسم موضع يقرب القدس فيه قبر الخليل إبراهيم عليه السلام (معجم البلدان ـ بيت جبريل).

(٣) النطرون: موضع قرب دمشق، (معجم البلدان ـ النطرون).

(٤) الأصل: الصور.

(٥) في المختصر: (يحملوا).

(٦) في الأصل والمختصر: هرباً ومستراحاً، ولم أفهم المقصود، وفي الكامل وشفاء القلوب: وكانوا قد عملوا في غربي الأقصى مستراحاً.

(٧) مفردها شيني، وهو سفينة حربية كبيرة، تقام فيها الأبراج والقلاع، وكانت تنزلق على الماء بمساعدة مائة وأربعين مجدافاً.

ولم يسلم من المسلمين إلاّ من سبح ونجا، وأخذ /٩٣/ الباقون، فطال الحصار عليها، فرحل السلطان عنها في آخر شوال، وكان أول كانون الأول، وأقام بعكا، وأعطى العساكر الدستور، فسار كل واحد إلى بلده، وبقي السلطان بعكا في حلقته، وأرسل إلى هونين[1] ففتحها بالأمان.

وفيها: سار[2] شمس الدين بن محمد بن عبد الملك المقدم حاجّاً، وكان هو أمير الحاج الشامي ليجمع بين الغزاة وزيارة القدس والجليل والحج في عام واحد.

فسار ووقف بعرفات، ولما أفاض أرسل إليه مجير الدين طاشتكين أمير الحاج العراقي يمنعه من الإفاضة قبله، فلم يلتفت إليه، فسار العراقيون، وارتفعوا مع الشاميين فقتل منهم جماعة وابن المقدم يمنع أصحابه من القتال، ولو مكنّهم لانتصفوا من العراقيين فجرح ابن المقدم ومات شهيداً، ودفن بمقبرة المعلّى.

وفيها: قوي[3] أمر السلطان طغريل ابن أرسلان شاه بن طغريل بن السلطان محمد بن السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق وملك كثيراً من البلاد، وأرسل قزل أرسلان بن الدكز يستنجد الخليفة، وخوّفه عاقبة أمر طغريل.

وفيها: سار[4] شهاب الدين الغوري وغزا بلاد الهند.

وفيها: قَتل[5] الخليفة الناصر أستاذ داره أبا الفضل مجد الدين بن الصاحب[6]، ولم يكن للخليفة معه حكم، وظهر له أموال عظيمة، فأخذت جمعها.

وفيها: استوزر[7] الخليفة الناصر جلال الدين أبا المطهر عبيد اله بن يونس[8]، ومشى أرباب /٩٤/ الدولة في ركابه حتى قاضي القضاة.

---

(١) هونين: بلد في جبال عاملة مطل على نواحي مصر القريبة منها (معجم البلدان ـ هونين).

(٢) المختصر ٣/ ٧٣ وانظر التفاصيل في كامل ابن الأثير ٩/ ١٨٨ وشذرات الذهب ٤/ ٢٧٦ ومرآة الجنان ٣/ ٤٢٦ والعسج المسبوك ص٢٠١ والنجوم الزاهرة ٦/ ١٠٥.

(٣) المختصر ٣/ ٧٢٣ وانظر كذلك الكامل ٩/ ١٨٩.

(٤) المختصر ٣/ ٧٣ وانظر: الكامل ٩/ ١٨٩.

(٥) المختصر ٣/ ٧٤ انظر: الكامل ٩/ ١٨٩ والعسجد المسبوك ص٢٠٢، وإنسان العيون في مشاهير سادس القرون (مخ) الورقة ٨٠.

(٦) هبة الله علي، مجد الدين ابن الصاحب، ولي أستاذ دارية المستضيء ولما ولي الناصر رفع منزلته وبسط يده ثم قتله، أنظر: الشذرات ٤/ ٢٧٩.

(٧) المختصر ٣/ ٧٤.

(٨) بعده في المختصر، ولقبه جلال الدين وهو عبيد الله يونس بن أحمد بن عبيد الله بن هبة الله أبو

=

وفي سنة أربع وثمانين:

شتّى[١] السلطان في عكا، ثم سار بمن معه إلى كوكب[٢] وجعل على حصارها الأمير قيماز النجمي[٣]، وسار منها في ربيع الأول، ودخل دمشق وفرح الناس بقدومه، وكتب إلى الأطراف باجتماع العساكر، وأقام في دمشق خمسة أيام، وسار منها في ربيع الأول من السنة، ونزل على بحيرة مقدس غربي حمص وأَتَتْهُ العساكر بها، فأوّلهم عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي بن اقسنقر صاحب سنجار ونصيبين، ولما تكاملت العساكر رَحَل ونزل تحت حصن الأكراد وشنّ الغارات على بلاد الفرنج، وسار من حصن الأكراد فنزل على انطرسوس[٤] سادس جمادى الأولى[٥]، وتسلّمها ساعة وصوله، فجعل لحفظها الأمير سابق الدين بن عثمان ابن الداية صاحب شيزر، ثم سار السلطان إلى اللاذقية، ووصل إليها في رابع عشرين جمادى الأولى، ولها قلعتان، فحصر القلعتين، وزحف إليها، فطلب أهلها الأمان فأمنهم وتسلّم القلعتين، ولما تسلّمها سلّمها إلى أبن أخيه الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، فحصنّها وعمر قلعتها، وكان تقي الدين عظيم الهمّة في تحصين القلاع والغرامة عليها، كما فعل بقلعة حماة، ثم رحل السلطان عن اللاذقية سابع عشرين جمادى الأولى إلى صهيون[٦] وحاصرها

= المظفر البغدادي، الأزجي. كان في بداية أمره أحد الشهود المعدلين، وتوقف به الأحوال حتى استوزره الناصر، ثم بعثه حمية عسكر إلى حماية السلطان طغرل بن أرسلان فكسر عسكره وأسر، ثم أطلق ودخل بغداد متخفياً ولم تطل مدته بعد ذلك (الفخري ص٢٣٧، والوافي بالوفيات ١٩/ ٤٢٠ والنجوم الزاهرة ٦/ ١٤٢ والعسجد المسبوك ص٢٠٢).

(١) المختصر ٣/ ٧٤ وانظر الكامل ٩/ ١٩٠.

(٢) كوكب: اسم قلعة على الجبل المطل على مدينة طبرية (معجم البلدان ـ كوكب).

(٣) قايماز، صارم الدين، من أكبر أمراء الدولة الصلاحية، وهو مملوك نجم الدين أيوب بن شادي (مفرج الكروب ٣/ ٢٧).

(٤) بلد من سواحل بحر الشام، وهي آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية، وأول أعمال حمص (معجم البلدان ـ أنطرسوس).

(٥) بعدها في المختصر، واحسب أنها سقطت جراء سهو الناسخ «فوجد الفرنج قد أخلوا انطرسوس فسار إلى مرقية، فوجدهم قد أخلوها أيضاً، فسار إلى تحت المرقب وهو للاسبتار فوجده لا يرام ولا لأحد فيه مطمع، فسار إلى جبلة ووصل إليها ثامن جمادى الأولى» يفهم حسبما جاء في الأصل أن السلطان جعل سابق الدين لحفظ أنطرسوس، في حين ذكرت مصادر الخبر أنه جعله لحفظ جبلة، مما يقوي الشك بسهو الناسخ وإسقاط ما نقلته من المختصر في هذا الهامش.

(٦) صهيون: حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام، من أعمال حمص (معجم البلدان ـ صهيون).

وضايقها، وطلب أهلها الأمان فلم يجبهم إلاّ على أمان أهل القدس فيما يودون، فأجابوا إلى ذلك، وتسلّم السلطان قلعة صهيون وسلّمها إلى أمير من أصحابه يقال له / ٩٥/ ناصر الدين منكورس[١] صاحب قلعة أبي قبيس، ثم فرق عسكره في تلك الجبال، فملكو حصن بلاطُنُس[٢]، وكان الفرنج الذين به قد هربوا وأخلوه وملكو حصن العبد، وحصن الجماهرتين[٣] ثم سار السلطان عن صهيون ثامن جمادى الآخرة.

ووصل إلى قلعة بكاس[٤] وأخلاها أهلُها وتحصنوا بقلعة الشُّغر[٥]، فحاصرها السلطان ووجدها منيعة، وضايقها، فأرمى الله في قلوبهم الرعب وطلبوا الأمان، وتسلّمها يوم الجمعة سادس جمادى الآخرة بالأمان، وأرسل السلطان ولده الملك الظاهر غازي صاحب حلب فحصر سرمينية[٦] وضايقها واستنزل أهلها على قطيعة قررها عليهم، وهدم الحصن، وعفى أثره، وكان في هذه وفي جميع الحصون المذكورة من المسلمين الجم الغفير، فأطلقوا وأعطوا الكسوة والنفقة.

ثم سار السلطان من الشغر إلى برزية[٧]، ورتب عسكره ثلاثة فرق وداومها بالزحف وملكها بالسيف في السابع والعشرين من جمادى الآخرة، وسبى وقتل من أهلها غالبهم، قال ابن الأثير في الكامل[٨]: كنت مع السلطان في فتحه لهذه البلاد طلباً للغزاة، فنحكي ذلك عن مشاهدة، ثم سار السلطان ونزل على جسر الحديد وهو على العاصي بقرب أنطاكية، فأقام عليه أياماً حتى تلاحق به من تأخر من العسكر، ثم سار إلى دَرْبساك[٩] ونزل عليها من رجب هذه السنة، وحاصرها وضايقها وتسلمها بالأمان

---

(١) ناصر الدين منكورس بن خمارتكين، هكذا ذكر في المختصر، كان صاحب قلعة أبي قبيس، سلّمه صلاح الدين قلعة صهيون وحصن برزية.

(٢) في المختصر: بلادنوس، وهو حصن منيع بسواحل الشام من أعمال حلب (معجم البلدان ١/ ٤٧٨). وانظر في صفته: شفاء القلوب ص١٥٥.

(٣) غير واضح في لاأصل وفي المختصر الجماهيين وما أثبته عن مصادر الخبر الأخرى، انظر: الكامل ٩/ ١٩٢، وشفاء القلوب ١٥٥.

(٤) بكاس: قلعة من نواحي حلب على شاطئ نهر العاصي (معجم البلدان ١/ ٤٧٤).

(٥) الشّغْر: قلعة حصينة تقابل بكاس، وهما على رأس جبلين قريب أنطاكية (معجم البلدان ٣/ ٣٥٢).

(٦) سرمينية في الأصل: سرمين وهي بلدة مشهورة من أعمال حلب، أصلها إسماعيلية (معجم البلدان ٣/ ٢١٥). وفي المغرب (قسم مصر) ص١٥٨: سرمانية.

(٧) البرزية: حصن بالسواحل الشامية يقع على جبل شاهق (معجم البلدان ٣/ ٣٨٣).

(٨) الكامل ٩/ ٩٢: والمؤلف ينقل كلامه عن المختصر.

(٩) وتكتب في الكامل: درب مساك: وهي قلعة منيعة قرب أنطاكية: (النوادر السلطانية ص٩٣). وانظر في فتحها الكامل ٩/ ١٩٤ وشفاء القلوب ص١٥٦.

على شرط إلا يخرج أحد منها إلا بثيابه فقط، وتسلمها تاسع عشر رجب، ثم سار إلى /٩٦/ بغراس[١]، وحصرها وتسلّمها بالأمان على حكم أمان دربساك، وأرسل بيمند صاحب أنطاكية إلى السلطان يطلب منه الهدنة والصلح، وبذل إطلاق كلّ أسير عنده، فأجيب إلى ذلك، واصطلحوا ثمانية أشهر، وكان صاحب أنطاكية «حينئذ أعظم ملوك الفرنج في هذه البلاد، فإن أهل طرابلس سلّموا إليه طرابلس بعد موت القومص صاحبها على ما ذكرناه، فجعل بيمند صاحب أنطاكية»[٢] ابنَهُ في طرابلس.

ولما فرغ السلطان من هذه البلاد والهدْنة سار إلى حلب ودخلها ثالث شعبان وسار منها إلى دمشق، وأعطى عماد الدين زنكي دستوراً، وكذلك أعطى غيره من العساكر الشرقية، وجعل طريقه لما رحل من حلب على قبر عمر بن عبد العزيز فزاره وزار الشيخ أبا زكريا المغربي، وكان مقيماً هناك، وكان من عباد الله الصلحاء، وله كرامات ظاهرة، وكان مع السلطان الأمير أبو فليتة قاسم بن مهنا الحسيني[٣]، صاحب مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وشهد معه مشاهده وفتوحاته، وكان السلطان يتبرك برؤيته، ويتيمن بصحبته، ويرجع إلى قوله.

ودخل السلطان دمشق في رمضان فأشير عليه بتفريق العساكر ليريحوا ويستريحوا، فقال السلطان: العمر قصير، والأجل غير مأمون، وكان السلطان لما سار إلى البلاد الشمالية قد جَعَل على الكرك وغيرها من يحصرها، وخلا أخاه العادل بتلك الجهات يباشر ذلك فأرسل أهل الكرك يطلبون الأمان، فأمر الملك العادل المباشرين لحصارها بتسلّمها، فتسلّموها، وهي الكرك والشوبك[٤] وما بتلك الجهة من البلاد، ثم سار السلطان /٩٧/ من دمشق المحروسة في منتصف رمضان إلى صفد وحصرها وتسلّمها بالأمان.

ثم سار إلى كوكب وعليها قيماز النجمي يحاصرها فضايقها السلطان وتسلّمها بالأمان في منتصف ذي القعدة، سيّر أهلها إلى صور، وكان اجتماع أهل هذه القلاع في صور من أعْظم أسباب الضرر على المسلمين، ظهر ذلك فيما بعد.

---

(١) بغراس: مدينة بينها وبين أنطاكية أربع فراسخ (معجم البلدان ١/ ٤٦٧).

(٢) ما بين قوسين كتب في هامش الورقة (٩٦) من الأصل وهو بنفسه في المختصر.

(٣) ذكرت صحبته في الكامل ٩/ ١٩٥ وسماه عز الدين أبو الفليتة الحسين، وفي شفاء القلوب ص١٥٧.

(٤) الشوبك: قلعة حصينة في أطراف الشام بين عَمّان وايلة والقلزم، قرب الكرك. (معجم البلدان ٣/ ٣٧٠).

ثم سار إلى القدس فعيّد فيه عيد الأضحى، ثم سار إلى عكا فأقام بها حتى انسلخت السنة.

وفيها: أرسل[١] قزل بن الدكز يستنجد بالخليفة الإمام الناصر على طغريل بن أرسلان بن طغريل بن محمد بن السلطان ملكشاه السلجوقي ويحذّره عاقبة طغريل، فأرسل الخليفة عسكراً إلى طغريل والتقوا ثامن ربيع أول هذه السنة، قرب همدان، فانهزم عسكر الخليفة، فغنم طغريل أموالهم وأسر مقدّمهم الوزير جلال الدين[٢].

وفي سنة خمس وثمانين:

سار[٣] السلطان صلاح الدين ونزل بمرج عيون[٤]، وحضر إليه صاحب شقيف أرنون[٥]، وبذل له تسليم[٦] الشقيف بعد مدة عينها[٧]، خديعة منه، فلما بقي للمدة ثلاثة أيام استحضره السلطان، وكان اسمه أرناط، وقال له في التسليم.

فقال: لا يوافقني عليه أهلي وأهل الحصن، فأمسكه السلطان وبعث به إلى دمشق فحبس.

وفيها: كان حصار الفرنج عكا[٨].

كان قد اجتمع لصور أهل البلاد التي أخذها السلطان بالأمان، فكثُر /٩٨/ جمعهم حتى صاروا في عدد لا يُحصى، فأرسلوا إلى البحر يبكون ويستنجدون وصوروا المسيح وصوروا عربي يضرب المسيح، وقد أدْماه، وقالوا: هذا نبي العرب يضرب المسيح فخرجت النساء من بيوتهنّ، ووصل من البحر عالم لا يُحصى كثرة، وساروا من صور إلى عكا ونازلوها في منتصف رجب هذه السنة، وضايقوا عكّا وأحاطوا بسورها من البحر، ولم يبق للمسلمين إليها طريق، فسار السلطان ونزل قرب الفرنج، وقاتلهم في مستهل شعبان، وباتوا على ذلك وأصبحوا، فحمل تقي الدين عمر صاحب حماة من

---

(١) المختصر ٣/ ٧٦ وانظر الخبر في كامل ابن الأثير ٩/ ١٩٧ والعسجد المسبوك ص٢٠٤.

(٢) بعده في المختصر: عبيد الله وزير الخليفة.

(٣) المختصر ٣/ ٧٦ وانظر: الكامل ٩/ ١٩٩ ونهاية الارب ٢٨/ ٤١٤ ومفرج الكروب ٢/ ٢٨٤.

(٤) مرج عيون: من مدن سواحل الشام (معجم البلدان ٥/ ١٠٥.

(٥) وفي الكامل: أرنوم، وهي قلعة حصينة قرب بانياس (معجم البلدان ٣/ ٣٥٦).

(٦) الوصل: التسليم.

(٧) في المختصر: ظهر بها.

(٨) المختصر ٣/ ٧٦ وانظر الكامل ٩/ ٢٠٠ وشفاء القلوب ص١٦٠ ومفرج الكروب ٢/ ٢٨٨ والروضتين ٢/ ١٤١ ونهاية الارب ٢٨/ ٤١٥.

ميمنة السلطان على الفرنج، فأزالهم عن موقفهم، والتزق بالسور[(١)]، وانفتح الطريق إلى المدينة، فأدخل السلطان إلى عكا عسكراً نجدة، وكان من جملتهم أبو الهيجاء السَّمين، وبقي المسلمون يغادون القتال ويراوحونه إلى عشرين شعبان، ثم كان بين المسلمين وبينهم الوقعة العظيمة[(٢)]، فإن الفرنج اجتمعوا وحَمَلوا على السلطان في القلب، فأزالوه عن موقفه، وأخذ الفرنج يقتلون «في»[(٣)] المسلمين إلى أن بلغوا خيمة السلطان، فانحاز السلطان هو وخاصّته إلى جانب «وانضاف إليه جماعة»[(٤)] وانقطع مدد الفرنج، واشتغلوا بقتال الميمنة فحمل السلطان على الفرنج الذين خرقوا القلب[(٥)] وعطف الجيش عليهم، فأفنوهم قتلاً، فقتل في ذلك الوقت من الفرنج قريب الثلاثين[(٦)] ألفاً، ووصل المنهزمون من المسلمين بعضهم إلى طبرية، وبعضهم إلى دمشق، / ٩٩/ وجافت الأرض بعد هذه الوقعة، ولحق السلطان مرض القولنج، فأشار عليه الأمراء بالانتقال من ذلك الموضع، فوافقهم ورَحَل عن عكا رابع عشر رمضان هذه السنة إلى الخروبة[(٧)] فلما دَخَل تمكن الفرنج من حصار عكا وانبسطوا في تلك الأرض، ووصل أسطول المسلمين في البحر مع حسام الدين لؤلؤ الحاجب[(٨)]، فظفر بأسطول الفرنج وأخذه وأخذ من الفرنج أموالاً عظيمة، ودخل بالكل إلى عكا، فقوي به قلوب المسلمين، وكذلك وصل الملك العادل بعكسر مصر وبالسلاح إلى أخيه السلطان، فقويت قلوب المسلمين بوصوله.

وفي سنة ست وثمانين:

بعد[(٩)] دخول صفر رحل السلطان من الخروبة، وعاد إلى قتال الفرنج بعكا، وكان الفرنج قد عملوا قرب سور عكا ثلاثة أبْرِجة طول البرج ستون ذراعاً، جلبوا خشبها من جزائر البحر وعملوها طبقات، وشحنوها بالسلاح ولبسوها جلود البقر والطين بالخل،

---

(١) في المختصر: الصور.
(٢) انظر تفاصيلها في الكامل ٩/ ٢٠٣ ويسميها الوقعة الكبرى.
(٣) التكملة عن المختصر. (٤) التكملة عن المختصر.
(٥) في الأصل: الميمنة والتصويب عن المختصر.
(٦) في الكامل ٩/ ٢٠٣ وشفاء القلوب ص١٦١: عشرة آلاف.
(٧) الخرّوبة: حصن بسواحل بحر الشام مشرف على عكا (معجم البلدان ٢/ ٣٦٢).
(٨) بعده في المختصر: وكان شهماً فظفر ببطسة للفرنج فأخذها ودخل بها عكا وانظر الكامل ٩/ ٢٠٤ والبطسة لفظة مأخوذة من الإسبانية معناها السفينة الكبيرة.
(٩) المختصر ٣/ ٧٨ وانظر: الكامل ٩/ ٢٠٥.

ولئلا تعمل فيها النار، فتحيل المسلمون وأحرقوا البرج الأول فاحترق بمن فيه من الرجال والسلاح، ثم أحرقوا الثاني والثالث[١]، وانبسطت نفوس المسلمين لذلك بعد الكآبة، ووصلت إلى السلطان عساكر البلاد وبلغ المسلمين وصول ملك[٢] الألمان، وكان قد سار من بلاد وراء القسطنطينية بمائة ألف مقاتل، واغتم المسلمون لذلك وأيسوا من الشام، فسلّط الله على الألمان الغلاء والوباء، فهلك أكثرهم في الطريق، ولما وصل ملكهم /١٠٠/ إلى بلاد الأرمن نزل في نهر هناك يغتسل فهلك غرقاً، وأقاموا ابنه مقامه، فرجع من عسكره طائفة إلى بلادهم وطائفة اختارت أخا ابن الملك المذكور، فرجعوا مع ابن الملك، ووصل مع ابن الملك المتولّي أولاً إلى فرنج عكا ألف مقاتل وكفى الله المسلمين شرّهم وبقي السلطان وفرنج عكّا يتناوشون القتال إلى العشرين من جمادى الآخرة، فخرجت الفرنج بالفارس والراجل من خنادقهم، وأزالوا الملك العادل عن موقفه، وكان معه عسكر مصر، فعطف عليهم المسلمون وقتلوا من الفرنج قريب عشرة آلاف فارس، فرجعوا إلى خنادقهم وحصل للسلطان مغص، فانقطع في خيمة صغيرة، ولولا ذلك لكانت الفيصلة، ولكن إذا أراد الله أمراً فلا مردّ له.

وفيها[٣]: لما قوي الشتاء واشتدت الريح، أرسل الفرنج[٤] مراكبهم إلى صور خوفاً أن تنكسر، فانفتحت الطريق إلى عكا في البحر، وأرسل السلطان إليها البدل، فكان العسكر الذي خرجوا منها أضعاف الواصلين إليها، فحصل التفريط لذلك.

وفيها[٥]: ثامن شوال توفي زين الدين يوسف بن زين الدين علي كوجك صاحب أربل، وكان مع السلطان بعسكره، ولما مات أقطع السلطان أربل أخاه مظفر الدين كوكبوري بن زين الدين على كوجك، وأضاف إليه شهروز وأعمالها، وارتجع ما كان بيد المظفر وهو حرّان والرها، وسار مظفر الدين إلى أربل وملكها.

---

(١) في شفاء القلوب ص١٦٢: وكان بعكا شاب دمشقي يقال له: علي بن الشخاص، ليس له في الديوان اسم، فهيأ ثلاثة قدور، وقال لقراقوش: انصب لي منجنيقاً، فانتهره، وقال: قد عجزت الصناع فمن أنت؟ فقال: قد عملت شيئاً لله تعالى، وما أريد منكم شيئاً، وما يضرّكم أن أرمي بها في سبيل الله، فإن نفعت وإلا فاحسبني واحداً منهم. فنصب المنجنيق، فرمى البرج فاحترق بما فيه.. إلخ وانظر الكامل ٩/ ٢٠٦.

(٢) الأصل: ملوك، والتصويب عن المختصر.

(٣) المختصر ٣/ ٧٨ وانظر: الكامل ٩/ ٢٠٩ وشفاء القلوب ص١٦٨.

(٤) بعده في المختصر: المحاصرون عكا.

(٥) المختصر ٣/ ٧٦ وانظر ترجمته وخبره في: الكامل ٩/ ٢١٠ وشفاء القلوب ص١٦٩، والنجوم الزاهرة ٦/ ١١٢ والشذرات ٤/ ٢٨٨ والعسجد المسبوك ص٢٠٩ والروضتين ٢/ ٦١.

/ ١٠١/ وفيها[١]: استولى الخليفة الناصر على حديثة[٢] عانة بعد أن حصرها مدّة.

وفيها[٣]: قطع السلطان ما كان بيد مظفر الدين وهو حرّان والرها وسمسياط الملك المظفر تقي الدين عمر زيادة على ما بيده، وهو ميافارقين ومن الشام حماة والمعرة وسلمية ومنبج وقلعة نجم وجبلة واللاذقية وبلاطُنُس ومكرابيك.

وفي سنة سبع وثمانين:

كان استيلاء الفرنج على عكا[٤]. واستمر حصار الفرنج لعكا إلى هذه السنة، وكانوا قد أحاطوا من البحر إلى البحر، وحفروا عليهم خندقاً، فلم يتمّكن السلطان من الوصول إليهم، وكانوا محاصرين لعكا وهم كالمحصورين من خارج بالسلطان، واشتدَّ حصارهم لعكا وطال وضعف من بها عن حفظ البلد، وعجز السلطان صلاح الدين عن دفع العدوّ عنهم فخرج الأمير سيف الدين علي بن أحمد المشطوب[٥]، وطلب الأمان من الفرنج على مالٍ وأسرى يقومون به للفرنج، فأجابوهم إلى ذلك، وصعدت أعلام الفرنج على عكا يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة وقت الظهر، واستولوا على البلد بما فيه وحبسوا المسلمين في أماكن من البلد، وقالوا: إنما نحبسهم ليقوموا بالمال والأسرى وصليب الصلبوت، وكتبوا إلى السلطان صلاح الدين بذلك، فحصلوا ما أمكن تحصله من ذلك، وطلب منهم إطلاق المسلمين، فلم يجيبوا إلى ذلك، / ١٠٢/ فعلم منهم الغدر واستمر أسرى المسلمين بهم، ثم قتل الفرنج من المسلمين جماعة كثيرة، واستمروا بالباقين في الأسر.

وبعد استيلاء الفرنج على عكا وتقرير أمرها، رحلوا عنها مستهل شعبان نحو قيسارية والمسلمون يسايرونهم ويتحفظون منهم، ثم ساروا من قيسارية إلى أرسوف،

---

(١) المختصر ٣/ ٧٦ وانظر: الكامل ٩/ ٢١١ والعسجد المسبوك ص٢١٠.

(٢) حديثة: وتسمى حديثة الفرات، على فراسخ من الأنباء (معجم البلدان ٣/ ٢٣٠)، وعانة وتسمى عانات قرب حديثة وانظر: معجم البلدان ٤/ ٧١.

(٣) المختصر ٣/ ٧٦.

(٤) المختصر ٣/ ٧٦ وانظر: الكامل ٩/ ٢١٣ وشفاء القلوب ص١٧٠ وتاريخ مختصر الدول ص٣٨٦ ومفرج الكروب ٢/ ٣٥٥ ونهاية الارب ٢٨/ ٤٣٢.

(٥) أبو الحسن سيف الدين علي بن أحمد بن أبي الهيجاء بن عبد الله بن أبي خليل بن مرزبان الهكاري، الملقب بالمشطوب، من كبار أمراء صلاح الدين توفي سنة ٥٨٨هـ بنابلس، وقيل سنة ٥٨٧هـ بالقدس بعد فك حصار عكا بمائة يوم. انظر (وفيات الأعيان ١/ ١٨٢).

ووقع بينهم وبين المسلمين مصاف[١]، أزالوا المسلمين عن مواقفهم، ووصلوا إلى سوق المسلمين فقتلوا خلقاً كثيراً، وأكثرهم من السوقة.

ثم سار الفرنج إلى يافا وقد أخلاها المسلمون، فملكوها، ثم رأى السلطان تخريب عسقلان مصلحة لئلا يحصل لها ما حصل لعكا، فسار إليها وأخلاها ورتّب الحجّارين في تفليق أسوارها وتخريبها، فدّكها إلى الأرض، فلما فرغ من تخريب عسقلان رحل عنها ثاني شهر رمضان إلى الرملة، فخرب حصنها، وخرّب كنيسة لدّ، ثم سار إلى القدس، وقررّ أمورها وعاد إلى مخيّمه بالنطرون ثامن رمضان، ثم تراسل الفرنج والسلطان في الصلح على أن يتزوج الملك العادل أخو السلطان بأخت ملك الانكتار[٢]، ويكون للملك العادل القدس، ولامرأته عكا، فحضر القسيسون وأنكروا عليها ذلك، إلاّ أن ينتصّر الملك العادل، فلم يتفق بينهم حل، ثم رحل الفرنج من يافا إلى الرملة ثامن ذي القعدة، وبقي «في» كل يوم تقع بينهم وبين المسلمين مناوشات، ولقوا من ذلك شدةً شديدة /١٠٣/ وأقبل الشتاء، وحالت الأحوال بينهم، ولما رأى السلطان ذلك وقد ضجرت العساكر، أعطاهم الدستور إلى القدس لتسع بقين من ذي القعدة ونزل داخل البلد، واستراحوا مما كانوا فيه، وأخذ السلطان في تعمير القدس وتحصينه وأمر العسكر بنقل الحجارة، وكان السلطان ينقل الحجارة بنفسه على فرسه ليقتدي به العسكر، فكان يجتمع عند العمالين في اليوم الواحد ما يكفيهم «لعدة» أيام.

وفيها: كانت وفاة الملك المظفر تقي الدين عمر[٣].

كان تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب قد سار إلى البلاد المرتجعة من كوكبوري، التي زاده إيّاها عمّه السلطان من وراء الفرات، وهي حرّان وغيرها ما امتدت عين الملك المظفر إلى بلاد مجاوريه، واستولى على السويداء[٤]، وماني[٥]، واتقع[٦]، مع بكتمر صاحب خلاط فكسره وحصره في خلاط، وتملك معظم البلاد، ثم رحل عنها ونازل ملازْكرْد[٧] وهي لبكتمر وضايقها، وكان في صحبته ولده الملك

---

(١) انظر عن معركة أرسوف: شفاء القلوب ١٧١ والكامل ٩/ ٢١٥.

(٢) هو ريجارد قلب الأسد ملك الإنكليز ابن هنري الثامن (انظر هامش ص٤٧٧ من الفتح القسي).

(٣) المختصر ٣/ ٨٠ وانظر: الكامل ٩/ ٢١٢ ومرآة الجنان ٣/ ٤٣٣ والشذرات ٤/ ٢٨٩ وشفاء القلوب ص٢٢٤.

(٤) السويداء في ديار مضر، قرب حرّان (معجم البلدان ٣/ ٢٨٦).

(٥) مدينة بديار بكر (معجم البلدان ٢/ ٢٠٨).

(٦) كذلك في المختصر، ويعني به (واقعه) وفي الشفا: وأيقع.

(٧) ضبطها ياقوت، فقال «منازجرد» قال: وأهله يقولون «مناذكرد» وهي بلدة بين خلاط وبلاد الروم (معجم البلدان ٥/ ٢٠٢).

المنصور محمد[١]، فعرض للملك المظفر مرضٌ شديد، وتزايد به حتى توفي في يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان هذه السنة، فأخفى ولده المنصور وفاته ورحل عن بلاد ملازكرد، ووصل به إلى حماة ودفنه بظاهرها، وبنى إلى جانب التربة مدرسة وهي مشهورة هناك، وكان المظفر شجاعاً سديد الرأي، ركْناً /١٠٤/ عظيماً من أركان بيت أيّوب، وكان عنده فضلٌ وأدب وله شعر حسن.

واتفق أنه في ليلة الجمعة التي توفي فيها الملك المظفر توفي حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين[٢]، وأُمّه ست الشام بنت أيوب أخت السلطان فأصيب السلطان في تاريخ واحد بابن أخيه وابن أخته.

ولما مات الملك المظفر راسل ابنه الملك المنصور السلطان صلاح الدين واشترط شروطاً نسبه السلطان فيها إلى العصيان فكاد أمره أن يضطرب بالكلية فراسل الملك المنصور عمّه الملك العادل في استعطاف خاطر السلطان، فما برح الملك العادل بأخيه السلطان يراجعه ويشفع في الملك المنصور حتى أجابه «السلطان»[٣] وقرر الملك المنصور حماة وسلمية والمعرة وقلعة نجم، ومنبج واسترجع منه البلاد الشرقية وأقطعها أخاه الملك العادل بعد أن شرط السلطان على الملك العادل، أن ينزل عن كل ماله من الإقطاع بالشام خلا الكرك والشوبك والصلت[٤] والبلقاء[٥] ونصف خاصته بمصر، وأن يكون عليه في كل سنة خمسة[٦] آلاف غرارة تحمل من الصلت والبلقاء إلى القدس.

ولما استقر ذلك سار الملك العادل إلى البلاد الشرقية، وقرّر أمورها وعاد إلى خدمة السلطان في آخر جمادى الآخرة من السنة القابلة، أعني سنة ثمان وثمانين ولما قدم الملك العادل، /١٠٥/ على السلطان، كان الملك المنصور صاحب حماة صحبته، فلما رأى السلطان الملك المنصور بن تقي الدين، نهض واعتنقه وغشيه البكاء

---

(١) الملك المنصور محمد بن عمر، ولي فيما بعد حماة، وكان شجاعاً أديباً شاعراً صنف كتباً في الأدب، واعتنى بعمارة بلده. توفي سنة ٦١٦هـ. (شفاء القلوب ص٣٣٧ وفوات الوفيات ٤/ ٤٩٨ والوافي ٤/ ٤٥٩ ووفيات الأعيان ٣/ ١٢٩.

(٢) انظر عنه: الوافي بالوفيات ٤/ ٢٤٨ وخبر موته في الكامل ٩/ ٢١٨.

(٣) التكملة عن المختصر.

(٤) كذا في الأصل والمختصر، ولعلها: صلب، وهو وادي بين آمد وميافارقين (معجم البلدان ٣/ ٤٢١).

(٥) البلقاء: كورة من أعمال دمشق، بين الشام ووادي القرى، قصبتها عَمّان، وفيها قرى كثيرة، ومزارع (معجم البلدان ١/ ٤٨٩).

(٦) في المختصر: ستة.

وأنزله في مقدمة عسكره.

وفيها: في[١] شعبان قتل قزل أرسلان عثمان بن الدكز ملك أذريبجان وهمدان والري وأصفهان بعد أخيه محمد البهلوان، وكان قوي عليه السلطان طغريل السلجوقي، وهزم عسكر بغداد كما تقدّم ذكره، ثم إن قزل أرسلان تغلب واعتقل طغريل أرسلان شاه في بعض البلاد، وسار قزل أرسلان بعد ذلك إلى أصبهان وتعصّب على الشافعية[٢]، وأخذ جماعة من أعيانهم فصلبهم وعاد إلى همدان.

وخطب لنفسه بالسلطنة، ودخل لينام على فراشه، وتفرّق عنه أصحابه، فدخل عليه من قتله على فراشه ولم يعرف مَنْ قَتَلَهُ.

وفيها[٣]: قدم معزّ الدين قيصرشاه بن قليج أرسلان صاحب بلاد الروم إلى السلطان صلاح الدين، وسببه أن والده فرّق مملكته على أولاده، وأعطى ولده هذا ملطية، ثم تغلب بعض أخوته[٤] على أبيه قليج أرسلان وألْزَمه بأخذ ملطية من أخيه المذكور، فخاف من ذلك وسار إلى السلطان مستجيراً، فأكرمه السلطان وزوّجه بابنة أخيه الملك العادل، وعاد معز الدين إلى ملطية في ذي القعدة وقد انقطعت أطماع أخيه منه، قال ابن الأثير[٥]: إن الأمير لما ركب السلطان صلاح الدين ليودّع /١٠٦/ معزّ الدين قيصر شاه المذكور ترجل معز الدين فترّجل السلطان فلما ركب السلطان عضده معز الدين وركبه، وكان علاء الدين بن عز الدين مسعود صاحب الموصل مع السلطان إذْ ذاك، فسوّى ثياب السلطان، فقال بعض الحاضرين: ما بقيت تبالي يا ابن أيوب بأي موتةٍ تموت، يركبك ملك سلجوقي، ويصلح ثيابك[٦] ابن أتابك زنكي.

وفي سنة ثمان وثمانين:

سار الفرنج[٧] إلى عسقلان وشرعوا في عمارتها[٨] والسلطان في القدس.

---

(١) المختصر ٣/ ٨١ وانظر: الكامل ٩/ ٢١٨ والشذرات ٤/ ٢٨٩ ومختصر تاريخ الدول ص٣٨٨ وتاريخ دولة آل سلجوق ص٢٧٦.

(٢) الأصل: الشفعوية والتصويب عن المختصر.

(٣) المختصر ٣/ ٨١ والخبر في الكامل ٩/ ٢١٨ وشفاء القلوب ص١٧٤.

(٤) في الكامل: قطب الدين ملكشاه، قال إن والده أعطاه سيواس، فاستولى على أبيه وحجر عليه وأزال حكمه وألزمه أن يأخذ ملطية من أخيه.

(٥) الكامل ٩/ ٢١٨.

(٦) في المختصر وشفاء القلوب: ويسوّي قماشك، وفي الكامل: يوكيك ملك سلجوقي وابن أتابك زنكي.

(٧) المختصر ٣/ ٨٢ وانظر: الكامل ٩/ ٢١٨.

(٨) بعده في المختصر: في المحرم.

وفيها[١]: قتل المركيس صاحب صور، وقتله الباطنية، وكان قد دخلوا في زي الرهبان إلى صور.

وفيها: عقدت[٢] الهدنة مع الفرنج، وعاد السلطان إلى دمشق، وكان سبب ذلك أن ملك الانكتار مرض فطال عليه البيكار[٣]، فكاتب الملك العادل يسأله الدخول على السلطان في الصلح، فلم يجبه السلطان إلى الصلح، ثم اتفق الآراء عليه لطول البيكار وضجر العسكر، فأجاب السلطان واستقر أمر الهدنة يوم السبت ثامن عشر شعبان وتحالفوا على ذلك يوم الأربعاء الثاني والعشرين من شعبان، ولم يحلف ملك الانكتار، بل أخذوا يَدَهُ وعاهدوه، واعتذر بأن الملوك لا يحلفون، وقنع بذلك السلطان وحلف الكندهري ابنُ أخيه خليفته في الساحل، وكذلك حلف غيره من عظماء الفرنج /١٠٧/ ووصل ابن الهنفري وباليان إلى خدمة السلطان ومعهما جماعة من مقدّمي الفرنج، فأخذوا يَدَ السُّلطان على الصلح، واستحلفوا الملك العادل أخا السلطان والأفضل والظاهر ابني السلطان والملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر صاحب حماة والملك المجاهد شيركوه[٤] صاحب حمص، والملك الأمجد بهرام[٥] شاه ابن فرخشاه صاحب بعلبك والأمير بدر الدين ايلدروم[٦] الباروقي صاحب تل باشر، والأمير سابق الدين عثمان ابن الداية صاحب شيزر والأمير سيف الدين علي بن أحمد المشطوب، وغيرهم من المقدمين الكبار، وعقدت هدنة عامة في البرّ والبحر، وجعلت مدتها ثلاث سنين وثلاثة أشهر، أولها أيلول الموافق لحادي عشرين شعبان.

---

(١) المختصر ٣/ ٨٢ وانظر الكامل ٩/ ٢١٨ وفيه: إن صلاح الدين راسل مقدم الإسماعيلية وهو سنان أن أرسل من يقتل ملك إنكلتار وإن قتل المركيس فله عشرة آلاف دينار. انظر كذلك العسجد المسبوك ص٢١٦ وفيه: المركيش. والفتح القسي ص٣٠٣.

(٢) المختصر ٣/ ٨٢ وانظر: الكامل ٩/ ٢٢١ وشفاء القلوب ص١٧٧ والعسجد المسبوك ص٢١٧.

(٣) بيكار: حرب، حملة، وقعة، وتجمع على بياكير (تكملة المعاجم العربية ١/ ٥٠٦).

(٤) الملك المجاهد شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شاذي، أسد الدين، ولاه الناصر حمص بعد موت أبيه سنة ٥٨١هـ وصف بأنه كان شجاعاً مقداماً، ديناً عاقلاً، مات بحمص سنة ٦٣٧هـ. انظر: شفاء القلوب ص٢٣١ ومرآة الزمان ٨/ ٧٣١ وذيل الروضتين ١٦٩ والحوادث الجامعة ١٣٧ والسلوك ١/ ٢١٣ والبداية والنهاية ١٣/ ١٥٤ والنجوم الزاهرة ٦/ ٣١٦، والشذرات ٥/ ١٨٤.

(٥) الملك الأمجد بهرام شاه بن شاهنشاه بن أيوب بن شاذي، صاحب بعلبك، وليها بعد وفاة أبيه سنة ٥٧٨هـ، وكان أديباً شاعراً، قتله أحد مماليكه بدمشق سنة ٦٢٨هـ. انظر: شفاء القلوب ٣٣٣ ومرآة الزمان ٨/ ٦٦٦ والحوادث الجامعة ٢٦ وفوات الوفيات ومرآة الجنان ٤/ ٦٥.

(٦) في الأصل: داررم.

وكانت الهدنة على أن يستقر بيد الفرنج يافا وعملها، وقيسارية وأرسوف وحيفا وعكّا بأعمالهم، وأن تكون عسقلان خرابا، واشترط السلطان «دخول بلاد الإسماعيلية في عقد هدنته واشترط الفرنج»[١] دخول صاحب أنطاكية وطرابلس في عقد هدنتهم وان تكون لدّ والرملة مناصفة بينهم وبين المسلمين، فاستقرّت القاعدة على ذلك، ورحل السلطان إلى القدس في رابع شهر رمضان، وتفقّد أحواله، وأمر بتشييد أسواره، وزاد في وقف المدرسة التي عملها بالقدس، وهذه المدرسة كانت قبل الإسلام تعرف بصفد حنّة[٢]، يذكرون أن فيها قبر حنّة أم مريم، ثم صارت في الإسلام دار علم قبل أن يتملّك الفرنج القدس /١٠٨/ ثم لما ملك الفرنج القدس سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة أعادوها كنيسة، كما كانت قبل الإسلام، فلما فتح السلطان القدس أعادها مدرسة[٣]، وفوّض تدريسها[٤] إلى القاضي بهاء الدين بن شدّاد[٥].

ولما استقرّ أمر الهدنة أرسل السلطان مائة حجّار لتخريب عسقلان، وأن يخرج مَنْ بها من الفرنج، وعزم على الحج والإحرام من القدس، وكتب إلى أخيه سيف الإسلام صاحب اليمن بذلك، ثم فَنَّدَهُ الأمراء وقالوا: لا تعتمد على هدنة الفرنج خوفاً من غدرهم، فانتفض عزمُهُ[٦]، ورحل عن القدس لخمس مضين من شوال إلى نابلس، ثم إلى بيسان ثم إلى كوكب، وبات بقلعتها، ثم رحل إلى طبريّة، ولقيه بها الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي وقد خلص من الأسر، وكان قد أسر بعكّا لما أخذها الفرنج مع من أُسر.

---

(١) ما بين قوسين سقط من الأصل، والتكملة عن المختصر، وفي شفاء القلوب ص١٧٧: واشترط السلطان دخول بلاد الإسماعيلية في الهدنة، واشترط الفرنج أنطاكية وطرابلس.

(٢) كذلك ذكرت في: شفاء القلوب ص١٧٧ والفتح القسي ١٤٥ وتاريخ ابن الفرات ٢٦/ ٨١.

(٣) في الأصل: مدرسها، والتصويب عن المختصر.

(٤) في المختصر: ووقفها إلى القاضي.

(٥) أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة بن محمد بن عتاب الأسدي، بهاء الدين ابن شداد فقيه شافعي نشأ عند أخواله بني شداد فنسب إليهم، ولد بالموصل سنة ٥٣٩هـ، وقرأ بها، وانحدر إلى بغداد، ونزل بالمدرسة النظامية وأقام بها معيداً واتصل بصلاح الدين الأيوبي سنة٥٨٤هـ، فولاه قضاء العسكر توفي بحلب سنة ٦٣٢هـ، انظر وفيات الأعيان ٧/ ٨٤ وذيل الروضتين ١٦٣ ومرآة الجنان ٤/ ٨٢ وعبر الذهبي ٥/ ١٣٢ والشذرات ٥/ ١٥٨.

(٦) في الشفاء ص١٧٨ وأقام بالقدس وتأهب للمسير إلى مصر، وأعطى البلاد دستوراً، فلما بلغ السلطان رحيل الانكلتار إلى بلاده مستهل شعبان قوي عزمه على أن يدخل الساحل جريدة، فرحل من القدس.

فسار قراقوش مع السلطان إلى دمشق، ثم إلى مصر[١]، ثم سار إلى بيروت ووصل إلى خدمته بيمند صاحب أنطاكية يوم السبت حادي عشرين شوال، فأكرمه السلطان وفارقه غد ذلك اليوم، ودخلها يوم الأربعاء لخمس بقين من شوال، وفرح الناس به لأن غيبته عنهم كانت أربع سنين وأقام العمل والإحسان بدمشق، وأعطى العساكر دستوراً، فودعه الملك الظاهر وداعاً لا لقاء بعده، وسار إلى حلب، وبقي مع السلطان / ١٠٩/ بدمشق ولده الملك الأفضل والقاضي الفاضل وكان الملك العادل قد استأذن السلطان وسار من القدس إلى الكرك لينظر في مصالحه، ثم عاد الملك العادل إلى دمشق طالباً الديار الشرقية التي صارت له بعد تقي الدين عمر، فوصل إلى دمشق حادي عشرين «ذي» القعدة، وخرج إلى لقائه.

وفيها[٢]: وقف السلطان ثلث نابلس على مصالح القدس، واقطع الباقي الأمير عماد الدين أحمد بن سيف الدين علي بن المشطوب وأميرين معه، وذلك بعد وفاة سيف الدين علي بن أحمد المشطوب.

وفيها[٣]: توفي السلطان عز الدين قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان ابن سليمان بنم قطلوش بن أرسلان يبغو بن سلجوق، وكان ملكه في سنة إحدى وخمسين وخمسمائة، وكان ذا سياسةٍ حسنةٍ وهيبةٍ عظيمة، وعدلٍ وافر وغزوات كبيرة، وكان له عشر بنين وقد ولّى كل واحد منهم قطراً من بلاد الروم، وأكبرهم قطب الدين ملكشاه، وكان أعطاه أبوه سيواس، فسوّلت له نفسه القبض على أبيه واخوته والانفراد السلطنة، وساعده على ذلك صاحب أرْزنكان[٤]، فسار قطب الدين ملكشاه، وهجم على والده قليج أرسلان بمدينة قونية وقبض عليه، وقال لوالده وهو في قبضته: أنا بين يديك أنفذ أوامرك، ثم أنه أشْهَدَ على والده أنه قد جعله وليَّ عهده، ثم مضى ملكشاه إلى حرب

---

(١) كذا في الأصل، وفي المختصر، ثم سار منها قراقوش إلى مصر.

(٢) المختصر ٣/ ٨٣، وفيه: وفي يوم الخميس السادس والعشرين من شوال هذه السنة توفي الأمير سيف الدين علي بن أحمد المشطوب بنابلس، وكانت أقطاعه، فوقف السلطان ثلث نابلس على مصالح القدس، وأقطع الباقي للأمير عماد الدين أحمد بن سيف الدين علي بن المشطوب.. إلخ.

(٣) المختصر ٣/ ٨٤ وانظر: الكامل ٩/ ٢٢٢ والشذرات ٤/ ٢٩٥ ومختصر تاريخ الدول ص٣٨٨ والعسجد المسبوك ص٢١٨ والروضتين ٢/ ٢٠٩ والبداية والنهاية ١٢/ ٣٥٢ وأنساب العيون ٧٢.

(٤) ضبطها ياقوت: أرْزَنْجان، قال: وأهلها يقولون أرْزنكان، وهي بلدة مشهورة نزهة من بلاد أرمينية، بين بلاد الروم وخلاط، قريبة من أرزن الروم، وغالب أهلها أرمن وفيها مسلمون (معجم البلدان ١/ ١٥٠).

أخيه / ١١٠/ نور الدين سلطان شاه صاحب قيسارية، ووالده في القبضة معه، وهو يُظْهر أن ما يفعله إنما هو بأمر والده، فخرج عسكر قيسارية لقتاله، فوجد أبوه عز الدين قليج أرسلان عند اشتغال العسكر بالقتال فرصة فهرب إلى ابنه سلطان شاه صاحب قيسارية، فأكرمه وعظّمه كما يجب عليه فرجع قطب الدين إلى قونية، وخطب لنفسه بالسلطنة، وبقى أبوه قليج أرسلان يتردد في بلاده بن أولاده وكلّما ضجر منه واحد منهم تنقل إلى أخر حتى حصل عند ولده غياث الدين كيخسرو صاحب برجلو[١]، فقوى أباه قليج أرسلان وأعطاه وجمع له، وحشد، وسارا إلى قونية وملكها وأخذها من ابنه ملكشاه ثم سار إلى أقصر، فاتفق أن عز الدين قليج أرسلان مات في التاريخ المذكور، فأخذه ولده كيخسرو وعاد به إلى قونية، فدفنه بها، وأثبت إنه ولّي عهد أبيه قليج أرسلان، ثم إن ركن الدين سليمان أخا غياث الدين كيخسرو قوى على أخيه كيخسرو وأخذ منه قونية، فهرب كيخسرو إلى الشام مستجيراً بالملك الظاهر صاحب حلب، ثم مات ركن الدين سليمان سنة ستمائة وملك بعده ولده قليج أرسلان فرجع غياث الدين كيخسرو إلى بلاد الروم، وأزال ملك قليج أرسلان بن سليمان، وملك بلاد الروم جميعها واستقرت سلطنته ببلاد الروم وبقي كذلك إلى أن قتل وملك ابنه عز الدين كيكاوس، ثم توفي كيكاوس. / ١١١/ وملك بعده أخوه علاء الدين، وتوفي علاء الدين كيقباذ سنة أربع وثلاثين وستمائة وملك بعده ولده غياث الدين كيخسرو بن كيقباذ، وكَسَرَهُ التتر سنة أربع وأربعين وستمائة، وتضعضع حينئذ ملك السلاجقة ببلاد الروم، ثم مات كيخسرو بن كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان بن قطلومش بن أرسلان بن سلجوق، وانقضى بموت كيخسرو المذكور ملك سلاطين بلاد الروم في الحقيقة، لأن من صار بعده لم يكن له في السلطنة غير مجرّد الاسم، وخلف كيخسرو المذكور صبيين هما: ركن الدين وعز الدين، فملكا بعده معاً مديدة، ثم انفرد ركن الدين بالسلطنة وهرب أخوه عز الدين إلى قسطنطينية وتغلب على ركن الدين معين الدولة البرواناه والبلاد في الحقيقة للتتر، ثم أن البرواناه قتل ركن الدين وأقام إبناً لركن الدين يخطب له بالسلطنة والحكم للبرواناه، وهو نائب التتر على ما سنذكره إن شاء الله.

وفيها: غزا[٢] شهاب الدين الغوري الهند، فغنم وقتل ما لا يحصى.

---

(١) في المختصر: برغلو.
(٢) المختصر ٣/ ٨٥ وانظر الخبر مفصلاً في الكامل في التاريخ ٩/ ٢٢٣.

وفيها: خرج[١] السلطان طغريل بن أرسلان بن طغريل من الحبس بعد قتل قزل أرسلان بن الدكز، وكان قزل قد اعتقله حسبما تقدم ذكره في سنة سبع وثمانين وخمسمائة.

وفي سنة تسع وثمانين:

كانت وفاة السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن نجم الدين أيوب تغمّده الله برحمته[٢].

/ ١١٢/ دخلت هذه السنة والسلطان بدمشق على أكمل (ما يكون) من المسرّة، وخرج إلى شرقي دمشق متصيّداً، وغاب خمسة عشر يوماً، وصحبته أخوه الملك العادل، ثم عاد إلى دمشق، وودّعه أخوه الملك العادل وداعاً لا لقاء بعده، وسار إلى الكرك، وأقام فيه حتى بلغه وفاة السلطان، وأقام السلطان بدمشق، وركب يوم الجمعة خامس عشر صفر، وتلقى الحجاج، وكانت عادته لا يركب إلا وعليه كازغند[٣]، ركب ذلك اليوم وقد اجتمع بسبب اجتماع الحجاج وركوبه عالم كثير، ولم يلبس الكازغند، ثم ذكره وهو راكب فطلبه، فلم يجده لأنه لم يحمل معه[٤]، ولما التقى الحجاج استعبرت عيناه، كيف فاته الحج، ووصل إليه مع الحجاج ولد أخيه سيف الإسلام صاحب اليمن. ثم عاد السلطان بين البساتين على جهة المنيبع، ودخل إلى القلعة على الجسر، وكانت هذه آخر ركباته، فلحقه ليلة السبت سادس عشر صفر كسل عظيم، وغشيه نصف الليل حمى صفراوية، وأخذ المرض في التزايد، وقصده الأطباء في الرابع، فاشتدّ مرضه، وحدث به في التاسع رعشة، وغاب ذهنُه، وامتنع من تناول المشروب، واشتدَّ الإرجاف في البلد، وغشي الناس من الحزن والبكاء عليه ما لا يمكن حكايتُه، وحقن في العاشر حقنتين فاستراح بدنُه، وتناول من ماء الشعير مقداراً صالحاً، ثم لحقه عرق عظيم حتى نفذ من الفراش، واشتد المرض ليلة ثاني عشر مرضه، وهي ليلة السابع والعشرين من صفر وحضر عنده الشيخ أبو جعفر إمام

---

(١) المختصر ٣/ ٨٥ وانظر الكامل ٩/ ٢٢٤.
(٢) المختصر ٣/ ٨٥ وانظر الكامل وشفاء القلوب ص١٧٩ والشذرات ٤/ ٢٩٨ وتاريخ مختصر الدول ٣٣٨ ومرآة الجنان ٣/ ٤٣٩ والبداية والنهاية ١٣/ ٢ والفتح القسي ص٣٢٦ والروضتين ٢/ ٢١٢ ومفرج الكروب ١/ ١٦٨ والنجوم الزاهرة ٦/ ١٣٢ ونهاية الارب ٢٨/ ٤٣٧.
(٣) الكازغند: المعطف الكبير يلبس فوق الزرديّة يصنع من القطن أو الحرير المبطن.
(٤) في المختصر: وقد حملوه معه.

الكلاسة[١] ليبيت عنده في القلعة، /١١٣/ بحيث إن احتضر بالليل لقّنهُ الشهادة، وتوفي السلطان في الليلة المذكورة، وهي المسفرة عن نهار الأربعاء ثامن عشرين صفر بعد صلاة الصبح سنة تسع وثمانين، وبادر القاضي الفاضل بعد صلاة الصبح فحضر وفاته، ووصل القاضي بهاء الدين بن شدّاد بعد موته، وغسَّله الخطيب الدولعي[٢] بدمشق، وأخرج بعد صلاة الظهر من نهار الأربعاء المذكور في تابوت مسجّى بثوب، وجميع ما احتاجه من ثياب تكفينه أحضرها القاضي الفاضل من جهات حلّ عرفها، وصلّى عليه الناس، ودفن بقلعة دمشق في الدار التي كان مريضاً فيها[٣]. وكان نزوله إلى قبره بعد صلاة العصر من النهار المذكور وكان الملك الأفضل ابنه قد حلّف الناس له عندما اشتدّ بوالده المرض، وجَلَسَ للعزاء في القلعة، وأرسل الملك الأفضل الكتب بوفاة والدِهِ إلى أخيه الملك العزيز عثمان بمصر، وإلى أخيه الملك الظاهر بحلب، وإلى عمّه الملك العادل بالكرك. ثم إنّ الأفضل عمل لوالدِهِ تربة قرب الجامع كانت داراً لرجل صالح، ونقل إليها السلطان يوم عاشوراء سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، ومشى الأفضل بين يدي تابوته، وأخرج من باب القلعة على دار الحديث إلى باب البريد، وأدخل الجامع، ووضع قدام الستر، وصلى عليه القاضي محيي الدين بن الزكيّ[٤]، ثم دفن وجلس ابنه الأفضل في الجامع ثلاثة أيام للعزاء، وأنفقت ست الشام[٥] بنت أيوب أخت السلطان في هذه النوبة أموالاً عظيمة.

/١١٤/ وكان مولد السلطان صلاح الدين بتكريت في شهور سنة اثنتين وثلاثين

---

(١) الكلاسة: مدرسة بجانب الجامع الأموي، عمرها نور الدين الشهيد في سنة ٥٥٥هـ وسميت بهذا الاسم لأنها كانت موضع عمل الكلس أيام بناء الجامع، ولما ملك صلاح الدين دمشق أمر بتجديدها، وأول من صلى بها أبو جعفر أحمد بن علي القرطبي المتوفى سنة ٥٩٦هـ (الدارس في أخبار المدارس ١/ ٤٤٨).

(٢) هو عبد الملك بن زيد بن يس التغلبي، الدولعي، نسبة إلى الدولعية من قرى الموصل، قدم دمشق واستوطنها وصار خطيبها، توفي سنة ٥٩٨ هـ. (وفيات الأعيان ٧/ ٢٠٣ والنجوم الزاهرة ٦/ ١٨).

(٣) في شفاء القلوب ص١٨١: ودفن بدار البستان موضع جلوسه، وقبل موضع مرضه.

(٤) أبو المعالي محمد بن أبي الحسن علي بن محمد، يتصل نسبه بالخليفة عثمان بن عفان، محي الدين ابن الزكي الدمشقي، الشافعي من الفقهاء الأدباء الشعراء الخطباء، تولى القضاء بدمشق، ولما فتحت القدس استدعاه السلطان للخطبة، توفي سنة ٥٩٨ هـ. انظر: (وفيات الأعيان ٤/ ٢٢٩ والوافي ٤/ ١٦٩ والعبر ٤/ ٢٠٥ والشذرات ٤/ ٣٣٧).

(٥) ست الشام بنت أيوب، وصفت بأنها عاقلة كثيرة البر والإحسان والصلاة، وهي أم حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين، وتزوجها ناصر الدين ابن عمها محمد بن شيركوه. وتوفيت سنة ٦١٦ هـ. انظر: شفاء القلوب ص٢٢٩ ومرآة الزمان ٨/ ٦٠٦ وذيل الروضتين ١١٩ والدارس ١/ ٢٢٧.

وخمسمائة، فكان عمره سبعاً وخمسين سنة، وكانت مدّة ملكه للديار المصرية نحو أربع وعشرين سنة، وملكه للشام قريباً من تسع عشرة سنة، وخلّف سبعة عشر ولداً ذكراً وبنتاً واحدة[١]، وكان أكبر أولاده الملك الأفضل نور الدين علي، ولد بمصر سنة خمس وستين وخمسمائة، وكان العزيز عثمان أصغر منه بنحو سنتين، وكان الظاهر صاحب حلب أصغر منهما، وبقيت البنت حتى تزوجها ابن عمّها الملك الكامل صاحب مصر ولم يخلف السلطان صلاح الدين في خزانته غير سبعة وأربعين درهماً وجرم[٢] واحد صوري وهذا من رجل له البلاد المصرية والشام واليمن والشرق دليل قاطع على فرط كرمه. ولم يخلف داراً ولا عقاراً، قال العماد الكاتب[٣]: حسبتُ ما أطلقه السلطان في مدّة مقامه بمرج عكا من خيل عراب واكاديش فكان اثني عشر ألف رأس. وذلك غير ما أطلقه من أثمان الخيل المصابة في القتال، ولم يكن له فرس يركبه إلاّ وهو موهوب أو موعود به، ولم يؤخر صلاةً عن وقتها، ولا صلّى إلاّ في جماعة، وكان إذا عزم على أمر توكّل على الله، ولا يفضل يوم على يوم. وكان كثير سماع الحديث النبوي، قرأ مختصراً في الفقه تصنيف سليم الرازي[٤]، وكان حسن الخلق صبوراً على المكاره، كثير التغافل عن ذنوب أصحابه، يسمع من أحدهم ما يكره، ولا يعلمه بذلك، ولا / ١١٥/ يتغيّر عليه. وكان يوماً جالساً فرمى بعض المماليك بعضاً بسرموزة[٥]، فأخطأته، ووقعت قريباً منه. فالتفت إلى الجهة الأخرى ليتغافل عنها. وكان طاهر المجلس، لا يذكر أحداً في مجلسه إلاّ بخير، وطاهر اللسان فلا يولع بشتم أحَدٍ قط.

قال العماد الكاتب[٦]: مات بموت السلطان الرجال[٧]، وفات بفواته[٨] الأفضال، وغاضت الأيادي، وفاضت الأعادي، وانقطعت الأرزاق، وادلهمّت[٩]

---

(١) هي مؤنسة خاتون (انظر: شفاء القلوب ص١٩٧ و ٢٧١).

(٢) في نهاية الارب: وجراماً واحداً ذهباً صورياً.

(٣) نقلاً عن المختصر ٣/ ٨٦.

(٤) في الأصل المختصر: الداري، والتصويب عن مصادر ترجمته، وهو سليم بن أيوب بن سليم الرازي، الشافعي، فقيه، أهله من الري، وتفقه ببغداد، ورابط بثغر صور، وحج فغرق في البحر عند ساحل جدّة سنة ٤٤٧ هـ.. (شذرات الذهب ٣/ ٢٧٥ والوافي بالوفيات ١٥/ ٣٣٤).

(٥) في الأصل: سروحة، والتصويب عن المختصر، وهي كلمة فارسية معناها الحذاء.

(٦) شفاء القلوب ص١٨١ والفتح القسي ٢/ ١٥٤ ومرآة الزمان ٨/ ٤٣١ وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٥٤.

(٧) في المصادر الأخرى: مات بموته رجاء الرجال.

(٨) في المختصر: بوفاته، وفي المصادر المذكورة: وأظلم لغروب شمسه فضاء الأفضال.

(٩) في شفاء القلوب والمرآة وابن الوردي: وأظلمت.

الآفاق، وفُجِع الزمان بواحدِهِ وسلطانِهِ، ورزي الإسلام بمشيّد أركانه.

ولما توفي السلطان الملك الناصر صلاح الدين استقرّ في الملك بدمشق وبلادها المنسوبة إليها ولده الأفضل نور الدين علي[١]. وبالديار المصرية الملك العزيز عماد الدين عثمان، وبحلب الملك الظاهر عماد الدين غازي[٢]، وبالكرك والشوبك والبلاد الشرقية[٣] الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيّوب. وحماة وسلمية والمعرّة ومنبج وقلعة نجم الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر، وببعلبك الملك الأمجد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب. وبحمْص والرحبة وتدمر الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شاذي، وبيد الملك الظافر خضر[٤] بن السلطان صلاح الدين بُصرى، وهو في خدمة أخيه الملك الأفضل، وبيد جماعة أمراء الدولة بلاد وحصون منهم: سابق الدين عثمان بن الداية، /١١٦/ بيدِهِ شيزر وأبو قبيس. وناصر الدين منكورس بن خمارتكين بيده صهيون وحصن بَرْزيّة، وبدر الدين دُلْدُرْم[٥] ابن بهاء الدين باروق بيده تل باشر، وعز الدين أسامة[٦] بيده كوكب وعجلون، وعز الدين إبراهيم بن شمس الدين بن المقدم بيده بَعْرين وكفر طاب وفامية[٧].

والملك الأفضل هو الأكبر من أولاد السلطان، والمعهود إليه بالسلطنة، واستوزر الملك الأفضل ضياء الدين نصر الدين محمد بن الأثير[٨]، مصنف المثل

---

(١) في شفاء القلوب: وعنده شقيقاه علي بُصري والمفضل.

(٢) في شفاء القلوب: وعنده أخوه الزاهر داود.

(٣) حران والرها وميافارقين وجعبر.

(٤) الأصل: حصن وهو تصحيف، وهو خضر بن يوسف، الملك الظافر، المعروف بالمشمّر، ولد بالقاهرة سنة ٥٦٨ هـ.، وتوفى سنة ٦٢٧ هـ. بحرّان عند ابن عمه الأشرف، انظر: شفاء القلوب ص ٢٦٦ والوفيات ٧/ ٢٠٥ والدارس ٢/ ١٨٧.

(٥) بدر الدين دُلْدُرم بن باروق المتوفى سنة ٦١١ هـ. «مفرج الكروب ٣/ ٢٢٤ والوافي بالوفيات ١٤/ ٢٤».

(٦) الأصل: سامة، وهو عز الدين (أسامة) اعتقله الملك المعظم فيما بعد في الكرك فمات بالسجن سنة ٦٠٨ هـ. (مفرج الكروب ٣/ ٢١٠).

(٧) بعده في شفاء القلوب ص١٩٨: وعين تاب بيد ناصر الدين شحنة حلب.

(٨) أبو الفتح، نصر الدين بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم، الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري، ولد في جزيرة ابن عمر سنة ٥٥٨هـ، وانتقل إلى الموصل وبها تلقى العلم، واتصل بالسلطان صلاح الدين ثم بولده الأفضل ووزر له، ثم خرج من دمشق مستخفياً لما أخرج منها الأفضل، وانتقل معه إلى مصر، ثم خرج منها مستتراً، ثم خدم الأفضل في سمسياط، ثم فارقه واتصل بأخيه الظاهر صاحب حلب، ثم عاد إلى الموصل ثم أربل وخدم صاحبها، ومات

=

السائر، وهو أخو عز الدين ابن الأثير مصنف الكامل، فحسّن للملك الأفضل طرد أُمراء أبيه ففارقوه إلى أخويه العزيز والظاهر.

قال العماد[1] الكاتب: وتفرّد الوزير بوزره، ومدّ الجزري في جزره، ولما اجتمعت الأُمراء بمصر، حسّنوا للملك العزيز الانفراد بالسلطنة، ووقَعوا في أخيه الأفضل، فمال إلى ذلك، وحصلت الوحشة بين الأخوين الأفضل والعزيز.

وفيها[2]: بعد موت السلطان قدم الملك العادل من الكرك إلى دمشق، وأقام فيها وظيفة العزاء على أخيه، ثم توجّه إلى بلاده التي هي وراء الفرات.

وفي هذه السنة: لما[3] مات السلطان صلاح الدين كاتب عز الدين مسعود بن مودود ابن زنكي صاحب الموصل ملوك البلاد المجاورين للوصل، يستنجدهم، واتفق مع أخيه عماد الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار، وسار إلى حرّان، وغيرها، فلحق عز الدين مسعود إسهال قوي وضعف /١١٧/ فترك العسكر مع أخيه عماد الدين وعاد إلى الموصل وصحبته مجاهد الدين قيماز، فخلف العسكر عز الدين لابنه أرسلان شاه بن مسعود، وقوي بعز الدين مسعود المرض، وتوفي[4] في السابع والعشرين من شعبان هذه السنة.. وكانت مدّة ما بين وفاتِهِ ووفاة السلطان صلاح الدين نصف سنة. ومدة ملك عز الدين الموصل ثلاث عشرة سنة وتسعة أشهر، وكان ديناً خيراً عادلاً كثير الإحسان. أسمر مليح الوجه، خفيف العارضين، يشبه جده عماد الدين زنكي بن اقسنقر.

واستقرّ في ملك الموصل بعده ولده أرسلان شاه، وكان القائم بأمره مجاهد الدين قيماز.

وفي هذه السنة: أول[5] جمادى الأولى، قتل سيف الدين محمد صاحب خلاط، وبين قتله وموت صلاح الدين شهران، ولما بلغ بكتمر موت السلطان صلاح الدين أسْرف في إظهار الشماتة بموت السلطان، وضرب البشارة ببلاده، وعمل تختاً وجلس عليه، وسمّى نفسه السلطان المعظّم، وكان اسمه بكتمر فسمى نفسه (عبدالعزيز)[6]،

= ببغداد سنة ٦٣٧هـ وكان قد قدم إليها رسولاً، وله مصنفات أشهرها «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» انظر: وفيات الأعيان ٥/ ٣٨٩. وتاريخ أربل ذيل الروضتين ١٦٩ والحوادث الجامعة ١٣٦ وعبر الذهبي ٥/ ١٥٦ والشذرات ٥/ ١٨٧.

(١) نقلاً عن المختصر ٣/ ٨٧. (٢) المختصر ٣/ ٨٨.

(٣) المختصر ٣/ ٨٨ وكامل ابن الاثير ٩/ ٢٢٨ والعسجد المسبوك ص٢٢٢.

(٤) انظر خبر وفاته في: الكامل ٩/ ٢٢٨ وشذرات الذهب ٤/ ٢٩٧ والعسجد المسبوك ص٢٢٢.

(٥) المختصر ٣/ ٨٨ وانظر الخبر في الكامل ٩/ ٢٢٨ وتاريخ مختصر الدول ص٣٨٩.

(٦) في المختصر ٣/ ٨٨ ولقب نفسه السلطان المعظم صلاح الدين، وكان اسمه بكتمر فسمى نفسه =

وكأنه قد فعل ذلك فلم يمهله الله تعالى، وكان هذا بكتمر من مماليك ظهير الدين شاه أرمن، وكان له خشداش[(١)] اسمه هزار ديناري، واسم هزار ديناري آقسنقر، ولقبه بدر الدين، جلبه تاجر جرجاني اسمه علي الى خلاط، فاشتراه منه شاه أرْمَن[(٢)] من سكمان بن إبراهيم وأعجب به شاه أرمن، فجعله /١١٨/ ساقياً له ولقّبه هزار ديناري، وبقي على ذلك برهة من الزمان. فلما تولى بكتمر على خلاط، بقي هذا من أكبر الأمراء، وتزوّج ببنت بكتمر عينا خاتون بنت بكتمر وخلّف بكتمر ولداً، فأخذ هزار ديناري ولد بكتمر وأمّه، واعتقلهما بقلعة أرزاس بموش، وعمر ابن بكتمر سبع سنين، واستقر آقسنقر هزار ديناري في مملكة خلاط حتى توفي سنة أربع وتسعين وخمسمائة على ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

وفيها: شتّى[(٣)] شهاب الدين الغوري في برشاوور، وجهّز مملوكه أيبك في عساكر كثيرة إلى بلاد الهند، ففتح وغنم وعاد منصوراً.

وفيها: توفي[(٤)] سلطان شاه بن أرسلان بن خوارزم شاه أطسز بن محمد بن انوشتكين، وكان قد ملك خراسان[(٥)]. ولما مات انفرد أخوه تكش بالمملكة، وقد تقدم ذكرهما في سنة ثمان وستين وخمسمائة.

وفيها[(٦)]: مات الأمير داود بن عيسى بن محمد بن أبي هاشم أمير مكة. وما زالت إمارة مكة له تارة ولأخيه مكثر تارةً حتى مات.

وفي سنة تسعين وخمسمائة:

قتل[(٧)] طغريل بن أرسلان بن طغريل ابن السلطان محمد ابن ملك شاه بن ألب

=

«الملك العزيز»، وفي الكامل ٣/ ٢٢٩ وكان لقبه سيف الدين فغيّره وسمى نفسه عبد العزيز.

(١) خشداش، معرب، واللفظ الفارسي (خوجاتاش) أي الزميل في الخدمة. والخشداشية تعني الأمراء المماليك الذين نشأوا في خدمة سيد واحد.

(٢) في المختصر: شاهر.

(٣) المختصر ٣/ ٨٩، وانظر التفاصيل في كامل ابن الأثير ٩/ ٢٢٩ والبداية والنهاية ١٣/ ٩ والعسجد المسبوك ص٢٢٧.

(٤) المختصر ٣/ ٨٩ وانظر: الكامل ٩/ ٢٢٩.

(٥) في المختصر: ملك مرو وخراسان.

(٦) المختصر ٣/ ٨٩ والكامل ٩/ ٢٢٩. وانظر ترجمته داود في الوافي ١٣/ ٤٩٣ والروضتين ٢/ ١٩٥ ومرآة الجنان ٣/ ٤٣٨ والخريدة (قسم الشام) ٣/ ١١ وفيه: أن وفاته سنة ٥٨٥هـ، وعمدة الطالب ص١٣٨ والشذرات ٤/ ٢٩٧.

(٧) المختصر ٣/ ٨٩، والكامل ٩/ ٢٣٠ والشذرات ٤/ ٣٠١ وتاريخ الخلفاء ص٤٥٤.

أرسلان بن[١] داود بن ميكائيل بن سلجوق. وكان قد حبسه قزل أرسلان بن الدكز، وخرج طغريل من الحبس سنة ثمان وثمانين وخمسمائة، وملك همدان وغيرها، وجرى بينه وبين مظفر الدين أزبك بن محمد البهلوان /١١٩/ بن الدكز حرب، وقيل بل هو قطلغ إينانج أخو أزبك المذكور، فانهزم ابن البهلوان، ثم إن البهلوان بعد هزيمته استنجد بخوارزم شاه علاء الدين تكش وخاف منه فلم يجتمع بخوارزم شاه (وسار خوارزم شاه تكش)[٢] وملك الري، وذلك سنة ثمان وثمانين، وبلغ تكش إن أخاه سلطان قصد خوارزم فصالح طغريل السلجوقي، وعاد تكش إلى خوارزم وبقي الأمر كذلك حتى مات سلطان شاه سنة تسع وثمانين، وتسلم تكش مملكة أخيه سلطان شاه وخزائنه، وولي ابنه محمد بن تكش نيسابور، وولي ابنه الأكبر ملكشاه. مرو، فلما دخلت سنة تسعين سار تكش ليحارب طغريل السلجوقي، فسار طغريل إلى لقائه قبل اجتماع عسكره، والتقى العسكران بالقرب من الري، وحمل طغريل بنفسه فقتل، وكان قتله في رابع وعشرين ربيع الأول هذه السنة، وحمل رأس طغريل إلى تكش، فأُرسل إلى بغداد، فنصب بها عدّة أيام، وسار تكش فملك همدان وتلك البلاد جميعها، وسلم بعضها إلى ابن البهلوان، وأقطع الباقي لمماليكه، ورجع تكش إلى خوارزم. وهذا طغريل هو آخر من ملك بلاد العجم من السلاطين السلجوقية وقد تقدم ذكر ابتداء دولة السلجوقية في سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة، وأوّل من ملك منهم العراق وأزال دولة بني بويه طغرلبك[٣] بن ميكائيل بن سلجوق، ثم ملك بعده[٤] ألب أرسلان[٥] /١٢٠/ داود بن ميكائيل، ثم ابنه ملكشاه[٦] بن ألب أرسلان، ثم ابنه محمود ابن ملكشاه، وكان طفلاً، فقام بتدبير الدولة والدته تركان خاتون[٧]، ومات محمود وهو ابن سبع سنين، وملك أخوه بركيارق[٨] بن ملكشاه ثم أخوه محمد[٩] بن ملكشاه، ثم ابنه

---

(١) بعده كلمة غير مفهومة يوردها المؤلف قبل كلمة (داود) كلما ذكره، ولم ترد في المختصر ولا في المصادر الأخرى.

(٢) سقطت من الأصل، وأثبتّها عن المختصر.

(٣) طغرلبك، أبو شجاع محمد بن ميكائيل، دخل بغداد سنة ٤٤٧هـ، انظر تاريخ دولة آل سلجوق ص١٢.

(٤) بعده في المختصر: ابن أخيه، وكان قد ولي سنة ٤٥٠هـ، انظر: تاريخ دولة آل سلجوق ص٣٠.

(٥) بعده في الأصل: كلمة غير مفهومة لم ترد في المختصر ولا في المصادر الأخرى.

(٦) جلال الدولة أبو الفتح، ملكشاه، مَلَكَ سنة ٤٦٥هـ (تاريخ دولة آل سلجوق ص٥٠).

(٧) انظر: تاريخ دولة آل سلجوق ص٨١.

(٨) انظر: تاريخ دولة آل سلجوق ص٨١.

(٩) انظر: تاريخ دولة آل سلجوق ص٨٦، وتاريخ الخلفاء ص٤٣٠ وكانت وفاته سنة ٥١١هـ.

محمود[١] بن محمد، ثم ابنه داود[٢] بن محمد مدّة يسيرة، ثم عمّه طغرلبك[٣] بن محمد ثم أخوه مسعود[٤] بن محمد، ثم ابن أخيه ملكشاه[٥] بن محمود بن محمد أياماً يسيرة، ثم أخوه محمد بن محمود، ثم بعد محمد المذكور اختلفت العساكر، وقام من بني سلجوق ثلاثة أحدهم ملكشاه بن محمود أخو محمد المذكور، والثاني سليمان شاه بن محمد ابن السلطان ملكشاه الأكبر، وهو عم محمد المذكور، والثالث أرسلان شاه بن طغريل بن محمد ابن السلطان ملكشاه. وكان الدكز مزوّجاً بأم أرسلان شاه المذكور، فقوي عليهما سليمان شاه، واستقرّ في همدان سنة خمس وخمسمائة، ثم قبض سليمان شاه وقتل. وسمّ ملكشاه بن محمود ومات بأصفهان في سنة خمس وخمسين وخمسمائة وانفرد أرسلان شاه بن طغريل ربيب الدّكز على السلطنة، ثم ملك ابنه طغريل ابن أرسلان شاه بن طغريل في سنة ست وثمانين وخمسمائة وجرى له ما ذكرناه حتى قتله تكش في هذه السنة، أعني سنة تسعين وخمسمائة، وانقرضت به دولة السلجوقية من تلك البلاد.

وفيها[٦]: أرسل الخليفة الناصر عسكراً مع وزيره مؤيد الدين محمد[٧] بن علي المعروف بابن القصاب /١٢١/ إلى خورستان، وهي بلاد شملة وأولاده من بعده، وكان قد مات صاحبها ابن شملة[٨] واختلف أولاده، فوصل عسكر الخليفة إلى خوزستان وملكوا مدينة تستر في محرم سنة إحدى وتسعين وغيرها من البلاد، وملكوا قلعة الناظر وقلعة كاكرد وقلعة لاموج[٩] وغيرها من البلاد والحصون، وأنفذوا بني شملة أصحاب خوزستان إلى بغداد.

---

(١) أقيم السلطان محمود سنة ٥١١هـ وله أربع عشرة سنة (تاريخ الخلفاء ص٤٣٠ وتاريخ دولة آل سلجوق ص١١٤).
(٢) أقيم بعد وفاة أبيه محمود سنة ٥٢٥هـ (انظر تاريخ الخلفاء ص٤٣٢).
(٣) أقيم طغرل سنة ٥٢٦هـ (انظر تاريخ دولة آل سلجوق ص١٤٨).
(٤) توفي مسعود سنة ٥٤٥هـ.
(٥) أقيم ملكشاه شهراً (تاريخ الخلفاء ص٤٣٩).
(٦) المختصر ٣/ ٩٠ وانظر: الكامل ٩/ ٢٣١ ومرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٤٤٥ والعسجد المسبوك ص٣٠، أحداث سنة ٥٩١هـ.
(٧) هو أعجمي الأصل، كان أبوه يبيع اللحم في بغداد ونشأ هو مشتغلاً بالعلوم والأدب، وترقت به الحال، ومضى إلى خوزستان وفتحها ومات بها انظر: الفخري في الأحكام السلطانية ص٢٣٨.
(٨) شملة التركماني، كان قد تغلّب على بلاد فارس واستحدث قلاعاً، ونهب الأكراد والتركمان، إلى أن حاربه التركمان واستعانوا عليه بالبهلوان الدكز فأخذ أسيراً فمات في الأسر سنة ٥٧٠هـ. (الوافي ١٦/ ١٨٦ والمنتظم ١٠/ ٢٥٥ والعبر ٤/ ٢١١).
(٩) في الكامل: الأموج.

وفيها[١]: أعني سنة تسعين استحكمت الوحشة بين الأخوين العزيز والأفضل ابني السلطان صلاح الدين، وسار العزيز في عسكر مصر، وحَصَرَ أخاه الأفضل بدمشق، وأرسل الأفضل إلى عمّه العادل وأخيه الظاهر وابن عمه المنصور صاحب حماة يستنجدهم، فساروا إلى دمشق وأصْلَحوا بين الأخوين، ورجع العزيز إلى مصر، ورجع كل ملك إلى بلده، وأقبل الأفضل بدمشق على الشرب وسماع الأغاني ليلاً ونهاراً، وأشاع ندماؤه أن عمه العادل حسَّن له ذلك. فكان يعمله بالخفية، فأنشده العادل: [الطويل]

فلا خير باللذات من دونها ستر[٢].

فقبل وصية عمه، وتظاهر بذلك، وفوّض أمر المملكة إلى وزيره ضياء الدين ابن الأثير الجزري، يديرها برأيه الفاسد، ثم أن الملك الأفضل أظْهَرَ التوبة عن ذلك وأزال المنكر وواظب على الصلوات، وشرع في نسخ مصحف بيدِهِ.

سنة إحدى وتسعين إلى سنة ستمائة

/ ١٢٢/ في سنة إحدى: سار[٣] ابن القصاب وزير الخليفة بعد تملكه خوزستان إلى همدان وملكها، وأخذ يستولي على تلك البلاد للخليفة، فتوفى مؤيد الدين ابن القصاب في أوائل شعْبان سنة اثنتين وتسعين[٤].

وفيها: غزا[٥] يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ملك المغرب بالأندلس الفرنج[٦]، وجرى بينهم مصاف عظيم انتصر فيه المسلمون، وقتل من الفرنج ما لا يحصى، وولوا منهزمين وغنم المسلمون ما لا يُحصى.

وفيها: جهّز[٧] الخليفة الإمام الناصر عسكراً مع مملوك له اسمه سيف الدين طغريل فاستولى على أصبهان.

---

(١) المختصر ٣/ ٩٠ وانظر: الكامل ٩/ ٢٣١ وشفاء القلوب ص٢٤١ ونهاية الأرب ٢٨/ ٤٤٤ والعسجد المسبوك ص٢٧٤.
(٢) لأبي نواس (ديوانه ص٢٨) وصدرهُ: فَبحْ باسم من أهوى وَدَعْني من الكنى.
(٣) المختصر ٣/ ٩١ وانظر: الكامل ٩/ ٢٣١ والبداية والنهاية ١٣/ ١١.
(٤) انظر خبر وفاته في الكامل ٩/ ٢٣٩ والعسجد المسبوك ص٢٣٢.
(٥) المختصر ٣/ ٩٠ وانظر الخبر في الكامل ٩/ ٢٣٢ وتاريخ مختصر الدول ص٣٩٠ والنجوم الزاهرة ٦/ ١٣٧ والشذرات ٤/ ٣٠٦ ومرآة الجنان ٣/ ٤٧٢ والبداية والنهاية ١٣/ ١٠ وهي الوقعة المعروفة بوقعة الزلاقة.
(٦) في المختصر: الفرنج بالأندلس.
(٧) المختصر ٣/ ٩١ وانظر: الكامل ٩/ ٢٣٤ والعسجد المسبوك ص٢٣٣.

وفيها: قدّم[١] مماليك البهلوان عليهم مملوكاً من البهلوانية اسمه كلجا[٢]. فعظم أمره واستولى على الري وهمدان.

وفيها: عاود[٣] الملك العزيز عثمان قصد الشام ومنازلة أخيه الملك الأفضل. وسار ونزل الفوار من أرض السواد من دمشق، واضطرب بعض أمرائه عليه، وهم طائفة من الأسدية، وفارقوه، فبادر العزيز إلى مصر بمن بقي معه من العسكر.

وكان الأفضل قد استنجد بعمه العادل لما قصده أخوه العزيز، فلما رحل العزيز إلى مصر رحل العادل والأفضل ومن انضمَّ إليهما من الأسدية في أثر العزيز طالبين مصر، وساروا حتى نزلوا على بلبيس، وقد ترك العزيز فيها جماعة من الصلاحية، وقصد الأفضل مناجزتهم بالقتال، فمنعه عمّه العادل، فقصد الأفضل المسير إلى مصر والاستيلاء عليها فمنعه عمّه العادل أيضاً، وقال: مصر /١٢٣/ لك متى شئت، وكان[٤] العادل مع العزيز في الباطن، وقال: أرسل إلى القاضي الفاضل ليصلح بين الأخوين وكان القاضي الفاضل قد اعتزل عن ملابستهما بما رأى من فساد أحوالهما، فدخل عليه الملك العزيز وسأله فتوجه القاضي الفاضل من القاهرة إلى عند الملك الأفضل. واجتمع به، واتفقا على أن يصلحا بين الأخوين، فأصلحا بينهما، وأقام العادل بمصر عند العزيز على حسب تقرير أمور المملكة، وعاد الأفضل إلى دمشق:

وفيها: كان[٥] بين يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وبين الفرنج بالأندلس شمالي قرطبة، حروب عظيمة، انتصر فيها يعقوب، وانهزم الفرنج.

وفي سنة اثنتين وتسعين:

سار[٦] شهاب الدين الغوري صاحب غزنة إلى بلاد الهند، وفتح قلعة عظيمة تسمّى بهنكر بالأمان، ثم سار إلى قلعة كواكير[٧] بينهما نحو خمسة أيام، فصَالَحَهُ

---

(١) المختصر ٣/ ٩١ وانظر: الكامل ٩/ ٢٣٤.

(٢) اسمه في الكامل: كوكجة. وقتل كوكجة سنة ٦٠٠هـ، قتله مملوك آخر للبلهوان اسمه ايتغمش. انظر: العسجد المسبوك ص٢٨٦.

(٣) المختصر ٣/ ٩١ وانظر: الكامل ٩/ ٢٣٤ وشفاء القلوب ص٢٤١ والبداية والنهاية ١٣/ ١١ ومفرج الكروب ٣/ ١٠ ونهاية الارب ٢٨/ ٤٤٦.

(٤) في المختصر: وكاتب العادل العزيز في الباطن، وأمره بإرسال القاضي الفاضل..

(٥) المختصر ٣/ ٩١ والنجوم الزاهرة ٦/ ١٣٩.

(٦) المختصر ٣/ ٩١ وانظر: الكامل ٩/ ٢٢٥ والعسجد المسبوك ص٢٣٦.

(٧) في المختصر كوكير، وفي الكامل: كوالير. وانظر: العسجد المسبوك ص٢٣٧.

أصحابها على مال حملوه إليه، ثم سار في بلاد الهند فغنم وأسر وعاد إلى غزنة.

وفيها: سلم(١) صدر الدين محمد بن عبد اللطيف الخجندي رئيس الشافعية أصفهان إلى عسكر الخليفة، فقتله سنقر الطويل شحنة الخليفة بأصبهان بسبب منافرة جرت بينهما.

وفيها: نَقَلَ(٢) الملك الأفضل أباه صلاح الدين من قلعة دمشق إلى التربة بالمدينة، وكان مدّة لبثه في القلعة ثلاث سنين، ولزم الملك الأفضل الزهد والقناعة، وأُموره مسلمة إلى وزيره /١٢٤/ ضياء الدين ابن الأثير وقد اختلفت الأحوال به، وكثر شاكوه وقل شاكروه، فلما بلغ العادل والعزيز بمصر اضطراب الأمور على الأفضل، اتفق العادل والعزيز على أن يأخذا دمشق ويسلّمها(٣) العزيز إلى العادل، وتكون السكّة والخطبة للعزيز بسائر البلاد، كما كانت لأبيه فخرجا وسارا من مصر، فأرسل الملك الأفضل إليهما فلك الدين أحد أُمرائه، وكان فلك الدين أخا الملك العادل لأمّه، واجتمع فلك الدين بالملك العادل، فأكرمَهُ وأظهر الإجابة إلى ما طلبه، وأتم العادل والعزيز السير حتى نازلا دمشق، وقد حصّنها الملك الأفضل، فكاتب بعض الأمراء من داخل البلد(٤): الملك العادل وصاروا معه وإنهم يسلّمون المدينة إليه، فزحف الملك العادل والعزيز ضحى يوم الأربعاء سادس عشرين رجب هذه السنة، فدخل الملك العزيز من باب الفرج، والعادل من باب توما، فأجاب الملك الأفضل إلى تسليم القلعة، وانتقل منها بأهله وأصحابه وأخرج وزيره ضياء الدين ابن الأثير في صندوق خوفاً عليه من القتل.

وكان الملك الظافر خضر بن السلطان صلاح الدين صاحب بُصرى مع أخيه الملك الأفضل، ومعاضداً له، فأُخِذَتْ منه بصرى أيضاً، فلحق بأخيه الملك الظاهر فأقام عنده بحلب، وأعطى الملك الأفضل صرخد، فسار إليها بأهله، واستوطنها، ودخل الملك العزيز إلى دمشق /١٢٥/ يوم الأربعاء رابع شعبان، ثم سلّم دمشق إلى

---

(١) المختصر ٣/ ٩١ وانظر: الكامل ٩/ ٢٣٦ وفيه: محمود بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت، كان قد قدم بغداد واستوطنها، ثم عاد إلى أصبهان مع الوزير بن القصاب: فسكنها إلى وفاته (الكامل ٩/ ٢٣٦).

(٢) المختصر ٣/ ٩٢، وانظر خبر أخذ دمشق من الأفضل: تاريخ مختصر الدول ص٣٩١ والكامل ٩/ ٢٣٥.

(٣) الأصل: يسلّماها.

(٤) التكملة عن المختصر.

عمّه الملك العادل، على حكم ما كان وَقَعَ عليه اتفاقهما، وتسلّمها الملك العادل ورحل الملك العزيز من دمشق عشيّة يوم الاثنين تاسع شعبان وكانت مدة ملك الأفضل لدمشق ثلاث سنين وشهراً، وأبقى الملك العادل السكّة والخطبة بدمشق للملك العزيز.

ولما استقرّ الملك الأفضل بصرخد كتب إلى الخليفة الإمام الناصر يشكو من عمّه أبي بكر وأخيه العزيز عثمان، وأول الكتاب[١]:

مولاي إنّ أبا بكْرٍ وصاحبه ... عثمان قد غصبا بالسيف حقّ علي
فانظر إلى حظ هذا الاسم كيف لقي ... من الأواخر ما لاقى من الأُول

فكتب (الإمام)[٢] الناصر جوابه:

وافى كتابك يا بن يوسف معلِناً ... بالصدق يخبر أن أصْلَكَ طاهر
غَصَبوا علياً حقّه إذْ لم يكن ... بعد النبي له بيثربَ ناصر
فاصبر فإن غداً عليه حسابهم ... وابشر فناصرك الإمام الناصِرُ

وفي سنة ثلاث وتسعين[٣]:

توفي في نيسابور ملكشاه بن تكش، وكان أبوه خوارزم شاه تكش قد جعله فيها، وجعل له الحكم على تلك البلاد، وجَعَلَهُ وليّ عهده وخلّف ملكشاه ولداً اسمُهُ هندوخان، فلما مات ملكشاه جعل تكش بنيسابور ولده الآخر قطب الدين محمد وهو الذي ملك بعد أبيه تكش، وجعل لقبه علاء الدين. وكان بين الأخوين ملكشاه ومحمد عداوة مستحكمة.

/ ١٢٦/ وفيها[٤]: توفي في شوال سيف الإسلام ظهير الدين ظغتكين بن أيوب صاحب اليمن، ولما مات سيف الإسلام كان ولده الملك المعزّ إسماعيل[٥] بالسرّين[٦]

---

(١) البيتان وجوابهما في: شفاء القلوب ص٢٥٨ ووفيات الأعيان ٣/ ٤٢٠ والغيث المسجم ٢/ ٧٧٢ والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٦٢ وثمرات الأوراق ص٢٣.

(٢) الأصل: الملك والتصويب عن المختصر.

(٣) المختصر ٣/ ٩٣ وانظر الكامل ٩/ ٢٣٩.

(٤) المختصر ٣/ ٩٣ وانظر الكامل ٩/ ٢٣٨ والبداية والنهاية ١٣/ ١٥ والعسجد المسبوك ص٢٤١.

(٥) الملك المعز إسماعيل بن طغتكين، قيل كان منهمكاً في اللهو والشراب، وملك اليمن بعد أبيه، وادعى النسب الأموي ورام الخلافة، وقتل باليمن سنة ٥٩٨هـ أو ٥٩٩هـ. انظر: شفاء القلوب ص٢٧١ ووفيات الأعيان ٢/ ٥٢٤ ومفرج الكروب ٣/ ١٣٦ والسلوك ١/ ١٥٩ والعبر ٤/ ٣٠١ والنجوم الزاهرة ٦/ ١٨١ وذيل الروضتين ص١١.

(٦) في الأصل والمختصر: السمرين، وسرّين، بُليد قريب من مكة على ساحل البحر بينها وبين مكة أربعة أيام أو خمسة قرب جدّة. (معجم البلدان ٣/ ٢١٩).

فبعث إليه جمال الدولة كافور جماعة من الجند، فعرّفوه بوفاة والده، ومضوا به إلى ممالك أبيه، فسلّموها إليه، وكانت وفاة سيف الإسلام بزبيد، وكان شديد السيرة مضيّقاً على رعيته يشتري أموال التجار لنفسه ويبيعها كيف شاء، وجمع من الأموال ما لا يحصى حتى أنه كان يسبك الذهب ويجعله كالطاحون ويدّخره.

وفي سنة[١] أربع وتسعين:

في المحرم، توفي عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي بن آقسنقر صاحب سنجار والخابور والرقّة، وكان حسن السيرة، متواضعاً، يحب العلم وأهْلَه، إلاّ أنّه كان شديد البخل، وملك بعده ولده قطب الدين محمد[٢]، وتولّى تدبير دولته مجاهد الدين برنقش[٣] مملوك أبيه.

وفيها[٤]: في جمادى الأولى سار نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي صاحب الموصل إلى نصيبين فأخذها من ابن عمّه قطب الدين محمد بن زنكي، فأرسل قطب الدين واستنجد الملك العادل، فسار الملك العادل إلى البلاد الجزرية، ففارق نور الدين أرسلان شاه نصيبين وعاد إلى الموصل، فعاد قطب الدين محمد بن زنكي وملك نصيبين.

وفيها[٥]: سار خوارزم شاه تكش إلى بخارا، وهي للخطا وحاصرها وملكها، وكان تكش /١٢٧/ أعور، فأخذ أهل بخارا في مدّة الحصار كلباً أعور، وألْبسوه قباءً وقالوا للخوارزمية، هذا سلطانكم، ورموه في المنجنيق إليهم، فلما ملكها تكش أحْسَنَ إلى أهل بخارا، وفرّق فيهم أموالاً، ولم يؤاخذهم بما فعلوه في حقّه.

وفيها[٦]: وصل جمع عظيم من الفرنج إلى الساحل واستولوا على قلعة بيروت فسار الملك العادل، ونزل على تل العجول، وأتته النجدة، ووصل إليه سنقر الكبير صاحب القدس، وميمون القصري صاحب نابلس، وسار الملك العادل إلى يافا

---

(١) المختصر ٣/ ٩٣، وانظر خبر وفاة عماد الدين زنكي في الكامل ٩/ ٢٣٩ ومختصر تاريخ الدول ص٣٩١ والشذرات ٤/ ٣١٦ ومرآة الجنان ٣/ ٤٧٧ والعسجد المسبوك ص٢٤٢ ومرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٤٥٧، والنجوم الزاهرة ٦/ ١٤٤.

(٢) انظر ترجمته في: الوافي بالوفيات ٣/ ٧٨.

(٣) الأصل: بقنش، والتصويب عن المختصر.

(٤) المختصر ٣/ ٩٣ وانظر الكامل ٩/ ٢٤٠.

(٥) المختصر ٣/ ٩٣ وانظر الكامل ٩/ ٢٤١ ومختصر تاريخ الدول ص٣٩١ والشذرات ٤/ ٣١٦.

(٦) المختصر ٣/ ٩٣ وانظر: شفاء القلوب ص٢٠٣ ونهاية الارب ٢٨/ ٤٥٣.

وفتحها[١] بالسيف، وقتل مقاتلتها وسبى نساءها وصبيانها، وكان هذا الفتح ثالث فتح لها.

ونازلت الفرنج تبنين، فأرسل الملك العادل إلى الملك العزيز صاحب مصر، وسار الملك العزيز بعساكره، واجتمع بعمّه الملك العادل على تبنين، فرحل الفرنج على أعقابهم إلى صور، ثم رحل الملك العزيز إلى مصر، وترك غالب العسكر مع عمّه وجعل إليه أمر الحرب والصلح.

ومات في هذه المدة سنقر الكبير[٢]، فجعل الملك العادل أمر القدس إلى صارم الدين قُطُلق[٣] مملوك عز الدين فرخشاه بين شاهنشاه أيّوب. ولما عاد الملك العزيز إلى مصر في هذه المرّة مدحه القاضي بن سناء الملك بقصيدة[٤] منها: [الكامل]

قدمت بالسعْد وبالمغنم كذا قدوم الملك المقدم
أغثت تبنين وخلّصتها فريسةً من ماضغي ضَيْغم
/١٢٨/ شنشنةٌ تُعرف من يوسفٍ في النصر لا تُعرف من أخْزم[٥]
مقدماً صار جمادى به كمثل ذي الحجّة في الموسم

ثم طاول الملك العادل الفرنج، وطلبوا الهدنة واستقرت بينهم ثلاث سنين ورجع الملك العادل إلى دمشق، ثم سار الملك العادل من دمشق إلى ماردين وحصرها وصاحبها حينئذ حسام الدين يولق أرسلان بن ألبي[٦] بن تمرتاش بن إيلغازي بن أرتق، وليس ليولق من الحكم شيء، وإنما الحكم إلى مملوك أبيه البقش.

وفيها[٧]: توفي بدر الدين[٨] هزار ديناري صاحب خلاط اقسنقر، وقد تقدم ذكر ملكه لخلاط سنة تسع وثمانين وخمسمائة. ولما توفي هزار ديناري استولى على خلاط

---

(١) في المختصر: وهجمها بالسيف. (٢) في الشفاء: الطويل.
(٣) كذلك اسمه في المختصر وفي الشفاء قُطُق.
(٤) ديوانه ص٢٩٤.
(٥) وتضمين لقول أبي أخزم الطائي، وكان ابنه أخزم يضربه ثم فمات، فوثب عليه أبناؤه يوماً فضربوه فقال: [الكامل]
إنّ بنيّ زملّوني بالدم شنشنةٌ أعْرِفها من أخْزم
(مجمع الأمثال ١/ ٥٤١).
(٦) في المختصر: بن إيلغازي بن ألبي، وكذلك في الكامل ٩/ ٢٤٢.
(٧) المختصر ٣/ ٩٤.
(٨) في المختصر: بدر الدين أقسنقر هزار ديناري.

خشداشه قتلغ، وكان مملوكاً أرمني الأصل من سناسنة، فملك خلاط سبعة أيام، ثم اجتمع عليه الناس، وأنزلوه من القلعة وقتلوه، واتفق كبراء الدولة وأحضروا محمد بن بكتمر من القلعة التي كان معتقلاً فيها، واسمها أرزاس وأقاموا في مملكة خلاط، ولقبوه الملك المنصور، وقام بتدبيره شجاع الدين قتلغ الدوادار، وكان قتلغ المذكور قفجاقي الجنس دوادار شاه أرمن بن سكمان بن إبراهيم، واستقر محمد بن بكتمر كذلك إلى سنة اثنتين وستمائة، فقبض على أتابكه قتلغ الدوادار وحبسه ثم قتله، فخرج عليه مملوك لشاه أرمن يقال له عز الدين بلبان، واتفق العسكر مع بلبان المذكور، وقبضوا /١٢٩/ على محمد بن بكتمر وحبسوه ثم خنقوه، ورموه من سور القلعة إلى أسفل، وقالوا: وقع، واستمر بلبان في مملكة خلاط دون سنة، وقتله بعض أصحاب طغريل بن قليج ارسلان صاحب أرزن. وقصد طغريل أن يتسلّم خلاط ولم يجبه أهلُها، وعصوا عليه فعاد إلى أرزن[١]، ثم وصل الملك الأوحد أيوب[٢] بن الملك العادل بن أبي بكر بن أيوب، وتسلّم خلاط وملكها ثمان سنين.

وفي[٣] سنة خمس وتسعين:

منتصف ليلة السابع والعشرين من المحرم، توفي الملك العزيز عماد الدين عثمان بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب. وكان قد طلع إلى الصيد، فركض خلف ذئب وتقنطر وحُمَّ في سابع المحرم بجهة الفيوم فعاد إلى الأهرام وقد اشتدّت حمّاه، ودخل القاهرة يوم عاشوراء وحدث به يرقان وقرحة في الأمعاء، واحتبس طبعه فمات في التاريخ المذكور، وكانت مدة ملكه ست سنين إلاّ شهراً، وعمره سبعاً وعشرين سنة وأشهراً، وكان في غاية السماحة والكرم والعدل والرفق بالرعية والإحسان إليهم، فَفُجِعَتْ الرعية بموته فجعة عظيمة، وكان الغالب على دولة الملك العزيز فخر الدين جهاركس[٤] فأقام في الملك المنصور محمد بن الملك العزيز

---

(١) أرزن: مدينة مشهورة قرب خلاط، لها قلعة حصينة، من نواحي أرمينية العامرة (معجم البلدان ١/ ١٥٠).

(٢) الملك الأوحد، نجم الدين، أخذ فيما بعد خلاط وسائر أعمالها، توفي بملازكرد سنة ٦٠٩هـ انظر: شفاء القلوب ص٢٧٣، ومرآة الزمان ٨/ ٥٦١، وذيل الروضتين ص٨١ ومفرج الكروب ٣/ ٢٠٨ والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٠٧ والعبرة ٥/ ٣١ والبداية والنهاية ١٣/ ٦٤.

(٣) المختصر ٣/ ٩٥، وانظر خبر وفاة العزيز في: الكامل ٩/ ٢٤٣ وتاريخ الخلفاء ص٤٥٥ والشذرات ٤/ ٣١٩ ومرآة الجنان ٣/ ٤٧٨ وشفاء القلوب ص٢٤٣ والبداية والنهاية ١٣/ ١٨ ومفرج الكروب ٣/ ٨٣ ونهاية الارب ص٤٥٥ والعسجد المسبوك ص٢٤٧.

(٤) الأمير فخر الدين جهاركس بن عبد الله الناصري، من أكابر الأمراء الصلاحية، بنى بالقاهرة =

واتفقت الأمراء على إحضار أحد بني أيّوب، وعملوا منشوره بحضور القاضي الفاضل، فأشار بالملك الأفضل، وهو حينئذ بصرخد، فأرسلوا إليه، فسار / ١٣٠/ مُجِدّاً، ووصل القاهرة على أنه أتابك الملك المنصور[١] بن الملك العزيز، وكان عمر الملك المنصور حينئذ تسع سنين وشهوراً، وكان مسير الملك الأفضل من صرخد لليلتين بقيتا من صفر في تسعة عشر نفراً متنكراً خوفاً من أصحاب عمّه العادل، فإن غالب تلك البلاد كانت له. فوصل بلبيس خامس ربيع الآخر، ثم سار الملك الأفضل إلى القاهرة فخرج الملك المنصور بن العزيز للقائه، فترجّل له عمّه الملك الأفضل ودخل بين يديه إلى دار الوزارة، وهي كانت مقر السلطنة، ولما وصل الملك الأفضل إلى بلبيس التقاه العسكر فتنكر منه فخر الدين جهاركس، وفارقه فتبعه عدّة من العسكر، وساروا إلى الشام، وكاتبوا الملك العادل وهو محاصر ماردين، وأرسل الملك الظاهر إلى أخيه الملك الأفضل يشير بقصد دمشق وأخذها من عمّه الملك العادل وأن ينتهر الفرصة لاشتغال العادل بحصار ماردين، فبرز الملك الأفضل من مصر وسار إلى دمشق، وبلغ الملك العادل وصوله إلى دمشق فترك على ماردين ولده الملك الكامل، وسار الملك العادل وسبق الملك الأفضل إلى دمشق فدخلها قبل نزول الأفضل إليها بيومين، ونزل الملك الأفضل على دمشق ثالث عشر[٢] شعبان هذه السنة. وزحف من الغد على البلد، وجرى بينهم قتال وهجم بعض عسكره إلى المدينة حتى وصلوا إلى باب البريد، ولم يمدّهم العسكر فتكاثروا أصحاب الملك العادل، وأخرجوهم من البلد، ثم / ١٣١/ تخاذل العسكر فتأخّر الأفضل (إلى) ذيل عقبة الكسوة، ثم وصل إلى الملك الأفضل أخوه الظاهر صاحب حلب[٣] فعادا إلى مضايقة دمشق ودام الحصار عليها، وقلّت الأقوات عند الملك العادل وعلى أهل دمشق، وأشرف الأفضل والظاهر على أخذ دمشق، وعزم العادل على تسليم البلد لولا ما حصل بين الأخوين الأفضل والظاهر من

= القيسارية الكبرى المنسوبة إليه، وأعطاه العادل بانياس وتبنين والشقيف، مات بدمشق سنة ٦٠٨هـ انظر: الوافي ١١/ ٢٠٥ وذيل الروضتين ١/ ٢٥٥ والوفيات ١/ ٣٨١ والعبر ٥/ ٢٧ والدارس ١/ ٤٩٦ والشذارت ٥/ ٣٢.

(١) المنصور، محمد بن عثمان، ولي مصر بعد أبيه، ثم وثب عليه العادل فخلَعَهُ، فهرب إلى عمه الظاهر بحلب انظر: شفاء القلوب ص٣٤٠ ومفرج الكروب ٣/ ٥٨٧ والسلوك ١/ ١٤٥.

(٢) في الكامل: رابع عشر.

(٣) في الكامل ٩/ ٢٤٤: ووصل أسد الدين شركوه صاحب حمص في الخامس والعشرين من شعبان ووصل بعده الملك الظاهر.

الخلف وخرجت السنة وهم على ذلك. وكان منهم ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

وفيها: قصد[١] الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر صاحب حماة بارين[٢]، وبها نوّاب عز الدين إبراهيم بن شمس الدين محمد بن المقدم، وحاصرها وكان الأمير عز الدين بن الملك العادل محصوراً بدمشق، ونصب الملك المنصور عليها المناجيق، وجرح حال الزحف ثم فتحها تاسع عشرين ذي القعدة، وأقام ببارين مدة حتى أصلح أمورها.

وفيها: في جمادى الآخرة توفي[٣] أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن صاحب المغرب والأندلس بمدينة سلا، وكانت ولايته خمس عشرة سنة. وكان يتظاهر بمذهب الظاهرية[٤]، وأعرض عن مذهب مالك، وعمره ثمان وأربعون سنة وتلقّب بالمنصور. ولما مات يعقوب ملك ابنه محمد وتلقّب بالناصر، ومولد محمد سنة ست وتسعين وخمسمائة، وعبد المؤمن وبنوه جميعهم كانوا يسمّون بأمير المؤمنين.

وفيها: وَصَل[٥] عسكر /١٣٢/ الملك العادل مع ابنه الملك الكامل عن حصار ماردين.

وفيها: كانت[٦] فتنة عظيمة في عسكر غياث الدين محمد ملك الغورية وهو بفيروزكوه[٧] وسببها أن الإمام فخر الدين الرازي[٨] محمد بن عمر كان قد قدم إلى غياث الدين فبالغ غياث الدين في إكرامه، وبنى له مدرسة بقرب جامع هراة، فعظم

---

(١) المختصر ٣/ ٩٦.

(٢) بارين، مدينة بين حلب وحماة من جهة الغرب (معجم البلدان ١/ ٣٢١).

(٣) المختصر ٣/ ٩٦ وانظر: الكامل ٩/ ٢٤٥ وشذرات الذهب ٤/ ٣٢١ ومرآة الجنان ٣/ ٤٧٩ والبداية والنهاية ١٣/ ١٩.

(٤) الظاهرية، مذهب دادو بن علي الأصبهاني، المعروف بداود الظاهري، ولد بالكوفة سنة ٢٠٠ ونشأ ببغداد، وتوفي بها سنة ٢٧٩هـ، ودرس مذهب الشافعي أو تعصّب له، ثم استقل بمذهب ينكر القياس ويتمسك بظاهر الكتاب والسنة، ومن هذا اشتق اسم الظاهرية. انظر: ضحى الإسلام ٢/ ٢٣٦، وتاريخ بغداد ٨/ ٣٦٩ ووفيات الأعيان ٢/ ٢٥٥ وميزان الاعتدال ٢/ ١٤ والفهرس ص٣١٧.

(٥) المختصر ٣/ ٩٦ وانظر الكامل ٩/ ٢٤٦.

(٦) المختصر ٣/ ٩٦ وانظر الكامل ٩/ ٢٤٧ والشذرات ٤/ ٣٢١.

(٧) فيروزكوه، قلعة عظيمة حصينة بين هراة وغزنة (معجم البلدان ٤/ ٢٨٤).

(٨) فخر الدين الرازي، محمد بن عمر بن الحسين بن علي التيمي البكري، الطبرستاني، وله مصنفات كثيرة أشهرها تقسيم القرآن ولد سنة ٥٤٤هـ بالري، وتوفي سنة ٦٠٦هـ بهراة (وفيات الأعيان ٤/ ٢٤٨ وذيل الروضتين ٦٨ وتاريخ مختصر الدول ص٢٤٠ والوافي ٤/ ٢٤٨ ولسان الميزان ٤ / ٢٤٦ والعبر ٥/ ١٨ والشذرات ٥/ ٢١ وسير أعلام النبلاء ٢١/ ٥٠٠.

ذلك على الكرامية[١]، وهم كثيرون بهراة، ومذهبهم التجسيم والتشبيه، وكان الغوريّة كلّهم كرامية، فكرهوا الإمام فخر الدين لكونه شافعي وهو يناقض مذهبهم، واتفق أن فقهاء الكرامية والحنفية والشافعية[٢]، حضروا بفيروزكوه عند غياث الدين للمناظرة، وحضر الإمام فخر الدين الرازي، والقاضي عبد المجيد بن عمر المعروف بابن القدوة، وهو من الكرامية الهيصميّة، وله عندهم محل كبير لزهده وعلمه، فتكلّم الرازي فاعترض عليه ابن القدوة، وطال الكلام، فقام غياث الدين فاستطال فخرا لدين الرازي على ابن القدوة وشتمه وبالَغَ في أذاه، وابنُ القدوة لا يزيده على أن يقول: لا يفعل مولانا لا واخذك[٣] الله، فصعب على الملك ضياء الدين وهو ابن عمّ غياث الدين وزوج ابنته، وشكا إلى غياث الدين من فخر الدين الرازي، ونسبه إلى الزندقة ومذهب الفلاسفة، فلم يصغ إليه غياث الدين، فلما كان الغد، وعظ الناس ابن عمر بن القدوة وقال بعد /١٣٣/ حمد الله والصلاة على نبيّه محمد صلى الله عليه وسلّم، ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين، أيها الناس انا لا نقول إلاّ ما صحّ عندنا عن رسول الله صلى الله عليه سلّم، وأما علم أرسطو وكفريات ابن سينا وفلسفة الفارابي فلا نعلمها، فلأي حال يشتم بالأمس شيخ من شيوخ الإسلام يذبّ عن دين الله وسنّة نبيّه، وبكى، وبكى الكراميّة معه، واستغاثوا وثار الناس في كل جانب، وامتلأ البلد فتنة، وبلغ ذلك السلطان غياث الدين، فبعث جماعة سكّنوا الناس ووعدهم بإخراج فخر الدين الرازي من عندهم، وتقدم إلى فخر الدين بالعود إلى هراة فعاد إليها.

وفيها[٤]: في ربيع الأول توفي مجاهد الدين قيماز بقلعة الموصل، وهو الحاكم بدولة نور الدين أرسلان صاحب الموصل، وقيماز المذكور، هو الذي كان حاكماً على عزّ الدين مسعود والد نور الدين أرسلان، حتى قبض عليه مسعود، ثم أخرجه بعد مدّة، وكان قيماز عادلاً أديباً فاضلاً في الفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة، وبنى عدّة جوامع وَرُبُط ومدارس.

وفيها: فارق[٥] غياث الدين ملك الغوريّة مذهب الكرامية، وصار شافعي المذهب.

---

(١) الكرامية: نسبة إلى محمد بن كرام بن عرّاف، أبو عبد الله السجستاني، المتوفى بالشام سنة ٢٥٦هـ (الوافي ٤/ ٢٧٥).

(٢) الأصل: الشفعوية.

(٣) الأصل: إلا وأخذ.

(٤) المختصر ٣/ ٩٧ وانظر الكامل ٩/ ٢٤٨ والبداية والنهاية ١٣/ ٢١ والعسجد المسبوك ص٢٥٢.

(٥) المختصر ٣/ ٩٧ وانظر الكامل ٩/ ٢٤٨، وفيه سبب تحول غياث الدين إلى الشافعية والعسجد المسبوك ص٢٥٢.

وفي سنة ست وتسعين:

كان في[1] أوائلها الملكان الأفضل والظاهر على دمشق محاصريها، واتفق وقوع الخلف بين الأخوين /١٣٤/ الأفضل والظاهر وسببه أنه كان للملك الظاهر مملوك يحبّه اسمه أيبك، فَفُقد، وَوَجَدَ عليه الملك الظاهر وجداً عظيماً، وتوهّم أنه دخل دمشق، فأرسل (مَنْ)[2] يكشف خبره، واطّلع الملك العادل وهو محصور على القضيّة، فأرسل إلى الظاهر يقول (له)[3]: إن محمود بن الشكري، أفْسَدَ مملوكك وحمله إلى الأفضل أخيك، فقبض الظاهر على ابن الشكري، فظهر المملوك عنده، فتغيّر على أخيه الأفضل، وترك قتال الملك العادل، وظهر الفشل في العسكر، فتأخر الأفضل والظاهر عن دمشق، وأقاما بمرج الصفّر إلى أواخر صفر، ثم سارا إلى رأس الماء ليقيما إلى أن ينسلخ الشتاء، ثم انثنى عزمهما، وسار الأفضل إلى مصر والظاهر إلى حلب على القريتين، ولما تفرّقا خرج الملك العادل من دمشق، وسار في أثر الأفضل إلى مصر، فلما وصل العسكر إلى مصر تفرقت عساكره لأجل الربيع، وأدركه عمّه العادل، فخرج الأفضل وضرب معه مصافاً[4]، فانكسر الأفضل، وانهزم إلى القاهرة، ونازل العادل القاهرة ثمانية أيام، فأجاب الأفضل إلى تسليمها على أن يعوّض عنها ميافارقين وحاني وسمياط[5]، فأجابه العادل إلى ذلك ولم يفِ له به، وكان دخول العادل إلى القاهرة في حادي عشرين ربيع الآخرة هذه السنة.

قال ابن الأثير[6]: كان دخول العادل إلى القاهرة يوم السبت ثامن عشرين ربيع الآخرة، وتوفي القاضي الفاضل /١٣٥/ في سابع عشره[7].

ثم سافر الملك الأفضل إلى صرخد، وأقام العادل بمصر على أنه أتابك الملك المنصور محمد بن العزيز عثمان، مدّة يسيرة، ثم أزال الملك المنصور محمد واستقلّ العادل بالسلطنة ولما استقرّت المملكة للملك العادل، أرسل إليه الملك المنصور صاحب حماة يعتذر إليه مما وقع منه بسبب أخذه بارين[8] من ابن المقدم، فقبل الملك

---

(١) المختصر ٣/ ٩٧، وانظر: شفاء القلوب ٢٠٧ ومفرج الكروب ٣/ ١٦ والبداية والنهاية ١٣/ ٢١.
(٢) التكملة عن المختصر.
(٣) التكملة عن المختصر.
(٤) بعده في المختصر: في السانح، وكذلك في الكامل ٩/ ٢٤٩.
(٥) وفي شفاء القلوب ص٢٠٩: ميافارقين وجبل جور وديار بكر.
(٦) الكامل ٩/ ٢٤٩ والمؤلف ينقل كلامه عن المختصر.
(٧) بعدها في المختصر: وقيل إن مولد القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني في سابع عشر ربيع الآخر، وقيل مولد القاضي الفاضل سنة ست وعشرين وخمسمائة، فكان عمره نحو سبعين سنة.
(٨) في المختصر: بعرين.

العادل عذره وأمره برد بارين[١] إلى ابن المقدم، فاعتذر الملك المنصور عنها بقربها من حماة، ونزل عن منبج وقلعة نجم لابن المقدم عوضاً عن بارين[٢]، فرضي ابن المقدم بذلك لأنهما خير من بعرين[٣] بكثير، وتسلّمها عز الدين إبراهيم بن شمس الدين بن عبد الملك المقدم، وكان له أيضاً فامية وكفر طاب وخمسة وعشرين ضيعة من المعرّة.

وكذلك كاتب الملك الظاهر صاحب حلب عمّه الملك العادل وصالحه وخطب له بحلب وبلادها، وضرب السكة باسمه، واشترط الملك العادل على صاحب حلب أن يكون خمسمائة فارس من خيار عسكر حلب في خدمة الملك العادل فلما خرج إلى البيكار، والتزم الملك الظاهر صاحب حلب بذلك.

وقصّر[٤] النيل في هذه السنة تقصيراً عظيماً حتى أنه لم يبلغ أربعة عشر ذراعاً.

وفيها[٥]: في العشرين من رمضان، توفي خوارزم شاه تكش بن أرسلان بن أطز بن محمد بن أنوش تكين صاحب خوارزم وبعض خراسان والري وغيرها [من البلاد][٦] الجبلية بشهرستانة، /١٣٦/ وولي الملك بعده ابنه محمد بن تكش وكان لقَبُه قطب الدين محمد فغيّره إلى علاء الدين، وكان تكش عادلاً حسن السيرة، ويعرف الفقه على مذهب أبي حنيفة والأصول.

ولما بلغ غياث الدين ملك الغوريّة موت خوارزم شاه تكش [ترك][٧] ضرب نوبته ثلاثة أيام وجلس للعزاء مع ما كان بينهما من العداوة المستحكمة، وهذا خلاف ما فعله بكتمر بعد موت السلطان صلاح الدين.

ولما استقر في المملكة محمد بن تكش هرب ابن أخيه هندوخان بن دلكشاه بن تكش إلى غياث الدين ملك الغورية يستنصره على عمّه، فأكرمه غياث الدين ووعده القيام معه.

وفي سنة سبع وتسعين:

توفي[٨] عز الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الملك المقدم وصارت بلاده بعده

---

(١) في المختصر: بعرين.
(٢) في المختصر: بعرين.
(٣) كذا في الأصل.
(٤) المختصر ٣/ ٩٨ والخبر في تاريخ الخلفاء ص٤٥٥ والبداية والنهاية ١٣/ ٢٢ والنجوم الزاهرة ٦/ ١٥٩ والعسجد المسبوك ص٢٥٦.
(٥) المختصر ٣/ ٩٨ وانظر: الكامل ٩/ ٢٥٠ والشذرات ٤/ ٣٢٤ ومرآة الجنان ٣/ ٤٨٥ والعسجد المسبوك ص٢٥٥ وتاريخ مختصر الدول ص٢٢٥.
(٦) التكملة في المختصر.
(٧) التكملة في المختصر.
(٨) المختصر ٣/ ٩٩ وانظر: الكامل ٩/ ٢٥١ وشفاء القلوب ص٢١٠.

وهي منبج وقلعة نجم وفامية وكفر طاب لأخيه شمس الدين عبد الملك المقدم، ولما استقرّ الشمس عبد الملك بمنبج سار إليها الملك الظاهر وحصرها وملك منبج، وعصى عبد الملك بن المقدم بالقلعة فحصره ونزل عبد الملك بالأمان، فاعتقله الملك الظاهر وملك قلعة منبج، وبعد أن فرغ من منبج سار إلى قلعة نجم، وفيها نائب ابن المقدم فحصرها وملكها في آخر رجب هذه السنة. وأرسل[1] الملك الظاهر إلى الملك المنصور صاحب حماة يبذل له منبج وقلعة نجم على أن يصير معه على الملك العادل، فاعتذر الملك المنصور باليمين /١٣٧/ التي في عنقه للملك العادل، فلما أيس الملك الظاهر منه سار إلى المعرّة وأقطع بلادها واستولى على كفر طاب وكانت لابن المقدم، ثم سار إلى فامية وبها قراقوش نائب ابن المقدم، وأرسل الملك الظاهر أحضر ابن المقدم من حلب وكان معتقلاً بها، وأحضر معه أصحابه الذين اعتقلهم وضربهم قدام قراقوش ليسلم فامية، فامتنع فأمر الملك الظاهر بضرب عبد الملك بن المقدم، فضُرب ضرباً عظيماً، وبقي يستغيث، فأمر قراقوش فضربت النقارات على قلعة فامية لئلا يسمع أهل البلد صراخه، ولم يسلّم القلعة، فرحل عنها الملك الظاهر وتوجّه إلى حماة، وحاصرها لثلاث بقين من شعبان هذه السنة، ونزل شمالي البلد وشعّث التربة التقوية وبعض البساتين، وزحف من جهة الباب الغربي، وقاتل قتالاً شديداً، ثم زحف في آخر شعبان من الباب الغربي والباب القبلي وباب العميان، وجرى بينهم قتال شديد، وجرح الملك الظاهر بسهم في ساقه واستمرت[2] الحرب إلى أيام من رمضان، فلما لم يحصل على غرض صالح الملك المنصور على مال حمله إليه، قيل إنه ثلاثون ألف دينار صورية، ثم رحل الملك الظاهر إلى دمشق وبها الملك المعظم بن الملك العادل، فنازلها الملك الظاهر هو وأخوه الملك الأفضل وانضم إليهما فارس الدين ميمون القصري[3] صاحب نابلس ومَنْ وافقه من الأمراء الصلاحية، واستقرّت القاعدة بين الأخوين /١٣٨/ الأفضل والظاهر أنهما متى تملّكا دمشق يتسلّمها الملك الأفضل، ثم يسيران إلى الملك العادل بمصر فيأخذاها منه ويتسلمها الأفضل، وتسلم دمشق حينئذ إلى الملك الظاهر صاحب حلب، بحيث تبقى مصر للملك الأفضل ويصير الشام جميعه للظاهر. وكان قد تخلّف من الأمراء الصلاحية عنهما فخر الدين جهاركس وزين الدين

---

(١) الخبر أيضاً في شفاء القلوب ص٢١٠. (٢) في الأصل: استمرّ.

(٣) فارس الدين ميمون القصري، أحد الأمراء بدولة الظاهر، كان من أمراء العزيز عثمان، فأقطعه نابلس بعد مقاتلة الفرنج سنة ٥٩١هـ، توفي سنة ٦١٠هـ (مفرج الكروب ٣/ ٢٢٠).

قراجا[١] فأرسل الملك الأفضل وسلّم صرخد إلى زين الدين قراجا، ونقل الأفضل ولديه وأهله إلى عند الملك المجاهد بحمص، وبلغ الملك العادل حصار الأخوين لدمشق فخرج بعساكر مصر، وأقام بنابلس ولم يجسر على قتالهما، واشتدّت مضايقة الملكين الأفضل والظاهر لدمشق، وتعلق النقابون بسورها، فلما شاهد الملك الظاهر صاحب حلب ذلك، حَسَدَ أخاه الأفضل على دمشق، وقال له: أريد أن تسلم دمشق إليّ الآن، فقال له الأفضل: إن حريمي وحريمك وهم على الأرض (وليس لنا موضع نقيم فيه)[٢] وهَبْ هذه البلد لك فاجعله لي إلى حين تملك مصر وتأخذه، فامتنع الظاهر من قبول ذلك، وكان قتال العسكر والأمراء الصلاحية إنما هو لأجل الأفضل، فقال لهم الأفضل: إن كان قتالكم لأجلي فاتركوا القتال وصالحوا الملك العادل، وإن كان قتالكم لأجل أخي الملك الظاهر، فها أنتم وإياه.

فقالوا: إنما قتالنا لأجلك، وتخلّوا عن القتال، وأرسلوا صالحوا الملك العادل، وخرجت السنة وقد تفرقت العساكر، /١٣٩/ فرحل الظاهر عن دمشق في أول المحرم سنة، ثمان وتسعين وسار الأفضل إلى حمص.

وفيها[٣]: توفي العماد الكاتب[٤].

وفيها: سار[٥] غياث الدين ملك الغورية بعساكره واستدعى أخاه شهاب الدين من غزنة، فسار إليه بعساكره أيضاً، وسار غياث الدين إلى خراسان واستولى على ما كان لخوارزم شاه بخراسان، ولما ملك غياث الدين مرو سلّمها إلى هندوخان ابن ملكشاه بن خوارزم شاه تكش الذي كان هرب من عمّه محمد إلى غياث الدين، ، ثم استولى غياث الدين على سرخس وطوس ونيسابور وغيرها، ولما استقرّت هذه البلاد

---

(١) زين الدين قراجا الصلاحي، وصف بأنه كان خيراً ديناً أديباً، توفي سنة ٦٠٤هـ (مفرج الكروب ٣/ ١٧٥).

(٢) التكملة من المختصر.

(٣) المختصر ٣/ ١٠٠. وانظر ترجمته وخبر وفاته في: معجم الأدباء ٧/ ٨١ والكامل ٩/ ٢٥٥ ومرآة الزمان جـ ٨ ق٢ ص٥٠٤، والروضتين ٢/ ٢٤٥ والوفيات ٤/ ٢٣٣ والوافي ١/ ١٣٢ والشذرات ٤/ ٣٣٢ ومرآة الجنان ٣/ ٤٩٢ والبداية والنهاية ١٣/ ٢٧.

(٤) بعده في المختصر: (محمد بن عبد الله بن حامد الأصفهاني، وكان فاضلاً في الفقه والأدب والخلاف والتاريخ وله النظم البديع والنثر الفائق، وكتب لنور الدين ولصلاح الدين، وله التصانيف الحسنة منها البرق الشامي وخريدة القصر، وكان مولده ستة تسع عشرة وخمسمائة وكان عمره نيفاً وسبعين سنة).

(٥) المختصر ٣/ ١٠٠ وانظر: الكامل ٩/ ٢٥٣ والبداية والنهاية ١٣/ ٢٧ والعسجد المسبوك ص٢٧٠.

لغياث الدين عاد إلى بلاده، وتوجه أخوه شهاب الدين إلى بلاد الهند فغَنَم وفتح نهر والة (وهي)[١] من أعظم بلاد الهند.

وفيها: في رمضان ملك[٢] ركن الدين سليمان بن قليج أرسلان مدينة ملطية وكانت لأخيه معز الدين قيصر شاه بن قليج أرسلان، ثم سار سليمان إلى أرزن الروم وكانت لمحمد بن صليق، وهو من بيت قديم ملكوه أرزن الروم، فخرج صاحب أرزن ليصالح سليمان، فقبض عليه وأخذ البلد منه، وهذا محمد آخر الملوك من أهل بيته.

وفيها: توفي[٣] سقمان بن محمد بن قرا أرسلان بن داود بن سقمان بن أرتق.

وفي سنة ثمان وتسعين:

بعد[٤] رحيل الملكين الأفضل والظاهر عن دمشق، قدم الملك العادل، وكان قد سار ميمون القصري مع الملك الظاهر فأقطعه إعزاز.

وفيها: خَرَّبَ[٥] الملك الظاهر /١٤٠/ قلعة منبج خوفاً أن تؤخذ منه، وأقطع منبج بعد ذلك لعماد الدين أحمد بن سيف الدين علي المشطوب.

وفيها: أرسل[٦] قراقوش نائب عبد الملك بن محمد بن عبد الملك بن المقدم بفامية إلى الملك الظاهر يبذل له تسليم فامية بشرط أن يُعطى شمس الدين بن المقدم إقطاعاً يرضاه، فأقطعهُ الملك الظاهر الرواندان[٧] وكفر طاب ومفردة والمعرّة وهو عشرون ضيعة معينة من بلاد المعرة، وتسلّم فامية، ثم إن عبد الملك ابن المقدم عصى بالرواندان، فسار إليه الملك الظاهر واستنزله منها وأبعده، فلحق ابن المقدم بالملك العادل فأحسن إليه.

وفيها: سار[٨] الملك العادل من دمشق ووصل حماة، ونزل على تل صفرون، وقام الملك المنصور صاحب حماة بجميع وظائفه وكُلَفِهِ[٩]، وبلغ الظاهر صاحب حلب

---

(١) التكملة من المختصر، وانظر في أخذ نهر والة الكامل ٩/ ٢٥٥.
(٢) المختصر ٣/ ١٠٠ وانظر الكامل ٩/ ٢٥٥.
(٣) المختصر ٣/ ١٠١ وانظر الكامل ٩/ ٢٥٥.
(٤) المختصر ٣/ ١٠١ وانظر شفاء القلوب ص١٢، ومفرج الكروب ٣/ ١٣١.
(٥) المختصر ٣/ ١٠١ وانظر: شفاء القلوب ص٢١٢.
(٦) المختصر ٣/ ١٠١ وانظر شفاء القلوب ص٢١٢.
(٧) الرواندان: قلعة حصينة وكورة من نواحي حلب (معجم البلدان ٣/ ١٩).
(٨) المختصر ٣/ ١٠١.
(٩) انظر شفاء القلوب ص٢١٣ وفيه: وزوجه ابنته.

وصول عمّه إلى حماة بنيّة قصده ومحاصرته بحلب، فاستعدّ للحصار، وأرسل عمّه ولاطفه واستعدّ للصلح، فوقع الصلح، وانتزعت (منه)[١] مفردة المعرّة، واستقرّت للملك المنصور صاحب حماة، وأخذت من الملك الظاهر أيضاً قلعة نجم وسلّمت إلى الملك الأفضل، وكان له سروج وسمسياط، وسلّم الملك العادل حرّان وما معها لولده الملك الأشرف مظفر الدين موسى، وسيّره إلى الشرق، وكان الملك الأوحد بن الملك العادل بميافارقين، والملك الحافظ نور الدين أرسلان شاه بن الملك العادل بقلعة جعبر.

ولما استقرّ الصلح بين العادل والظاهر / ١٤١/ رجع العادل إلى دمشق وأقام بها وقد انتظمت الممالك الشامية والشرقية والديار المصرية كلّها في سلك ملكه، وخطب له على منابرها، وخطب له فيها باسمه[٢].

وفيها: عاد[٣] خوارزم شاه محمد بن تكش واسترجع البلاد التي أخذها منه الغورية من خراسان إلى ملكِهِ.

وفي سنة تسع وتسعين:

في المحرم: توفي[٤] فلك الدين سلطان أخو الملك العادل لأمه، وهو الذي تنسب إليه المدرسة الفلكية بدمشق.

ذكر حوادث باليمن:

كان قد تملّك اليمن الملك المعز إسماعيل بن سيف الإسلام طغتكين بن أيّوب. وكان فيه هوج وخبط، فادعى أنه قرشي، وأنه من بني أُميّة، ولبس الخضرة وخطب لنفسه بالخلافة، وخطب بنفسه في ذلك الزمان[٥]، ولبس ثياب الخلافة وكان طول الكم عشرون ذراعاً[٦]، وخرج عن طاعته جماعة من مماليك أبيه، واقتتلوا معه، وانتصر عليهم، ثم اتفق معهم جماعة من الأمراء الأكراد، وقتلوا المعزّ إسماعيل، وأقاموا في مملكة اليمن أخاً له صغيراً، وسمّوه الناصر[٧]، وبقي مدّةً وأقام بأتابكية

---

(١) التكملة من المختصر، والنص في شفاء القلوب ص٢١٣.
(٢) كذا في الأصل، وفي المختصر: ضُرِبت السكة فيها باسمه.
(٣) المختصر ٣/ ١٠٢ وانظر التفاصيل في الكامل لابن الأثير ٩/ ٢٥٦.
(٤) المختصر ٣/ ١٠٢ وانظر: شفاء القلوب ص٢١٣ وفيه: فلك الدين بن سليمان.
(٥) كذا في الأصل، وعبارة المختصر: وخطب بنفسه ولبس ثياب الخلافة في ذلك الزمان.
(٦) في المختصر: شبراً، وفي شفاء القلوب: ص٢٧٢ (ذراعاً).
(٧) أيوب بن طغتكين بن أيوب بن شاذي (انظر: شفاء القلوب ص٢٧٢).

سيف الدين سُنقُر[١]، مملوك أبيه، ثم مات سنقر بعد أربع سنين، وتزوج أم الناصر أمير من أمراء الدولة يقال له غازي بن جبريل وقام بأتابكية الناصر، ثم سُمَّ الناصر في كوز فقاع[٢] على ما قيل، وبقي غازي متملّكاً للبلاد، ثم قتله جماعة من العرب /١٤٢/ بسبب قتله للناصر بن طغتكين، وبقيت اليمن خالية بغير سلطان، فتغلبت أم الناصر على زبيد، وأحْرزت الأموال وكانت تنتظر وصول أحد من بني أيوب لتتزوّج به وتملّكه البلاد، وكان للملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه، ولد اسمه سعد الدين شاهنشاه، وكان له ابن اسمه سليمان[٣] بن شاهنشاه بن تقي الدين عمر، فقيراً يحمل الركوة[٤] على كتفه ويتنقّل مع الفقراء من مكان إلى مكان، وكان قد أرسلت أم الناصر بعض غلمانها إلى مكة حرسها الله تعالى في موسم الحاج[٥] ليأتيها بأخبار مصر والشام، فوجد غلمانها سليمان المذكور، فأحضروه إلى اليمن، فاستحضرته أم الناصر وخَلَعَتْ عليه وملّكته اليمن، فملأ الأرض ظلماً وجوراً. وأطرح زوجته التي ملّكته البلاد[٦]، وأرسل[٧] إلى السلطان الملك العادل وهو عم جدّه كتاباً جعل (في أوّله[٨]: إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم)، فاستقلّ العادل عقله، ثم كان من سليمان المذكور ما نذكره إن شاء الله تعالى.

وفيها: أرسل[٩] العادل إلى ولده الأشرف وأمره بحصار ماردين، فحصرها وضايقها ثم سعى الملك الظاهر إلى العادل في الصلح، فأجاب على أَنْ يحمل صاحب ماردين مائة ألف وخمسين ألف دينار، ويخطب له ببلاده، وتضرب السكة باسمه، ويكون بخدمته[١٠] متى طلبه، فأُجيب إلى ذلك، واستقرّ الصلح عليه.

وفيها: أخرج[١١] الملك العادل الملكَ المنصور محمد بن /١٤٣/ الملك العزيز

---

(١) في شفاء القلوب: سيف الدين بكتمر سنقر.
(٢) الفقاع: شراب يتخذ من الشعير أو الثمار، يسمى به لما يعلوه من الزَّبد.
(٣) انظر ترجمته في شفاء القلوب ص٤٠٧ ومفرج الكروب ٣/ ١٣٨.
(٤) الركوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء.
(٥) الأصل: الحجاج، والتصويب من المختصر، وانظر الخبر في شفاء القلوب ص٤٠٧ ومفرج الكروب ٣/ ١٣٨.
(٦) بعده في المختصر: وأعرض عنها، ونفس العبارة في الشفاء.
(٧) المختصر: كتب. (٨) التكملة عن المختصر.
(٩) المختصر ٣/ ١٠٣ وانظر: الكامل ٩/ ٢٥٩ وشفاء القلوب ص٢١٣، ومفرج الكروب ٣/ ١٣٩ والعسجد المسبوك ص٢٧٥.
(١٠) كذا في الأصل والمختصر، وفي الكامل: يكون عسكره في خدمته.
(١١) المختصر ٣/ ١٠٣ وانظر الكامل ٩/ ٢٦١ وشفاء القلوب ص٢١٤.

من مصر إلى الشام، فسار بوالدته وأقام بحلب عند عمّه الملك الظاهر.

وفيها: سار[١] الملك المنصور صاحب حماة إلى بعرين مرابطاً للفرنج وأقام بها، وكتب الملك العادل إلى صاحب بعلبك وإلى صاحب حمص بإنجاده[٢]، واجتمعت الفرنج من حصن الأكراد وطرابلس وغيرها وقصدوا الملك المنصور ببعرين واتّقعوا معه في ثالث شهر رمضان هذه السنة، واقتتلوا فانهزم الفرنج وقُتل من خيالتهم جماعة، وكان يوماً مشهوداً، وفي ذلك يقول بهاء الدين أسعد[٣] بن يحيى السنجاري قصيدة منها[٤]: [البسيط]

ما لذَّةُ العيش إلاّ صوت مَعْمَعةٍ يُنال فيها المنى بالبيض والأسل

يا أيّها الملك المنصور نصح فتى لم يلوه عن وفاءٍ كثرة العذل

إعزم ولا تترك الدنيا بلا ملكٍ وجِدَّ فالملك محتاجٌ إلى رَجُلِ

يا أوْحَدَ العصْر يا خير الملوك ومَنْ فاق البريّة من حافٍ ومنتعِلِ

ثم خرج من حصن الأكراد والمرقب والاسبتار، وانضمّ إليهم جموع من السواحل واتّقعوا[٥] مع الملك المنصور صاحب حماة وهو نازل ببارين[٦] حادي وعشرين رمضان هذه السنة بعد الوقعة الأولى بثمانية عشر يوماً، فانتصر ثانياً وانهزمت الفرنج هزيمة قبيحة وأسر الملك المنصور وقتل منهم عدة كثيرة، ومدح الملك المنصور بسبب هذه الوقعة سالم[٧] بن سعادة الحمصي بقصيدة منها[٨]:

أمْرُ اللواحظ أن تفوّق أسهما ريم برامة ما رنى[٩] حتى رمى

---

(١) المختصر ٣/ ١٠٣ وشفاء القلوب ص٣٣٨.

(٢) بعده في المختصر: فأنجداه.

(٣) أسعد بن يحيى بن موسى السلمي السنجاري، شاعر، فقيه، ولد بأربل سنة ٥٣٣هـ، توفي بسنجار سنة ٦٢٢هـ. انظر: وفيات الأعيان ١/ ٢١٤ والخريدة (قسم الشام) ٢/ ٤٠١ والبداية والنهاية ١٣/ ١١٠ والشذرات ٥/ ١٠٤ والوافي ٦/ ٣٢.

(٤) الأبيات في: شفاء القلوب ص٣٣٨ ومفرج الكروب ٣/ ١٤٤ وابن الفرات ٤/ ٢٥٣.

(٥) كذلك في المختصر، وهي لفظة درج صاحب المختصر على استعمالها بمعنى الحرب، وفي الشفاء: وأوقعوا مع.

(٦) في المختصر: بعرين.

(٧) سالم بن سعادة بن عبد الله مهذّب الدين، أبو الغنائم، الشاعر الحمصي انظر ترجمته في الوافي بالوفيات ١٥/ ٨٠.

(٨) الأبيات في شفاء القلوب ص٣٣٩.

(٩) في شفاء القلوب: مازمي.

/ ١٤٤/ ومنها:

فتّانة بالسحر بل فتّاكةٌ ما جار قاضيهنّ حتى تحكّما

أصبحت[١] فيها مغرماً كمحمد لمّا غدا بالأريحيّة مغرما

وشنئت[٢] منتقماً بساحل بحرها جيشاً حكى البحر الخضمّ عرمرما

أسْدَلْتَ في الآفاق من هبواتِهِ ليلاً وأطلعتَ الأسنّة أنجما

وفيها: ولد[٣] الملك المظفر تقي الدين محمود بن الملك المنصور صاحب حماة من ملكة خاتون بنت السلطان الملك العادل، ويسمّى عمر، وإنما سمّي محمود بعد ذلك. وكانت ولادته بقلعة حماة ظهر يوم الأربعاء رابع عشر رمضان هذه السنة.

وفيها: أرسل[٤] الملك العادل، وانتزع ما كان بيد الملك الأفضل وهي رأس عين وسروج وقلعة نجم، ولم يترك بيده غير سمسياط فقط. فأرسل الملك الأفضل والدته ودخلت على الملك المنصور صاحب حماة لترسل معها من يشفع في الملك الأفضل عند الملك العادل، في إبقاء ما كان بيده، وتوجهت أم الأفضل، وتوجه معها منْ حماة القاضي زين الدين ابن الهندي إلى الملك العادل، فلم يُجِبْها الملك ورجعت خائبة.

قال عز الدين بن الأثير في الكامل[٥]، وقد عوقب البيت الصلاحي بمثل ما فعله والدهم صلاح الدين[٦] لما خرجت إليه نساء بيت الأتابك ومن جملتهن بنت نور الدين الشهيد يشفعن في إبقاء الموصل على عزّ الدين مسعود، فردّهنّ ولم يجَب سؤالهنّ، ثم ندم رحمه الله على ردّهنّ. فجرى للملك الأفضل ابن السلطان صلاح الدين / ١٤٥/ مع عمّه مثل ذلك. ولما جرى ذلك أقام الملك الأفضل بسمسياط، وقطع خطبة الملك العادل وخطب للسلطان ركن الدين سليمان بن قليج أرسلان بن مسعود السلجوقي صاحب بلاد الروم.

وفيها[٧]: في جمادى الأولى، توفي غياث الدين محمد بن سام بن الحسين

---

(١) في شفاء القلوب: أضحيت. (٢) في شفاء القلوب: وسنَنْتَ.

(٣) المختصر ٣/ ١٠٣ وانظر ترجمته في شفاء القلوب ص٣٩٧ والسلوك ١/ ٣١٨ وابن الوردي ٢/ ٢٥٠ والبداية والنهاية ١٤/ ٥.

(٤) المختصر ٣/ ١٠٤ وانظر: الكامل ٩/ ٢٦٠ وشفاء القلوب ص٢١٤.

(٥) الكامل ٩/ ٢٦٠، ونقل المؤلف كلامه عن المختصر.

(٦) بعده في الكامل: مع البيت الأتابكي لما قصد حصار الموصل سنة ثمانين وخمسمائة.

(٧) المختصر ٣/ ١٠٤ وانظر: الكامل ٩/ ٢٥٩ والعسجد المسبوك ص٢٧٥.

الغوري صاحب غزنة وبعض خراسان وغيرها، وكان أخوه شهاب الدين بطوس غلاماً على قصر خوارزم. وخلف غياث الدين من الأولاد ولداً اسمه محمود ولقبه غياث الدين بلقب والده، ولم يُحْسن شهاب الدين الخلافة على ابن أخيه ولا على غيره من أهله. وكان لغياث الدين زوجة يحبّها، وكانت مغنية فقبض عليها شهاب الدين بعد موت أخيه غياث الدين وضربها ضرباً مبرحاً، وأخَذَ أموالها. وكان غياث الدين مظفراً منصوراً، لم تنهزم له راية قط، وكان له دهاء ومكر، وكان حسن الاعتقاد، كثير الصدقات، وكان فيه[1] فضل غزير، وأدب مع حسن حظ، وكان ينسخ المصاحف بخطّه ويوقفها في المدارس التي بناها وكان على مذهب الكرامية، ثم تركه وصار شافعياً.

وفيها: استولى[2] الكرج على مدينة دوين[3] من أذربيجان ونهبوها، وقتلوا أهلها، وكانت هي وجميع أذربيجان للأمير أبي محمد[4] بن البهلوان، وكان مشغولاً بشرب الخمر ليلاً ونهاراً، لا يلتفت إلى تدبير مملكته، ووبّخه أمراؤه ونوّابه على ذلك فلم يلتفت.

وفي سنة ستمائة:

/١٤٦/ كانت[5] الهدنة بين الملك المنصور صاحب حماة والفرنج.

وفيها: نازل[6] ابن لاون ملك الأَرْمَنْ أنطاكية، فتحرك الملك الظاهر صاحب حلب ووصل إلى حارم فرحل ابن لاون عن أنطاكية على عقبهِ.

وفيها: خطب[7] قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار للملك العادل ببلاده، وانتمى إليه فَصَعُبَ على ابن عمّه نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود، وقصد نصيبين وهي لقطب الدين واستولى على مدينتها، واستنجد قطب الدين بالملك الأشرف بن العادل فسار إليه واجتمع معه أخوه الملك الأوحد صاحب ميافارقين، والتقى الفريقان بقرية يقال لها «بوشرة»[8] فانهزم نور الدين صاحب الموصل هزيمة قبيحة، ودخل الموصل وليس معه غير أربعة أنفس، وكانت هذه الوقعة

(١) الأصل: له.
(٢) المختصر ٣/ ١٠٤ وانظر الكامل ٩/ ٢٦٠ والعسجد المسبوك ص٢٧٧ وفيه: استولى الفرنج.
(٣) دوين: بلدة من نواحي أران في آخر حدود أذربيجان يقرب من تفليس (معجم البلدان ٢/ ٤٩١).
(٤) في الكامل والعسجد المسبوك: أبي بكر.
(٥) المختصر ٣/ ١٠٥ والكامل ٩/ ٢٦٥.
(٦) المختصر ٣/ ١٠٥.
(٧) المختصر ٣/ ١٠٥ وانظر الكامل ٩/ ٢٦٤.
(٨) في الكامل «بوشرى».

أوّل ما عرفت من سعادة الأشرف بن العادل، فإنه لم تنهزم له راية بعد ذلك.

واستقرّت بلاد قطب الدين محمد بن زنكي عليه، ووقع الصلح بينهم بعد ذلك.

وفيها: أجمع[١] الفرنج لقصد بيت المقدس، فخرج الملك العادل من دمشق وجمع العساكر، ونزل على الطور[٢] في قبالة الفرنج، ودام ذلك إلى آخر السنة.

وفيها: استولت[٣] الفرنج على قسطنطينية، وكانت قسطنطينية بيد الروم من قديم الزمان، فلما كانت هذه السنة اجتمعت الفرنج وقصدتها في جمع عظيم وحاصروها /١٤٧/ وملكوها، وأزالوا الروم، ولم تزل بيد الفرنج إلى سنة ستين وستمائة، فقصدتها الروم واستعادتها من الفرنج.

وفيها: توفي[٤] السلطان ركن الدين سليمان بن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان بن قطلومش بن يبغو أرسلان بن سلجوق ملك بلاد الروم في سادس ذي القعدة. وحسبما قدمنا ذكره في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة، وكان مرضه القولنج، وكان قبل موته بخمسة أيام قد غَدَر بأخيه صاحب أنكورية وهي أنقرة، وكان ركن الدين المذكور يميل إلى مذهب الفلاسفة ويُحسن إلى طائفتهم ويُقدّمهم، ولما مات ملك بعده ولده قليج أرسلان، وكان صغيراً، فلم يلبث أمره، وكان ما سنذكره إن شاء الله.

وفيها: كان[٥] بين خوارزم شاه محمد بن تكش وبين شهاب الدين الغوري قتال، فانتصر فيه ملك الغوريّة، واستنجد خوارزم شاه بالخط، فساروا واتّفقوا[٦] مع شهاب الدين ملك الغورية فهزموه، وشاع ببلاده أن شهاب الدين قتل، فاختلفت مملكته، وكثر المفسدون، ثم أنه ظهر ورجع إلى غزنة، واستقرّ في مملكته.

وفيها: قتل[٧] كلجا مملوك البهلوان، وكان قد ملك الري وهمدان وبلاد الجبل، قتله خشداشه أيدغمش البهلواني، وتملك موضعه وأقام أيدغمش ابن أستاذه أيبك بن

---

(١) المختصر ٣/ ١٠٥، شفاء القلوب ص٢١٤ والبداية والنهاية ١٣/ ٣٦ والعسجد المسبوك ص٢٨٤.

(٢) الطور: جبل مطل على طبرية الأردن، بنى عليه الملك المعظم عيسى قلعة حصينة (معجم البلدان ٤/ ٤٧).

(٣) المختصر ٣/ ١٠٥ والكامل ٩/ ٢٦٣ وتاريخ مختصر الدول ص٣٩٦.

(٤) المختصر ٣/ ١٠٥ والكامل ٩/ ٢٦٥ وتاريخ مختصر الدول ص٣٩٧ والبداية والنهاية ١٣/ ٣٧ والعسجد المسبوك ٢٨٦.

(٥) المختصر ٣/ ١٠٥.

(٦) الأصل: وارتقعوا.

(٧) المختصر ٣/ ١٠٥ وكامل ابن الاثير ٩/ ٢٦٥ والعسجد المسبوك ص٢٨٦ وفيهما: كوكجة.

البهلوان في الملك وليس لأزبك غير الاسم، والحكم لأيْدغمش.

وفيها: استولى[١] إنسان /١٤٨/ اسمه محمود بن محمود الحميري على ظفار ومرباط، وغيرهما من حضرموت.

وفيها: خرج[٢] أسطول الفرنج واستولى على مدينة فوة[٣] من الديار المصرية ونهبوها خمسة أيام.

وفيها: كانت[٤] زلزلة عامة في أقطار الأرض خربت من المدن شيئاً كثيراً.

سنة إحدى وستمائة إلى سنة عشرة وستمائة

في سنة إحدى:

كانت[٥] الهدنة بين الملك العادل والفرنج، وسلم إلى الفرنج يافا ونزل من مناصفات[٦] لدّ والرملة. ولما استقرّت الهدنة أعطى العساكر دستوراً وسار إلى مصر وأقام بدار الوزارة.

وفيها: أغارت[٧] الفرنج على حماة حتى قاربوها إلى القرية الرقيطا وامتلأت أيديهم على المكاسب، وأسروا من أهل حماة شهاب الدين ابن البلاغي وكان فقيهاً شجاعاً، تولّى برّ حماة مرةً وسلميّة أخرى، وحمله الفرنج أسيراً إلى طرابلس، فهرب وتعلق بجبال بعلبك ووصل إلى أهله بحماة سالماً، ثم وقعت الهدنة بين الملك المنصور صاحب حماة وبين الفرنج.

وفيها: بعد[٨] الهدنة توجّه الملك المنصور صاحب حماة إلى مصر، وكان عنده استشعار من الملك العادل، فلما وصل إليه بالقاهرة، أَحْسَنَ إليه إحساناً كثيراً، وأقام في خدمته شهوراً، ثم خلع عليه وعلى أصحابه وعاد إلى حماة.

وفيها: مَلَكَ[٩] السلطان غياث الدين كيخسرو بن /١٤٩/ قليج أرسلان بلاد

---

(١) المختصر ٣/ ١٠٥ والكامل ٩/ ٢٦٦.

(٢) المختصر ٣/ ١٠٦ والكامل ٩/ ٢٦٦ وتاريخ الخلفاء ص٤٥٦ والشذرات ٤/ ٣٤٤ والعسجد المسبوك ص٢٨٧.

(٣) فوّة: بليدة على شاطئ النيل من نواحي مصر (معجم البلدان ٤/ ٢٨٠).

(٤) المختصر ٣/ ١٠٦ وانظر الكامل ٩/ ٢٦٦ والعسجد المسبوك ص٢٨٧ والبداية والنهاية ١٣/ ٣٧.

(٥) المختصر ٣/ ١٠٦ وانظر: الكامل ٩/ ٢٦٥ وشفاء القلوب ص٢١٤.

(٦) في الأصل: مصافات.

(٧) المختصر ٣/ ١٠٦.

(٨) المختصر ٣/ ١٠٦.

(٩) المختصر ٣/ ١٠٦ والكامل ٩/ ٢٦٧ والبداية والنهاية ١٣/ ٤١.

الروم وكان لما تغلّب أخوه سليمان على البلاد قد هرب كيخسرو إلى الملك الظاهر صاحب حلب فأحسن إليه صاحبها، وأقام[١] بالقسطنطينية، إلى أن مات أخوه ركن الدين سليمان، وتولّى ابنه قليج أرسلان فسار كيخسرو إلى قسطنطينية وأزال أمر ابن أخيه، وملك بلاد الروم، واستقرّ أمره.

وفيها: كانت[٢] الحرب بين الأمير قتادة[٣] الحسني[٤] أمير مكة وبين الأمير سالم بن قاسم الحسني أمير المدينة، وكانت الحرب بينهما سجالاً.

وفي سنة اثنتين:

في أول شعبان، قتل[٥] شهاب الدين أبو المظفر محمد بن سام بن الحسين الغوري ملك غزنة وبعض خراسان، بعد عوده من كهاوور[٦] فوثب عليه قبل صلاة العشاء جماعة، وهو بخركانه، وقد تفرق الناس عنه لأماكنهم فقتلوه بالسكاكين، قيل إنهم من الكوكير[٧]، وهم طائفة مفسدون من أهل الجبال، وكان شهاب الدين قد قَتَل فيهم، وقيل إنهم من الإسماعيلية، فإن شهاب الدين أيضاً كان كثير الفتك فيهم، واجتمع حرس شهاب الدين فقتلوا قتلتِهِ عن آخرهم.

وكان شهاب الدين شجاعاً كثير الغزو، عادلاً في الرعية، كان الإمام فخر الدين يعظه في داره، فحضر يوماً ووعظ وقال[٨]: يا سلطان لا سلطانك يبقى، ولا تلبيس الرازي، فبكى شهاب الدين حتى رحمه الناس.

ولما قتل /١٥٠/ شهاب الدين كان صاحب باميان بهاء الدين سام بن شمس الدين محمد بن مسعود ابن عم غياث الدين وشهاب الدين، فسار بهاء[٩] الدين ليتملك

(١) في المختصر: ثم تركه وسار إلى قسطنطينية.

(٢) المختصر ٣/١٠٦ والكامل ٩/٢٦٩ والبداية والنهاية ١٣/٤١.

(٣) قتادة بن إدريس بن مطاعن العلوي الحسني، أبو عزيز، أخذ مكة بالسيف وكان جباراً فاتكاً، قوي النفس، توفي سنة ٦١٧هـ، انظر: عروة الطالب ص١٤١ والوافي ٢٤/١٩٣ ومرآة الزمان ٦١٧ ومفرج الكروب ٤/١٢١ وشذرات الذهب ٥/٧٦.

(٤) في الأصل والمختصر: الحسيني والتصويب عن مصادر ترجمته.

(٥) المختصر ٣/١٠٦ وانظر الكامل ٩/٢٧٣ والشذرات ٥/٧ ومرآة الجنان ٤/٢ والبداية والنهاية ١٣/٤٣ والعسجد المسبوك ص٢٩٦.

(٦) بعده في المختصر: بمنزل يقال له دنبل.

(٧) في الكامل: كوكر، قال ومساكنهم جبال بين لهاوور والمولتان، قال كانوا أسلموا ثم ارتدوا مع دانيال صاحب جبل الجودي.

(٨) بعده في المختصر: في آخر كلامه. (٩) الأصل: شهاب.

غزنة ومعه (ولداه)[١] علاء الدين محمد وجلال الدين، فأدركت بهاء الدين بن سام الوفاة قبل أن يصل إلى غزنة، وعهد بالملك إلى ابنه علاء الدين محمد، وأتم علاء الدين وأخوه جلال الدين السير إلى غزنة، ودخلاها فتملّكها علاء الدين، وكان لغياث الدين مملوك اسمه يلدز[٢]، وكانت كرمان إقطاعه وهو كبير في الدولة، ومرجع الأتراك إليه، فسار تاج الدين يلدز إلى غزنة، وهزم عنها علاء الدين محمد بن بهاء الدين سام (وأخاه)[٣] جلال الدين، واستولى يلدز على غزنة، ثم أن علاء الدين وجلال الدين ابني بهاء الدين سام سارا إلى باميان وجمعا العساكر وعادا إلى غزنة، فقاتلهما (يلدز) فانتصرا عليه، وانهزم يلدز إلى كرمان، واستقرّ علاء الدين محمد بن بهاء الدين سام ومعه بعض العسكر في ملك غزنة، وعاد أخوه جلال الدين في باقي العسكر إلى باميان ثم إن يلدز لما بَلَغَهُ مسير جلال الدين في باقي العسكر إلى باميان، وتأخر علاء الدين بغزنة جمع يلدز عساكر كرمان وغيرها، وسار إلى غزنة، وبلغ علاء الدين محمد بن بهاء الدين سام ذلك، فأرسل إلى أخيه جلال الدين وهو بباميان يستنجده، وسار يلدز وحصر علاء الدين بغزنة، وسار جلال الدين، فلما قارب غزنة رحل يلدز إلى طريقهِ، /١٥١/ واقتتلا فانهزم عسكر جلال الدين، وأخذه يلدز أسيراً فأكرمه يلدز واحترمه وعاد إلى غزنة. فحصر علاء الدين بها، وكان عنده بغزنة هندوخان بن ملكشاه بن تكش. فاستنزلهما يلدز بالأمان، وقبض على علاء الدين وعلى هندوخان وتسلّم غزنة.

وأما غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد ملك الغوريّة، فإنه لما قُتل عمّه شهاب الدين وكان ببست، فسار إلى فيروزكوه وملكها وجلس في دست أبيه غياث الدين وتلقّب بألقابه، وفرح به أهل فيروزكوه، وسلك طريقة أبيه في الإحسان والعدل، ولما استقرّ يلدز بغزنة وأَسَرَ علاء الدين وجلال الدين كتب إلى غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد بن سيف الدين سام بن الحسين بالفتح وأرسل إليه الأعلام وبعض الأسرى.

وفيها: تزوّج[٤] أبو بكر بن البهلوان بابنة ملك الكرج، وذلك لاشتغاله بالشرب عن تدبير المملكة فعدل إلى المصاهرة والهدنة، فكف[٥] الكرج عنه لذلك.

---

(١) في الأصل: ولديه.
(٢) في المختصر: وكان لغياث الدين ملك الغورية مملوك اسمه تاج الدين يلدز.
(٣) في الأصل: وأخوه.
(٤) المختصر ٣/ ١٠٧ وانظر الكامل ٩/ ٢٨٤.
(٥) الأصل: فكفّوا.

وفي سنة ثلاث:

سار[١] الملك العادل من مصر إلى الشام ونازل في طريقه عكا، فصالحه أهلها على إطلاق جميع الأسرى، ووصل إلى دمشق ثم سار إلى بحيرة قدس[٢] واستدعى بالعساكر فأتته من كل جهة وأقام على البحيرة حتى خرج رمضان، ثم سار ونازل حصل الأكراد وفتح برج أعناز[٣] وأخذ منه سلاحاً ومالاً وخمسمائة رجل. ثم سار ونازل طرابلس /١٥٢/ ونصب عليها المناجيق وعاث العسكر في بلادها، وقطع قناتها، ثم عاد في أواخر ذي الحجة إلى بحيرة قدس بظاهر حمص.

وفيها: أرسل[٤] غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد ملك الغوريّة يستميل يلدز مملوك أبيه المستولي على غزنة، فلم يجبه يلدز إلى ذلك، فطلب يلدز من غياث الدين أن يعتقه، فأحضر الشهود وأعتقه وأرسل مع عتقه هدية عظيمة، وكذلك أعتق أيبك المستولي على الهند، وأرسل نحو ذلك، فقبل كل منهما ذلك وخطب أيْبك لغياث الدين، وخرج غالب العسكر عن طاعة يلدز لعدم طاعته لغياث الدين.

وفيها: ثالث شعبان ملك[٥] غياث الدين كيخسرو صاحب الروم أنطالية، (باللام) وهي مدينة للروم على ساحل البحر.

وفيها: قبض[٦] عسكر خلاط على صاحبها ابن بكتمر وكان أتابك قتلغ مملوك شاه أرمن[٧]، فقبض عليه ابن بكتمر فثارت أرباب الدولة وقبضوه وملّكوا بلبان مملوك شاه أرمن بن سكمان صاحب خلاط حسبما ذكرناه سنة أربع وستين وخمسمائة.

وفي سنة أربع:

كان[٨] الملك العادل نازلاً ببحيرة قدس في أوائلها، ثم وقعت الهدنة بينه وبين صاحب طرابلس، وعاد الملك العادل إلى دمشق وأقام بها.

---

(١) المختصر ٣/١٠٨ وانظر: شفاء القلوب ص٢١٥.
(٢) في المختصر: ونزل بظاهر حمص على بحيرة قدس.
(٣) برج أعناز: بلد بين حمص والساحل. (معجم البلدان ١/ ٢٢٢).
(٤) المختصر ٣/١٠٨ وانظر الكامل ٩/ ٢٨٦ والعسجد المسبوك ص٣٠٨.
(٥) المختصر ٣/١٠٨ وانظر الكامل ٩/ ٢٨٨.
(٦) المختصر ٣/١٠٨ وانظر الكامل ٩/ ٢٨٨ والعسجد المسبوك ص٣١١ وتاريخ مختصر الدول ص٢٢٨.
(٧) في المختصر: شاهر.
(٨) المختصر ٣/١٠٨.

وفيها: ملك[١] الملك الأوحد نجم الدين أيوب بن الملك العادل خلاط وكان صاحب خلاط بلبان حسبما قدمنا ذكره في سنة أربع وتسعين / ١٥٣/ وخمسمائة فسار الملك الأوحد من ميافارقين وملك مدينة موش[٢]، ثم اقتتل هو وبلبان صاحب خلاط فانهزم بلبان واستنجد بصاحب أرزن الروم وهو مغيث الدين طغريل شاه بن قليج أرسلان السلجوقي. فسَارَ طغريل شاه واجتمع به بلبان فهزما الملك الأوحد، ثم غدر طغريل شاه ببلبان فقتله غدراً ليملك بلاده وقصد خلاط فلم يسلموها إليه، وقصد منازكرد[٣] فلم تسلم إليه، فرجع طغريل إلى بلاده، وكاتب أهل خلاط الملك الأوحد فسار إليهم وتسلّم خلاط وبلادها بعد إياسه منها واستقرّ ملكه بها.

وفيها: وصل[٤] التشريف من الخليفة الناصر للسلطان الملك العادل بدمشق صحبة الشيخ شهاب الدين السهروردي[٥]، فبالغ الملك العادل في إكرام الشيخ والتقاه إلى القصير[٦]، ووصل من صاحبي[٧] حلب وحماة ذهب لينثر على الملك العادل إذا لبس الخلعة، فلبسها الملك العادل، ونثر ذلك الذهب، وكان يوماً مشهوداً، وكانت الخلعة جبّة أطلس أسود بطراز ذهب، وعمامة سوداء بطراز ذهب وطوق ذهب مجوهر، وسيف جميع قرابه ملبس بالذهب، تقلّد به الملك العادل وتطوّق بالطوق، وحصان أشهب بمركب وذهب ونشر على رأسه علم أسود مكتوب فيه بالبياض اسم الخليفة الناصر وألقابه، ثم خلع رسول الخليفة على كل واحد من الملكين الأشرف والمعظم ابني العادل عمامة سوداء، وثوب أسود / ١٥٤/ واسع الكم، وكذلك على الوزير صفي الدين بن شكر. وركب الملك العادل وولداه ووزيره بالخلع ودخل القلعة، وكذلك

---

(١) المختصر ٣/ ١٠٨ وانظر: الكامل ٩/ ٢٩٩ وشفاء القلوب ص٢٧٣ ومفرج الكروب ٣/ ١٧٦ والعسجد المسبوك ص٣١٩ وتاريخ مختصر الدول ص٢٢٨.

(٢) موش: بلدة بنواحي خلاط بأرمينية (معجم البلدان ٥/ ٢٢٣).

(٣) ضبطها ياقوت: منازجرد، قال: وأهلها يقولون منازكرد (معجم البلدان ٥/ ٢٠٢).

(٤) المختصر ٣/ ١٠٨ وانظر شفاء القلوب ص٢٨١.

(٥) شهاب الدين، أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله البكري، السهروردي، فقيه شافعي، ورع من العباد، تخرج عليه خلق من الصوفية، كان له مجلس وعظ في بغداد، وله مصنفات منها (عوارف المعارف) ولد بسهرورد سنة ٥٣٩هـ ومات ببغداد سنة ٦٣٢هـ (وفيات الأعيان ٣/ ٤٤٦ وذيل الروضتين ١٦٣ والحوادث الجامعة ٧٤ والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٩٢ والعبر ٥/ ١٢٩ والشذرات ٥/ ١٥٣).

(٦) القصير: أول منزل عن بريد حمص من دمشق (معجم البلدان ٤/ ٣٦٧).

(٧) الأصل: صاحب، وصاحبا حلب وحماة هما: الملك الظاهر بن صلاح الدين، والملك المنصور.

وصل إلى الملك العادل مع الخلع تقليد بالبلاد التي تحت حكمه، وخوطب الملك العادل فيه، بشاهنشاه ملك الملوك خليل أمير المؤمنين ثم توجه الشيخ شهاب الدين إلى مصر، فخلع على الملك الكامل[١] بها، وجرى فيها نظير ما جرى في دمشق من الاحتفال، ثم عاد السهروردي إلى بغداد مكرماً معظماً.

وفيها: اهتم[٢] الملك العادل بعمارة قلعة دمشق، وألزم كل واحد من ملوك أهل بيته بعمارة برج من أبراجها.

وفي هذه السنة: كاتبت[٣] ملوك ما وراء النهر مثل ملك سمرقند وملك بخارا[٤] يشكون ما يلاقونه من الخطا إلى خوارزم شاه ويبذلون له الطاعة والخطبة، والسكة ببلادهم إن دفع الخطا عنهم، فعبر علاء الدين محمود خوارزم شاه بن تكش نهر جيمون واقتتل مع الخطا، وكانت بينهم عدّة وقائع، والحرب بينهم سجال، واتفق في بعض الوقعات أن عسكر خوارزم (شاه) انهزم وأخذ معه آخر اسمه فلان بن شهاب الدين مسعود[٥]، ولم يعرفهما الخطائي الذي أسرهما، فقال ابن مسعود لخوارزم شاه دع عنك المملكة وادّع أنك غلامي واخدمني لعلّي أحتال في خلاصك. فشرع خوارزم شاه يخدم ابن مسعود، ويقْلعه قماشه وخفّه ويخدمه، فسأل الخطائي ابن مسعود من أنت؟ فقال: أنا فلان، فقال له الخطائي: لولا أخاف من الخطا / ١٥٥/ أطلقتك، فقال له ابن مسعود: إني أخشى أن ينقطع خبري عن أهلي فلا يعلمون بحالي، وأشتهي أعلمهم بحياتي لئلا يظنوا موتي ويتقاسموا مالي فأجابه الخطائي إلى ذلك، وراح خوارزم شاه مع ذلك الشخص حتى قرب من خوارزم فرجع الخطائي واستقر خوارزم شاه في ملكه، وتراجع إليه عسكره وكان لخوارزم شاه أخ يقال له علي شاه ابن تكش، وكان نائب أخيه بخراسان فلما بلغه عدم أخيه في الوقعة مع الخطا دعى إلى نفسه بالسلطنة واختلفت الناس بخراسان، وجرى فيها فتن كثيرة. فلما عاد خوارزم شاه محمد إلى ملكه، خاف أخوه علي شاه فسار إلى غياث الدين محمود ابن غياث الدين محمد ملك الغورية فأكرمه غياث الدين، وأقام علي شاه عنده بفيروزكوه.

ولما استقرّ خوارزم شاه في ملكه، وبَلَغَهُ ما فَعَلَهُ أخوه علي شاه، جهّز عسكراً

---

(١) محمد بن أبي بكر الملك العادل، كان نائب أبيه على مصر.

(٢) المختصر ٣/ ١٠٩ وانظر شفاء القلوب ص٢١٩.

(٣) المختصر ٣/ ١٠٩ وانظر الكامل ٩/ ٢٩١.

(٤) في الكامل: أن ملك سمرقند وبخارى يلقب خان خانان يعني سلطان السلاطين وهو من أولاد الخانية.

(٥) كذلك ورد اسمه في الكامل ٩/ ٢٩٣.

لقتال غياث الدين محمود الغوري، فسار العسكر إلى فيروزكوه مع مقدم اسمه أمير ملك[١]، وبلغ ذلك محموداً فأرسل يبذل الطاعة ويطلب الأمان فأعطاه أمير ملك الأمان، وخرج محمود وعلي شاه من فيروزكوه إلى أمير ملك فقبض عليهما وأرسل يعلم خوارزم شاه الحال، فأمره بقتلهما، فقتلهما في يوم واحد، واستقامت خراسان كلُّها لخوارزم شاه بن تكش، وذلك سنة خمس وستمائة.

وهذا غياث الدين محمود بن /١٥٦/ غياث الدين محمد بن سام بن الحسين هو آخر الملوك الغورية، وكانت دولتهم من أحسن الدول، وكان هذا محمود كريماً عادلاً رحمه الله تعالى.

ثم إن خوارزم شاه محمد لما خلا سرّه من خراسان عَبَر النهر[٢] إلى الخطا، وكان وراء الخطا في حدود الصين التتر، وكان ملكهم حينئذ اسمه كشلي خان، وكان بينه وبين الخطا عداوة متحكمة، فأرسل كشلي خان إلى خوارزم شاه أن يكون معه على الخطا، وأرسل ملك الخطا يسأل خوارزم شاه أن يكون معه على التتر، فأجابهما خوارزم شاه بالمغالطة، وانتظر ما يكون منهما، فاتقع كشلي خان والخطا فانهزمت الخطا، فمال عليهم خوارزم شاه، وفتك فيهم. وكذلك فعل كشلي خان بهم، وانقرضت الخطا ولم يبق منهم إلا من اعْتَصَمَ بالجبال أو استسلم وصار في عسكر خوارزم شاه.

وفي سنة خمس وستمائة:

توجّه[٣] الملك الأشرف موسى بن العادل من دمشق راجعاً إلى بلاده الشرقية ولما وصل إلى حلب تلقّاه صاحبها الملك الظاهر وأنزله بالقلعة، وبالغ في إكرامه وقام للأشرف ولجميع عسكره بجميع ما يحتاجون إليه من الطعام والشراب والعلوفات وكان يحمل إليه في كل يوم خلعة كاملة، وهي غلالة[٤] وقباء وسراويل وكمة[٥] وفروة وسيف وحصان ومنطقة ومنديل وسكين ودلكش[٦] وخمس خلع لأصحابه، وأقام على ذلك

---

(١) في الكامل ٩/ ٢٩٤ أنه خال خوارزم شاه.

(٢) هو نهر جيحون كما في الكامل.

(٣) المختصر ٣/ ١١٠ وانظر: شفاء القلوب ص٢٥٣.

(٤) الغلالة: شعار يلبس تحت الثوب.

(٥) الكمّة: القلنسوة المدورة (المعجم المفصل بأسماء الملابس العربية).

(٦) الدلكش كلمة فارسية تعني الجعبة أو الكنانة التي يوضع فيها النشاب.

خمسة وعشرين[١] يوماً، وقدم له /١٥٧/ مائة ألف درهم، ومائة بقجة[٢] مع مائة مملوك، فمنها عشر بقج في كل واحدة منها ثلاثة أثواب أطلس[٣] وثوبان[٤] خطائي[٥]، وعلى كل بقجة جلد قندس[٦] كبير، ومنها عشرة في كل بقجة منها عشر ثياب عتابي[٧] خوارزمي، وعل (كل)[٨] بقجة جلد قندس كبير، ومنها عشرة في كل بقجة منها خمس ثياب عتابي (بغدادي)[٩] وموصلي، وعليها جلود قندس صغار ومنها عشرون في كل بقجة خمس قطع من ديبقي ومرسوي[١٠]، ومنها أربعون في كل بقجة منها خمسة أقبية وخمس كمام، وحمل إليه خمس حصن عربية بعدتها وعشرين إكديشاً، وأربعة قطر بغال وخمسة بغلات فائقات بالسروج واللجم المكفّتة، وخلع على أصحابه مائة وخمسين خلعة، وقاد إلى أكثرهم بغلات وأكاديش، ثم سار الملك الأشرف إلى بلاده.

وفيها: أمر[١١] الملك الظاهر صاحب حلب بإجراء القناة من جيلان[١٢] إلى حلب، وغرم على ذلك أموالاً كثيرة، وبقي الماء يجري في البلد.

وفيها: وصل[١٣] غياث الدين كيخسرو بن قليج أرسلان السلجوقي صاحب بلاد الروم إلى مرعش لقصد بلاد بن لاون الأرمني، فأرسل إليه الملك الظاهر نجدة، فدخل كيخسرو إلى بلاد بن لاون وعاث فيها، ونهب وفتح حصناً يعرف بفرقوس.

وفيها: قتل[١٤] معز الدين سنجرشاه (يوسف) بن سيف الدين غازي بن مودود بن عماد الدين زنكي ابن اقسنقر صاحب جزيرة ابن عمر. /١٥٨/ وقد تقدّم ذكر ولايته سنة ست وسبعين وخمسمائة، قتله ابنه غازي، وكان سنجرشاه ظالماً قبيح السيرة جدّاً، لا

---

(١) في الأصل: عشرون.
(٢) بقجة وجمعها بقج، قطعة من القماش، تلفف بها الملابس لحفظها، (انظر تكملة المعاجم العربية ١/ ٣٩٠.
(٣) أطلس: نوع من الملابس يعمل في مدينة تبريز.
(٤) في الأصل: ثوبين.
(٥) الخطائي نوع من الملابس يصنع في تبريز.
(٦) القندس: كلب الماء.
(٧) عتابي: نسبة إلى محلة ببغداد في الجانب الغربي اشتهرت بصناعة نوع من النسيج المخطط.
(٨) التكملة عن المختصر والشفاء.
(٩) التكملة عن المختصر والشفاء.
(١٠) كذلك في الأصل وشفاء القلوب، وفي المختصر موسومي.
(١١) المختصر ٣/ ١١١ وشفاء القلوب ص٢٥٤.
(١٢) الأصل والمختصر: حيلان.
(١٣) المختصر ٣/ ١١١.
(١٤) المختصر ٣/ ١١١ وانظر الكامل ٩/ ٢٩٩ والبداية والنهاية ١٣/ ٥٢.

يمتنع عن قبيح يفعله من القتل وقطع الألسنة والأنوف والآذان وحلق اللحى وتعدّى ظلمهُ إلى أولاده وحريمه، فبعث ابنيه محموداً ومودوداً إلى قلعة فحبسهما فيها، وبعث ابنه غازي المذكور فحبسه في دار في المدينة وضيّق عليه، وكان بتلك الدار هوام كثيرة، فاصطاد غازي حيّة. وأرسلها إلى أبيه في منديل لعلّه يرق عليه، فلم يزده ذلك إلا قسوةً، فأعمل غازي الحيلة حتى يهرب، وكان له واحد يخدمه، فقرر معه أن يسافر ويظهر أنه غازي بن معز الدين سنجرشاه، ليأمنه أبوه، فمضى ذلك الإنسان إلى الموصل فأعطى شيئاً وسافر منها، واتصل ذلك بسنجرشاه فاطمأن، وتوصل ابنه غازي حتى دخل دار أبيه، واختفى عند بعض سراري أبيه، وعلم به جماعة منهم وكتموا ذلك عن سنجرشاه لبغضهم فيه، واتفق أن سنجرشاه شرب يوماً بظاهر البلد، وشرع يقترح على المغنين الأشعار الفائقة الفراقية، وهو يبكي، ودخل داره سكران إلى عند الحظيّة التي ابنه مخبّأ عندها، ثم قام سنجرشاه ودخل الخلاء فهجم عليه ابنه غازي، فضربه أربع[1] عشرة ضربة بالسكين، ثم ذبحه وتركه ملقى، ودخل غازي الحمام، وقعد يلعب مع الجواري، فلو أحضر الجند واستحلفهم في /١٥٩/ ذلك الوقت لتمَّ أمْرُهُ وملك البلد، ولكنه سكر[2] واطمأنّ فخرج بعض الخدم وأعلم أستاذ الدار[3]، فجمع الناس وهجم على غازي وقتله وحلف العسكر لأخيه محمود بن سنجرشاه، ولقب معز الدين بلقب أبيه، فاستقرّ ملكه بالجزيرة، وقبض على جواري أبيه فغرّقهن في دجلة ثم قبض على أخيه مودود.

وفي سنة ست وستمائة:

سار[4] الملك العادل من دمشق وقطع الفرات، وجمع الملوك من أولاده، ونزل حرّان، ووصل إليه بهاء الملك الصالح محمد بن محمد بن قرا أرسلان الأرتقي صاحب آمد وحصن كيفا[5]، وسار الملك العادل من حرّان ونازل سنجار وبها صاحبها قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي، فحاصره فطال الأمر في ذلك،

---

(١) في الأصل: أربعة.
(٢) في المختصر: تنكر، وفي الكامل: أمِن واطمأن ولم يشك في الملك.
(٣) الأصل: أستاذ دار.
(٤) المختصر ٣/ ١١٢ وانظر: الكامل ٩/ ٣٠١ وشفاء القلوب ص٢١٩ وتاريخ مختصر الدول ص٣٩٨.
(٥) الأصل: وحمص كيفا.

ثم خامرت عساكر الملك العادل، ونقض الملك الظاهر صاحب حلب الصلح معه، فرحل وعاد إلى حرّان، واستولى الملك العادل على نصيبين، وكانت لقطب الدين محمد المذكور، وكذلك استولى على الخابور.

وفي سنة سبع وستمائة:

عاد[١] الملك العادل من البلاد الشرقية إلى دمشق.

وفيها: قصدت[٢] الكرج خلاط وحصروا الأوحد بن الملك العادل بها واتفق أن ملك الكرج شرب وسكر فحسّن له السكر أن يقوم إلى خلاط في عشرين فارساً، وخرجت[٣] له المسلمون فأَخَذُوه[٤] أسيراً، وحملوه إلى الملك الأوحد فردّ على الملك الأوحد عدّة قلاع / ١٦٠/ وبذل إطلاق خمسة آلاف أسير ومائة ألف دينار وعقد الهدنة مع المسلمين ثلاثين سنة، وشرط أن يزوج ابنته للملك الأوحد فتسلم ذلك منه وتحالفا وأُطلق.

وفيها: توفي[٥] نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي بن اقسنقر صاحب الموصل في آخر رجب، وكان مرضه قد طال، وملك الموصل سبع عشرة سنة وأحد عشر شهراً، ولما اشتدّ مرضُه انحدر إلى العين القيارة ليستحمّ به، وعاد إلى الموصل في شبّارة[٦] فتوفى في الطريق ليلاً.

وكان أسمر حسن الوجه، قد أسرع إليه الشيب، وكان شديد الهيبة على أصحابه وكان عنده قلّة صبر في أمورِهِ. واستقرّ في ملكه بعده ولده الملك القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان شاه، وكان عمر القاهر عشر سنين، وقام بتدبير مملكته بدر الدين لؤلؤ[٧]، وكان لؤلؤ مملوك والده أرسلان شاه، وأستاذ داره، وهذا لؤلؤ هو الذي ملك

---

(١) المختصر ٣/ ١١٣.

(٢) المختصر ٣/ ١١٣ وشفاء القلوب ص٢٧٤ والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٠٧ والبداية والنهاية ١٣/ ٥٦.

(٣) كذا في الأصل والمختصر، والصواب: خرج.

(٤) في المختصر: فتقنطر وأخذ أسيراً.

(٥) المختصر ٣/ ١١٣ وانظر خبر وفاته وترجمته في الكامل ٩/ ٣٠٣ والشذرات ٥/ ٢٤ ومرآة الجنان ٤/ ١٣ وتاريخ مختصر الدول ص٣٩٩ والبداية والنهاية ١٣/ ٥٧.

(٦) في الأصل والمختصر: سيارة.

(٧) لؤلؤ السلطان والملك الرحيم، بدر الدين، صاحب الموصل، الأرمني، ولي نور الدين أرسلان شاه، كان المدبر لدولة أستاذه، ثم دبّر دولة القاهر عز الدين مسعود، فلما توفي أقام لؤلؤ أخوين صبيين واحداً بعد الآخر، ثم استبدّ بملك الموصل أربعين سنة. التقى هولاكو حين توجه إلى بغداد وقدم له هدايا ثمينة، وكان مدبراً حازماً ذا سطوة رهيبة، مات بعد سقوط بغداد بيد التتر =

الموصل على ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

وكان لأرسلان شاه ولد آخر أصغر من القاهر اسمه علاء الدين زنكي ملكه أبوه قلعتي العقر[١] وشوش[٢]، وهما بالقرب من الموصل.

وفيها: وردت[٣] رسل الخليفة الإمام الناصر إلى ملوك الأطراف أن يشربوا له كأس الفتوّة ويلبسوا سراويلها، وأن ينتسبوا إليه في رمي البندق، ففعلوا ذلك.

وفيها: سار[٤] الملك العادل بعد وصوله إلى دمشق إلى الديار المصرية، وأقام بدار الوزارة.

وفيها: توفي[٥] / ١٦١/ الملك الأوحد عز الدين أيوب بن الملك العادل صاحب خلاط فسار أخوه الأشرف وملك خلاط، واستقلّ بملكها مضافاً إلى ما بيده من البلاد الشرقية، فعظم شأنه ولقب بشاه أرمن[٦].

وفيها: قُتل[٧] غياث الدين كيخسرو صاحب الروم قتله ملك الأشكري وملك بعده ابنه كيكاوس حسبما تقدم ذكره في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة.

وفي سنة ثمان وستمائة:

قبض[٨] الملك المعظم عيسى ابن العادل على عز الدين أسامة صاحب قلعتي كوكب وعجلون بأمر أبيه العادل وحبسه في الكرك إلى أن مات، وحاصر الحصنين المذكورين وتسلّمهما من غلمان أسامة، وأمر الملك العادل تخريب كوكب وتعفية أثرها، وبقيت خراباً، وأبقى عجلون، وانقرضت الصلاحية بهذا أسامة.

وملك[٩] الملك المعظم بلاد جهاركس، وهي بانياس وما معها لأخيه الملك العزيز عماد الدين عثمان بن العادل، وأعطى صرخد لمملوكه عز الدين أيبك المعظّمي.

= وعمره ٨٠ سنة. انظر: عيون التواريخ ٢٠/ ٢١٦ وسير أعلام النبلاء ٢٣/ ٣٥٦ والعبر ٥/ ١٢٣ وذيل الروضتين ٢٠٣ والوافي بالوفيات ٢٤/ ٤٠٧.

(١) العقر: قرية بين تكريت والموصل تنزلها القوافل، وهي أول حدود أعمال الموصل من جهة العراق (معجم البلدان ٤/ ١٣٦).

(٢) شوش: قلعة عظيمة عالية جداً قرب عقر الحميدية، من أعمال الموصل (معجم البلدان ٣/ ٣٧٢).

(٣) المختصر ٣/ ١١٣.

(٤) المختصر ٣/ ١١٣.

(٥) المختصر ٣/ ١١٣ وانظر شفاء القلوب ص٢٧٣ والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٠٧ وفيهما أنه مات سنة ٦٠٩هـ.

(٦) المختصر: شاهر من.

(٧) المختصر ٣/ ١١٤.

(٨) المختصر ٣/ ١١٤ وانظر الكامل ٩/ ٣٠٧ (أحداث ٦٠٩هـ) وشفاء القلوب ص٢٢٠ ومفرج الكروب ٣/ ٢١٠.

(٩) المختصر ٣/ ١١٤ وانظر شفاء القلوب ص٢٢٣ ومفرج الكروب ٣/ ٢١٠.

وفيها: عاد[1] الملك العادل إلى الشام، وأعطى ولده الملك المظفر غازي الرّها مع ميافارقين.

وفيها: أرسل[2] الملك الظاهر صاحب حلب القاضي بهاء الدين بن شداد إلى الملك العادل، فاستعطف خاطره، وخطب ابنته ضيفة[3] خاتون، فزوّجه الملك العادل بها، وزال ما كان بينهما من الوحشة.

وفيها: أظهر[4] الكيّا جلال الدين حسن صاحب الألموت، وهو من ولد الصباح شعائر الإسلام، وكتب به / ١٦٢/ إلى جميع قلاع الإسماعيلية، بالعجم والشام، وأقيمت فيها شعائر الإسلام.

وفي سنة تسع وستمائة:

في المحرم عُقد[5] عَقْد الملك الظاهر على ضيفة خاتون بنت الملك العادل، وكان المهر خمسين ألف دينار، وتوجهت من دمشق في المحرم إلى حلب، فاحتفل الملك الظاهر لها، وأهدى لها أشياءً نفيسة.

وفيها: عمّر[6] الملك الظاهر قلعة الطور وجمع لها الصنّاع من البلاد والعسكر حتى تمّت.

وفيها: سار[7] طغريل شاه بن قليج أسلان صاحب أرْزَن الروم وحاصر ابن أخيه كيكاوس بن كيخسرو بسيواس[8]، فاستنجد كيكاوس بالأشرف بن العادل، فخاف طغريل مِنَ الأشرف، ورحل عن ابن أخيه كيكاوس. وكان لكيكاوس أخ اسمه كيقباذ، فلما جرى ما ذكرنا سار كيقباذ واستولى على أنكورية[9] من بلاد أخيه كيكاوس، فسار كيكاوس وحصره وفتح إنكورية، وقبض على أخيه كيقباذ وحبسه، وقبض على أمرائه، وحلق لحاهم ورؤوسهم وأركب كل واحد منه فرساً، وأركب قدامه وخلفه قحبتين وبيد

---

(١) المختصر ٣/ ١١٤ وانظر شفاء القلوب ص٢٢٣.

(٢) المختصر ٣/ ١١٤.

(٣) انظر ترجمة ضيفة خاتون في شفاء القلوب ص٣٢٨.

(٤) المختصر ٣/ ١١٤ وانظر الكامل ٩/ ٣٠٦ والبداية والنهاية ١٣/ ٦٢ والعسجد المسبوك ص٣٣٨ والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٠٣.

(٥) المختصر ٣/ ١١٤.

(٦) المختصر ٣/ ١١٤.

(٧) المختصر ٣/ ١١٤.

(٨) في الأصل: وسبواس، والتصويب عن المختصر.

(٩) في الأصل: أنكورة، والتصويب عن المختصر.

كل واحدة منهنّ خفّ[١] تصفعه به، وبين كل واحد منادياً ينادي: هذا جزاء مَنْ خان السلطان.

وفي سنة عشرة وستمائة:

ظفر[٢] عز الدين كيكاوس بعمّه طغريل شاه، وأخذ بلاده، وقتله، وذبح أكبر أُمرائه، وقصد قتل أخيه علاء الدين كيقباذ، فشفع فيه بعض أصحابه فعفى عنه.

وفيها: ولد[٣] للملك الظاهر من ضيفة خاتون /١٦٣/ بنت الملك العادل ولده الملك العزيز غياث الدين محمد.

وفيها: قتل[٤] إيدغمش مملوك البهلوان، وكان قد غَلَبَ على المملكة وهي همدان والجبال، قتله خشداش من البهلوانية اسمه منكلي، وكان ايدغمش قد هرب منه والتجأ إلى الخليفة في سنة ثمان وستمائة، ثم رجع أيدغمش في هذه السنة إلى جهة همدان فقتل، واستقلّ منكلي بالملك.

وفيها: في شعبان، توفي[٥] ملك الغرب محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن، وكانت مدة مملكته ستة عشرة سنة، وكان أشقر أسيل الخد، دائم الإطراق، كثير الصمت للثغةٍ كانت في لسانه، وقد تقدم ذكر ولايته سنة خمس وتسعين وخمسمائة، ولما مات محمد الناصر ملك بعده ولده يوسف وتلقّب بالمستنصر أمير المؤمنين أبو يعقوب.

سنة إحدى عشرة إلى سنة عشرين وستمائة

في سنة إحدى عشرة:

أسرت[٦] التركمان ملك الأشكري، وهو قاتل غياث الدين كيخسرو، فَحُمل إلى ابنه كيكاوس بن كيخسرو، فأراد قتله، فبذل له في نفسه أموالاً عظيمة، وسلّم إلى كيكاوس بلاداً وقلاعاً لم يملكها المسلمون قط.

وفيها: عاد[٧] الملك العادل من الشام إلى مصر.

---

(١) في المختصر: معلاق. (٢) المختصر ٣/ ١١٥.
(٣) المختصر ٣/ ١١٥ وانظر البداية والنهاية ١٣/ ٦٥.
(٤) المختصر ٣/ ١١٥ وانظر الكامل ٩/ ٣٠٩.
(٥) المختصر ٣/ ١١٥ وانظر: الشذرات ٥/ ٤٣ ومرآة الجنان ٤/ ١٩.
(٦) المختصر ٣/ ١١٦. (٧) المختصر ٣/ ١١٦.

وفي سنة اثنتي عشرة:

كان[١] استيلاء الملك المسعود[٢] بن الملك الكامل على اليمن. وقد تقدم ذكر استيلاء سليمان بن سعد الدين شاهنشاه بن تقي الدين / ١٦٤/ عمر بن شاهنشاه بن أيوب في سنة تسع وتسعين وخمسمائة على اليمن. وإنّه ملأها ظلماً وجوراً، وإنه اطّرح زوجته التي ملّكته، فلما كان هذه السنة بعث الملك الكامل ابنه الملك المسعود يوسف المعروف بإقسيس إلى اليمن ومعه جيش، فاستولى الملك المسعود عليها، وظفر بسليمان صاحب اليمن وبَعَثَهُ مقيّداً إلى مصر، فأجرى له الملك الكامل ما يقوم به. ولم يزل سليمان مقيماً بالقاهرة إلى سنة سبع وأربعين وستمائة، فخرج إلى المنصورة غازياً فقتل شهيداً.

وفيها: تجمعت[٣] عساكر بغداد وغيرها وقصدوا منكلي الهمداني صاحب همدان وأصفهان والري وما بينهما من البلاد، فهزمته عساكر الخليفة وقتلوه في ساوة، وولّوا مكانه أغلمش أحد المماليك البهلوانية.

وفيها: في شعبان ملك[٤] خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش مدينة غزنة وأعمالها، وأخذها من يلدز مملوك شهاب الدين الغوري فهرب يلدز إلى لهاوور من الهند، واستولى عليها، ثم سار يلدز من لهاوور ليستولي على بلاد الهند الداخلة تحت حكم قطب الدين أيبك خشداش يلدز المذكور، فجرى بينه وبين مملوك قطب الدين مصاف، فقتل فيه يلدز. وكان يلدز حسن السيرة في الرعية، كثير الإحسان.

وفي سنة ثلاث عشرة:

صبيحة[٥] يوم السبت خامس عشرين جمادى الآخرة، ابتدى بالملك الظاهر

---

(١) المختصر ٣/ ١١٦.

(٢) الملك المسعود يوسف بن محمد بن أبي بكر بن أيوب بن شاذي، الملك المسعود المعروف بآقسيس والملقب أطسز، ملك اليمن، ثم ملك مكة سنة ٦٢٠هـ ومات سنة ٦٢٦هـ وكان جباراً فاتكاً، انظر: شفاء القلوب ص٣٦٣ ومرآة الزمان ٨/ ٦٥٨ ومفرج الكروب ٤/ ٢٥٩ والحوادث الجامعة ص١٢ والبداية والنهاية ١٣/ ١٢٤.

(٣) المختصر ٣/ ١١٦ وانظر الكامل ٩/ ٣٠٩ والعسجد المسبوك ص٣٤٧ ومرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٢٧٢ والعبر ٥/ ٤٠..

(٤) المختصر ٣/ ١١٦ وانظر الكامل ٩/ ٣١٠ والعسجد المسبوك ص٣٤٨ وتاريخ مختصر الدول ص٢٣١.

(٥) المختصر ٣/ ١١٧، وانظر الكامل ٩/ ٣١٢، والشذرات ٥/ ٥٥ ومرآة الجنان ٤/ ٢٧ وشفاء القلوب ص٢٥٢ ومرآة الزمان ٨/ ٥٧٩ وذيل الروضتين ٩٤ ومفرج الكروب ٣/ ٢٣٧ والبداية والنهاية ١٣/ ٧١ والنجوم الزاهرة ٦/ ٢١٧ والدارس ١/ ٣٤٢.

غازي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب حلب حمّى حادّة، ولما /١٦٥/ اشتدّ مرضُه أحْضر القضاة والأكابر وكتب نسخة اليمين، أن يكون الملك بعده لولده الصغير الملك العزيز ثم بعده لولده الكبير الملك الصالح صلاح الدين أحمد وبعدهما لابن عمهما الملك المنصور محمد بن العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين يوسف، وحَلَفَ الأمراء والأكابر على ذلك، وجعل الحكم في الأموال والقلاع إلى شهاب الدين طغريل الخادم وأعذق[(١)] جميع أمور الدولة، وفي ثالث عشر جمادى الآخرة أقطع أخوه[(٢)] الملك الظافر خضر المشمّر[(٣)] كفر سوداء وأخرج من حلب في ليلته بالتوكيل، وأخرج علم الدين قيصر مملوك الملك الظاهر إلى حارم نائباً.

وفي خامس عشر جمادى الآخرة: اشتدّ مرض الملك الظاهر، ومُنع الناس الدخول إليه، وتوفي ليلة الثلاثاء العشرين من جمادى الآخرة وكان مولده بمصر في نصف رمضان سنة ثمان وستين وخمسمائة وكان عمره أربعاً وأربعين سنة وشهوراً، وكان مدّة ملكه لحلب من حين وهبها له أبوه إحدى وثلاثون سنة، وكان فيه بطش وإقدام على سفك الدماء. ثم أقصر عنه، وهو الذي جمع شمل البيت الناصري الصلاحي، وكان ذكياً فطناً. وترتّب الملك العزيز[(٤)] في المملكة، والأمور كلّها إلى شهاب الدين طغريل الخادم، فدبّر الأمور، وأحسن السياسة، وكان عمر الملك العزيز لما قرّر في المملكة سنتين وأشهراً، وعمر أخيه الملك الصالح[(٥)] اثني عشرة سنة.

وفي سنة أربع عشرة وستمائة:

والملك العادل بالديار المصرية[(٦)]، وقد اجتمعت /١٦٦/ الفرنج من داخل البحر ووصلوا إلى عكا في جمع عظيم، ولما بلغ العادل ذلك خرج بعساكر مصر، وسار حتى أتى نابلس، فسارت الفرنج إليه، ولم يكن معه من العساكر ما يقدر على مقابلتهم، فاندفع قدامهم إلى عقبة أفيق، فأغاروا على بلاد المسلمين وأغاروا على قرى من بلد السواء، ونهبوا ما بين بيسان ونابلس، وبثوا سراياهم، فقتلوا وغنموا من

---

(١) وفي الأصل: غدق.

(٢) كذا في الأصل والمختصر، والصواب: أخاه.

(٣) في المختصر: المستمر، لعله من أخطاء الطبع.

(٤) الملك العزيز محمد، ولد بحلب سنة ٦١٠هـ ملك حلب، وبها مات سنة ٦٣٤هـ انظر: شفاء القلوب ص٣٤٠ ومفرج الكروب ٣/ ٨٧ والسلوك ١/ ٢٤٥ والبداية والنهاية ١٣/ ١٨.

(٥) الملك الصالح أحمد ولد سنة ٦٠١هـ أو ٦٠٠هـ وتوفى سنة ٦٥١ وشفاء القلوب ص٢٤٢.

(٦) المختصر ٣/ ١١٧ وانظر الكامل ٩/ ٣١٤ وشفاء القلوب ص٢٢٤ والبداية والنهاية ١٣/ ٧٦.

المسلمين ما يفوق الحصر، وعادوا إلى مرج عكا، وكان قوّة هذا النهب ما بين منتصف رمضان وعيد الفطر من هذه السنة، وأقام الملك العادل بمرج الصفر، وسارت الفرنج، وحصروا حصن الطور، وهو الذي بناه الملك العادل على ما تقدّم ذكره، ثم رحلوا عنه، وانقضت السنة، والفرنج بجموعهم في عكا.

وفيها: سار[١] خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش إلى بلاد الجبل وغيرها فملكها، فمنها ساوه وقزوين، وأبْهَر وزنجان وهمدان وأصفهان وقم وقاشان، ودخل أزبك بن البهلوان صاحب أرّان وأذربيجان في طاعةخوارزم شاه، وخطب له ببلاده، ثم عزم خوارزم شاه على المسير إلى بغداد للاستيلاء عليها، وقدم بعض العسكر بين يديه، وسار خوارزم شاه في أثرهم عن همدان يومين أو ثلاثة، فسقط عليهم من الثلج ما لم يسمع بمثله، فهلكت دوابهم، وخاف من حركة التتر على بلاده، فولى على البلاد التي استولى عليها، وسار إلى خراسان، وقطع خطبة /١٦٧/ الخليفة الإمام الناصر من خراسان في سنة خمس عشرة وستمائة. وكذلك قُطعت خطبة الخليفة من بلاد ما وراء النهر، وبقيت خوارزم وسمرقند وهراة لم تقطع بهم خطبة الخليفة، فإن أهل هذه البلاد كانوا لا يلتزمون بمثل هذا بل يخطبون لمن يختارون ويفعلون نحو ذلك.

وفي سنة خمس عشرة وستمائة:

كان[٢] الملك العادل بمرج الصفّر في أوائلها، وجموع الفرنج بمرج عكّا، ثم ساروا منها إلى الديار المصرية، ونزلوا على دمياط، فسار الملك الكامل ابن العادل بمصر، ونزل قبالتهم، واستمرّ الحال كذلك أربعة أشهر (واستمر الحال)[٣] وأرسل الملك العادل العسكر الذي عنده إلى عند ابنه الكامل، فوصلت إليه أولاً فأوّلاً، ولما اجتمعت العساكر عند الكامل أخذ في قتال الفرنج ودفعهم عن دمياط.

وفي هذه السنة: توفي[٤] الملك القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن عماد الدين زنكي اقسنقر صاحب الموصل، وكانت وفاته لثلاث

---

(١) المختصر ٣/ ١١٨ وانظر الكامل ٩/ ٣١٢ ومرآة الجنان ٤/ ٢٨ والبداية والنهاية ١٣/ ٧٦ والعسجد المسبوك ص٣٥٦.
(٢) المختصر ٣/ ١١٨ وانظر الكامل ٩/ ٢١٥ وشفاء القلوب ص٢٢٦ والبداية والنهاية ١٣/ ٧٨.
(٣) ليست في المختصر.
(٤) المختصر ٣/ ١١٨ وانظر الكامل ٩/ ٢١٩ والشذرات ٥/ ٦٢ ومرآة الجنان ٤/ ٣٠ والبداية والنهاية ١٣/ ٨١ والعسجد المسبوك ص٣٦٠ وتاريخ مختصر الدول ص٢٣١ والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٢٥.

بقين من ربيع الأوّل، وكانت مدّة ملكه سبع سنين وتسعة أشهر، وانقرض بموته ملك البيت الزنكي الأتابكي وخلّف ولدين أكبرهما اسمه أرسلان شاه، وكان حينئذ عمره نحو عشر سنين، فأوصى بالملك له وأن يقوم بتدبيره بدر الدين لؤلؤ[١]، فنصبه بدر الدين لؤلؤ في المملكة، وجعل الخطبة /١٦٨/ والسكّة باسمه، وقام لؤلؤ بتدبير المملكة أحسن قيام.

وفيها: كانت[٢] قضية كيكاوس بن كيخسرو ملك الروم.

لما مات الظاهر صاحب حلب، وجلس مكانه ولده العزيز في المملكة، وكان طفلاً، فطمع صاحب بلاد الروم كيكاوس في الاستيلاء على حلب، فدعى الملك الأفضل صاحب سمسياط، واتفق معه أن تفتح حلب وبلادها ويسلّمها إلى الملك الأفضل، ثم تفتح البلاد الشرقية التي بيد الأشرف بن العادل ويتسلمها كيكاوس، وتَحالَفا على ذلك، وسار كيكاوس إلى جهة حلب، ومعه الملك الأفضل، ووصلا إلى رَعْبان[٣] واستولى عليها كيكاوس، وسلَّمها إلى الأفضل، فمالت إليه قلوب أهل البلاد لذلك، ثم سار كيكاوس إلى تل باشر وبها ابن دلورم[٤] ففتحها ولم يسلّمها للأفضل، فنفر خاطر الأفضل وخواطر أهل البلاد لذلك، ووصل الملك الأشرف ابن العادل إلى حلب لدفع كيكاوس عن البلاد، ووصل إليه بها الأمير مانع بن حديثة أمير العرب في جمع عظيم وكان قد سار كيكاوس إلى منبج وتسلّمها لنفسه أيضاً، وسار الملك الأشرف بالجموع التي معه، ونزل وادي بزاعا واتقع بعض العسكر مع مقدمة عسكر كيكاوس، فانهزمت مقدمة عسكر كيكاوس، وأخذ منهم عدّة أسارى، فأرسلوا إلى حلب ودقّت البشائر بها، ولما بلغ كيكاوس وهو بمنبج ولّى منهزماً /١٦٩/ وتبعه الملك الأشرف يتخطّف أطراف عسكره، ثم حاصر الملك الأشرف على تل باشر واسترجعها، واسترجع رَعْبان وغيرها، وتوجّه الملك الأفضل إلى سمسياط ولم يتحرّك بعدها في طلب ملك إلى أن مات سنة اثنتين وعشرين وستمائة على ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

وعاد الملك الأشرف إلى حلب، وقد بَلَغَهُ وفاة أبيه، وكانت وفاتُه: إنه كان[٥]

---

(١) بدر الدين لؤلؤ الأمير الكبير، الأرمني. مضت ترجمته.

(٢) المختصر ٣/ ١١٩ وانظر الكامل ٩/ ٣٢٥ وشفاء القلوب ص٢٦٥.

(٣) رعبان: بلدة بين حلب وسُمْسياط قرب الفراب (معجم البلدان: ٣/ ٥١).

(٤) في الأصل: دارم، والتصويب عن المختصر وفي الكامل: ابن بدر الدين ولد رم الياروقي.

(٥) المختصر ٣/ ١١٩ تحت عنوان «ذكر وفاة السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب» وانظر: الكامل ٩/ ٣٢٦ وشفاء القلوب ص٢٢٦ والشذرات ٥/ ٦٥ ومرآة الجنان ٤/ ٣٠.

نازلاً بمرج الصفر إلى عالقين وهي عند عقبة فيق[١]، فنزل وبها مرض واشتدَّ مرضه، ثم توفّى هناك رحمه الله تعالى في سابع جمادى الآخرة من هذه السنة أعني سنة خمس عشرة وستمائة، وكان مولده سنة أربعين وخمسمائة، وكان عمره خمساً وسبعين سنة، وكانت مدّة ملكه لدمشق ثلاثاً وعشرين سنة ولمصر نحو سبع عشرة سنة، وكان العادل حازماً متيقظاً، غزير العقل شديد الآراء ذا مكر وخديعة، صبوراً حليماً، كان يسمع ما يكره ويغضي عنه، وأتته السعادة، واتسع ملكه، وكثرت أولاده، وأُري فيهم ما يحبّ، ولم يَرَ أحدٌ من الملوك الذين اشتهرت أخبارهم في أولاده من الملك والظفر ما رآه العادل ولقد أجاد شرف الدين [بن][٢] عُنَيْن[٣] في قصيدةٍ مدح بها الملك العادل. مطلعها[٤]: [الكامل]

ماذا على طيف الأحبة لو سرى ... وعليهُمُ لو سامحوني بالكرى

ومنها:[٥]

العادل الملك الذي أسماؤه ... في كلّ ناحيةٍ تشرّف مغبرا

/١٧٠/ ما في أبي بكر لمعتقد الهدى ... شكٌّ يريبُ بأنه خير الورى

بين الملوك الغابرين وبينه ... في الفضل ما بين الثريّا والثرى

نَسَخَت خلائقه الحميدة ما أتى ... في الكتب عن كسرى الملوك وقيصرا[٦]

وله الملوك بكل أرضٍ منهم ... ملك يجرّ على الأعادي عسكرا

من كلّ وضاح الجبين تخاله ... بدراً فإن شهد الوغى فَغَضَنْفَرا

وخلّف الملك العادل ستة عشر ولداً ذكراً غير البنات. ولما توفي الملك العادل لم يكن عنده أحد من أولاده حاضراً، فحضر إليه ابنه الملك المعظّم عيسى بنابلس بعد وفاته، فكتم موته، وأخَذَهُ ميتاً في محفّة، وعاد به إلى دمشق. واحتوى الملك المعظّم على جميع ما كان مع أبيه من الجواهر والسلاح والخيول وغير ذلك. ولما وصل دمشق حلف الناس له، وأظهر موت أبيه وجَلَس للعزاء، وكتب للملوك من إخوته وغيرهم بخبره، وكان في خزانة العادل لما توفي سبعمائة ألف دينار عيناً.

---

(١) عقبة فيق: بالقرب من غور الأردن (معجم البلدان: ٤/ ٢٨٦).
(٢) التكملة عن المختصر.
(٣) أبو المحاسن محمد بن نصر بن الحسين بن عُنين الأنصاري شرف الدين أصله من الكوفة، وولد بدمشق سنة ٥٤٩هـ وكان شاعراً أديباً، عالماً باللغة، مولعاً بالهجاء، نفاه صلاح الدين عن دمشق، فطاف بلاداً كثيرة، ثم عاد إلى دمشق وتوفي سنة ٦٣٠هـ. (وفيات الأعيان ٥/ ١٤).
(٤) ديوانه ص٣.
(٥) ليست في الأصل.
(٦) في المختصر: ومنها في وصف أولاده.

ولما بلغ الكامل موت أبيه وهو في قتال الفرنج عَظُم عليه جدّاً، واختلفت العساكر عليه، وتأخر عن منزلته، وطمعت الفرنج ونهبت بعض أثقال المسلمين، وكان في العسكر عماد الدين أحمد بن سيف الدين علي بن أحمد المشطوب وكان مقدّماً عظيماً في الأكراد الهكارية / ١٧١/ فعزم على خلع الملك الكامل من السلطنة وحصل في العسكر اختلاف كبير حتى عزم الملك الكامل على مفارقة البلاد واللحوق باليمن، وبلغ الملك المعظّم عيسى بن العادل ذلك فرحل من الشام ووصل إلى أخيه الملك الكامل، وأخرج عماد الدين بن المشطوب، ونفاهُ إلى الشام، فانتظم أمر الملك الكامل، وقوي مضايقة الفرنج لدمياط، وضعف أهلها بسبب ما ذكرناه من الفتن التي حصلت في عسكر الكامل من ابن المشطوب.

وفيها: استولى[١] عماد الدين زنكي بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي بن اقسنقر على بعض قلاع الموصل. وقد تقدم في سنة سبع وستمائة أن أرسلان شاه عند وفاته جعل مملكة الموصل لولده المسعود القاهر[٢]. وأعطى ولده الأصغر عماد الدين زنكي المذكور قلعتي القعر وشوش، فلما مات أخوه القاهر، وجلس ولده أرسلان شاه بن القاهر في المملكة، وكان به قروح وأمراض تحرك عمّه عماد الدين زنكي وقصد العمادية واستولى عليها، ثم استولى على قلاع الهكارية والزوران، فاستنجد بدر الدين لؤلؤ المتولى على تدبير صاحب الموصل بالملك الأشرف بين العادل وَدَخَل في طاعته فأنجده الأشرف بعسكر، وساروا إلى زنكي بن أرسلان شاه فهزموه، وكان زنكي مزوجاً بنت مظفر الدين كوكبوري صاحب أربل، وأم البنت ربيعة[٣] خاتون بنت أيوب، أخت الملك العادل / ١٧٢/ زوجة مظفر الدين، وكان مظفر الدين لا يترك ممكناً في نصرة صهرِهِ زنكي المذكور ويبالغ في عداوة بدر الدين لؤلؤ لأجل صهره.

وفي سنة ست عشرة وستمائة[٤]:

والملك الأشرف مقيم بظاهر حلب، يدبّر أحوالها، والملك الكامل بمصر في

---

(١) المختصر ٣/ ١٢٠ وانظر: الكامل ٩/ ٣٢٨ وتاريخ مختصر الدول ص٤٠٥.

(٢) كذا في الأصل، وفي المختصر: الظاهر مسعود.

(٣) ربيعة خاتون بنت أيوب بن شاذي، تزوجت سعد الدين بن أتُز، فمات فتزوجت مظفر الدين صاحب أربل، فأقامت بها، ثم قدمت دمشق، ماتت سنة ٦٤٣هـ وقد جاوزت الثمانين (شفاء القلوب ص٢٣٠ ومرآة الزمان ٨/ ٧٥٦ والشذرات ٥/ ٢١٨).

(٤) المختصر ٣/ ١٢١.

مقاتلة الفرنج وهم محاصرون لثغر دمياط، وكتب الملك الكامل متواصلة إلى إخوانه في طلب النجدة.

وفيها: توفي[١] نور الدين أرسلان شاه بن القاهر مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي اقسنقر صاحب الموصل، وكان لا يزال مريضاً، فأقام بدر الدين لؤلؤ في الملك بعده أخاه ناصر الدين محمود بن الملك القاهر، وعمره حينئذ نحو ثلاث سنين، وهو آخر من خُطب له بالسلطنة من بيت أتابك زنكي بن أقسنقر، وكان أبوه القاهر آخر من كان له استقلال بالملك منهم. ثم هذا الصبي مات بعد مدّة، واستقلّ بدر الدين لؤلؤ بالموصل، وأتته السعادة، وطالت مدّة ملكه إلى أن توفي بالموصل بعد أخذ التتر بغداد على ما سنذكره.

وفي هذه السنة: توفي[٢] قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي بن مودود بن الأتابك زنكي بن أقسنقر صاحب سنجار، فملك سنجار بعده ولده عماد الدين بن شاهنشاه بن محمد، وكان قطب الدين حَسن السيرة في رعيته وبقى عماد الدين شاهنشاه في الملك شهوراً، ثم وثب عليه أخوه محمود[٣] فذبحه وملك سنجار وهذا محمود هو آخر /١٧٣/ من ملك سنجار من البيت الأتابكي.

وفيها: أرسل[٤] الملك المعظّم عيسى صاحب دمشق الحجّارين والنقّابين إلى القدس، وكانت قد حصّنت إلى الغاية، فانتقل منه عالم عظيم، وكان سبب ذلك أن الملك المعظّم لما رأى قوّة الفرنج وتغلّبهم على دمياط خشي أن يقصدوا القدس، فخرّبه لذلك، ولعلمه أنه لا يقدر على منعهم.

وفيها: هجم[٥] الفرنج على دمياط بالسيف بعد مضايقة الفرنج لها مضايقة عظيمة وقتلوا وأسروا مَنْ بها، وجعلوا الجامع كنيسة، واشتدّ طمع الفرنج في الديار المصرية. وحين أُخذت دمياط ابتنى الكامل مدينة سمّاها المنصورة عند مفرق البحرين (الآخذ)[٦]

---

(١) المختصر ٣/ ١٢١.

(٢) المختصر ٣/ ١٢٢ وانظر: الكامل ٩/ ٣٢٨ والشذرات ٥/ ٧٠.

(٣) في الكامل: عمر، قال: وسار إلى تل أعفر وهي له، فدخل عليه أخوه عمر بن محمد بن زنكي ومعه جماعة فقتلوه.

(٤) المختصر ٣/ ١٢٢ وانظر شفاء القلوب ص٣٠٥، قال: وكان به العزيز عثمان، فكتب إليه بخرابة، فتوقف ثم أرسل كتاباً آخر، فشرعوا في السور أول يوم محرم، وانظر كذلك الشذرات ٥/ ٦٥ والبداية والنهاية ١٣/ ٨٧ والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٤٤.

(٥) المختصر ٣/ ١٢٢ وانظر شفاء القلوب ص٣٠٦ والبداية والنهاية ١٣/ ٨٢ والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٣١.

(٦) التكملة عن المختصر.

أحدهما إلى دمياط والآخر إلى اشموم[١] طناخ ونزل فيها عسكرُهُ.

وفيها: كان[٢] ظهور التتر وقتلهم في المسلمين، ولم ينكب المسلمون بأعظم مما نكبوا هذه السنة. فمن ذلك ما كان من تملك الفرنج دمياط وقتل أهلها وأسرهم. ومنه المصيبة الكبرى وهي ظهور التتر وتملّكهم في المدة القريبة أكثر بلاد الإسلام وسفك دمائهم وسبي حريمهم وذراريهم فلم يفجع المسلمون منذ ظهور دين الإسلام كهذه الفجيعة.

وفيها: خرجوا على خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش، وعبروا نهر جيحون ومعهم جنكيز خان، فاستولوا على بخارا رابع ذي الحجة من هذه السنة[٣] بالأمان، وعصت عليهم القلعة فحاصروها وملكوها وقتلوا من كان بها، / ١٧٤/ ثم قتلوا أهل البلد عن آخرهم.

قال محمد بن أحمد علي المنشئ النّسوي[٤] كاتب إنشاء جلال الدين، قال: إن مملكة الصين مملكة متسعة دورها ستة أشهر وقد انقسمت من قديم الزمان ستة أجزاء، كل جزء منها مسيرة شهر، يتولى أمره خان، وهو الملك بلغتهم نيابة عن خانهم الأعظم، وكان خانهم الكبير الذي عاصر خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش، يقال له الطرخان، وقد تواترت الخانية كابراً عن كابر، بل كافراً عن كافر. ومن عادة خانهم الأعظم الإقامة بطوغاج وهي واسطة الصين، وكان من زمرتهم في عصر المذكور شخص يسمّى دوشي خان، وكان أحد الخانات المتولي أحد الأجزاء الستة، وكان مزوّجاً بعمة جنكيز خان، وقبيلة جنكيز خان هي المعروفة بقبيلة التمرجي سكان البراري، ومشتاهم موضع يسمى أرغون، وهم المشهورون بين (التتر) بالغدر والشرّ ولم تر ملوك الصين إرخاء عنانهم لطغيانهم، فاتفق أن دوشي خان مات فحضر جنكيز خان إلى عمته زائراً ومعزياً وكان الخانان المجاوران لعمل دوشي خان المذكور، يقال لأحدهم كشلو خان وللآخر فلان خان، فكانا يليان[٥] ما يتاخم عمل دوشي خان

(١) في المختصر: اشمون.

(٢) المختصر ٣/ ١٢٢ وانظر التفاصيل في الكامل ٩/ ٣٢٦، قال: لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعطافاً لها كارهاً لذكرها... إلخ وانظر كذلك: الشذرات ٥/ ٦٥ ومختصر تاريخ الدول ص٤٠٧ والبداية والنهاية ١٣/ ٨٢ والعسجد المسبوك ص٣٧٠ ومرآة الزمان ج٨٠ ق٢ ص٦٠٩.

(٣) في تاريخ مختصر الدول: أنهم نزلوا عليها في محرم ٦١٧هـ.

(٤) في المختصر: من تاريخ ظهور التتر تأليف محمد ابن أحمد... إلخ.

(٥) في الأصل: وكان إيليان ما متاخم، والتصويب عن المختصر.

المذكور من الجهتين، فأرسلت امرأة دوشي خان إلى كشلو خان وإلى الآخر، تنعي إليهما زوجها دوشي خان، وأنه لم يخلّف ولداً وأنه كان حسن الجوار لهما، وأن ابن أخيها جنكيز خان إن أقيم مقامه / ١٧٥/ يحذو حذو المتوفى في معاضدتهما، فأجابها الخانان إلى ذلك، وتولّى جنكيز خان ما كان لدوشي خان، المتوفى من الأمور بمعاضدة الخانين المذكورين. فلما أنهي الأمر إلى الخان الأعظم الطرخان أنكر تولية جنكيز خان واستحقره وأنكر على الخانين اللذين فعلا ذلك، فلما جرى ذلك خلعوا طاعة الطرخان، وانضمّ إليهم كل من هو من عشائرهم، ثم اقتتلوا مع الطرخان فتولى منهزماً وتمكنوا من بلاده، ثم أرسل الطرخان يطلب منهم الصلح، وأن يبقوا على بعض البلاد، فأجابوه إلى ذلك، وبقي جنكيز خان والخانان الآخران[١] مشتركين في الأمر، فاتفق موت الخان الواحد، ثم مات كشلو خان، وتملك ابنه مكانه، ولقب كشلو خان أيضاً. فاستضعف جنكيز خان جانب كشلو خان لصغره، وأخلَّ بالقواعد التي كانت بينه وبين أبيه، فانفرد كشلو خان عن جنكيز خان وفارقه لذلك ووقع بينهما الحرب فجرّد جنكيز خان جيشاً مع ولده دوشجو خان فسار واقتتل مع كشلو خان فانتصر دوشي خان وانهزم كشلو خان وتبعه دوشي خان وقتله وعاد إلى أبيه برأسه، فانفرد جنكيز خان بالمملكة، ثم إن جنكيز خان راسل خوارزم شاه محمد بن تكش في الصلح، فلم ينتظم أمره، فجمع جنكيز خان عساكره والتقى مع خوارزم شاه محمد فانهزم خوارزم شاه، فاستولى جنكيز خان على البلاد[٢]، ثم كان من خوارزم شاه ومن جنكيز خان ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

/ ١٧٦/ وفي هذه السنة: حلّف[٣] الملك المنصور صاحب حماة الناس لولده الملك المظفّر نور الدين محمود وجعله وليّ عهده، وجهّز معه عسكراً[٤] إلى الملك الكامل بمصر فسار إليه، ولما وَصَلَ إلى الملك الكامل أكرمه وأنزله في ميمنة عسكره، وهي منزلة أبيه وجدّه في الأيام الناصرية الصلاحية.

وبعد توجّه الملك المظفر ماتت والدته ملكة[٥] خاتون بنت الملك العادل. قال

---

(١) في الأصل: الخانين الآخرين.

(٢) في المختصر: بلاد ما وراء النهر.

(٣) المختصر ٣/ ١٢٤.

(٤) بعده في المختصر: والطواشي مرشد المنصوري نجدةً.

(٥) ملكة خاتون بنت أبي بكر بن أيوب، انظر ترجمتها في: شفاء القلوب ٣٢٧، ومفرج الكروب ٤/ ٦٥.

القاضي جمال الدين مؤلف مفرج الكروب[١]: وحضرت[٢] العزاء وعمري اثني عشرة سنة ورأيت الملك المنصور وهو لابس الحداد على زوجته هذه، وهو ثوب أزرق وعمامة زرقاء، وأنشد الشعراء المراثي، فمنها قصيدة ألقاها حسام الدين خشترين[٣] وهو جندي كردي مطلعها: [٤] [الطويل]

الطرف في لجّةٍ والقلب في سُعَرِ ... له دخان زفيرٍ طار بالشرر

ومنها في لبس الملك المنصور الحداد عليها:

ما كنت أعلم أن الشمس قد غربت ... حتى رأيت الدجى ملقى على القمر

لو كان من مات يفدى قبلها لفدى ... أمَّ المظفّر آلافٌ من البَشَرِ

وفيها: توفى[٥] الملك الغالب عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج ارسلان السلجوقي صاحب بلاد الروم، وقد تقدم ذكر ولايته سنة سبع وستمائة، وكان قد تعلّق به مرض السلّ واشتدَّ به ومات فملك بعده أخوه كيقباذ، وكان كيكاوس قد حَبَسَ كيقباذ /١٧٧/ المذكور، فأخرجه الجند وملّكوه.

وفي سنة سبع عشرة وستمائة:

كان[٦] الفرنج متملكون دمياط، والسلطان الملك الكامل مستقر في المنصور مرابطاً للجهاد، والملك الأشرف في حرّان وكان الملك الأشرف قد أقطع عماد الدين أحمد بن سيف الدين علي بن أحمد بن المشطوب رأس عين، فخرج ابن المشطوب على الملك الأشرف وجمع جمعاً، وحسّن لمحمود بن قطب الدين صاحب سنجار الخروج عن طاعة الأشرف أيضاً، فخرج بدر الدين لؤلؤ من الموصل، وحصَر ابن المشطوب بتل أعفر[٧] وأخَذَهُ بالأمان[٨]، وقبض عليه وأعلم الملك الأشرف بذلك،

---

(١) نقل المؤلف كلامه عن المختصر.

(٢) كذا في الأصل، وإنما ينقل المؤلف عن عبَرِهِ دون الإشارة إليه.

(٣) حسام الدين خشترين بن تُليل الكردي، الحكمي، الأربلي، ينتسب إلى مروان بن الحكم، ولد بمصر سنة ٥٧٨هـ وتوفى بأربل سنة ٦١٩هـ (ذيل مرآة الزمان ٢/ ٢٢٨).

(٤) الأبيات في: شفاء القلوب ص٣٢٨ ومفرج الكروب ٤/ ٦٥.

(٥) المختصر ٣/ ١٢٤ وانظر الكامل ٩/ ٣٢٧ والعسجد المسبوك ص٣٦٥ ومرآة الزمان جـ ٨ ق٢ ص٥٩٨ وذيل الروضتين ص١١٣ وتاريخ مختصر الدول ص٢٣٣ والعبر ٥/ ٥٢.

(٦) المختصر ٣/ ١٢٤ وانظر: كامل ابن الأثير ٩/ ٣٢٠.

(٧) تل أعفر: قلعة وربض بين سنجار والموصل (معجم البلدان ٢/ ٣٩) وتسمى اليوم تلعفر، وهي من أقضية محافظة نينوى.

(٨) انظر في شفاء القلوب ٢٩٤.

فسُرَّ به غاية السرور واستمرّ ابن المشطوب في الحبس، وسار الملك الأشرف من حرّان واستولى دنيسر[١]، وقصد سنجار، فأتته رسل صاحبها محمود بن قطب الدين يسأل أن يُعطى الرقّة عوض سنجار ليسلّم سنجار إلى الملك الأشرف، فأجابه الملك الأشرف إلى ذلك، وتسلّم سنجار في مستهلّ جمادى الأولى وسلّم إليه الرقّة، وهذا كان من سعادة الأشرف، فإن أباه الملك العادل نازل سنجار في جموع عظيمة وطال عليها مقامه فلم يملكها، وملكها ابنه الأشرف بأهون سعي[٢].

وبعد أن فرغ الأشرف من سنجار سار إلى الموصل، ووصل إليها سابع عشر جمادى الأولى، وكان يوم وصولِهِ إليها يوماً مشهوداً. وكتب إلى مظفر الدين صاحب أربل يأمره أن يعيد صهره عماد الدين زنكي بن أرسلان شاه بن مسعود بن /١٧٨/ مودود على بدر الدين لؤلؤ القلاع التي استولى عليها، فأعادها جميعها، وترك في يده منها العمادية. واستقرّ الصلح بين الأشرف وبين مظفر الدين كوكبوري صاحب أربل وعماد الدين زنكي بن أرسلان شاه صاحب العقر وشوش والعمادية، وكذلك استقر الصلح بينهما وبين بدر الدين صاحب الموصل. ولما استقرّ ذلك رحل الأشرف عن الموصل ثاني شهر رمضان هذه السنة، وعاد إلى سنجار، وسلّم بدر الدين صاحب الموصل تل أعفر إلى الملك الأشرف، ونقل الملك الأشرف ابن المشطوب من حبس الموصل، وحطّه مقيداً في جبّ بمدينة حران[٣] حتى مات سنة تسع عشرة وستمائة، ولقى[٤] بغيه وخروجه مرة بعد أخرى.

وفي هذه السنة: توفي[٥] الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة بقلعة حماة في ذي القعدة. وكانت مدة مرضه إحدى وعشرين يوماً بحمّى حادّة، وورم دماغه، وكان شجاعاً عالماً يحبّ العلماء، ورد إليه منهم جماعة منهم الشيخ سيف الدين علي الآمدي[٦]، وكان في خدمة

---

(١) دنيسر، بلدة كبيرة مشهورة، من نواحي الجزيرة قرب ماردين (معجم البلدان ٢/ ٤٧٨).
(٢) الكلام بنصه في المختصر ٣/ ١٢٥ وشفاء القلوب ٢٩٤.
(٣) الأصل: المختصر والتصويب عن المختصر وكامل ابن الأثير ٩/ ٣٢٣.
(٤) في الأصل: كلمة غير مفهومة وضبطتها عن المختصر.
(٥) المختصر ٣/ ١٢٥. وانظر خبر وفاته وترجمته في: العسجد المسبوك ص٣٨٢ وذيل الروضتين ص١٢٤ والبداية والنهاية ١٣/ ٩٣ والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٥٠.
(٦) أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الآمدي، التغلبي، الفقيه الأصولي، الملقب بسيف الدين، انحدر إلى بغداد وقرأ بها الفقه الحنبلي، ثم تحول إلى الشافعي، ثم انتقل إلى

=

الملك المنصور قريباً من مائتي متعمم من النحاة والفقهاء والمشتغلين بغير ذلك. وصنّف الملك المنصور عدّة مصنّفات مثل «المضمار» في التاريخ و «طبقات الشعراء» وكان معتنياً بعمارة بلده والنظر في مصالِحِه، وهو الذي بنى الجسر الذي هو بظاهر حماة خارج باب حمص، واستقر له بعد وفاة والده من البلاد حماة والمعرّة وسلمية ومنبج وقلعة نجم، فلما فتح / ١٧٩/ بارين وكانت بيد إبراهيم بن المقدم ألْزمه عمه الملك العادل أن يردّها إليه فأجاب إلى تسليم منبج وقلعة نجم عوضاً عنها، وهي خير من بارين بكثير، اختار ذلك لقرب بارين من بلده، وجرتْ له حروب على الفرنج وانتصر فيها.

وكان ينظم الشعر.

ولما توفي الملك المنصور كان ولده المظفر محمود المعهود إليه بالسلطنة عند خاله الملك الكامل بمصر في مقاتلة الفرنج وكان ولده الآخر الملك الناصر[١] صلاح الدين قليج أرسلان عند خاله الآخر الملك المعظّم صاحب دمشق وهو في الساحل في الجهاد، وقد فتح قيساريّة وهدمها وعاد[٢] إلى عثليث[٣]، ونازلها، وكان الوزير بحماة زين الدين بن فريج، فاتفق هو والكبراء على استدعاء الملك الناصر لعلمهم بلين عريكته وشدّة بأس الملك المظفّر، فأرسلوا إلى الملك الناصر وهو مع الملك المعظّم كما ذكرنا، فمنعه الملك المعظّم من التوجه إلا بتقرير مال عليه يحمله إلى المعظّم في كل سنة، قيل إن مبلغه أربعمائة ألف درهم، فلما أجاب الملك الناصر إلى ذلك، وحلف عليه أطلقه الملك المعظّم، فقدم الملك الناصر إلى حماة واجتمع بالوزير زين الدين والجماعة الذين كاتبوه واستحلفوه على ما أرادوا، وأصعدوه القلعة، ثم ركب من القلعة بالسناجق[٤] السلطانية، وكان عمره إذْ ذاك سبع عشرة سنة لأن مولده سنة ستمائة.

= مصر، وتصدر بالجامع الظافري، واتهم بفساد العقيدة فرحل إلى الشام ونزل حماة، وصنف كتباً في الفقه والمنطق والحكمة والخلاف، وانتقل إلى دمشق وبها مات سنة ٦٣١هـ. انظر: وفيات الأعيان ٣/ ٢٩٣ ولسان الميزان ٣/ ١٣٤ وعبر الذهبي ٥/ ١٢٤ والشذرات ٥/ ١٤٤.

(١) الملك الناصر، قليج أرسلان بن محمد بن عمر، ولد سنة ٦٠٠هـ وملك حماة سنة ٦١٧هـ، ثم أخذها من أخوه المظفر سنة ٦٢٦هـ ثم أخذت منه بارين سنة ٦٣٠هـ، فأقام بمصر عند الكامل، فأعطاه إقطاعاً ثم اعتقله فمات في المعتقل سنة ٦٣٥هـ. انظر: شفاء القلوب ص٣٩٦ وترويح القلوب ص٥٣.

(٢) في المختصر: سار.

(٣) عثليث: اسم حصن بسواحل الشام ويعرف بالحصن الأحمر، افتتحه صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٣هـ (معجم البلدان ٤/ ٨٥).

(٤) السناجق، مفردها سنجق، وهو اللواء بالفارسية.

ولما استقرّ الملك الناصر بملك حماة وبلغ أخاه الملك / ١٨٠/ المظفر ذلك استأذن الملك الكامل في المضي إلى حماة ظناً منه إنه إذا وصل إليها يسلمونها إليه بحكم الأيمان التي كانت له في أعناقهم، فأعطاه الملك الكامل الدستور وسار الملك المظفّر حتى وصل إلى الغوْر وَجَدَ خاله الملك المعظّم صاحب دمشق هناك فأخبره أن أخاه الملك الناصر قد مَلَكَ حماة، ويخشى عليه أنه إذا وصل حماة يعتقله[١] فسار الملك المظفّر إلى دمشق وأقام بداره المعروفة بالزنجيلي[٢]، وكتب الملك المعظم والملك المظفّر إلى أكابر حماة في تسليم حماة إلى الملك المظفر فلم يحصل منهم إجابة، فعاد الملك المظفّر إلى مصر، وأقام في خدمة الملك الكامل، فأقطعه إقطاعاً بمصر إلى أن كان ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

وكان[٣] قد استقرّ بيد الملك المظفر شهاب الدين غازي[٤] بن الملك العادل الرها وسروج (وكانت)[٥] وميافارقين وخلاط بيد الملك الأشرف، ولم يكن للملك الأشرف ولد فجعل أخاه الملك المظفر غازي وليّ عهده، وأعطاه ميافارقين وخلاط وبلادهما وهما إقليمين عظيمين[٦] يضاهيان ديار مصر، وأخذ منه الملك الأشرف الرها وسروج.

وفي هذه السنة: أرسل[٧] جنكيز خان عشرين ألف فارس في أثر خوارزم شاه محمد بن تكش بعد أن مَلَكَ سمرقند، وهذه الطائفة يسميها التتر المغربة لأنها سارت نحو غرب خراسان، فوصلوا إلى موضع يقال له / ١٨١/ (بنج آو)[٨] وعبروا هناك نهر جيحون وصاروا مع خوارزم شاه في برّ واحد، فلم يشعر خوارزم شاه وعسكره إلا والتتر معه، فتفرق عسكره (وذهبوا)[٩] أيدي سبأ، ورحل خوارزم شاه لا يلوي على شيء في نفرٍ من خواصّه، ووصل إلى نيسابور، والتتر في أثره، فلما قربوا منه رحل إلى

---

(١) في الأصل: يخشى عليك... يعتقلك.

(٢) كذلك في المختصر ومفرج الكروب ٤/ ٨٩، وفي شفاء القلوب ص٣٩٦: الزنجلي.

(٣) المختصر ٣/ ١٢٦ تحت عنوان «استيلاء الملك المظفر شهاب الدين غازي ابن الملك العادل على ملاط وميافارقين».

(٤) انظر ترجمته في شفاء القلوب ص٣٢٢ ومرآة الزمان ٨/ ٧٦٨ وذيل الروضتين ص١٥١ والسلوك ١/ ٣٣٢ والبداية والنهاية ٣/ ١٧٤ والشذرات ٥/ ٢٣٣).

(٥) التكملة عن المختصر.

(٦) كذا في والصواب: إقليمان عظيمان، وفي المختصر: وهي إقليم عظيم يضاهي.

(٧) المختصر ٣/ ١٢٧ وانظر الكامل ٩/ ٣٣٣ والشذرات ٥/ ٧٢.

(٨) في الكامل: بنج أب، قال: ومعناها خمس مياه.

(٩) التكملة عن المختصر.

مازندران والتتر في أثره لا يلتفتون إلى شيء من البلاد، ولا إلى غير ذلك، بل قصدهم إدراك خوارزم شاه، فسار من مازندران إلى مرسى من بحر طبرستان يعرف بالسكون[(١)]، وله هناك قلعة في البحر، فعبر هو وأصحابه إليها، ووقفت التتار على ساحل البحر وأيسوا من لحاق خوارزم شاه، ولما استقر خوارزم شاه بهذه القلعة توفي فيها.

وهو[(٢)] علاء الدين محمد بن علاء الدين تكش بن أرسلان بن أطسز بن محمد بن أنوش تكين غرشة، وكانت مدة ملكه إحدى وعشرين سنة وشهوراً، واتّسع ملكه، فملك من حدّ العراق إلى تركستان، وملك بلاد غزنة وبعض الهند وسجستان وكرمان وطبرستان وجرجان وبلاد الجبال وخراسان وبعض فارس. وكان عالماً بالفقه والأصول وغيرهما، وكان صبوراً على التعب وإدمان السير، وسنذكر شيئاً من أخباره عند مقتل ولده جلال الدين. ولما[(٣)] أيس التتر من إدراك خوارزم شاه عادوا إلى مازندران ففتحوها وقتلوا أهلها، ثم ساروا إلى الري وهمدان ففعلوا كذلك من الفتك والسبي، ثم ملكوا مراغة في صفر سنة ثمان عشرة وستمائة، ثم ساروا إلى خراسان / ١٨٢/ واستولوا عليها، ونازلوا[(٤)] خوارزم وقاتلهم أهلها مدّةً أشدَّ قتال، ثم فتحوها، وكان لها سد في نهر جيحون ففتحوه وركب الماء خوارزم وغرّقها، وفعلوا في هذه البلاد جميعها من قتل أهلها وسبي ذراريهم وقتل العلماء والصلحاء والزهّاد والعبّاد، وتخريب الجوامع، وتحريق المصاحف ما لم يسمع بمثله في تاريخ قبل الإسلام ولا بعده، فإن واقعة بخت نصّر على بني إسرائيل[(٥)] لا تنسب إلى بعض بعض ما فعله هؤلاء، فإن كل مدينة من المدن التي أخربوها أعظم من القدس بكثير، وكل أمة قتلوهم من المسلمين أعظم من بني إسرائيل الذين قتلهم بخت نصّر. ولما فرغ التتر من خراسان عادوا إلى ملكهم فأرسل جيشاً كثيفاً إلى غزنة[(٦)]، وبها جلال الدين منكبرتي بن علاء الدين محمد خوارزم بن تكش المذكور، مالكاً لها، وقد اجتمع كثير من عسكر أبيه، قيل كانوا ستين ألف فارس، وكان الذي سار إليهم من التتر اثنى عشر ألفاً فاقتتلوا مع جلال الدين قتالاً شديداً وأنزل الله نصره على المسلمين، وانهزم التتر، وتبعهم المسلمون يقتلونهم كيف

---

(١) في الكامل: باب سكون.

(٢) الترجمة نقلها صاحب المختصر عن الكامل ٩/ ٣٣٤.

(٣) الكامل ٩/ ٣٣٥ والمؤلف ينقل حديثه عن المختصر.

(٤) الكامل ٩/ ٢٤٣ وتاريخ مختصر الدول ص٤٠٩.

(٥) هذه المقارنة نقلها أبو الفداء عن الكامل.

(٦) انظر الكامل ٩/ ٢٤٣.

شاؤوا. ثم أرسل جنكيز خان سبعين ألفاً من المقاتلة التتر من بعض أولاده، ووصلوا إلى كابل، وتصافّ معهم المسلمون، فانهزم التتر ثانياً وقتل المسلمون منهم وأسروا خلقاً كثيراً، وكان في عسكر جلال الدين أمير كبير مقدام هو الذي كسر التتر على الحقيقة يقال له بغراق(١) / ١٨٣/ فوقع بينه وبين أمير كبير آخر يقال له ملك خان وهو صاحب هراة وله نسبة إلى خوارزم شاه، فوقعت الفتنة بينهما بسبب المكسب، قتل فيها أخو بغراق، فغضب بغراق، وفارق جلال الدين وسار إلى الهند، وتبعه ثلاثون ألف فارس، ولحقه جلال الدين وترضاه فلم يرجع، فضعف عسكر جلال الدين لذلك، ثم وصل جنكيز خان بنفسه ومعه جيوشه وقد ضعف جلال الدين بما نقص من جيشه بسبب بغراق، فلم يكن له بجنكيز خان قُدْرة، فترك جلال الدين البلاد وسار إلى الهند، وتبعه جنكيز خان فأدركه على نهر السند، ولم يلحق جلال الدين ومن معه أن يعبروا النهر فاضطرّوا إلى القتال، وقاتلوا قتالاً عظيماً لم يُسمع بمثله، وصبر الفريقان، ثم تأخّر كل منهما عن صاحبه، فعبر جلال الدين ذلك النهر إلى جملة الهند(٢) وعاد جنكيز خان فاستولى على غزنة، وقتل أهلها، ونهب أموالهم. وكان قد سار من التتر فرقة عظيمة إلى جهة القفجاق واقتتلوا معهم فانتصر التتر واستولوا على مدينة القفجاق العظيمة وتسمى السوداق، وكذلك فعلوا بقوم يقال لهم اللكزى بلادهم قرب دَرْبَنْد شروان، ثم سار التتر إلى الروس وانضمّ إلى الروس القفجاق، وجرى بينهم وبين التتر قتال عظيم، فانتصر التتر وشرّدوهم في البلاد.

وفي سنة ثماني عشرة وستمائة:

قوي(٣) طمع الفرنج المتملكين لدمياط في الديار المصرية / ١٨٤/ وتقدموا عن دمياط إلى جملة مصر ووصلوا إلى المنصورة واشتدّ القتال بين الفريقين برّاً وبحراً، وكُتُبُ السلطان الملك الكامل متواترة إلى أخويه وأهل بيته يستحثُّهم على إنْجادِهِ، فسار الملك المعظّم عيسى بن العادل صاحب دمشق إلى أخيه الملك الأشرف وهو بالبلاد الشرقية وطلب منه السير إلى أخيهما الملك الكامل، فجمع الأشرف عساكره واستصحب عسكر حلب، واستصحب الملك الناصر قليج أرسلان بن الملك المنصور

---

(١) في الكامل ٩/ ٣٤٤: سيف الدين بغراق.

(٢) في مختصر تاريخ الدول ص٤١١ رواية لعبور جلال الدين نهر السند، مفادها أن جنكيز خان أراد جلال الدين حياً، فقاتل بضراوة حتى إذا ضيقوا عليه الحلقة، ودّع أهله وعبر النهر والتتر وجنكيز خان ينظرون إليه، فقتل جنكيز خان كل من بقي من الذكور من أهله حتى الأطفال.

(٣) المختصر ٣/ ١٢٩ والشذرات ٥/ ٧٩ والبداية والنهاية ١٣/ ٨٥.

صاحب حماة، وكان الملك الناصر خائفاً من خاله الكامل لا ينتزع[١] حماة منه ويعطيها للملك المظفر، فَحَلَفَ الملك الأشرف للملك الناصر صاحب حماة أنه لا يمكّن أخاه الملك الكامل للتعرض إليه، فسار معه بعسكر حماة، وكذلك سار مع الملك الأشرف الملك الأمْجَد بهرام شاه[٢] بن فرخشاه والملك المجاهد شيركوه[٣] بعساكرهما، وسارت هذه العساكر كلها إلى الملك الكامل بالديار المصرية، فوجدوه وهو في قتال الفرنج على المنصورة فركب والتقى إخوته ومن في صحبتهم من الملوك وأكرمهم فقويت قلوب المسلمين وضعفت قلوب الفرنج بما شاهدوا من كثرة عساكر الإسلام، فاشتد القتال على الفريقين، ورُسُل الملك الكامل وإخْوتِهِ تتردّد إلى الفرنج في الصلح، وبذل المسلمون لهم تسليم القدس وعسقلان وطبرية واللاذقية وجبلة وجميع ما فتحه السلطان / ١٨٥/ صلاح الدين من الساحل خلا الكرك والشوبك والأمر متردّد بينهم (على أن يجيبوا إلى الصلح، وأن يسلّموا دمياط إلى المسلمين، فلم يرض الفرنج بذلك وطلبوا ثلثمائة ألف دينار عوضاً عن تجريد الأسوار التي للقدس، فإن الملك المعظّم عيسى خرّبها كما ذكرنا، وقالوا: لا بُدَّ من تسليم الكرك والشوبك)[٤] فبينا هم كذلك إذ عَبَرَ جماعة من المسلمين من النيل، والنيل إذ ذاك في زمن قوته[٥]، والفرنج لا خبرة لهم بأمر النيل، فركب الماء تلك الأرض وصار حائلاً بين الفرنج وبين دمياط[٦]، فهلكوا جوعاً، وبعثوا يطلبون الأمان على أن يَنْزلوا عن جميع ما بذله لهم المسلمون ويسلموا دمياط ويعيدوا[٧] مدة الصلح وكان فيهم (نحو)[٨] عشرين ملكاً من الملوك الكبار، فاختلفت الآراء بين يدي السلطان الملك الكامل،

---

(١) في المختصر: أن يتنزع.

(٢) الملك الأمجد بهرام شاه بن فروخ، صاحب بعلبك منذ وفاة أبيه سنة ٥٧٨هـ، وكان أديباً شاعراً كاتباً، ممدّحاً، وله ديوان شعر، حققه ناظم رشيد ونال به الماجستير من جامعة بغداد عام ١٩٧٣ أخذت منه بعلبك وسكن دمشق وبها مات سنة ٦٢٨هـ قتله مملوك له: انظر: شفاء القلوب ٣٣٦ ومرآة الزمان ٨/ ٦٦٦ والحوادث الجامعة ٢٦ وفوات الوفيات ١/ ١٥٠ والشذرات ٥/ ١٦٩.

(٣) شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شاذي، صاحب حمص منذ وفاة أبيه سنة ٥٨١هـ ومات بحمص سنة ٦٣٧هـ انظر: شفاء القلوب ص٢٣١ ومرآة الزمان ٨/ ٧٣١ وذيل الروضتين ١٦٩ والحوادث الجامعة ١٣٧ والنجوم الزاهرة ٦/ ٣١٦ والشذرات ٥/ ١٨٤.

(٤) ما بين قوسين كتب على حاشية الورقة ١٨٥ من الأصل.

(٥) في المختصر: إذ عبر جماعة من عسكر المسلمين في بحر المحلّة إلى الأرض التي عليها الفرنج من برّ دمياط ففجروا فجرة عظيمة من النيل، وكان ذلك في قوّة زيادته. وكذلك ورد النص في شفاء القلوب ص٣٠٦.

(٦) بعده في المختصر: وانقطع عنهم المبرة والمدد.

(٧) في المختصر: ويعقدوا.

(٨) التكملة عن المختصر.

فبعضهم قال: لا نعطيهم أماناً ونأخذهم ونتسلم منهم ما بأيديهم من الساحل مثل عكا وصور[١]، ثم اتفقت آراؤهم على إجابتهم إلى الأمان لطول مدة البيكار ولضجر العساكر لأنهم كان لهم ثلاث سنين وشهوراً في القتال، فأجابهم الملك الكامل إلى ذلك. وطلب الفرنج رهينةً من الملك الكامل فبعث ابنه الملك الصالح أيوب[٢] وعمرُه يومئذ خمس عشرة سنة إلى الفرنج، وحضر من الفرنج على ذلك رهينة وهو ملك عكا ونائب البابا[٣] صاحب رومية الكبرى وكندريس صاحب صور وغيرهم من الملوك. وكان ذلك سابع رجب هذه السنة، واستحضر الملك الكامل ملوك الفرنج المذكورين وجلس لهم مجلساً عظيماً، ووقفت بين يديه الملوك من إخوته وأهل بيته وسلّمت دمياط إلى المسلمين تاسع عشر رجب هذه السنة، وقد حصّنها /١٨٦/ الفرنج إلى غاية ما يكون، وولّاها السلطان الملك الكامل للأمير شجاع الدين جلدك[٤] التقوي أحد مماليك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، وهنأت الشعراء الملك الكامل بهذا الفتح العظيم، وفي جلوس الملك الكامل ووقوف إخوته المعظّم عيسى والأشرف موسى لديه بحضور ملوك الفرنج، والخيالة والرعب يريهم الموت أو حياله، قال راجح الحلي:[٥] [الطويل]

هنيئاً فإن السعد راح مُخلّدا ... وقد أنجز الرحمن للنصر مَوْعِدا[٦]
حبانا إلهُ الخلْقِ فتحاً بدا لنا ... مبيناً وإنعاماً وعزّاً مُؤبّدا
تهلّلَ وجْهُ الدهر بعد قُطُوبِهِ ... وأصبح وجْهُ الشّرك بالظلم أرْبَدا[٧]
ولما طغى البحر الخضمُّ بأهله ... الطغاة وأضحى بالمراكب مُزْبِدا

---

(١) بدل (صور) في المختصر (وغيرها).
(٢) الملك الصالح أيوب، صاحب مصر فيما بعد، ولد بالقاهرة سنة ٦٠٣ ومات بالمنصورة سنة ٦٤٧هـ. انظر ترجمته وأخباره في شفاء القلوب ص٣٦٧ ومرآة الزمان ٦/ ٣٦١ والحوادث الجامعة ٢٤٥، والسلوك ١/ ٢٩٦ وذيل الروضتين ١٨٣ والشذرات ٥/ ٢٣٧.
(٣) في الأصل: الباب.
(٤) جلدك التقوي، أبو المظفر كان ديناً فاضلاً، أديباً شاعراً، مات بالقاهرة سنة٦٢٨هـ وقد ناهز الثمانين انظر: وفيات الأعيان ١/ ١٦٧.
(٥) شرف الدين راجح بن إسماعيل الحلّي، كان شاعراً أديباً حسن الأسلوب، توفي بدمشق سنة ٦٢٧هـ، انظر: فوات الوفيات ٢/ ٧ والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٧٥ وعبر الذهبي ٥/ ١٠٨.
(٦) الأبيات في شفاء القلوب ٣٠٧ ولم ترد في المختصر، وبعضها في الشذرات ٥/ ٧٩ ومرآة الجنان ٤/ ٣٩ والبداية والنهاية ١٣/ ٩٥.
(٧) في الشفاء: أسود.

أقام لهذا الدين مَنْ سيل عزمهِ فكان كما سُلَّ الحسام مجرّدا[١]
فلم ينجُ إلاّ كلُّ شِلْوِ مُجَدَّلٍ ثوى منهُمُ أو مَنْ تَراهُ مقيَّدا
ونادى لسان الموت[٢] في الأرض رافعاً عقيرتَهُ في الخافقين ومنشِدا
أعبّاد عيسى أن عيسى برَغمِكُم[٣] وموسى جميعاً يخدمان[٤] محمدا

فَبهُت الذي كفر، وكان ذلك طرار ذلك الظفر، وأجازه الملك الكامل بكل بيت ألْفاً، وكذلك فعل المعظّم والأشرف، ثم سار الملك الكامل، ودخل دمياط ومعه إخوته وأهل بيته وكان يوماً مشهوداً ثم توجه إلى القاهرة، /١٨٧/ وأذِن للملوك من إخوته وأهل بيته بالرجوع إلى بلادهم، فتوجّه الملك الأشرف وانتزع الرقّة من محمود بن قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي بن أقسنقر، ولقي بغيه على أخيه، فأنا ذكرنا كيف وثب على أخيه فقتله وأخذ سنجار، ثم أقام الملك الأشرف بالرقّة، وورد إليه الملك الناصر صاحب حماة، فأقام عنده مدّةً ثم عاد إلى بلدِهِ.

وفيها: توفّي[٥] الملك الصالح ناصر الدين محمود بن محمد بن قرا أرسلان بن سقمان بن أرتق صاحب آمد وحصن كيفا بالقولنج، وقام في الملك بعده ولده الملك المسعود، وهو الذي انتزع منه الكامل آمد، وكان الملك الصالح المذكور قبيح السيرة، وقد أورد ابنُ الأثير[٦] وفاته سنة تسع عشرة.

وفيها: في جمادى الآخرة خُنِق[٧] قتادة بن ادريس العلوي الحسني أمير مكة، وعمره نحو تسعين[٨] سنة، وكانت ولايتُه قد اتسعت إلى نواحي اليمن وكان حسن السيرة في مبتدأ أمره، ثم أساءها، وجدّد المظالم والمكوس وصورةُ ما جرى له أنه كان مريضاً، فأرسل عسكراً مع أخيه ومع ابنه الحسن بن قتادة للاستيلاء على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، وأخْذَها من صاحبها فوثب الحسن بن قتادة في أثناء الطريق على عمّه فقتله، وعاد إلى أبيه قتادة بمكّة فخنقه، وكان له أخ نائب بقلعة ينبع عن أبيه، فأرسل إليه الحسن فحضر

---

(١) في الشفاء: من سل عزق صقيلاً كما سلّ.
(٢) في الشفاء: الكون.
(٣) في شفاء القلوب: وحزبُهُ.
(٤) في البداية والنهاية: يخدمون.
(٥) في المختصر ٣/ ١٣٠ وانظر كامل ابن الأثير ٩/ ٣٥٠ (أحداث سنة٣١٩هـ). والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٥٠ (وفيه أنه مات سنة ٦١٨هـ)، والعسجد المسبوك ص٣٩٣.
(٦) الكامل ٩/ ٣٥٠.
(٧) المختصر ٣/ ١٣٠ انظر الكامل ٩/ ٣٤٥ والعسجد المسبوك ص٣٨٩ وترجمته في الشذرات ٥/ ٧٦ (أحداث سنة ٦١٧هـ) ومرآة الزمان ٦١٧ والوافي ٢٤/ ١٩٣ والتكملة للمنذري ترجمة ١٧٤٩٠) وذيل الروضتين ص١٢٣ والبداية والنهاية ١٣/ ٩٢ وعمدة الطالب ١٤١.
(٨) في الكامل: (سبعين).

إلى مكة فقتله أيضاً، وارتكب الحسن أمراً عظيماً، قتل عمّه وأباه وأخاه في أيام يسيرة[(١)] واستقر في ملك مكة. وكان قتادة / ١٨٨/ يقول الشعر، وطولب أن يحضر إلى أمير الحاج العراقي فامتنع، وعوتب من بغداد فأجاب بأبيات منها[(٢)]: [الطويل]

ولي كفّ ضرغام أصول ببطشها[(٣)] واشرى بها بين الورى وأبيعُ
تظلّ ملوك الأرض تلثم ظهرها[(٤)] وباطنها للمجتدين[(٥)] ربيع
أأجعلها تحت الرَّحا ثم أبتغي خلاصاً لها[(٦)] إنّي إذاً لرقيعُ
وما أنا إلاّ المسك في كلّ بلْدَةٍ[(٧)] أضُوع وأمّا عندكم فأضيعُ

وفيها: توفي[(٨)] جلال الدين بن الحسن[(٩)] صاحب الألموت، ومقدم الإسماعيلية وولي بعده ابنه علاء الدين محمد.

وفي سنة تسع عشرة:

توفي[(١٠)] ناصر الدين محمود بن الملك القاهر مسعود بن نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي بن اقسنقر صاحب الموصل الذي كان نصبه بدر الدين لؤلؤ هو صغير، فاستقلّ بدر الدين لؤلؤ بملك الموصل وسمى لؤلؤ نفسه الملك الرحيم، وكان قد اعتضد بالملك الأشرف بن العادل فدافع عنه ونصره. وقَلَعَ لؤلؤ البيت الأتابكي بالكلية واستمرّ مالكاً للموصل نيفاً وأربعين سنة سوى ما تقدم له من الاستيلاء والتحكم من أيام أسيادِهِ نور الدين وأرسلان شاه وابنه الملك القاهر مسعود.

---

(١) النص في كامل ابن الأثير وبعده: لا جرم لم يمهله الله سبحانه وتعالى. نزع ملكه وجعله طريداً شريداً خائفاً يترقب.

(٢) الأبيات في كامل ابن الأثير ٩/ ٢٤٦ والوافي بالوفيات ٢٤/ ١٣٩ والبداية والنهاية ١٣/ ٩٢ وعمدة الطالب ص١٤١، وفيه أنه قالها حين دخل العراق فرأى أسداً مقيداً فرجع وقالها. والعسجد المسبوك ص٣٩٠، وقد رواها ابن الجوزي في المرآة إلى أحمد بن الخصيب.

(٣) في عمدة الطالب: ولي كف ضرغام إذا مابسطتها. وفي الوافي: أدْرك ببطشها.

(٤) في عمدة الطالب: معوّدة لثم الملوك لظهرها.

(٥) في العمدة: وفي بطنها للمجدبين.

(٦) في العمدة: أأجعلها تحت الرهان وابتغي لها مخرجاً.

(٧) في العمدة: في غير أرضكم.

(٨) المختصر ٣/ ١٣١ والكامل ٦/ ٣٤٧ انظر شذرات الذهب ٥/ ٨٤.

(٩) كذا ورد اسمه في الأصل، وفي المختصر: جلال الدين الحسن، وفي الكامل: الحسن بن الصباح. وفي العسجد المسبوك ص٣٩١: أبو الحسن بن فلان بن الحسن بن الصباح. وانظر كذلك: صبح الأعشى ١٣/ ٢٤٣ والشذرات ٥/ ٨٤ والبداية والنهاية ١٣/ ٩٦.

(١٠) المختصر ٣/ ١٣١ وانظر الكامل ٩/ ٣٥٠.

وفيها: سار[١] الملك الأشرف إلى خدمة أخيه الملك الكامل، وأقام عنده بمصر متنزهاً إلى أن خَرَجَتْ السنة.

وفيها: فوّض[٢] الأتابك طغريل الخادم مدبر مملكة حلب إلى الملك الصالح ابن الظاهر بن الناصر صلاح الدين /١٨٩/ أمر الشَّغر وبكاس، فسار الملك الصالح من حلب واستولى عليها، وأضاف إليه الروج[٣] ومعرة ومصرين.

وفيها: قَصَدَ[٤] الملك المعظّم عيسى صاحب دمشق حماة لأن الملك الناصر صاحب حماة كان قد التزم له بمال يحمله إليه إذا ملك حماة فلم يَفِ له، فقصد المعظّم حماة، ونزل بقيرين، وغلّقت أبواب حماة، فجرى بينهم قتال قليل، ثم رحل المعظّم إلى سلمية، فاستولى على أموالها وحواصلها وولّى عليها من جهته، ثم سار إلى المعرّة فاستولى على أموالها، وأقام أميراً من جهته والياً عليها، وقرّر أمورها وعاد إلى سلميّة فأقام بها حتى خرجت هذه السنة على (قصد)[٥] منازلة[٦] حماة.

وفيها: حجّ[٧] من اليمن الملك المسعود يوسف الملقب أطسز[٨] وهو اسم تركي والعامة تسميه إقسيس. وكان قد استولى على اليمن سنة اثنتي عشرة وستمائة وقبض على سليمان ابن شاهنشاه بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، وحجّ في هذه السنة، فلما وقف الملك المسعود هذه السنة بعرفة، وتقدمت أعلام الخليفة الإمام الناصر لترفع على الجبل فتقدم الملك المسعود بعساكره ومنع ذلك، وأمر بتقديم أعلام أبيه السلطان الملك الكامل على أعلام الخليفة، فلم يقدر أصحاب الخليفة على منعه من ذلك ثم عاد الملك المسعود إلى اليمن، وبلغ ذلك الخليفة فعظم عليه وأرسل يشكو إلى الملك الكامل فاعتذر /١٩٠/ عن ذلك فقبل عذره، وأقام الملك المسعود باليمن مدة يسيرة

---

(١) المختصر ٣/ ١٣١. (٢) المختصر ٣/ ١٣١.

(٣) الروج: كورة من كور حلب في غربيها بينها وبين المعرّة.

(٤) المختصر ٣/ ١٣١ وانظر شفاء القلوب ص٣٩٧.

(٥) ليست في الأصل، وأثبتها عن المختصر.

(٦) في الأصل: منازل والتصويب عن المختصر.

(٧) المختصر ٣/ ١٣١ وانظر شفاء القلوب ص٣٦٣ والبداية والنهاية ١٣/ ٩٨.

(٨) قال ابن خلكان في شرح هذا الاسم: هي كلمة تركية معناها بالعربية: ما له اسم، يقال إنما سمي بذلك لأن الملك الكامل ما كان يعيش له ولد، فلما ولد له المسعود قال بعض الحاضرين في مجلس من الأتراك: في بلادنا إذا كان الرجل لا يعيش له ولد سماه اطسيس، فسماه اطسيس.

ثم عاد إلى مكة ليستولي عليها[١]، فقابله حسن بن قتادة، فانتصر الملك المسعود، وانهزم ابن قتادة، واستقرت مكة للملك المسعود وولي عليها، وذلك في ربيع الأول سنة سنة عشرين وستمائة[٢].

وفي سنة عشرين وستمائة:

في أوائلها، كان[٣] الملك الملكَ الأشرف بديار مصر عند أخيه الكامل وأخوهما المعظّم عيسى بسلميّة مسْتولٍ عليها، وعلى المعرّة، عازم على حصار حماة، وبلغ الملك الأشرف ما فعله أخوه الملك المعظّم بصاحب حماة، فشق عليه، واتفق مع أخيه الكامل على الإنكار على الملك المعظم وبرحيله، فأرسل إليه الملك الكامل ناصح الدين الفارسي، فوصل إليه وهو بسلميّة، وقال له: السلطان يأمرك الرحيل، فقال: السمع والطاعة. وكانت أطماعه قد قويت على الاستيلاء على حماة، فَرَحَل مغضباً على أخويه الكامل والأشرف، ورجعت المعرّة وسلميّة للناصر.

وكان المظفر محمود بن الملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه مقيماً عند الملك الكامل بديار مصر كما تقدم ذكره، وكان الملك الكامل يؤثر أن يملك المظفر حماة، ولكن الأشرف غير محبّب إلى ذلك لانتماء الناصر إليه، وجرى بين الكامل والأشرف في ذلك مراجعات آخرها أنهما اتفقا على أن تنزع سلمية من يد الناصر ويسلمها / ١٩١/ إلى أخيه المظفر، فتسلّمها المظفر وأرسل إليها وهو بمصر[٤] نائباً من جهته حسام الدين أبا علي محمد بن علي الهذباني، واستقرّ بيد الناصر حماة والمعرة وبعرين، ثم سار الملك الأشرف من مصر واستصحب معه خلعة وسناجق سلطانية من أخيه الملك الكامل للملك العزيز صاحب حلب وعمره يومئذ عشر سنين، ووصل الملك الأشرف بذلك إلى حلب، وأركب الملك العزيز في دست السلطنة.

وفي هذه السنة: لما وصل[٥] الملك الأشرف بالخلعة المذكورة اتفق مع الأشرف كبراء الدولة الحلبية على تخريب قلعة اللاذقية، فأرسلوا إليها عسكراً هدموها إلى الأرض.

---

(١) انظر الكامل ٩/ ٣٥٠ وفيه: أنهم أي جند المسعود نهبوها حتى أخذوا الثياب من الناس وأفقروهم، وانظر: شفاء القلوب ص٣٦٣.
(٢) بعده في المختصر: ثم عاد إلى اليمن.
(٣) المختصر ٣/ ١٣٢ وانظر البداية والنهاية ١٣/ ٩٩.
(٤) شفاء القلوب ص٣٩٨.
(٥) المختصر ٣/ ١٣٢.

وفيها: تغلّب غياث الدين تيرشاه. أخي[١] جلال الدين منكبرتي بن خوارزم شاه محمد بن تكش على الري وأصبهان وهمدان وغير ذلك من عراق العجم، وهي البلاد المعروفة ببلاد الجبال، وكان غياث الدين المذكور قد ملك كرمان وما والاها فلما تغلّب على هذه البلاد في هذه السنة خرج عليه خاله إيغان[٢] طائسي وقاتله أشد قتال فانتصر عليه غياث الدين واستقرّ في بلاده منصوراً.

وفيها: كان[٣] أهل مملكة الكرج قد مات ملكهم، ولم يبق من بيت الملك إلاّ امرأة فملّكوها، وطلبوا لها رجلاً يتزوجها ويقوم بالملك، ويكون من أهل بيت المملكة، فلم يجدوا فيهم مَنْ / ١٩٢/ يصلح لذلك، وكان صاحب أرزن الروم مغيث الدين طغريل شاه بن قليج أرسلان السلجوقي من بيت كبير مشهور، فأرسل يخطب هذه الملكة لولده ليتزوجها، وامتنعوا من إجابته إلاّ أن يتنصّر، فأمر ولده فتنصّر وسار إلى الكرج وتزوج الملكة، وكانت هذه الملكة تهوى مملوكاً لها، ويعلم ابن طغريل شاه بذلك، وتكامن[٤]، فدخل يوماً إلى البيت فوجد المملوك نائماً معها في الفراش، فلم يصبر المذكور على ذلك، وأنكر عليها، فأخذته زوجته، واعتقلته في بعض القلاع، ثم أحضرت رجلين كانا قد وُصفا لها بحسن الصورة، فتزوجت أحدهما ثم فارقته، وأحضرت إنساناً مسلماً من كنجة[٥] هويته وسألته أن يتنصّر لتتزوج به فلم يُجب إلى ذلك، فترددت الرسل بينهما فلم يجبها إلى التنصّر.

وفي هذه السنة: توفي[٦] المستنصر يوسف بن محمد الناصر بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن ملك العرب، وقد تقدم ذكر ولايته سنة عشر وستمائة وكان يوسف المذكور منهمكاً في اللذات، فَدَخَلَ الوهن على الدولة بسبب ذلك ولم يخلف يوسف المذكور ولداً، فاجتمع كبراء الدولة، وملّكوا عم أبيه لكبر سنّه وهو عبد الواحد[٧] بن يوسف بن عبد المؤمن، ولقبوه المستضيء، وكان عبد الواحد

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: أخو.

(٢) كتب في الأصل بحروف مهملة وفي المختصر: يعيان طابسي، واخترت ما في الكامل.

(٣) المختصر ٣/ ١٣٣ تحت عنوان «ذكر حادثة طريفة» والخبر في الكامل ٩/ ٣٥١ تحت عنوان «حادثة غريبة لم يوجد مثلها». والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٥٨ نقلاً عن الكامل.

(٤) في الأصل: تكاسر، والتصويب عن المختصر.

(٥) كنجة: من نواحي لُرستان بين خوزستان وأصبهان (معجم البلدان ٤/ ٤٨٢).

(٦) المختصر ٣/ ١٣٣ وانظر الخبر في الشذرات ٥/ ٩٤ ومرآة الجنان ٤/ ٤٧ والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٥٦ والعسجد المسبوك ص٣٩٧ وصبح الأعشى ٥/ ١٩٢.

(٧) انظر ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٩/ ٢٨ ونفح الطيب ٤/ ٣٨٣ والإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الإعلام ٨/ ٥١٢ والاستقصا ٢/ ٢٢٩.

المذكور قد صار فقيراً بمراكش، وقاسى الدهر، فلما تولّى اشتغل باللذات والتنعم في المآكل والملابس /١٩٣/ من غير أن يشرب خمراً، فخلعوه بعد تسعة أشهر وقتلوه وملكوا ابن أخيه عبد الله ولقبوه العادل، وهو عبد الله بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن.

سنة إحدى وعشرين إلى سنة ثلاثين وستمائة

في سنة إحدى وعشرين:

وصل(١) التتر إلى قرب تبريز(٢)، وأرسلوا إلى صاحبها أزبك بن البهلوان يقولون له: إن كنت في طاعتنا فأرسل من عندك من الخوارزمية، فجمع أزبك الخوارزميّة(٣) وأرسلهم إلى التتر مع تقدمةٍ عظيمة، فكفّوا عن بلاده، وعادوا إلى خراسان.

وفيها: استولى(٤) غياث الدين تيرشاه بن محمد بن تكش أخو جلال الدين منكبرتي بن محمد على غالب مملكة فارس، وكان صاحب فارس يقال له الأتابك سعد بن دَكْلا، وأقام غياث الدين بشيراز وهي(٥) مملكة فارس، ولم يبق مع أتابك سعد من فارس غير الحصون المنيعة، ثم اصطلح الأتابك سعد مع غياث الدين على أن يكون لكلّ منهما ما بيده.

وفي هذه السنة: عصى(٦) المظفر غازي بن العادل على أخيه الأشرف وكان الملك الأشرف قد أنعم على أخيه المظفر غازي بخلاط(٧)، وهي مملكة عظيمة بإقليم أرمينية، وكان قد حصل بين الملك المعظم صاحب دمشق وبين أخويه الملك الكامل والأشرف /١٩٤/ وحشة بسبب ترحيله عن حماة كما تقدم ذكرهُ، فأرسل المعظّم وحسّن لأخيه المظفّر غازي صاحب خلاط العصيان على أخيه الملك الأشرف، فأجاب المظفر إلى ذلك، وخالف أخاه الأشرف. وكان قد اتفق مع المعظّم عيسى والمظفّر غازي، مظفر الدين كوكبوري بن زين الدين كوجك صاحب أربل. وكان الملك الرحيم

---

(١) المختصر ٣/ ١٣٣ وانظر كامل ابن الأثير ٩/ ٣٥٢ والبداية والنهاية ١٣/ ١٠٣.

(٢) في الأصل: توريز.

(٣) في المختصر: فأوقع أزبك بمن عنده من الخوارزمية وقتل بعضهم وأسر الباقين وأرسلهم إلى التتر.

(٤) المختصر ٣/ ١٣٤ وانظر الكامل ٩/ ٣٥٣ والبداية والنهاية ١٣/ ١٠٨.

(٥) في الأصل: وفى.

(٦) المختصر ٣/ ١٣٤ وانظر الكامل ٩/ ٣٥٣ والبداية والنهاية ١٣/ ١٠٤ والعسجد المسبوك ص٣٩٩.

(٧) في الكامل: خلاط وجميع أعمال أرمينية وأضاف إليها ميافارقين وحاني وجبل جور، ولم يقنع بذلك حتى جعله وليّ عهده في البلاد التي له.

بدر الدين لؤلؤ منتمياً إلى الأشرف، فسار مظفر الدين صاحب أربل وحصر الموصل عشرة أيام، وكان نزوله على الموصل ثالث عشر جمادى الآخرة من هذه السنة ليشغل الملك الأشرف عن قصد أخيه بخلاط ثم رحل مظفر الدين عن الموصل لحصانتها، ثم يلتفت الملك الأشرف إلى حصار الموصل وسار إلى خلاط، وحاصر بها أخوه[١] المظفر شهاب الدين غازي فسلّمت إليه مدينة خلاط، وانحصر أخوه غازي بقلعتها إلى الليل، فنزل إلى أخيه الأشرف واعتذر إليه، فقبل عذره، وعفى عنه، وأمّره على ميافارقين، وارتجع باقي البلاد منه، وكان استيلاء الأشرف على خلاط وأخذها من أخيه في جمادى الآخرة من هذه السنة.

وفي سنة اثنتين وعشرين:

وصل[٢] جلال الدين من الهند إلى بلاده وقد تقدم في سنة تسع عشرة وستمائة هروبه من غزنة لما قصده جنكيز خان، وأنه دخل الهند، فلما كان في هذه السنة قدم من الهند إلى كرمان إلى أصفهان واستولى عليها وعلى باقي عراق العجم، ثم سار إلى /١٩٥/ فارس وانتزعها من أخيه تيرشاه بن محمد وأعادها إلى صاحبها أتابك سعد بن دكلا صاحب فارس وصار أتابك سعد وتيرشاه أخو جلال الدين منكبرتي بن خوارزم شاه تحت حكم جلال الدين المذكور ثم استولى جلال الدين على خوزستان، وكاتب الخليفة الإمام الناصر، ثم سار حتى وصل إلى بعقوبا[٣] بالقرب من بغداد، وخاف أهل بغداد منه، واستعدوا للحصار ونَهَبَتْ الخوارزميّة البلاد، وقوي جلال الدين وعسكره، ثم سار إلى قرب أربل، فصالحه مظفر الدين كوكبوري ودخل في طاعته، ثم سار جلال الدين إلى أذربيجان وكرسي ملكها تبريز، فاستولى على تبريز، وهرب مظفر الدين أزبك ابن البهلوان ابن الدكز صاحب أذربيجان، وكان أزبك المذكور قد قوي أمره لما قتل طغريل آخر الملوك السلجوقية ببلاد العجم، واستقلّ أزبك المذكور في المملكة، وكان أزبك لا يزال مشغولاً بشرب الخمر، وليس له التفات إلى تدبير المملكة، فلما استولى جلال الدين على تبريز هرب أزبك إلى كنجة، وهي من بلاد أرّان قرب برذعة متاخمة لبلاد الكرج، (و) استقل السلطان جلال الدين بمملكة أذربيجان، وكثرت عساكره، ثم جرى بين جلال الدين وبين الكرج[٤] قتال عظيم من أعظم ما يكون،

(١) كذا في الأصل والصواب: أخاه.

(٢) المختصر ٣/ ١٣٤ وانظر الكامل ٩/ ٣٥٥ والبداية والنهاية ١٣/ ١٠٥ والعسجد المسبوك ص٤٠٢.

(٣) في الكامل ٩/ ٣٥٥ (وهي قرية مشهورة بطريق خراسان بينها وبين بغداد نحو سبعة فراسخ) وهي اليوم من أقضية محافظة ديالى شمال بغداد.

(٤) انظر الكامل ٩/ ٣٥٩.

فانهزمت الكرج، وتبعَتْهم الخوارزمية يقتلونهم كيف شاؤوا، واتفق أنه ثبت على قاضي تبريز وقوع الطلاق على أزبك بن البهلوان من زوجته بنت السلطان طغريل آخر الملوك السلجوقية المقدم الذكر /١٩٦/ فتزوج[1] جلال الدين بها، وأرسل جيشاً إلى مدينة كنجة ففتحوها، وهرب منها مظفر الدين أزبك بن البهلوان إلى قلعةٍ هناك، ثم هلك وتلاشى أمْرُهُ.

وفي هذه السنة: توفي[2] الملك الأفضل نور الدين علي بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيّوب وليس بيده غير سميساط فقط، وكان موته فجأة، وعمره سبع وخمسون سنة، وكان الملك الأفضل فاضلاً حسن السيرة، وتجمعت فيه الفضائل والأخلاق الحسنة، وكان مع ذلك قليل الحظّ، وله الأشعار الحسنة الجيّدة، فمنها يعرض إلى سوء حظِّهِ قوله: [الكامل]

يا من يسوّد شعره بخضابِهِ ... لعساهُ من أهل الشبيبةِ يحصلُ[3]
ها فاختضب بسواد حظيّ مرَّة ... ولك الأمان بأنّه لاَ ينْصل

ولما أُخذت منه دمشق كتب إلى بعض أصحابه كتاباً منه: أما[4] أصحابنا بدمشق فلا علم لي بأحدٍ منهم، وسبب ذلك إنّ:

أيّ صديق سألت عنهُ ففي ... الذلّ وتحت الخمول في الوطنِ
وأيّ ضِدٍّ سألتُ حالَتَهُ ... سَمِعْتُ ما لا تُحِبُّهُ أُذُني

وفي أول شوال من هذه السنة: كانت وفاة[5] الخليفة الإمام الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء حسن بن المستنجد يوسف بن المقتفي محمد بن المستظهر أحمد بن المقتدي عبد الله بن الأمير ذخيرة الدين محمد بن القائم عبد الله [ابن القادر أحمد بن الأمير إسحاق ابن المقتدر جعفر بن المكتفي علي بن المعتضد أحمد بن الأمير الموفق قيل اسمه طلحة وقيل محمد بن المتوكل جعفر ابن المعتصم محمد بن الرشيد هارون بن المهدي محمد بن المنصور عبد الله][6] ابن محمد بن علي بن عبد

---

(١) انظر الكامل ٩/ ٣٥١.

(٢) المختصر ٣/ ١٣٥. وانظر الكامل ٩/ ٣٧٥، وعبر الذهبي ٥/ ٩١ والشذرات ٥/ ١٠١، وذيل الروضتين ١٤٥ ومرآة الزمان ٦٣٧ والسلوك ١/ ١: ٢١٦ وشفاء القلوب ص٢٥٦ ومفرج الكروب ٤/ ١٥٥ والبداية والنهاية ١٣/ ١٠٨ ووفيات الأعيان ٣/ ٤١٩ ومرآة الجنان ٤/ ٥٢ والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٦٢ والعسجد المسبوك ص٤١٤.

(٣) البيتان في شفاء القلوب ٣/ ٢٥٦.

(٤) الخبر والبيتان في شفاء القلوب ص٢٥٨ والكامل ٩/ ٣٥٦.

(٥) المختصر ٣/ ١٣٥ وانظر الكامل ٩/ ٣٦٠ والبداية والنهاية ١٣/ ١٠٦ والعسجد المسبوك ص٤٠٧ والنجوم الزاهرة ٦/ ٢١٦.

(٦) ما بين قوسين سقط من الأصل سهواً، وأكملته عن المختصر.

الله بن عباس عم النبي صلى الله عليه وسلم /١٩٧/ بن عبد المطلب بن هاشم.

وكان عمر الناصر نحو سبعين سنة، ومدة خلافته سبع وأربعون سنة وعمي في آخر عمره، وكان موتُهُ بالدوسنطاريا. وكان[١] قبيح السيرة في رعيّته ظالماً لهم، خُرّب في أيامه العراق وتفرّق أهْلُهُ في البلاد، وكان يتشيّع وكان منصرف الهمّة إلى رمي البندق والطيور المناسيب، وتلبيس سراويلات الفتوّة، ومنع رمي البندق إلاّ من ينتسب إليه، فأجابه الناس إلى ذلك إلاّ إنساناً واحداً يقال له ابن السفْت وهرب لذلك مِن بغداد إلى الشام، وقد نُسب إلى الإمام الناصر أنه هو الذي كاتب التتر وأطمعهم في البلاد بسبب ما كان بينه وبين خوارزم شاه محمد بن تكش من العداوة ليشغل خوارزم شاه بهم عن قصد العراق.

خلافة ابنه الظاهر بالله، أبو نصر، محمد خامس ثلاثينهم[٢]:

ولما بويع الظاهر[٣] بعد موت أبيه، أظهر العدل وأزال المكوس وأخرج المحبَّسين، وظهر للناس، وكان الناصر ومن قبله لا يظهرون إلاّ نادراً، ولم تطل مدَّتُه في الخلافة غير تسعة أشهر.

وفي سنة ثلاث وعشرين وستمائة:

سار[٤] الملك المعظم عيسى بن العادل صاحب دمشق، ونازل حمص، وكان قد اتفق مع جلال الدين منكبرتي ومع مظفر الدين صاحب إربل أن يكونوا يداً واحدة، وكان الأشرف بالبلاد الشرقية ثم رَحَلَ المعظّم إلى دمشق بسبب (كثرة)[٥] ما مات من خيلِهِ وخيلِ عسكرِهِ، ووَرَدَ عليه أخوه الأشرف /١٩٨/ طالباً للصلح وقطْعاً للفتن، فبقي عنده مكرّماً وهو كالأسير معه في الباطن، وأقام الأشرف عند أخيه إلى أن انقضت هذه السنة.

وأما الملك الكامل فإنه كان بمصر وقد تخيّل[٦] من بعض عسكره فما أمْكَنَهُ الخروج منها.

---

(١) فيما يلي من وصف سيرته نقله صاحب المختصر من كامل ابن الأثير ٩/ ٣٦١، وانظر وصفاً مغايراً لسيرته في تاريخ الخلفاء ص٤٥١.

(٢) المختصر ٣/ ١٣٦ وانظر الكامل ٩/ ٣٦١ وتاريخ الخلفاء ٤٥٨ والبداية والنهاية ١٣/ ١٠٥ والعسجد المسبوك ص٤١٢ وتاريخ مختصر الدول ص٢٤٢ والفخري ٢٦٦.

(٣) في الأصل يعقوب وهو وهم والتصويب عن المختصر الذي ينقل عنه المؤلف نص كلامِهِ.

(٤) المختصر ٣/ ١٣٦ وانظر شفاء القلوب ص٣١٠.

(٥) التكملة عن المختصر.

(٦) كذلك وردت العبارة في المختصر وشفاء القلوب: أراد أنه توجّس أو بما يقرب من معناه.

وفيها: سار[١] جلال الدين المذكور ونازل خلاط وهي منازلته الأولى[٢]، وطال القتال بينهم، وكان نائب الأشرف لخلاط حسام الدين علي الموصلي، وكان نزوله عليها ثالث عشرين ذي القعدة، ورَحَلَ عنها لسبع بقين من ذي الحجة لكثرة الثلوج.

وفي رابع عشر رجب من هذه السنة: توفي[٣] الخليفة الظاهر بالله محمد بن الناصر لدين الله، وكان متواضعاً، محسناً إلى الرعيّة جداً، وأبطل عدّة مظالم، منها: أنه كان بخزانة الخلافة صنجة زائدة يقبضون بها المال، ويعطون بالصنجة التي يتعامل بها الناس، وكان زيادة الصنجة في كل دينار حبّة، فخرج توقيع الظاهر بإبطالها، وأول التوقيع: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾[٤]، وعمل صنجة المخزن مثل صنجة[٥] المسلمين، وكان مضادِداً لأبيه الناصر في سائر أحوالِهِ. ومنها إن مدّة خلافة أبيه كانت طويلة ومدّته هو كانت قصيرة، وكان أبوه مُتَشيّعاً، وكان الظاهر سنيّاً، وكان أبوه ظالماً، جمّاعاً للمال، وكان الظاهر في /١٩٩/ غاية العدل وبذل الأموال.

خلافة المستنصر[٦] بالله أبي جعفر منصور سادس ثلاثينهم:

ولما توفي الظاهر، ولي الخلافة بعده ابنُهُ الأكبر المستنصر، وكان للظاهر وَلَدٌ آخر يقال له الخفاجي، في غاية الشجاعة، وبقي حياً حتى أخذت التتر بغداد وقُتل مع مَنْ قُتل، ولما تولّى المستنصر الخلافة سلك (في)[٧] العدل والإحسان مسلك أبيه الظاهر.

وفيها: سار[٨] علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان صاحب بلاد الروم إلى بلاد الملك المسعود الأرتقي صاحب آمد، ونزل كيقباذ بملطية وهي من بلاد كيقباذ، وأرسل عسكراً، وفتحوا حصن منصور[٩] وحصن الكختا[١٠]، وكانا لصاحب آمد المذكور.

---

(١) المختصر ٣/ ١٣٦ وانظر: الكامل ٩/ ٢٦٨ والعسجد المسبوك ص٤١٨.
(٢) الأصل: الأوله.
(٣) المختصر ٣/ ١٣٦ وانظر: الكامل ٩/ ٣٦١ والبداية والنهاية ١٣/ ١١٢ والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٦٥ ومرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٦٤٢ والتكملة (الترجمة ٢١١١) والمختصر المحتاج إليه ١/ ١٩.
(٤) المطففين ١-٣.
(٥) في الأصل: خزانة، والتصويب عن المختصر.
(٦) المختصر ٣/ ١٣٧ وانظر الكامل: ٣/ ٣٦٩ والبداية والنهاية ١٣/ ١١٧ والعسجد المسبوك ص٤٢٠ وتاريخ مختصر الدول ص٢٤٣.
(٧) التكملة عن المختصر.
(٨) المختصر ٣/ ١٣٧ وانظر الكامل ٩/ ٣٦٩.
(٩) حصن منصور منسوب إلى منصور بن جعونة العامري القيسي الذي تولى بناءه، وهو من أعمال ديار مضر، غربي الفرات قرب سمسياط (معجم البلدان ٤/ ٢٦٥).
(١٠) في الكامل: شمكا زاد.

وفيها: نازل[١] جلال الدين منكبرتي خلاط، وبها حسام الدين علي الحاجب من جهة الأشرف، وهي منازلته الثانية، وجرى بينهم قتال كثير، وأدركه البرد فرحَلَ عنها في السنة المذكورة.

وفي سنة أربع وعشرين وستمائة:

كان[٢] في أوائلها الملك الكامل بديار مصر وخوارزم شاه جلال الدين منكبرتي مالكاً لأذربيجان وأرّان وبعض بلاده الكرج[٣]، وهو موافق للملك المعظّم على حرب أخويه الكامل والأشرف والرسل لا تنقطع بين جلال الدين والمعظّم والملك الأشرف مقيم كالأسير عند أخيه المعظّم، ولما رأى الملك الأشرف حاله مع أخيه المعظّم، وإنه لا خلاص له منه إلاّ أن يجيبه إلى ما يريد، أجابه كالمكره، وحَلَفَ له أنه يعاضِدُهُ / ٢٠٠/ ويكون معه على أخيهما الكامل، وأن يكون معه على صاحبي حماة وحمص، فلما حَلَفَ له على ذلك أطْلَقَهُ المعظّم، فرحل الملك الأشرف في جمادى (الآخرة من هذه السنة) وكانت مدّة مقامه مع المعظّم نحو عشرة أشهر، وفي[٤] اتفاقهما يقول الحسن بن يوسف الطائي:

لم يتفق عيسى وموسى آية ... إلا ليصبح كلّ أعمى مبصرا

بُعثا فموسى كل فرعون طغى ... أردى وعيسى بعد أحْيى الورى

ولما استقرّ الملك الأشرف ببلادِهِ رجع عن جميع ما تقرّر بينه وبين المعظم وتأول في أيمانِهِ التي حَلَفَها أنه مُكْرَه، ولما رأى الملك الكامل اعتضاد الملك المعظّم بجلال الدين خاف من ذلك وكاتب الأنبروز[٥] ملك الفرنج في أن يَقْدِم إلى عكا ليشغل أخاه[٦] المعظّم عما هو فيه، ووعد الأمبروز أن يعطيه القدس، فسار الأنبروز إلى عكّا وبلغ المعظّم ذلك فكتب إلى أخيه الأشرف يستعطفه.

وفيها: انتزع[٧] الأتابك طغريل الخادم الشغر وبكاس من الملك الصالح بن الملك الظاهر، وعوّضته عنها بعينتاب[٨] والراوندان[٩].

---

(١) المختصر ٣/ ١٣٧ وانظر: الكامل ٩/ ٣٧٠.
(٢) المختصر ٣/ ١٣٧ وانظر الكامل ٩/ ٣٧١ وشفاء القلوب ص٣١٠.
(٣) بعدها في المختصر: وبلاد العجم وغيرها.
(٤) لم يرد ذكر الحسن الطائي وشعره في المختصر.
(٥) في المختصر: الانبرطور، والأنبروز هو الامبراطور فردريك الثاني صاحب صقلية كما سيأتي.
(٦) في الأصل: أخيه، وفي المختصر: سر أخيه.
(٧) المختصر ٣/ ١٣٨ وشفاء القلوب ص٣٤٢.
(٨) عينتاب: قلعة حصينة بين حلب وأنطاكية (معجم البلدان ٤/ ١٧٦).
(٩) الراوندن: قلعة حصينة من نواحي حلب (معجم البلدان ٣/ ١٩).

وفيها: سار[١] الحاجب حسام الدين علي «نائب الملك الأشرف بخلاط»[٢] بعساكر الأشرف بخلاط إلى بلاد جلال الدين فاستولى على خوّى[٣] وسلماس[٤] ونقجوان[٥].

وفي هذه السنة: في ذي القعدة، توفي[٦] الملك المعظّم عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بقلعة دمشق بالدوسنطاريا وعمره سبع وأربعون سنة.

وكان مدة ملكه دمشق تسع سنين وشهوراً / ٢٠١/ وكان شجاعاً، وكان عسكره في غاية التجمل وكان يخطب لأخيه الكامل ببلاده ولا يذكر اسمه معه، وكان الملك المعظّم قليل التكلف جدّاً، وكان في غالب الأوقات لا يركب بالسناجق السلطانية.

وكان يركب وعليه كلوته[٧] صفراء بلا شاش[٨]، ويخترق الأسواق من غير أن يُطْرق بين يديه كما جرت عادة الملوك، ولما كَثُر هذا منه صار الإنسان إذا فعل أمرْاً لا يتكلف له يقال: قد فَعَلَ بالمعظّمي، وكان عالماً فاضلاً في الفقه والنحو، وكان شيخُه في النحو تاج الدين زيد بن الحسن الكندي[٩]، وفي الفقه جمال الدين الحُصيري[١٠].

---

(١) المختصر ٣/ ١٣٨ وانظر الكامل ٩/ ٣٦٨.

(٢) التكملة عن المختصر.

(٣) خوي بلد مشهور من أعمال أذربيجان. (معجم البلدان ٢/ ٤٠٨).

(٤) سلماس: مدينة مشهورة بأذربيجان بين أرمية وتبريز، وبينها وبين خوي مرحلة (معجم البلدان ٣/ ٢٣٨).

(٥) نقجوان، وفي المختصر والأصل بالحاء المهملة، قال ياقوت: بلد من نواحي أران وهو نخجوان (معجم البلدان ٥/ ٣٩٨).

(٦) المختصر ٣/ ١٣٨ وانظر: مرآة الجنان ٤/ ٥٧ والشذرات ٥/ ١١٥ وكامل ابن الأثير ٩/ ٣٧٤ والبداية والنهاية ١٣/ ١٢١ ومفرج الكروب جـ ٣ وذيل الروضتين ١٥٢ والسلوك ١/ ١: ٢٢٤ والبداية والنهاية ١٣/ ١٥١ والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٦٧ والعبر ٥/ ١٠٠ ووفيات الأعيان ٤/ ٤٩٤ والعسجد المسبوك ص٤٢٧ وتاريخ مختصر الدول ص٢٤٣.

(٧) الكلوتة: غطاء للرأس تلبس وحدها أو بعمامة.

(٨) الشاش قطعة القماش التي تحيط الكلوتة (المعجم المفصل بالملابس العربية ص٢٠٠).

(٩) زيد بن الحسن بن زيد بن سعيد الحميري، تاج الدين أبو اليمن الكندي، أديب من الكتاب المترسلين العلماء والشعراء، اللغويين المحدثين المقرئين، ولد ببغداد ونشأ بها، وسافر إلى حلب وسكن دمشق، واستوزره فروخ شاه وولده الأمجد صاحب بعلبك، وقرأ عليه الملك المعظم، وله مصنفات. انظر: وفيات الأعيان ٢/ ٣٣٩ ومعجم الأدباء ١١/ ١٧١ (وفيه أن وفاته سنة ٥٩٧هـ). ومرآة الزمان ٨/ ٥٧٥ وذيل الروضتين ٩٥.

(١٠) جمال الدين محمود بن أحمد الحصيري، أبو المحامد، شيخ الحنفية في عصره، درس بالنورية بدمشق، وصنف كتباً منها شرح الجامع الكبير، توفي بدمشق سنة ٦٣٦هـ. شذرات الذهب ٥/

وكان حنفياً متعصباً لمذهبه، وخالف جميع أهْل بيته، فإنهم كانوا شافعيّة[١]، ومن شعره قولُهُ:

ولي همّةٌ لولا العوائق لم تَزَلْ تشرّق في كَسْبِ العلى وتغرّبُ
ولكنّها الأيام تبدي صروفها عجائب حتى لستُ منهنّ أعْجَبُ

وقوله:

نزلنا ضميراً والجياد ضوامرٌ وقد حان من شمس النهار غروبُها
ففاضت غروب العين شوقاً إليكُمُ وليس عَجيباً أن تفيض غروبُها

وقوله[٢]:

ومورّد الوَجَنات أغيد خالُهُ بالحسن من فرطِ الملاحة عمّه
كحل العيون وكان في لحظاتها[٣] كحلٌ فقلت سقى الحسام وسمّه

/ ٢٠٢/ ولما[٤] توفي المعظم ترتب في مملكته ولده الناصر صلاح الدين داود، وقام بتدبير مملكته مملوك والده وأستاذ داره عز الدين أيبك المعظمي.

وكان لأيبك المذكور صرخد واعمالها.

وفي هذه السنة: خُلع[٥] العادل عبد الله بن المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وقد تقدّم ذكر ولايته في سنة عشرين وستمائة بعد خلع عمّه عبد الواحد، وقَتْلِهِ.

وفي أيام العادل المذكور كانت الوقعة بالأندلس بين المسلمين والفرنج على طليطلة فانهزمت[٦] المسلمون هزيمة قبيحة، وهذه الوقعة هي التي هدّت دعائم المسلمين بالأندلس.

ولما خلع العادل المذكور، حُبس ثم خنق، ونهب المصموديّون قصره بمراكش، واستباحوا حرمه.

ثم ملك بعده يحيى[٧] بن محمد الناصر بن يعقوب بن المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن.

= ١٨٢، النجوم الزاهرة ٦/ ٣١٣ والوافي بالوفيات ٢٥/ ٢٣٩ ومرآة الزمان ٨/ ٢/ ٧٢٠ وذيل الروضتين ١٦٧ والبداية والنهاية ١٣/ ١٥٢.

(١) ما بعده لم يرد في المختصر.
(٢) البيتان في وفيات الأعيان ٣/ ٤٩٥.
(٣) في وفيات الأعيان: ألحاظه.
(٤) من هنا عاد المؤلف للنقل عن المختصر.
(٥) المختصر ٣/ ١٣٨ وانظر وفيات الأعيان ٧/ ١٦ وانظر ترجمة العادل عبد الله في الوافي بالوفيات ٧/ ٦٨١.
(٦) كذا في الأصل والمختصر، والصواب: انهزم.
(٧) وفيات الأعيان ٧/ ١٦.

ويحيى يومئذ لم يخط عذاره.

ولما تمت بيعة يحيى وصل الخبر أنه قام بإشبيلية إدريس[١] بن يعقوب المنصور، وهو أخو العادل عبد الله وتلقب إدريس بالمأمون، وجميعهم كانوا يتلقبون بأمير المؤمنين، وتعقد البيعة لهم بالخلافة.

ولما استقر أمر إدريس المأمون بإشبيلية ثارت جماعة من أهل مراكش، فهرب يحيى إلى الجبل[٢]، ثم اتصل بعرب المعقلي فغدروا به فقتلوه، وخطب للمأمون إدريس بمراكش واستقر في الخلافة بالبرّين برّ الأندلس وبرّ العدوة، ثم خرج على المأمون إدريس بشرق الأندلس / ٢٠٣/ المتوكّل بن هود، واستولى على الأندلس، ففارق إدريس الأندلس، وسار في البحر إلى مراكش وخرجت الأندلس حينئذ عن ملك بني عبد المؤمن.

ولما استقر إدريس بمراكش تتبع الخارجين على من قبله من الخلفاء فقتلهم عن آخرهم.

وسفك دماءً كثيرة حتى سمّوه حجاج المغرب لذلك.

وكان المأمون إدريس المذكور فصيحاً عالماً بالأصول والفروع، ناظماً ناثراً.

أمر بإسقاط اسم مهديّهم ابن تومرت من الخطبة على المنابر، وعمل في ذلك رسالة طويلة أفصح فيها بتكذيب مهديهم المذكور ثم ضلاله، ثم ثار على إدريس المذكور أخوه[٣] بسبتة فسار إدريس من مراكش إلى سبتة، وحصره بسبتة، ثم بلغ إدريس وهو محاصر لسبتة أن بعض أولاد[٤] محمد الناصر قد دخل إلى مراكش، فرحل إدريس عن سبتة إلى مراكش، فمات في الطريق بين سبتة ومرّاكش.

ولما مات المأمون إدريس ملك بعده ابنه عبد الواحد[٥] بن المأمون إدريس بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن وتلقّب بالرشيد، ثم توفي الرشيد عبد الواحد غريقاً في صهريج بستان له بحضرة مراكش في سنة أربعين وستمائة.

وكان الرشيد حسن السياسة، وكان أبوه المأمون إدريس قد أبطل اسم مهديهم من

---

(١) إدريس المأمون انظر ترجمته وأخباره في الوافي بالوفيات ٨/ ٣٢٠ والبيان المغرب ٣/ ٣٥٣.

(٢) في وفيات الأعيان: جبل درن.

(٣) عمران بن المنصور (الوافي ٨/ ٣٢٣).

(٤) يحيى بن الناصر (الوافي ٨/ ٣٢٣).

(٥) عبد الواحد بن إدريس الرشيد، انظر ترجمته في: شذرات الذهب ٥/ ٢٠٨ والعبر ٥/ ١٦٥ والاستقصا ١/ ٢٠١ والوافي بالوفيات ١٩/ ٢٥٠ والبيان المغرب (قسم الموحدين) ص٤٩٩.

الخطبة، فأعاده عبد الواحد المذكور، وقمع العرب إلاّ أنه تخلّى للذّاته لما استقلّ أمره.

ولم يخطب للرشيد عبد الواحد بإفريقية ولا بالغرب / ٢٠٤/ الأوسط.

ولما مات الرشيد عبد الواحد ملك بعده أخوه علي[١] بن إدريس، وتلقّب بالمعتضد أمير المؤمنين.

وكان أسمر[٢] اللون، مدحوضاً في حياة والدِهِ، ويسجنه في بعض الأوقات، وقدّم عليه أخاه الأصغر[٣] عبد الواحد المذكور، واستمر علي بن إدريس حتى قتل وهو محاصر قلعة بقرب تلمسان في صفر سنة ست وأربعين وستمائة.

ثم ملك بعد[٤] المعتضد الأسود المذكور، أبو حفص عمر[٥] بن إبراهيم بن يوسف في شهر ربيع الأول من سنة ست وأربعين وستمائة، وتلقب بالمرتضى وفي الحادي والعشرين من المحرّم سنة خمس وستين وستمائة دخل الواثق أبو العلاء إدريس المعروف بأبي دبّوس مراكش، وهرب المرتضى إلى أزمور[٦] من نواحي مراكش، فقبض عليه عاملُه بها، وبعث إلى الواثق «أعلمه»[٧] فأمره بقتله في العشر الأخير من ربيع الآخر سنة خمس وستين وستمائة. بموضع يقال له كتامة بعيدة من مراكش ثلاثة أيام، وأقام الواثق أبو دبوس ثلاث سنين وقتل في الحروب التي كانت بينه وبين بني مرّين ملوك تلمسان، وانقرضت دولة بني عبد المؤمن.

وكان قتل الواثق أبي دبوس المذكور في محرّم سنة ثمان وستين وستمائة بموضع بينه وبين مراكش ثلاثة أيام في جهتها الشمالية واستولى بنو مرين على ملكهم.

وقد اختلفوا في نسب أبي دبوس، فإنّي[٨] وجدتُ في بعض الكتب المؤلفة في هذا الفنّ أن أبا دبوس هو ابن إدريس المأمون ثم وجدتُ / ٢٠٥/ نسبه في وفيات الأعيان[٩] أنه هو بنفسه إدريس بن عبد الله بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن على ما

---

(١) انظر ترجمته في: شذرات الذهب ٥/ ٢٣٦ وخبره في البيان المغرب (قسم الموحدين) ص٣٥٩.
(٢) في المختصر: أسود.
(٣) في الأصل: أخوه، وفي المختصر: أخيه الصغير.
(٤) بالأصل: بعده.
(٥) عمر بن إبراهيم، المرتضى انظر ترجمته في الشذرات ٥/ ٣٢٠ والمغرب (قسم الموحدين) ص٣٨٧.
(٦) وفي معجم البلدان (١/ ١٦٩) أزمورة، قال بلد بالمغرب في جبال البربر.
(٧) في المختصر: إلى الواثق بذلك.
(٨) الكلام لصاحب المختصر ٣/ ١٤٠.
(٩) انظر وفيات الأعيان ٧/ ١٨.

سنذكره إن شاء الله تعالى.

وفي سنة خمس وعشرين وستمائة:

أرسل[١] الملك الكامل صاحب مصر يطلب من ابن أخيه الناصر داود بن الملك المعظّم صاحب دمشق حصن الشوبك. ولم يُعطه الناصر ذلك ولا أجابه إليه.

فسار الملك الناصر في رمضان هذه السنة ونزل تل العجول بظاهر غزّة.

وولّى على نابلس والقدس وغيرهما من بلاد ابن أخيه الملك الناصر داود صاحب دمشق.

وكان صحبة الملك الكامل الملك المظفر محمود بن الملك المنصور صاحب حماة، وهو موعود من الملك الكامل انتزاع بلاد أخيه المعظم من ابنه الناصر صاحب دمشق.

فاستنجد الناصر داود بعمّه الأشرف وأرسل إليه وهو ببلاده الشرقية، فقدم الملك الشرف إلى دمشق، ودخل هو والناصر داود إلى قلعة دمشق راكبين.

قال القاضي جمال الدين بن واصل كنت إذ ذاك حاضراً بدمشق ورأيتُ الملك الأشرف زاكباً مع ابن أخيه وعلى رأس الملك الأشرف شاش علم كبير ووسطه مشدود بمنديل، وكان وصول الأشرف إلى دمشق في العشر الأخير من رمضان هذه السنة، ووصل إلى خدمته بدمشق الملك المجاهد شيركوه، فإنه كان من المسلمين إلى الأشرف، ثم وقع الاتفاق أن يسيّر الناصر داود شيركوه صحبة الأشرف إلى نابلس، فيقيم الناصر داود بنابلس ويتوجه الأشرف إلى عند /٢٠٦/ أخيه الكامل بغزّة شافعاً في ابن أخيهما الناصر داود، ففعلوا ذلك ولما وصل الأشرف إلى أخيه الكامل وقع اتفاقهما في الباطن على أخذ دمشق من ابن أخيهما الناصر وتعويضه عنها بحرّان والرها والرّقة من بلاد الملك الأشرف. وتستقر دمشق لملك الأشرف ويكون له إلى عقبة فيق، وما عدا ذلك من بلاد دمشق يكون للكامل. وأن تنتزع حماة من الناصر قليج أرسلان وتصير لملك المظفر محمود أخو[٢] الناصر قليج أرسلان، وأن تنتزع سلطته من الملك المظّفر، وكانت إقطاعه لما كان مقيماً عند الكامل بمصر، وتُعطى لشيركوه صاحب حمص.

---

(١) المختصر ٣/ ١٤٠.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: أخي.

وخرجت هذه السنة والأشرف مقيم عند أخيه الكامل بظاهر غزّة، وقد اتفقا على ذلك.

وفيها: عاود[1] التتر إلى قصد البلاد التي بيد جلال الدين بن خوارزم شاه وجرت بينه وبينهم حروب كثيرة، وكان في أكثر الأوقات الظفر للتتر.

وفيها: قدم[2] الانبراطور[3] إلى عكا بجموعه، وكان الملك الكامل قد أرسل إليه فخر الدين بن الشيخ[4] يستدعيه إلى قصد الشام بسبب أخيه المعظّم، فقدم الانبراطور وقد مات المعظم، فنشب به الملك الكامل.

ولما وصل الانبراطور واستولى على صيدا وكانت مناصفة بين المسلمين وبينه وسورها خراب فَعَمَّرهُ الفرنج.

والانبراطور معناه ملك الأمراء بالفرنجية، وإنما اسمُهُ فردريك.

وكان صاحب جزيرة صقلية، ومن البر الطويل بلاد إنبولية والإنبردية.

قال /٢٠٧/ القاضي جمال الدين بن واصل: ولقد رأيت تلك البلاد لما توجهت رسولاً من الملك الظاهر بيبرس الصالحي إلى الانبراطور ملك تلك البلاد.

قال: وكان ملك الفرنج الانبراطور من بين ملوك الفرنج[5] محباً للحكمة والمنطق والطب مائلاً إلى المسلمين لأن منشأه بجزيرة صقلية، وغالب أهلها مسلمون.

وترددت الرسائل بين الملك الكامل والانبراطور إلى أن خرجت هذه السنة.

وفيها: بعد[6] فراغ جلال الدين من التتر قصد بلاد خلاط، ونهب القرى وقتل وخرب البلاد، وفعل الأفعال القبيحة.

وفي سنة ست وعشرين وستمائة:

لما جرى[7] بين السلطان الكامل والأشرف الاتفاق الذي ذكرناه، بلغ الناصر

---

(١) المختصر ٣/ ١٤١ وانظر الكامل ٩/ ٣٧٦.

(٢) المختصر ٣/ ١٤١.

(٣) في الكامل: الأنبرور، وكذلك في الشفاء وانظر البداية والنهاية ١٣/ ١٢٣.

(٤) فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ أبي الحسن محمد بن عمر، توفي سنة ٦٤٧هـ: النجوم الزاهرة ٦/ ٣٦٣ وشذرات الذهب ٥/ ٢٣٨.

(٥) بعده في المختصر: فاضلاً.

(٦) المختصر ٣/ ١٤١ وانظر الكامل ٩/ ٣٧٨ والعسجد المسبوك ص٤٣٤ ومرآة الزمان جـ ٨ ق٢ ص٦٥٢ والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٧٠.

(٧) المختصر ٣/ ١٤١ وانظر الكامل ٩/ ٣٧٨ وشفاء القلوب ص٣٤٧ والبداية والنهاية ١٣/ ١٢٣ والعسجد المسبوك ص٤٣٦ والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٧١.

داود ذلك وهو بنابلس، فلحق بدمشق، وكان قد لحقه بالفور عمّه الأشرف وعرّفه ما أمر به الكامل، وأنه لا يمكن الخروج عن مرسومِهِ، فلم يلتفت الناصر داود إلى ذلك، وسار إلى دمشق، وسار الأشرف في أثَره، وحصره بدمشق، والكامل مشتغل بمراسلة الانبراطور، ولما طال الأمر ولم يجد الكامل بدّاً من المهادنة أجاب الانبراطور إلى تسليم القدس إليه على أن[1] تستمر أسواره خراباً، ولا يعمّره الفرنج ولا يتعرضون إلى قبّة الصخرة ولا إلى الجامع الأقصى، ويكون الحكم في الرساتيق[2] إلى والي المسلمين ويكون لهم من القرايا ما هو على الطريق من عكا إلى القدس فقط، ووقع الأمر على ذلك /٢٠٨/ وتحالفا عليه.

وتسلم الانبراطور القدس في هذه السنة في ربيع الآخرة على القاعدة المذكورة.

وكان ذلك والملك الناصر داود محصور[3] بدمشق وعمّه الأشرف محاصره بأمر الملك الكامل، فأخذ الملك الناصر في التشنيع على عمّه بذلك.

وكان بدمشق الشيخ شمس الدين يوسف[4] سبط أبي الفرج ابن الجوزي، وكان واعظاً، وله قبول عند الناس، فأمره الناصر داود بعمل مجلس وعظ يذكر فيه فضائل بيت المقدس وما حل بالمسلمين من تسليمه إلى الفرنج، ففعل ذلك وكان مجلساً عظيماً ومن جملة ما أنشده قصيدة تائية ضمنها بيت دعبل بن علي الخزاعي[5] الشاعر، وهو: [الطويل]

مدارس آيات خلت من تلاوةٍ ومنزل وحيٍ مقفر العرصات

فارتفع بكاء الناس وضجيجهم.

ولما عقد الملك الكامل الهدنة مع الانبراطور وخلا سرُّهُ من جهة الفرنج سار إلى دمشق ووصل إليها في جمادى الأولى من هذه السنة، واشتدَّ الحصار على دمشق ووصل إلى الملك الكامل رسول الملك العزيز صاحب حلب وخطب بنت الملك الكامل فزوّجه ببنته فاطمة[6] خاتون التي هي من الست السعداء أم ولده أبي بكر

---

(١) انظر ذلك في شفاء القلوب ص٣١١ وكامل ابن الأثير ٩/ ٣٧٨.

(٢) الرساتيق، جمع رستاق.

(٣) في الأصل: محصوراً.

(٤) شمس الدين يوسف بن قزْغلي الواعظ المشهور صاحب (مرآة الزمان) ولد سنة ٥٨١هـ ببغداد ومات بدمشق سنة ٦٥٤هـ، انظر (وفيات الأعيان ٣/ ١٤٢).

(٥) دعبل بن علي الخزاعي الشاعر المشهور المتوفى سنة ٢٤٦هـ، والبيت من تائيته الذائعة في رثاء أهل البيت (ديوانه ص٧١) وانظر كلمة سبط ابن الجوزي، ومطلع قصيدته في شفاء القلوب ص٣١٢.

(٦) انظر: شفاء القلوب ٣٨٥.

العادل بن الكامل، ثم استولى الملك على دمشق.

وعوض الأشرف عنها الكرك والبلقاء والصلت والأغوار والشوبك.

وأخذ الكامل لنفسه البلاد الشرقية التي كانت عيّنت للناصر داود وهي حرّان والرها، وكانت /٢٠٩/ بيد الأشرف ثم نزل الناصر داود عن الشوبك، وسأل عمه الكامل في قبولها، فقبلها وتسلم الأشرف دمشق وتسلم الكامل من الأشرف البلاد الشرقية المذكورة.

وفي تسليم الأشرف دمشق وتملكها يقول ابن المسجّف[١]: [الطويل]

وكنّا نرجّي بعد عيسى محمداً ... لينقذنا من فترة الظلم والبلوى[٢]

فأوْقعنا في تَيْه موسى كما ترى ... حيارى ولا مَنٌّ لديه ولا سلوى

وفي هذه السنة: توفي[٣] الملك المسعود يوسف الملقب أطسز المعروف بأقسيس بن الملك الكامل بن الملك العادل بن أيوب، وكان قد مرض باليمن، فكره المقام بها، وسار إلى مكة وهي له كما تقدم ذكره، فتوفي بمكة ودفن بالمعلّى وعمره ست وعشرون سنة، وكان مدة ملكه لليمن أربعة عشر سنة، وكان الملك المسعود لما سار من اليمن قد استخلف عليها علي بن رسول[٤]، وستذكر بقية أخباره إن شاء الله تعالى.

ووصل الخبر بوفاة الملك المسعود إلى أبيه الملك الكامل وهو على حصار دمشق، فجلس للعزاء وخلّف الملك المسعود ولداً صغيراً اسمه أيضاً يوسف، وبقي يوسف المذكور حتى مات في سلطنة عمه الملك الصالح أيوب صاحب مصر، وخلف يوسف ولداً صغيراً اسمه موسى، ولقّب الملك الأشرف وهو الذي أقامه الترك في مملكة مصر بعد قتل المعظم بن الصالح بن الكامل على ما سنذكره.

وفي هذه السنة: /٢١٠/ أرسل[٥] الملك الأشرف مملوكه عز الدين أيبك

---

(١) ابن المسجف، عبد الرحمن بن أبي القاسم بن غنائم بن يوسف، بدر الدين الكناني العسقلاني، شاعر هجاء خليع، ولد سنة ٥٨٣هـ وتوفي سنة ٦٣٥هـ بدمشق، انظر ترجمته في (الوافي بالوفيات ١٨/ ٢٢٠ وفوات الوفيات ٢/ ٢٨٣ والنجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ص٣٥٢. والبيتان نسبهما صاحب شفاء القلوب لابن عينين انظر ص٢٩٩، وهما في ديوان ابن عينين ص١٣٢.

(٢) الديوان والشفاء: من شدّة الضرّ والبلوى.

(٣) المختصر ٣/ ١٤١ وانظر البداية والنهاية ١٣/ ١٢٤ والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٧٢ ومرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٦٥٨ وذيل الروضتين ص١٥٨ والحوادث الجامعة ص١٢ والعسجد المسبوك ص٤٣٨.

(٤) مؤسس الدولة الرسولية في اليمن فيما بعد، انظر الموسوعة الميسرة ص٤١٥.

(٥) المختصر ٣/ ١٤٣ وانظر: الكامل ٩/ ٣٧٩ والعسجد المسبوك ص٤٣٧.

الأشرفي وهو أكبر أمير عنده إلى خلاط، فقبض على الحاجب حسام الدين علي[١] الموصلي وحبسه ثم قتله.

وكان حسام الدين المذكور من أهل الموصل وخدم الملك الأشرف فجعله نائبه بخلاط. فأحسن إلى الرعيّة وحفظ البلاد واستولى على عدّة بلاد من أذربيجان، مثل نقجوان[٢] وغيرها على ما تقدّم ذكره، فقبض عليه الأشرف وقتله، قيل إنه لذنب بدا منه لم يطّلع عليه الناس واطّلع عليه الملك الكامل والملك الأشرف.

وهذا حسام الدين الحاجب كان كثير الخير والمعروف، بنى الخان الذي بين حرّان ونصيبين، وبنى الخان الذي بين حمص ودمشق، هو المعروف بخان برح العطش[٣].

وهرب مملوك حسام الدين لما قتل أستاذه، ولحق بجلال الدين منكبرتي.

فلما ملك جلال الدين خلاط كما سنذكره قبض على أيبك الأشرفي وسلّمه إلى مملوك حسام الدين فقتله وأخذ ثأر أستاذه.

ولما سلم الكامل دمشق إلى أخيه الأشرف سار من دمشق، ونزل[٤] مجمّع العروج، ثم نزل سلميّة وأرسل عسكراً نازلوا حماة وبها صاحبها الناصر قليج أرسلان.

وكان فيه جُبْن، فإنه لو عصا بحماة وطلب عنها عوضاً «أجابه» الملك الكامل.

ولكنّه خاف وكان في العسكر الذي نازلوه الملك المجاهد شيركوه صاحب حمص. فأرسل الناصر صاحب حماة يقول لشيركوه: إني أريد أخرج إليك بالليل لتحضرني عند السلطان الملك الكامل، وخرج /٢١١/ الملك الناصر قليج أرسلان بن الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب إلى شيركوه ومضى به إلى الملك الكامل وهو نازل على سلميّة. فحين رأى الملك الكامل قليج أرسلان المذكور شتمه وأمر باعتقاله، وأنْ يتقدم إلى نوابه بحماة بتسليمها إلى عسكر الملك الكامل[٥]، فامتنع من ذلك الطواشيان[٦] بشر ومرشد المنصوريان وكان

---

(١) حسام الدين علي بن حماد كما في الكامل وانظر بعض سيرته فيه.

(٢) نقجوان، من قرى بخارى (معجم البلدان ٥/ ٢٩٨).

(٣) في المختصر: بريح العطش.

(٤) ما بعده ورد بالنص في شفاء القلوب ص٣٩٨.

(٥) بعده في المختصر: (فأرسل الناصر قليج أرسلان علامته إلى نوابه بحماة أن يسلموها إلى عسكر الملك الكامل).

(٦) الطواشي، المملوك، وهي الخصي.

بقلعة حماة أخ للملك الناصر يلقب الملك العزيز[١] بن الملك المنصور صاحب حماة، فملكوه حماة، وقالوا للملك الكامل: لا نسلّم حماة لغير واحد من أولاد تقي الدين[٢] فأرسل الكامل يقول للملك المظفر محمود بن المنصور صاحب حماة اتفق مع غلمان أبيك وتسلّم حماة.

وكان الملك المظفر نازلاً على حماة من جملة العسكر الكاملي.

فراسل الملك المظفر حكام حماة[٣] فحلّفوه لهم وحَلَفوا له[٤]، وواعدوا الملك المظفر أن يحضر بجماعتهِ خاصة وقت السحر إلى باب النصر ليفتحوه له، فحضر الملك المظفر سحر الليلة التي عيّنوها، ففتحوا له باب النصر، ودخل الملك المظفر ومضى إلى دار الوزير المعروفة بدار الأكرام دخل باب المغار وهي الآن مدرسة تعرف بالخاتونية.

وَقَفَتْها عمتي[٥] مؤنسة خاتون بنت الملك المظفر المذكور، وحضر أهل حماة، وهنئوا المظفر ملك حماة.

وكان ذلك في العشر الآخر من رمضان هذه السنة، وكان مدة ملك الناصر /٢١٢/ قليج أرسلان تسع سنين إلا نحو شهرين.

وأقام الملك المظفر في دار الأكرام يومين، وصعد في اليوم الثالث إلى القلعة وتسلّمها.

وجاء عيد الفطر من هذه السنة والملك المظفر مالك حماة وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة لأن مولده سنة تسع وتسعين وخمسمائة.

وكان أخوه الملك الناصر قليج أرسلان اصغر منه بسنة.

ولما ملك المظفر حماة، فوّض أمور تدبيرها صغيرها وكبيرها إلى الأمير سيف الدين علي بن أبي علي الهذباني.

وكان سيف الدين علي خدم الملك المظفر بعد ابن عمه حسام الدين بن أبي علي

---

(١) في المختصر: المعز وفي شفاء القلوب: يقال له: العزيز، وقيل: المعز.

(٢) بعده في شفاء القلوب: وثارت عليهم العامة ورجموهم بالحجارة.

(٣) في المختصر: الحكام بحماة، وفي الشفاء: جماعة حماة.

(٤) في المختصر: فحلفوا له، وفي الشفاء: فحلفوا له وحلف لهم.

(٥) كذا في الأصل، والكلام لصاحب المختصر، وفيه عمة مؤنسة، والصواب عمتي وما ورد في المختصر من أخطاء الطبع، والملك المظفر محمود جدّ صاحب المختصر، فمؤنسة عمة أبيه، ويبدو أن المؤلف نقل عبارة أبي الفداء دون النظر إلى دلالة اللفظة.

«الذي كان نائب الملك المظفر بسلمية لما سلمت إليه وهو بمصر عند الملك الكامل ثم حصل بين الملك المظفر وبين حسام الدين بن أبي علي»[١] وحشة ففارقه حسام الدين واتصل بخدمة الملك الصالح نجم الدين أيّوب بن الكامل وحظي عنده وصار أستاذ داره، وخدم ابن عمّه سيف الدين علي المذكور الملك المظفر.

وكان يقول له: أشتهي أراك صاحب حماة، وأكون بعين واحدة، فأُصيبت عين سيف الدين علي على حصار حماة لمّا نازلها عسكر الكامل، وبقي بفرد عين، فحظي عند المظفر بذلك ولكفايته وحسن تدبيره.

ولما استقرّ الملك المظفر في ملك حماة، انتزع الملك الكامل سلميّة منه وسلمها إلى شيركوه صاحب حمص على ما كان وقع عليه الاتفاق قبل ذلك ثم إنَّ الملك الكامل رسم للملك المظفر أن يعطي أخاه الناصر قليج أرسلان بارين بكمالها، فَسَلّمها إليه ولم يبق بيد المظفر غير حماة والمعرّة.

وكان لحماة تقدير أربعمائة ألف درهم للملك الناصر، وكان قد /٢١٣/ رسم الملك الكامل المظفر أن يعطي المال لأخيه الناصر.

فماطل المظفر في ذلك ولم يعطه شيئاً، ولما استقر المظفر بحماة مدحه الشيخ شرف الدين عبد العزيز[٢] بن محمد بن عبد المحسن[٣] الأنصاري الدمشقي بقصيدة منها:[٤] [الطويل]

تناهي إليك الملكُ واشتدَّ كاهلهُ ... وحلّ بك الراجي فَحَطّت رواحِلُه
ترحَّلْتَ عن مصر فأمحل رَبْعُها ... ولما حَلَلْت الشام روّض ما حِلُهْ
وعزّت حماة في حمى أنت غابُهُ ... بصولتِهِ تحمى كليبٌ ووائله[٥]
وقد طال ما ظلَّت بتدبير أَهْوجِ ... يخيب مرجّيه ويحرم سائله

ولما استقرّ الملك المظفر في مُلك حماة رحل الملك الكامل عن سلميّة إلى البلاد الشرقية التي أخذها من أخيه الأشرف عوضاً عن دمشق فنظر في مصالحها.

---

(١) ما بين قوسين سقط من الأصل، وأكملته عن المختصر.

(٢) عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن بن محمد بن منصور بن خلف ابن قاضي حماة ويعرف بابن الرفاء، ولد بدمشق سنة ٥٨٠هـ، ورحل به أبوه فسمع وقرأ على الشيوخ وحدث، بمصر ودمشق وبعلبك وحماة، سكن بعلبك، ثم دمشق واستقر بحماة وبها مات سنة ٦٦٢هـ، انظر الوافي بالوفيات ١٨/٥٤٦، وذيل الروضتين ٢٣١ وفوات الوفيات ٢/ ٣٥٤ والعبر ٥/٢٦٨.

(٣) في شفاء القلوب: الحسين.

(٤) الأبيات في ديوانه ص٤٠٣.

(٥) لم يرد هذا البيت في المختصر.

ثم سافر الملك المظفر من حماة ولحق الملك الكامل وهو بالشرق، وعقد له الملك الكامل العقد هناك على ابنته غازية خاتون[١] بنت الملك الكامل.

وهي شقيقة الملك المسعود صاحب اليمن، وهي والدة الملك المنصور صاحب حماة وأخيه الملك الأفضل نور الدين علي ابني المظفر محمود، ثم عاد الملك المظفر إلى حماة، وقد قضيت أمانيه بملك حماة. وصلته بخالِهِ الملك الكامل، وكان يتمنى ذلك لما كان بالديار المصرية وكان يصحبه بمصر رجل من أهلها يقال له الزكيّ القوصي[٢]، فاتفق وهما بمصر [وقد][٣] جرى ذكر الملك المظفر وزواجه ببنت خاله الملك الكامل، فأنشدهُ الزكي القوصيّ: [البسيط]

/ ٢١٤/ متى أراك كما أهوى وأنت ومَنْ ... تهوى كأنكما روحان في بدَنِ[٤]

هناكَ أَشدوا والأقدار[٥] مصغيةٌ ... هنيت بالملك والأحباب والوطنِ

فقال الملك المظفر: إن صار ذلك يا زكي أعطيتك ألف دينار مصرية، فلما ملك المظفر حماة أعطى الزكيّ ما كان وعده به.

ولما فرغ الملك الكامل من تقرير أمر البلاد الشرقية، وهي حرّان وما معها من البلاد عاد إلى الديار المصرية.

وفيها: أرسل[٦] الملك المظفر الأشرف أخاه صاحب بصرى الصالح إسماعيل بن الملك العادل بعسكر فنازل بعلبك، وبها صاحبها الملك الأمجد بهرام شاه بن فرّخشاه بن شاهنشاه بن أيوب، واستمر الحصار عليه.

وفيها: سار[٧] جلال الدين ملك الخوارزمية وحاصر خلاط وبها أيبك نائب الأشرف إلى أن خرجَت السنة.

---

(١) غازية خاتون وصفت بأنها من أحسن الناس سيرة وزهداً وعبادة، وحفظت الملك لولدها المنصور حتى كبر توفيت سنة ٦٥٦هـ. انظر: شفاء القلوب ص٣٨٢ والنجوم الزاهرة ٧/ ٥٧.

(٢) في المختصر القومصي، وهو تصحيف، وهو الزكي عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن الحسن، المعروف بالزكي القوصي من الكتاب الشعراء، تعرف في القاهرة إلى الملك المظفر، فلما ولي المظفر حماة استوزره ثم غضب عليه، فحبسه وأمر بخنقه سنة ٦٣١هـ، انظر: فوات الوفيات ٢/ ٢٦٨ والطالع السعيد ٢٨٧.

(٣) التكملة عن المختصر.

(٤) البيتان في شفاء القلوب ٤٠١ ومفرج الكروب ٤/ ٢٧٧ والفوات ٢/ ٣٠٤ والطالع السعيد ٢٨٧.

(٥) في شفاء القلوب: والآمال.

(٦) المختصر ٣/ ١٤٥.

(٧) المختصر ٣/ ١٤٥ وانظر: الكامل ٩/ ١٨٠.

وفي سنة سبع وعشرين:

شرع[١] شيركوه صاحب حمص في عمارة قلعة شميميش وكان لما سلم إليه الكامل سلمية قد استأذنه في عمل تل شميميش قلعة فأذن له. ولما أراد شيركوه عمارته أراد المظفر صاحب حماة منعه من ذلك ثم لم يمكنه منعه لكونه بأمر الملك الكامل.

وفي هذه السنة: سلم[٢] الملك الأمجد بهرام شاه فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب بعلبك إلى الأشرف لطول الحصار، وعوّضه الأشرف عنها الزبداني[٣] وقصير دمشق[٤] الذي هو شمالها، ومواضع أُخر.

وتوجّه الأمجد وأقام بداره التي هي / ٢١٥/ داخل باب النصر المسماة دار السعادة، وهي التي تنزل فيها النوّاب.

ولما أخذت منه بعلبك ونزل في داره المذكورة، وكان قد حبس بعض مماليكه في مرقد عنده في الدار، وجلس الأمجد قبالة باب المرقد يلعب بالنرد، ففتح المملوك الباب ومعه سيف، وضرب به أستاذه الأمجد وقتله[٥]، ثم طلع المملوك إلى سطح الدار وألقى بنفسه إلى وسطها فمات.

ودُفن الملك الأمجد بمدرسة والده التي هي على الشرف.

وكانت مدة ملكه بعلبك تسعاً وأربعين سنة لأن عم أبيه السلطان الملك الناصر صلاح الدين ملك بعلبك سنة ثمان وتسعين وخمسمائة لما مات أبوه فرّخشاه وانتزعت منه هذه السنة، فذلك خمسون إلاّ سنة.

وكان الأمجد أشعر بني أيوب وشعره مشهور[٦].

وفي هذه السنة: اشتدّ[٧] حصار جلال الدين على خلاط ومضايقته لها، ففتحها بالسيف، وفعل في أهلها كما كان يفعله التتر من القتل والاسترقاق والنهب، ثم قبض على نائب الأشرف بها، وهو مملوكه أيبك الأشرفي وسلّمه إلى مملوك حسام الدين

---

(١) المختصر ٣/ ١٤٥.

(٢) المختصر ٣/ ١٤٥ وانظر البداية والنهاية ١٣/ ١٢٧.

(٣) الزّبداني: كورة مشهورة معروفة بين دمشق وبعلبك (معجم البلدان ٣/ ١٣٠).

(٤) قصير دمشق: ضيعة، أول منزل لمن يريد حمص من دمشق (معجم البلدان ـ قصير).

(٥) انظر تفاصيل الخبر في شفاء القلوب ٣٣٦.

(٦) نشر ديوانه بتحقيق ناظم رشيد ببغداد.

(٧) المختصر ٣/ ١٤٦ وانظر: كامل ابن الأثير ٩/ ٣٨٠ وشفاء القلوب ٢٩٤ وتاريخ مختصر الدول ص٤٢٩.

الحاجب علي الموصلي، فقتله وأخذ بثأر أستاذه.

ولما[١] جرى من جلال الدين ما جرى من أخذ خلاط اتفّق[٢] صاحب الروم كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان والملك الأشرف بن العادل، فجمع الأشرف عساكر الشام وسار إلى سيواس، واجتمع فيها بملك الروم علاء الدين /٢١٦/ كيقباذ المذكور وساروا إلى جهة خلاط.

والتقى الفريقان في السابع والعشرين[٣] من رمضان هذه السنة.

فولى جلال الدين والخوارزمية منهزمين، وهلك غالب عسكره قتلاً وتردّياً من رؤوس جبال كانت في طريقهم، وضعف جلال الدين بعدها، وقويت عليه التتر.

وارتجع الملك الأشرف خلاط وهي خراب يباب، ثم وقعت المراسلة بين الملك الأشرف وبين كيقباذ وجلال الدين وتصالحوا وتحالفوا على ما بأيديهم، وأن لا يتعرض أحدٌ منهم إلى ما بيد الآخر.

وفيها: استولى[٤] الملك المظفر غازي بن الملك العادل على أرزن[٥] من ديار بكر وهي غير أرزن الروم.

وكان صاحب أرزن ديار بكر يقال له حسام الدين من بيت كبير يقال لهم بيت الأحدب[٦] وأرزن لم تزل بأيديهم من أيام السلطان ملكشاه السلجوقي وإلى الآن، فسبحان من لا يزول ملكه.

وفيها: جمعت[٧] الفرنج من حصن الأكراد، وقصدوا حماة فخرج إليهم الملك المظفر محمود بن الملك المنصور صاحب حماه، والتقاهم عند قرية بين حماه وبارين يقال لها إفيون، وكسرهم كسرة عظيمة، ودخل الملك المظفر حماة مظفراً مؤيداً.

وفيها: وُلد[٨] الملك الناصر[٩] يوسف بن الملك العزيز صاحب حلب.

---

(١) المختصر ٣/ ١٤٦ وانظر الكامل ٩/ ٣٨١ وشفاء القلوب ٢٩٤ والشذرات ٥/ ١٢٢.

(٢) انظر خبر الاتفاق مفصلاً في الكامل ٩/ ٣٨١ وتاريخ مختصر الدول ص٤٢٩.

(٣) في الكامل الثامن والعشرين، وفي شفاء القلوب التاسع والعشرين.

(٤) المختصر ٣/ ١٤٦ وشفاء القلوب ص٣٢٣ وانظر الكامل ٩/ ٣٨٢ ومفرج الكروب ٤/ ٢٠٠.

(٥) أرزن مدينة مشهورة قرب خلاط، لها قلعة حصينة (معجم البلدان ١/ ١٥٠).

(٦) في الكامل: أنه أخذها منه صلحاً وعوضه عنها بمدينة حاني من ديار بكر، قال: وحسام الدين هذا نعم الرجل حسن السيرة كريم جواد... وهو من بيت قديم يقال له بيت طغان أرسلان وكان لهم من أرزن بدلس وسطان وغيرهما ويقال لهم بيت الأحدب.

(٧) المختصر ٣/ ١٤٦ وشفاء القلوب ص٤٠٢.

(٨) المختصر ٣/ ١٤٧.

(٩) الملك الناصر يوسف بن محمد بن غازي بن يوسف بن أيوب بن شاذي، ملك حلب فيما بعد

=

واستقر السلطان الملك الكامل بديار مصر، وأخوه الأشرف بدمشق في ملاذه وقد تخلّى عن البلاد الشرقية، فإن حرّان /٢١٧/ وما معها صارت لأخيه الكامل، وخلاط قد خربت ولم يكن للملك الأشرف ولد ذكر، فاقتنع بدمشق، واشتغل باللهو والملاذ والأوقات الطيبة.

وفي هذه السنة: عاودت[١] التتر قصد بلاد الإسلام، وسفكوا وخربوا وكان قد ضعف جلال الدين لقبح سيرته وسوء تدبيره، ولم يترك له صديقاً من ملوك الأطراف، وعادى الجميع، وانضاف إلى ذلك اختلاف عسكره عليه لما حصل له من فساد عقله، وسببه، أنه كان له مملوك[٢] يحبُّهُ محبّة شديدة. واتفق موت ذلك المملوك، فحزن عليه حزناً شديداً، وأمر أهل تبريز بالخروج والنواح عليه، ثم أنه لم يدفنه. وبقي يستصحبه معه حيث سار، وهو يلطم عليه، وكان إذا قدم إليه الطعام يرسل منه إلى المملوك الميت. ولا يتجاسر أحد أن يتفوّه بأنه ميّت، وكانوا يحملون إليه الطعام ويقولون: أنه يقبل الأرض ويقول أنه الآن أصلح مما كان فأنف أمراؤه من ذلك. وخرج بعضهم عن طاعته، فضعف أمر جلال الدين لذلك ولكسرتِهِ من الأشرف.

وتمكنت التتر من البلاد واستولوا على مراغة، وهو استيلاؤهم الثاني، ولما[٣] تمكّن التتر من البلاد سار جلال الدين يريد ديار بكر ليسير إلى الخليفة ويعتضد به وبملوك الأطراف على التتر ويخوّفهم عاقبة أمرهم، فنزل بالقرب من آمد[٤]، فلم يشعر إلاّ والتتر قد كبسوه ليلاً، وخالطوا /٢١٨/ مخيمه، فهرب جلال الدين وقتل على ما سنشرحه.

ولما قُتل تمكنت التتر من البلاد وساقوا إلى الفرات، فاضطرب الشام بسبب وصولهم إلى الفرات، ثم شنوا الغارات في ديار بكر والجزيرة وفعلوا من القتل والتخريب كما تقدم.

قال النسوى كاتب إنشاء جلال الدين[٥]: إن خوارزم شاه محمد بن تكش كان قد

= (سنة ٦٣٤هـ) انظر أخباره في شفاء القلوب ص٤٠٨ وذيل مرآة الزمان ٢/ ١٣٤ وذيل الروضتين ٢١٢ ومرآة الجنان ٤/ ١٥١ وفوات الوفيات ٤/ ٣٦١ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٠٣ والدارس ١/ ١١٥ والشذرات ٥/ ٢٩٩.

(١) المختصر ٣/ ١٤٧ وانظر الكامل ٩/ ٣٨٣.

(٢) في الكامل: اسمه قابح.

(٣) ما بعده ورد في المختصر ٣/ ١٤٧ تحت عنوان «ذكر قتل جلال الدين».

(٤) انظر خبر مسيره إليها في الكامل ٩/ ٣٨٤.

(٥) في المختصر: (ومن تاريخ ظهور التتر) تصنيف كاتب انشاء جلال الدين النسوي المنشئ المقدم =

عظم شأنه، واتسع ملكه، وكان له أربعة أولاد، قسّم البلاد بينهم.

أكبرهم جلال الدين منكبرتي، وفوّض إليه أمر غزنة وباميان والغور وبُست وتكاباد وزميرداور وما يليها من الهند.

وفوض خوارزم وخراسان ومازندران إلى ولده قطب الدين أزلاغ شاه وجعله وليّ عهده.

ثم في آخر وقت عَزَلَهُ عن ولاية العهد وفوّضها إلى جلال الدين، وفوض كرمان وكيش ومكران إلى ولده غياث الدين تيز شاه، وقد تقدمت أخباره وفوّض العراق إلى ولده ركن الدين غور شاه يحيى وكان أحسن أولاده خَلْقاً وخُلُقاً وقتل المذكور التتر بعد موت أبيه.

وضرب لكل واحد منهم النوب الخمس في أوقات الصلاة على عادة الملوك السلجوقية.

وانفرد أبوهم خوارزم شاه بنوبة ذي القرنين، فإنها تضرب وقتي طلوع الشمس وغروبها.

وكانت دبادِبُهُ سبعاً وعشرين دبدبة من الذهب مرصعة بالجواهر، وكذا باقي آلات النوبتية.

وجعل سبعة وعشرين ملكاً يضربونها في أول يوم قُرعت / ٢١٩/ كانوا من أكابر الملوك أولاد السلاطين منهم:

طغريل بن أرسلان(١) السلجوقي، وأولاده غياث الدين صاحب الغور والملك علاء الدين صاحب باميان والملك تاج الدين صاحب بلخ وولده الملك الأعظم صاحب ترمذ، والملك سنجر صاحب بخارا وأشباهم.

وكانت أم خوارزم شاه محمد تركان خاتون من قبائل بباووت(٢)، وهي فرع من فروع يمسك، وكانت بنت ملك من ملوكهم، تزوج بها تكش بن أرسلان بن أطسز بن محمد بن أنوشتكين غرشة، فلما صار الملك إلى ولده محمد بن تكش قدم إلى والدته تركان خاتون قبائل يمسك من الترك.

= الذكر في سنة ست عشرة وستمائة ما أثبتناه واخترناه من أخبار خوارزم شاه محمد وابنه جلال الدين لملازمة النسوي المذكور جلال الدين في جمع سفراته وغزواته إلى أن كبس التتر جلال الدين والمنشئ المذكور كان معه، فلذلك كان أخبر بأحوال جلال الدين ووالده من غيره.

(١) في الأصل: ابن طغريل أرسلان، والتصويب عن المختصر.

(٢) في الأصل: بيات، والتصويب عن المختصر.

فعظم شأن ابنها محمد بهم، وتحكمت أيضاً بسببهم تركان خاتون، فلم يملك ابنها إقليماً إلاّ وأفرد لخاصها منه ناحيةً جليلة.

وكانت ذات مهابة ورأي، وكانت تنصف المظلوم من الظالم، وكانت جسورة على القتل، فعظم شأنها بحيث إذا ورد توقيعان عنها وعن ابنها السلطان ينظر في تاريخهما، فيُعمل بالأخير منهما.

وكانت طرر[١] تواقيعها عصمة الدنيا والدين آلغ تركان خاتون ملكة نساء العالمين، وعلامتها:

اعتصمتُ بالله وحده، وكانت تكتبها بقلم غليظ، وتجوّد[٢] الكتابة.

قال المؤلف المذكور: ثم إن خوارزم شاه لما هرب من التتر بما وراء النهر وعبر جيحون، ثم سار إلى خراسان والتتر تتبعه، ثم هرب من خراسان إلى / ٢٢٠/ عراق العجم، ونزل عند بسطام أحضر عشرة صناديق ثم قال: إنها كلّها جواهر لا يعلم قيمتها إلا الله.

ثم أشار إلى صندوقين منها وقال: إن فيها من الجواهر ما يساوي خراج الأرض، ثم حملها إلى قلعة أزدهن وهي من أحصن قلاع الأرض، وأخذ خط النائب بها بوصول الصناديق المذكورة مختومة، فلما استولى جنكيز خان على تلك البلاد حُملت إليه الصناديق المذكورة بختومها.

ثم إن التتر أدركوا السلطان محمد المذكور، فركب في مركب وهرب، ولحقه التتر ورموه بالنشاب فنجا منهم.

وقد حصل له مرض ذات الجنب، قال: ووصل إلى جزيرة البحر وأقام بها فريداً طريداً لا يملك طارفاً ولا تليداً، والمرض به يزداد، وكان في أهل مازندران أناسٌ يتقربون إليه بالمأكول وما يشتهيه، فقال في بعض الأيام: أشتهي أن يكون حول خيمتي فرس يرعى. وقد ضُربت له خيمة صغيرة فأهدى إليه فرس أصفر، وكان للسلطان محمد المذكور ثلاثون ألف جشار من الخيل وكان إذا أهدي إليه شيء وهو على تلك الحالة من المأكول أو غيره يطلق لذلك الشخص شيئاً.

ولم يكن عنده من يكتب التواقيع، فيتولى ذلك الرجل كتابة توقيعه بنفسه، وكان يعطي مثل السكين والمنديل علامة بإطلاق البلاد والأموال.

---

(١) في المختصر: طغر.

(٢) في الأصل: وتحرر.

فلما تولّى جلال الدين أمضى جميع ما أطلقه والده بالتواقيع والعلائم، ثم أدركت السلطان محمد المنيّة وهو بالجزيرة / ٢٢١/ على تلك الحالة.

فغسّلَه شمس الدين محمود[1] بن بلاغ الجاويش، ومقرب الدين مقدم الفراشين، ولم يكن عنده ما يكفّن به، فكفّن بقميصه ودفن بالجزيرة في سنة سبع عشر وستمائة.

بعد أن كان بابه مزدحم بملوك الأرض وعظمائها، يشتدون بجنابه، ويتفاخرون بلثم ترابه، ورقى إلى درجة الملوكية جماعة من مماليكه وحاشيته فصار طشتداره، وركبداره وسلحداره وجهداره وغيرهم من أرباب الوظائف، كلّهم ملوكاً.

وكان في أعلامهم علامات سود يعرفون بها، فعلامة الدوادار الدواة، والسلحدار القوس، والطشتدار المسينة والجهدار النفجة، وأمير آخور النّعْل، والجاويشية قبة ذهب.

وكان يمدّ السماط بين يديه ويأكل الناس، ويرفع الطعام الذي في صدر السماط إلى يد الأكابر إذا قعدوا على السماط للأكل، وكانت الزبادي كلّها ذهب وفضّة.

وكان السلطان محمد يختص بأمور لا يشاركه فيها أحد منها المجتّر منشوراً على رأسه إذا ركب، ومنها: اللكح وهي أنبوبة من الذهب الأحمر بين أذني مركوب السلطان يخرج منها المعرفة، وتشد إلى أطراف اللجام.

ومنها: الأعلام السود والسرج السود والنفج السود محمولة على أكتاف الجهدادية ولا تحمل لغيره على الكتف.

ومنها: أن جنائبه تجر قدّامه وجنائب غيره من الملوك تجرّ خلفه.

/ ٢٢٢/ ومنها: أن أذناب خيله تلفّ من أوساطها مقدار شبرين، ومنها الجلوس على الركبتين بين يديه، لمن يريد مخاطبته.

قال المؤلف المذكور: ثم سار جلال الدين بعد موت أبيه السلطان محمد من الجزيرة إلى خوارزم، ثم هرب من التتر ولحق بغزنة، وجرى بينه وبينهم من القتال ما تقدم ذكره.

وسار إليه جنكيز خان فهرب جلال الدين إلى الهند فلحقه جنكيز خان على ماء السند، وتصافقا صبيحة يوم الأربعاء لثمانٍ خلونَ من شوال سنة ثمان عشرة وستمائة.

وكانت الكرة أولاً على جنكيز خان ثم صارت على جلال الدين، وحال بينهما

(١) في الأصل: شمس محمد.

الليل، وهرب جلال الدين وأسر ابنه وهو ابن سبع[١] سنين فقتله جنيكز خان بين يديه صبحاً.

ولما عاد جلال الدين إلى حافة ماء السند كسيراً رأى والدته وأم ولده وجماعة من حرمه، فقالوا له: بالله اقتلنا وخلّصنا من الأسر، فأمر بهنّ فغرّقن، وهذه من عجائب البلايا وغرائب المصائب والرزايا.

ثم اقتحم جلال الدين وعسكره ذلك النهر العظيم، فنجا منهم إلى ذلك البّر تقدير أربعة آلاف حفاة عراة، ورمى الموج جلال الدين مع ثلاثة من خواصّه إلى موضع بعيد، وفقده أصحابه ثلاثة أيام، وبقي أصحابه لفقده حائرين، وفي تيه الفكر سائرين، إلى أن قدم عليهم جلال الدين، فاعتدوا بمقدمه عيداً، وظنوا أنهم أنشؤوا خلقاً جديداً.

ثم جرى بين جلال الدين وبين أهل تلك /٢٢٣/ البلاد وقائع انتصر فيها جلال الدين، ووصل إلى لهاوور من الهند.

ولما عزم جلال الدين العود إلى جهة العراق استناب بهلوان أزبك على ما كان يملكه من الهند، واستناب معه حسن قراق ولقبه وفا ملك.

وفي سنة سبع وعشرين وستمائة:

طرد وفا ملك بهلوان أزبك، واستولى وفا ملك على ما كان يليه البهلوان من بلاد الهند.

ثم إن جلال الدين عاد من الهند ووصل إلى كرمان في سنة إحدى وعشرين وستمائة.

وقاسى هو وعسكره في البراري القاطعة بين كرمان والهند شدائد، ووصل معه أربعة آلاف رجل بعضهم ركاب بقر، وبعضهم ركاب حمير، ثم سار جلال الدين إلى خوزستان واستولى عليها، ثم استولى على أذربيجان، ثم على كنجة وسائر بلاد أران.

ثم إن جلال الدين نقل أباه من الجزيرة إلى قلعة أزدهن ودفنه بها، ولما استولى التتر على القلعة نبشوه وأحرقوه، وهذا كان فعلهم مع كل ملك عرفوا قبره، فإنهم نبشوا محمود[٢] بن سبكتكين من غزنة وأحرقوا عظامه.

(ثم ذكر ما تقدمت الإشارة إليه من استيلاء جلال الدين على خلاط وغير ذلك)[٣] ثم ذكر نزوله على جسر قريب آمد وإرساله يستنجد الملك الأشرف بن العادل،

---

(١) في المختصر: ابن سبع أو ثمان سنين. (٢) في الأصل: محمد.

(٣) ما بين قوسين سقط من الأصل، والتكملة عن المختصر.

فلم ينجده، وعزم جلال الدين على المسير إلى أصفهان، ثم انثنى عزمه، وبات بمنزله، وشرب تلك الليلة وسكر سكراً خماره دوار الرأس وتقطع الأنفاس، وأحاط التتر بعسكره مصبحين [الوافر].

/ ٢٢٤/ فمساهم وبسطهم حرير وصبحهم وبسطهم تراب
ومن في كفه منهم قناةٌ كمن في كفّه منهم خضاب

وأحاطت أطلاب[1] التتر بخركاة[2] جلال الدين وهو نائم سكران فحمله بعض أمراء عسكره وكان اسمه أرخان، وكشف التتر عن الخركاة، ودخل بعض الخواص وأخذَ بيد جلال الدين وأخرجه وعليه طاقية بيضاء فأركبه الفرس وساق أرخان مع جلال الدين، وتبعه التتر.

فقال جلال الدين: لأرخان انفرد عني بحيث تشغل التتر بتتبع سوادك.

وكان ذلك خطأ منه، فإنّ أرخان تبعه قريب أربعة آلاف فارس من العسكر الجلالي وقصد أصفهان واستولى عليها مدة.

ولما انفرد جلال الدين عن أرخان وساق إلى باسورة آمد فلم يمكن من الدخول إلى آمد فسار إلى قرية من قرى ميافارقين طالباً شهاب الدين غازي بن الملك العادل صاحب ميافارقين ثم لحقه التتر في تلك القرية، فهرب جلال الدين إلى جبل هناك، وفيه أكراد يتخطفون الناس، فأخذوه وشلحوه وأرادوا قتله، فقال جلال الدين لأحدهم أنا السلطان، فاستبقني أجعلك ملكاً، فأخذه الكردي، وأتى به إلى امرأته وجعله عندها ومضى الكردي، إلى الجبل لإحضار ماله هناك فحضر شخص كردي، وبيده حربة، قال للمرأة: لم لا تقتلون هذا الخوارزمي؟ / ٢٢٥/ فقالت المرأة: لا سبيل إلى ذلك وقد آمنه زوجي، فقال الكردي: إنه السلطان وقتل أخاً لي بخلاط خيراً منه، وضربه بحربته فقتله.

وكان جلال الدين أسمر قصيراً تركي الشارة والعبارة، وكان يتكلم بالفارسية وكان يكاتب الخليفة على مبدأ الأمر على ما يكاتب به أبوه خوارزم شاه بن محمد بن تكش.

وكان يكتب خادمه المطواع منكبرتي، ثم بعد أخذ خلاط خاطبه بعبده، وكان يكتب إلى ملك الروم وملوك مصر والشام اسمه واسم أبيه.

---

(١) الأطلاب: تعني الكتائب من الجيش.
(٢) الخركاة: الخيمة.

ولم يرض أن يكتب لأحد منهم خادمه أو أخوه أو غير ذلك، وكان علامته على تواقيعه «النصر من الله وحده» وكان إذا كاتب صاحب الموصل وأشباهه يكتب بهذه العلامة تعظيماً عن ذكر اسمه، وكان يكتب العلامة بقلمٍ غليظ.

وكان جلال الدين يخاطب بخزاوند عالم، أي صاحب العالم.

وكان مقتله في منتصف شوال هذه السنة، أعني سنة ثمان وعشرين وستمائة.

آخر كلام المنشي[١].

وفي سنة تسع وعشرين:

استولى[٢] التتر على بلاد العجم كلّها، والخليفة المستنصر بالعراق، ثم ارتحل في هذه السنة الملك الأشرف وأخوه الكامل من ديار مصر، فسار الأشرف إلى البلاد الشرقية، وسار الكامل إلى الشوبك، فاحتفل له الملك المعظم عيسى بن العادل /٢٢٦/ أبي بكر بن أيوب احتفالاً عظيماً بالضيافات والإقامات والتقادم، وحصل بينهما الاتحاد التام.

وكان نزول الملك الكامل باللجون[٣] قرب الكرك في العشر الأخير من شعبان هذه السنة.

ووصل إليه باللجون الملك المظفر محمود صاحب حماة، فالتقيا، وسافر الناصر داود مع الكامل إلى دمشق، واستصحب الملك الكامل معه ولده الملك الصالح[٤] نجم الدين أيوّب، وجعل نائبه بمصر ولده ووليّ عهده الملك العادل[٥]

---

(١) في المختصر: وهذا ما نقلناه من تاريخ محمد المنشئ، وهو ممن كان في خدمة جلال الدين إلى أن قتل، وكان كاتب الإنشاء الذي له وكان محظياً متقدماً عنده.

(٢) المختصر ٣/ ١٥١.

(٣) اللجون، بلد بالأردن، بينه وبين طبرية عشرون ميلاً، وإلى الرملة مدينة فلسطين أربعون ميلاً، (معجم البلدان ٥/ ١٣).

(٤) الملك الصالح أيوب بن محمد بن أبي بكر بن أيوب بن شاذي، نجم الدين بن الكامل بن العادل، ولد بالقاهرة سنة ٦٠٣هـ وبها نشأ، واستنابه أبوه على مصر سنة ٦٢٥هـ ثم انتقد عليه أموراً فجعل ولي عهده أخاه العادل وهو أصغر منه، فلما استولى على حران والحصن وآمد وسنجار أرسله إليها، ثم أخذ دمشق سنة ٦٣٦هـ وأخذت منه سنة ٦٣٧هـ وحبس بالكرك، ثم أخذ مصر من أخيه العادل، ثم أخذ دمشق، وبها مات سنة ٦٤٥هـ. انظر ترجمته في: شفاء القلوب ص٣٦٧ ومرآة الزمان ٦/ ٣٦١ والحوادث الجامعة ٢٤٥، والسلوك ١/ ٢٦٩، ذيل الروضتين ١٨٣.

(٥) العامل، أبو بكر، أصغر من أخيه الصالح أيوب، إلا أن أباه جعله ولياً للعهد، فملك مصر بعد وفاة أبيه سنة٦٣٥هـ إلا أنه كان لاهياً، فنفر منه أصحابه، وكاتبوا الصالح الذي قدم مصر فأخذها =

سيف الدين «أبا»[١] بكر بن الكامل بن العادل بن أيوب، ثم سار الملك الكامل ونزل سلميّة، واجتمع معه ملوك أهل بيته في جمع عظيم.

فسار بهم إلى آمد وحَصَرَها وتسلَّمها[٢] من صاحبها الملك المسعود بن الملك الصالح محمود بن محمد بن قرا أرسلان «بن داود» بن سقمان بن أرتق بن اكشل، والملك المسعود المذكور هو الذي ملّكه السلطان صلاح الدين آمد بعد انتزاعها من ابن نيسان وكان سبب انتزاع آمد من الملك المسعود لسوء سيرته وتعرّضه إلى حريم الناس وكانت له عجوز قوّاده يقال لها الأزاء، وكانت تؤلف بينه وبين نساء الأكابر ونساء الملوك.

ولما نزل الملك المسعود إلى خدمة الملك الكامل وسلّم آمد وبلادها إليه ومن جملة «معاقلها»[٣] حصن كيفا، وهي في غاية الحصانة. أحسن الكامل إلى المسعود، وأعطاه إقطاعاً جليلاً بديار مصر، ثم بدت منه أمور[٤] اعتقله / ٢٢٧/ الملك الكامل بها.

ولم يزل الملك المسعود «معتقلاً»[٥] إلى أن مات الملك الكامل، فخرج من الاعتقال، واتصل بحماة فأحسن إليه الملك المظفر صاحب حماة، ثم سافر الملك «إلى»[٦] الشرق، واتصل بالتتر فقتلوه.

ولما تسلّم الملك الكامل آمد وبلادها رتّب فيها النواب من جهته، فجعل فيها ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب، وجعل معه شمس الدين صواب العادلي[٧] وخرجت هذه السنة والملك الكامل بالشرق.

ولما خرج الملك الكامل من مصر هذه السنة خرج صحبته بنتاه فاطمة خاتون زوجة الملك العزيز صاحب حلب، وغازية خاتون زوجة الملك المظفر صاحب حماة، وحملتا إلى بعليهما، واحتفل لدخولهما بحماة وحلب.

= منه واعتقله، انظر: شفاء القلوب ص٣٦٥، والسلوك ١/ ٣٢٧، والشذرات ٥/ ٢٣٦.

(١) الأصل: أبي.

(٢) انظر الخبر في: شفاء القلوب ص٣١٣ والشذرات ٥/ ٢٣٤، ومرآة الجنان ٤/ ٦٩.

(٣) في الأصل: معاملتها، والتصويب عن المختصر.

(٤) في الأصل: أموراً.

(٥) التكملة عن المختصر.

(٦) التكملة عن المختصر.

(٧) الطواشي شمس الدين العادلي، مقدم الجيوش العادلية، أسره ملك الروم ثم خلص، مات بحران سنة ٦٣٢هـ، انظر: الوافي بالوفيات ١٦/ ٣٣٩ والعبر ٥/ ١٢٨ والشذرات ٥/ ١٤٩ والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٨٧.

وفيها: توفي[١] علي بن رسول النائب على اليمن، واستقر مكانه ولده عمر.

وفي سنة ثلاثين وستمائة:

رجع[٢] الملك الكامل من البلاد الشرقية بعد ترتيب أمورها، ورجع إلى ديار مصر، ورجع كل ملك إلى بلده.

وفيها: استولى[٣] الملك العزيز محمد بن الظاهر صاحب حلب على شيزر وكانت بيد شهاب الدين يوسف بن مسعود بن سابق الدين عثمان بن الداية.

وكان سابق الدين وإخوته من أكابر أمراء نور الدين محمود بن زنكي، ثم اعتقل الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين الشهيد سابق الدين عثمان بن الداية وشمس الدين «أخاه»[٤] فأنكر السلطان صلاح الدين عليه ذلك وجعله /٢٢٨/ حجة لقصد الشام وانتزاعه من الملك الصالح، فاتصل أولاد الداية بخدمة صلاح الدين.

وصاروا من أكابر أمرائه وكانت شيزر إقطاعاً لشمس الدين المذكور فأقرّه صلاح الدين عليها وزاده أبا قبيس لما قتل صاحبها خماردكن.

ثم ملك شيزر بعده ولده مسعود بن عثمان حتى مات وصارت لولده شهاب الدين يوسف المذكور إلى هذه السنة.

فسار الملك العزيز صاحب حلب بأمر الملك الكامل وحاصر شيزر، وقدم عليه وهو على شيزر الملك المظفر صاحب حماة مساعداً.

فسلّم شهاب الدين يوسف شيزر إلى الملك العزيز ونزل إلى خدمته فتسلّمها في هذه السنة.

وهنأ يحيى بن خالد القيسراني[٥] الملك العزيز بقوله: [البسيط]

يا مالكاً عمّ أهل الأرض نائله ... وخَصَّ إحسانه الدّاني مع القاصي

لما رأت شيزر آيات نصرك في ... أرجائها ألْقّتْ العاصي إلى العاصي

ثم ولي الملك العزيز على شيزر وأحسن إلى الملك المظفر صاحب حماة، ورحل كل منهما إلى بلده.

وفيها: استأذن[٦] الملك المظفر صاحب حماة الملك الكامل في انتزاع بارين من

---

(١) المختصر ٣/ ١٥٢.
(٢) المختصر ٣/ ١٥٢.
(٣) المختصر ٣/ ١٥٣.
(٤) في الأصل: أخيه.
(٥) في المختصر: يحيى بن خالد بن قيسراني.
(٦) المختصر ٣/ ١٥٣ وانظر الخبر في شفاء القلوب ص٣٩٧.

أخيه الناصر قليج أرسلان لأنه خشي أن يسلّمها إلى الفرنج لضعف قليج أرسلان عن مقاومتهم. فأذن له الكامل في ذلك، فسار الملك المظفّر من حماة وحاصر بارين، وانتزعها من أخيه قليج أرسلان بن المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب.

ولما نزل قليج أرسلان / ٢٢٩/ إلى أخيه المظفر أحسَن إليه وسأله في الإقامة عنده بحماة فامتنع وسار إلى مصر، فبذل له الكامل إقطاعاً جليلاً، وأطلق له أملاك جدّه بدمشق، ثم بدا منه ما لا يليق من الكلام[١] فاعتقله الملك الكامل إلى أن مات قليج أرسلان في الحبس سنة خمس وثلاثين وستمائة قبل موت الكامل بأيام.

وفيها: توفي[٢] مظفر الدين كوكبوري بن زين الدين علي بن كوجك، وقد تقدّم ذكر ملكه أربل بعد موت أخيه «زين الدين» في سنة ست وثمانين وخمسمائة لما كانا في خدمة السلطان صلاح الدين في الجهاد بالساحل فبقي مالكاً لها من تلك السنة إلى هذه السنة.

ولما مات مظفر الدين المذكور لم يكن له ولد فأوصى بأربل وبلادها للخليفة المستنصر، فتسلمها الخليفة بعد موت مظفر الدين.

وكان مظفر الدين شجاعاً عَسُوفاً في استخراج أموال الرعية وكان يحتفل بمولد النبي صلى الله عليه وسلم، وينفق فيه الأموال الجليلة.

وفي هذه السنة: وقع[٣] من كيقباذ بن كيخسرو ملك الروم التعرض إلى بلاد خلاط، فرحل الملك الكامل بعساكره من مصر، واجتمعت عليه الملوك من أهل بيته.

ونزل شمالي سلمية في شهر رمضان هذه السنة، ثم سار بجموعه ونزل على النهر الأزرق[٤] في حدود بلد الروم، وقد ضرب في عسكره ستة عشر دهليزاً لستة عشر ملكاً في خدمته، منهم: إخوته الملك الأشرف موسى صاحب دمشق، والمظفر غازي صاحب / ٢٣٠/ ميافارقين، والحافظ أرسلان[٥] شاه صاحب قلعة جعبر والصالح

---

(١) في شفاء القلوب ص٣٩٧: وأرسل الكامل من أملاك والده التي بمصر والغور، فامتنع وأغلظ للرسول.

(٢) المختصر ٣/ ١٥٣ وانظر الخبر في: شذرات الذهب ٥/ ١٣٨ والبداية والنهاية ١٣/ ١٣٦ والعسجد المسبوك ص٤٥٢ وتاريخ مختصر الدول ٢٤٩.

(٣) المختصر ٣/ ١٥٤، وانظر مختصر تاريخ الدول ص٤٣٥ ومرآة الجنان ٤/ ٦٩ وشفاء القلوب ص٣١٤ والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٨٢.

(٤) النهر الأزرق: نهر في طرف بلاد الروم من جهة حلب (معجم البلدان ٥/ ٣١٧).

(٥) الحافظ أرسلان بن أبي بكر بن أيوب بن شاذي، نور الدين العادل، ملك جعبر دهراً طويلاً، ثم سلّمها إلى أخته صاحبة حلب، ونزل عزاز وبها مات سنة ٦٤٠هـ. انظر: شفاء القلوب ص٣٢١

=

إسماعيل[١] أولاد الملك العادل.

والملك المعظم توران شاه بن السلطان صلاح الدين، كان قد أرسله ابن أخيه الملك العزيز صاحب حلب مقدماً على عسكر حلب إلى خدمة السلطان الملك الكامل والملك الزاهر داود[٢] بن السلطان صلاح الدين صاحب البيرة، وأخوه الملك الأفضل موسى سميساط، وكان قد ملك سميساط بعدِ أخيه الملك الصالح أحمد بن الظاهر صاحب عين تاب[٣]، والملك الناصر داود صاحب الكرك بن الملك المعظم عيسى العادل والملك المجاهد شيركوه صاحب حمص بن محمد بن شيركوه.

وكان قد حفظ كيقباذ الدربندات، وشحنها بالمقاتلة، فلم يتمكن السلطان من دخول بلاد الروم من جهة النهر الأزرق، وأرسل بعض العسكر إلى حصن منصور[٤] وهو من بلاد كيقباذ فهدموه ورحل السلطان وقطع الفرات[٥] إلى السويداء وقدم جاسئة بتقدير ألفي وخمسمائة فارس مع الملك المظفر صاحب حماة، فسار المظفر بهم إلى خرتبرت[٦] وسار كيقباذ إليهم، واقتتلوا وانهزم العسكر الكاملي وانحصر المظفر في خرتبرت مع جملة من العسكر، وجدّ كيقباذ في حصارهم والملك الكامل في السويداء.

وقد أحسَّ من الملوك الذين في خدمته بالمخامرة / ٢٣١/ والتقاعد فإن شيركوه صاحب حمص سعى إليهم وقال: إن السلطان ذكر أنه متى ملك البلاد الرومية فرّقها على ملوك أهل بيته عوضاً عما بأيديهم من الشام، ويأخذ الشام جميعه، وينفرد بملكه ومُلك مصر.

فتقاعدوا عن القتال وفسدت نياتهم، وعلم الملك الكامل بذلك فما أمكنه

= ومفرج الكروب ٣/ ٢٧٥ وترويح القلوب ص٦٠.

(١) الملك الصالح إسماعيل ابن العادل أبي بكر، صاحب بعلبك وبصرى ودمشق، ملك دمشق بعد أخيه الأشرف، ثم أخذها منه الكامل، ثم استعادها سنة ٦٣٧هـ ثم أخذت منه سنة ٦٤٣هـ وذهب إلى بعلبك، والتجأ إلى حلب، وسار مع الناصر لأخذ مصر، فأسر واعتقل واغتيل بها.

(٢) الملك الزاهر داود بن السلطان صلاح الدين، ولد بمصر سنة٥٧٣هـ وأعطي البيرة، وهي قلعة بقرب سمسياط وبها مات سنة٦٣٢هـ، انظر: شفاء القلوب ص٢٦٦ ووفيات الأعيان ٢/ ٢٥٧ والسلوك ١/ ٢٥٠ ومفرج الكروب ٢/ ٤٢٤.

(٣) عين تاب: مدينة حصينة بين حلب وأنطاكية (معجم البلدان ٤/ ١٧٦).

(٤) حصن منصور: من أعمال ديار مضر غربي الفرات (معجم البلدان ٢/ ٢٦٥).

(٥) في الأصل: الفراة.

(٦) خَرْتَبِرت: اسم أرمني وهو حصن زياد في أقصى ديار بكر من بلاد الروم بينه وبين ملطية مسيرة يوم، وبينهما الفرات (معجم البلدان ٢/ ٣٥٥).

التحرك إلى قتال كيقباذ لذلك.

ودام الحصار[(١)] على الملك المظفر صاحب حماة فطلب الأمان، فأمنه كيقباذ، فَنَزَل إليه الملك المظفر، فأكرمه كيقباذ وخلع عليه.

وتسلم كيقباذ خرتبرت من صاحبها وكان من الأرتقية قرائب أصحاب ماردين وكان قد دخل في طاعة الملك الكامل، وصارت خرتبرت من بلاد كيقباذ.

وكان نزول المظفر صاحب حماة من خرتبرت يوم الأحد لسبع بقين من ذي الحجة.

وأقام عند كيقباذ يومين ثم أطلقه وسار من عنده لخمس بقين من ذي الحجة من هذه السنة، ووصل بِمَنْ معه إلى الملك الكامل وهو بالسويداء من بلاد آمد، ففرح به، وقوى نفرة الملك الكامل يومئذ من الناصر داود صاحب الكرك، فألزمه بطلاق بنته فطلقها الناصر داود وأثبت الملك الكامل طلاقه منها.

سنة إحدى وثلاثين إلى سنة أربعين وستمائة

في سنة إحدى وثلاثين:

استمرَّ[(٢)] بناء قلعة المعرّة، وكان قد أشار سيف الدين علي بن أبي علي الهذباني على المظفر صاحب حماة ببنائها فبناها وتمَّت / ٢٣٢/ الآن فشحنها بالرجال والسلاح، ولم يكن ذلك مصلحة، فإن الحلبيين حاصروها فيما بعد وأخذوها، وخربَت[(٣)] المعرّة بسببها، وكان[(٤)] الملك الكامل بالبلاد الشرقية، قد انثنى عزمه عن قصد بلاد الروم للتخاذل الذي حصل في عسكره، ثمَّ رحل إلى مصر وعاد كل واحد من الملوك إلى بلده.

وفيها: توفي[(٥)] الملك الزاهر داود بن السلطان صلاح الدين صاحب البيرة وكان قد مرض في العسكر الكاملي، فَحُمل إلى البيرة مريضاً، فتوفى بها وملك البيرة بعده ابن أخيه الملك العزيز صاحب حلب.

---

(١) انظر التفاصيل في شفاء القلوب ص٣١٥.

(٢) المختصر ٣/ ١٥٥.

(٣) كذا في الأصل، وفي المختصر: وخربت.

(٤) المختصر ٣/ ١٥٦.

(٥) المختصر ٣/ ١٥٦ وانظر الخبر في: مرآة الجنان ٤/ ٧٥ وشذرات الذهب ٥/ ١٤٨ والعسجد المسبوك ص٤٦٦ والحوادث الجامعة ص٧٥ وأنساب العيون الورقة ٢٨٨.

وكان الزاهر شقيق الظاهر صاحب حلب.

ولما سارت[(١)] الملوك إلى بلادهم من خدمة الملك الكامل، وصل المظفر صاحب حماة إلى حماة ودخلها لخمس بقين من ربيع الأول هذه السنة.

واتفق مولد ولده الملك المنصور محمد[(٢)] بعد مقدمه بيومين في الساعة الخامسة من يوم الخميس لليلتين بقيتا من ربيع الأول هذه السنة، فتضاعف السرور بقدوم الوالد والولد.

وقال الشيخ شرف الدين عبد العزيز[(٣)] بن محمد قصيدة طويلة، فمنها: [الطويل]

فدا الملك محروس الذرى والقواعدِ ... بأشرفِ مولودٍ لأشرفِ والدِ

حُبينا به يوم الخميس كأنه ... خميسٌ بدا للناس في شخص واحدِ

وسمّيتَهُ باسم النبيّ محمدٍ ... وجدَّيهِ فاستوفى جميع المحامدِ

أي باسم جدّيْهِ الملك الكامل والد والدته والملك المنصور صاحب حماة /٢٣٣/ والد والده ومنها:

كأنّي به في سَدَّة الملك جالساً ... وقد شاد في أوْصافِهِ كلُّ شائدِ

وَوَافاكَ من أبنائه وبنيهم ... بأَنْجُم سَعْدٍ نُورُها غَيْرُ خامِدِ

ألا أيّها الملكُ المظَّفر دَعْوتي ... سيُورى بها زندي ويشتدُّ ساعدي

هنيئاً لك الملك الذي بقدومِهِ ... ترحَّل عنا كل همٍّ معاوِدِ

وفيها: قصد[(٤)] كيقباذ ملك الروم حرّان والرها وحاصرهما واستولى عليهما وكانا للسلطان الملك الكامل.

وفي سنة ثلاث وثلاثين:

سار[(٥)] الملك الناصر داود من الكرك إلى بغداد ملتجئاً إلى الخليفة المستنصر لما

---

(١) المختصر ٣/١٥٦.

(٢) الملك المنصور محمد بن محمود الملك المظفر بن محمد عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شادي، ملك حماة سنة ٦٤٢هـ بعد وفاة أبيه وعمره عشر سنين، وشارك في معركة عين جالوت التي كُسر بها التتر على يد المظفر قطز، توفي بدمشق سنة ٦٨٣هـ. انظر: شفاء القلوب ص٤٣٩ وذيل مرآة الزمان ٤/٢٣٦ والوافي بالوفيات ٥/١١ والبداية والنهاية ١٣/٣٠٥ والنجوم الزاهرة ٧/٣٦٣ والشذرات ٥/٣٨٤.

(٣) شرف الدين عبد العزيز بن محمد الأنصاري. والأبيات في ديوانه ص١٧٥.

(٤) المختصر ٣/١٥٧ والخبر في شفاء القلوب ص٣١٥ وتاريخ مختصر الدول ص٤٣٦ وفيه: فدخلها الروميون ووضعوا بها السيف ثلاثة أيام وقتلوا النصارى والمسلمين فتكاً ونهباً.

(٥) المختصر ٣/١٥٧ وانظر: شفاء القلوب ص٣٤٨ والفوائد الجلية ص٤٠٢ والعسجد المسبوك =

حصل عنده من الخوف من عمّه الكامل، وقدّم إلى الخليفة تُحفاً عظيمة وجواهر نفيسة، فأكرمه الخليفة المستنصر وخَلَعَ عليه وعلى أصحابه.

وكان الناصر داود ينتظر أن الخليفة يستحضره في ملاء من الناس كما استحضر مظفر الدين صاحب أربل، فلم يحصل له ذلك.

وألحَّ في طَلَب ذلك من الخليفة، فلم يُجِبْهُ، فعمل الناصر المذكور قصيدة يمدح المستنصر بالله فيها، ويعرض بصاحب أربل واستحضاره، ويطلب الأسوة به، وهي طويلة فمنها[١]: [الطويل]

فأنت الإمام العدْل والمُعرِقُ[٢] الذي ... به شَرُفَتْ أنسْابُهُ ومناصبُه
جمعت شتيت الملك[٣] بعد افتراقِهِ ... وفَرَّقْتَ جمع المال فانهال كاثِبُه
/٢٣٤/ ألا يا أمير المؤمنين ومن غَدَت ... على كاهل الجوزاء تعلو مراتِبُه
أيَحْسن في شرع المعالي ودينها ... وأنت الذي تُعزى إليه مذاهبُه
بأنّي أخوض الدوّ والدوّ مُقْفِرٌ ... سباريتهُ مغبَّرةٌ وسباسِبُه[٤]
وقد رَصَدَ الأعداء لي كلّ مرصَدٍ ... فكلُّهم نحوى تَدُبُّ عقارِبُه
وتسمحُ لي بالمال، والجاه بغيتي ... وما المال[٥] إلا بعض ما أنت واهبُه
ويأتيك غيري من بلادٍ قريبَةٍ ... له الأمن فيها صاحب لا يُجانِبُه
فيلقى دنوّاً منك لم ألق مِثْلَهُ ... ويحظى وما[٦] أحظى بما أنا طالبُه
وينظر من لألاء قدسك نظرةً ... فيرجع والنور الأماميّ صاحبُه
ولو كان يعلوني بنفسٍ ورتبةٍ ... وصدق ولاءٍ لست فيه أُصاقبه
لكنتُ أُسلّي النفس عما أرومه ... وكنتُ أذود العين عمّا تراقبه
ولكنّه مثلي ولو قلت أنني ... أزيد عليه لم يَعِبْ ذاك عائبه
وما أنا مِمَّن يملأ المال عينه ... ولا بسوى التقريب تُقْضى مآربُه

وكان الخليفة متوقفاً في استحضار الناصر داود رعايةً لخاطر الملك الكامل،

= ص٤٧٠ والحوادث الجامعة ص٧٧.

(١) القصيدة في الفوائد الجلية ص٢٠٦ وذيل مرآة الزمان ١/ ١٣٣ وشفاء القلوب ص٣٤٨ وإنسان العيون ٣٤٦ وفوات الوفيات ١/ ٤٢٠ والوافي بالوفيات ٨/ ٤٣ وثمرات الأوراق ص٢٤ والغيث المسجم ٢/ ٧٨.

(٢) في المختصر: المفرق.

(٣) في الفوائد والمصادر الأخرى: المجد.

(٤) الدوّ: الفلاة.

(٥) في المختصر والفوائد وبقية المصادر: الجاه.

(٦) في الفوائد: ولا.

فجمع بين المصلحتين واستحضره ليلاً وعاد الناصر إلى الكرك.

وفيها: سار[١] الملك العادل من مصر إلى البلاد الشرقية، واسترجع حران والرَّها من يد كيقباذ ملك الروم، وأمسك أجناد كيقباذ ونوّابه الذين كانوا فقتلهم[٢] وأرسلهم إلى مصر، فلم يستحسن ذلك منه.

ثم عاد إلى أخيه الأشرف /٢٣٥/ بدمشق فأقام عنده حتى خرجت السنة، وعاد الملك الكامل إلى الديار المصرية.

وفي سنة أربع وثلاثين:

خرج[٣] الملك العزيز محمد بن «الملك»[٤] الظاهر غازي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى الصيد ورمى البندق واغتسل بالماء البارد، فحمَّ وَدَخَلَ إلى حلب وقد قويت به الحمّى، واشتدَّ مرضُه وتوفي في ربيع الأول هذه السنة، «وكان»[٥] عمره ثلاثاً وعشرين سنة وشهوراً.

وكان حسن السيرة في رعيته، ولما توفّي تقرر في الملك بعده ولده الملك الناصر يوسف[٦] بن العزيز محمد، وعمره سبع سنين، وقام بتدبير الدولة شمس الدين لؤلؤ[٧] الأرمني، وعز الدين عمر بن مجني، وجمال الدولة إقبال الخاتوني، والمرجع في الأمور إلى والدة الملك العزيز ضيفة خاتون بنت الملك العادل.

وفيها: توفي[٨] علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو صاحب الروم، وملك بعده ابنه غياث «الدين»[٩] كيخسرو بن كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان «بن مسعود بن قليج

---

(١) المختصر ٣/ ١٥٨ والخبر في شفاء القلوب ص٣١٧ والبداية والنهاية ١٣/ ١٤٤ والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٩٣.

(٢) كذا في الأصل، وفي المختصر: قيّدهم.

(٣) المختصر ٣/ ١٥٨ وانظر البداية والنهاية ١٣/ ١٤٥ والعسجد المسبوك ص٤٧٨ والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٩٧.

(٤) في الأصل: محمد بن الملك العزيز الظاهر غازي، والتصويب عن المختصر.

(٥) التكملة عن المختصر.

(٦) انظر ترجمته في: شفاء القلوب ص٤٠٨ وذيل مرآة الزمان ٢/ ١٣٤ وذيل الروضتين ٢١٢ والسلوك ١/ ٤٦٦ ومرآة الجنان ٤/ ١٥١.

(٧) لؤلؤ بن عبد الله الأرمني، مقدم عسكر حلب كان أميراً شجاعاً سنة ٦٤٨هـ (النجوم الزاهرة ٧/ ٢١).

(٨) المختصر ٣/ ١٥٨ وانظر البداية والنهاية ١٣/ ١٤١ والعسجد المسبوك ص٤٧٨ ومرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٧٠٣ وتاريخ مختصر الدول ص٢٥٠ والحوادث الجامعة ص٩٧ والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٩٧.

(٩) التكملة عن المختصر.

أرسلان بن سليمان بن قطلش بن أرسلان»[١] بن سلجوق.

وفيها: قويت[٢] الوحشة بين الملك الكامل وبين أخيه الأشرف، وكان ابتداؤها ما فعله شيركوه صاحب حمص لما قصد الملك الكامل بلاد الروم فاتفق الملك الأشرف مع أخته ضيفة خاتون صاحبة حلب ومع باقي الملوك على خلاف الكامل، خلا المظفر صاحب حماة، فلما امتنع تهدّده الملك الأشرف بقصد بلاده وانتزاعها منه، فقدم خوفاً من ذلك إلى دمشق وحلف /٢٣٦/ للملك الأشرف ووافقه على قتال أخيه الكامل، وكاتب الأشرف كيخسرو صاحب بلاد الروم واتفق معه على قتال أخيه الكامل إن خرج من مصر، وأرسل الملك الأشرف يقول للناصر داود صاحب الكرك: إنك إن وافقتني جعلتك وليّ عهدي وزوجتك بابنتي، فلم يوافقه الناصر على ذلك لسوء حظّه ورحل إلى الديار المصرية إلى خدمة الكامل، وصار معَهُ على ملوك الشام. فَسُرَّ به الملك الكامل، وجدّد عقده على ابنته عاشوراء التي طلّقها منه وأركب الملك الناصر داود سناجق السلطنة وَوَعَدوهُ أن ينتزع دمشق من أخيه الأشرف ويعطيه إياها. وأمر الملك الكامل ولده الملك العادل وأمراء مصر بحمل الغاشية بين يدي الناصر داود، وبالغ في إكرامه.

وفيها: توجّه[٣] عسكر حلب مع الملك المعظّم توران شاه عم الملك العزيز فحاصروا بغراس، وكان قد عمّرها الداويّة بعدما فتحها صلاح الدين وخرّبها وأشرف عسكر حلب على أخذها.

ثم رحلوا عنها بسبب الهدنة مع صاحب أنطاكية، ثم إن الفرنج أغاروا على ربض دربساك وهي حينئذ لصاحب حلب، فوقع بهم عسكر حلب مع المعظم توران شاه، فولى الفرنج منهزمين وكثر فيهم القتل والأسر، وعاد عسكر حلب بالأسرى ورؤوس الفرنج، وكانت هذه الوقعة من أجلّ الوقائع.

وفيها: استخدم[٤] الملك الصالح أيوب بن الملك الكامل /٢٣٧/ وهو بالبلاد الشرقية وهي آمد وحصن كيفا وحرّان وغيرها نائباً عن أبيه الخوارزمية عسكر جلال الدين منكبرتي، فإنهم بعد قتله ساروا إلى كيقباذ ملك بلاد الروم.

---

(١) سقط عن الأصل وأكملته عن المختصر.

(٢) المختصر ٣/ ١٥٨ والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٩٧.

(٣) المختصر ٣/ ١٥٩.

(٤) المختصر ٣/ ١٥٩.

وخدموا عدّة مقدمية مثل بركة خان وكشلوخان وصاروخان، وفرخان وبردى خان فلما مات كيقباذ وتولى ابنه كيخسرو وقبض على بركة خان وهو أكبر مقدميهم ففارقت الخوارزمية حينئذ خدمته وساروا عن الروم ونهبوا ما كان في طريقهم، فاستمالهم الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل واستأذن أباه في استخدامهم، فأذِن له واستخدمهم.

وفي سنة خمس وثلاثين:

استحكمت[١] الوحشة بين الأخوين الكامل والأشرف، وقد لحق الملك الأشرف الذرْب[٢] وضعف بسببه وعهد بالملك إلى أخيه الملك الصالح إسماعيل بن العادل صاحب بصرى، ثم توفي في المحرم هذه السنة.

وهو الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب وتملك دمشق بعده أخوه الصالح بعهدٍ منه.

وكان مدة ملك الأشرف دمشق ثمان سنين وشهوراً، وعمره نحو ستين سنة.

وكان مفرط السخاء يطلق الأموال الكثيرة الجليلة، وكان ميمون النقيبة، لم تنهزم له راية، وكان تتفق أشياء خارقة العقل.

وكان حسن العقيدة، وبنى بدمشق قصوراً ومنتزهات حَسَنة، وكان منهمكاً في اللذات وسماع الأغاني، فلما /٢٣٨/ مرض أقلَعَ عن ذلك.

وأقبل على الاستغفار إلى أن توفي ودفن بتربته شمالي الجامع ولم يخلّف من الأولاد إلاّ بنتاً واحدة[٣] تزوجها الملك الجواد[٤] يونس بن مودود بن الملك العادل.

وكان سبب الوحشة بينه وبين أخيه الكامل بعدما كان بينهما من المصافاة، أن

---

(١) المختصر ٣/ ١٥٩. وانظر خبر وفاته في العسجد المسبوك ص٤٨٢ والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٠٠ ومرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٧١١ والتكملة: الترجمة (٢٧٧٥)، وذيل الروضتين ص١٦٥ والحوادث الجامعة ص١٠٥ والبداية والنهاية ١٣/ ١٤٦.

(٢) الذرب: ذرب المعدة، فسادها.

(٣) هي ملكة خاتون تزوجها الجواد ثم طلقها، فتزوجها ابن عمها المنصور بن الصالح إسماعيل، توفيت سنة ٦٩٤هـ. انظر شفاء القلوب ص٣٦١ والبداية والنهاية ١٣/ ٣٤٢.

(٤) الملك الجواد يونس بن ممدود بن أبي بكر بن أيوب بن شاذي، ملك دمشق، ثم استبدلها بسنجار والرقة وعانة، ثم أخذت منه، وسكن دمشق مدة، وأقام أخرى مع الفرنج ثم اعتقله الصالح إسماعيل واغتاله سنة ٦٤١هـ. انظر ترجمته في شفاء القلوب ٣٨٨ وفوات الوفيات ٤/ ٣٩٦ ومرآة الزمان ٨/ ٧٤٣ والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٤٨.

الملك الأشرف لم يبق بيده غير دمشق وبلادها. وكانت[١] لا تفي بما يحتاجه وما يبذله وقت قدوم أخيه الملك الكامل دمشق وأيضاً لما فتح الملك الكامل آمد وبلادها لم يزِدْه منها شيئاً، وأيضاً بَلَغَهُ أن الملك الكامل يريد أن ينفرد بمصر والشام وينتزِع دمشق منه، فتغيّر بسبب ذلك.

ولما استقر الملك الصالح إسماعيل في ملك دمشق كتب إلى الملوك من أهله وإلى كيخسرو صاحب الروم إلى اتفاقهم معه على أخيه الكامل فوافقوه على ذلك إلاّ المظفر صاحب حماة.

وأرسل الملك الكامل يعرفه انتماءه[٢] إليه، وأنه إنمّا وافق الأشرف خوفاً منه، فقبل الملك الكامل عذره، وتحقّق صدقه ووعده بانتزاع سلميّة من شيركوه صاحب حمص وتسليمها إليه.

ولما[٣] بلغ الملك الكامل وفاة أخيه الأشرف توجّه إلى دمشق ومعه الناصر داود صاحب الكرك وهو لا يشك في أنَّ الملك الكامل يسلّم إليه دمشق، لما كان تقرّر بينهما، وأما الملك الصالح إسماعيل فإنه استعدّ للحصار وَوَصَلَت إليه نجدة الحلبيين وصاحب حمص، ونازل الملك الكامل دمشق.

/ ٢٣٩/ وخرج الصالح بالنفّاطين فأحرق العقيبة بما بها من خانات وأسواق.

وفي مدّة الحصار وصل من عند صاحب حمص رجّالة يزيدون على خمسين راجلاً نجدةً للصالح إسماعيل، فظفر بهم الملك الكامل فشنقهم بين البساتين عن آخرهم، وحالَ نزول الملك على دمشق أرسل توقيعاً للملك المظفر صاحب حماة بسلميّة، فتسلمها الملك المظفر واستقرّت نوابه بها.

وكان نزول الملك الكامل على دمشق في جمادى الأولى هذه السنة، في قوة الشتاء، ثم سلّم الملك الصالح إسماعيل دمشق إلى أخيه الملك الكامل وتعوّض عنها بعلبك والبقاع[٤] مضافاً إلى بُصرى[٥].

---

(١) في الأصل: كان وأثبت ما في المختصر.

(٢) في الأصل: انتماؤه، والتصويب عن المختصر.

(٣) المختصر ٣/ ١٦٠، تحت عنوان «ذكر مسير السلطان الملك الكامل إلى دمشق واستيلائه عليها ووفاته» وانظر الخبر في شفاء القلوب ص٣١٧.

(٤) البقاع: موضع قريب من دمشق (معجم البدلان ١/ ٤٧٠).

(٥) بعدها في شفاء القلوب: والسواد وهي موضع قرب البلقاء سميت بذلك لسواد حجارتها (معجم البلدان ٣/ ٢٧٢).

وكان قد ورد من الخليفة المستنصر محيي الدين يوسف[١] بن جمال الدين بن الجوزي للتوفيق بين الملوك، فتسلّم الملك الكامل دمشق لإحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى.

وكان الملك الكامل شديد الحنق على شيركوه صاحب حمص، فأمر العسكر فبرزوا لقصد حمص، وأرسل إلى صاحب حماة وأمره بالمسير إليها، فبرز الملك المظفر من حماة ونزل على الرستن[٢]، واشتدّ خوف شيركوه صاحب حمص، وتخضّع للملك الكامل، وأرسل نساءه إليه، ودخلن على الملك الكامل فلم يلتفت إلى ذلك.

ثم بعد أن استقر الملك الكامل في دمشق لم يلبث إلا أيام[٣] حتى مرض واشتدّ مرضه، وكان سببه أنه لما دخل قلعة دمشق أصابه زكام، ودخل الحمام، وسكب عليه ماء شديد الحرارة فاندفعت النزلة إلى معدته / ٢٤٠/ وتورّمت منها. وحَصَلَتْ له حمّى، فنهاه الأطباء عن القيء وخوّفوه منه فلم يقبل وتقيأ فمات لوقته وعمره نحو ستين سنة.

وكانت وفاته[٤] لتسع بقين من رجب من سنة خمس وثلاثين وستمائة.

وكان بين موته وموت أخيه الأشرف ستة أشهر، وكانت مدّة ملكه لمصر من حين مات أبوه عشرين سنة، وكان نائباً لها قبل ذلك عشرين سنة.

فتحكّم في مصر نائباً ومالكاً أربعين سنة، وأشبه حالُه حالَ معاوية بن أبي سفيان، فإنه حكم في الشام نائباً نحو عشرين سنة وملكاً نحو عشرين سنة.

وكان الملك الكامل ملكاً جليلاً، مهيباً، حازماً حسن التدبير، أمنت الطرق في أيّامه، وكان يباشر تدبير المملكة بنفسه.

واستوزر في أول ملكه وزير أبيه صفيّ الدين بن شكر، فلما مات ابن شكر لم يستوزر أحداً بعده، وكان يخرج الكامل بنفسه فينظر في أمور الجسور عند زيادة النيل وإصلاحها فعمّرت في أيامه ديار مصر أتمَّ العمارة، وكان محبّاً للعلماء ومجالستهم،

---

(١) محيي الدين، أبو المظفر يوسف بن الشيخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، واعظ حنبلي، ولد سنة ٥٨٠هـ وعين أستاذ دار المستعصم ودرّس بالمستنصرية، مات سنة ٦٥٦هـ انظر: الوافي بالوفيات ٢٩/ ٢٣٨ والمختصر المحتاج إليه ٣/ ٢٣٣ ومرآة الزمان ٤/ ١٤٧ وفوات الوفيات ٤/ ٣٥١.

(٢) الرَّسْتَنْ: بليدة قديمة على نهر العاصي يمرّ قدام حماة، وهو بين حماة وحمص في نصف الطريق (معجم البلدان) ٣/ ٤٣).

(٣) كذا في الأصل، وفي المختصر غير أيام.

(٤) انظر خبر الوفاة في الشذرات ٥/ ١٧١ ومرآة الجنان ٤/ ٩٠.

وكان عنده مسائل غريبة في الفقه والنحو يمتحن بها الفضلاء إذا حَضَروا في خدمته.

وكان كثير السماع للأحاديث النبويّة، تقدم عنده بسببها الشيخ عمر بن دحية[١]، وبنى له دار الحديث بين القصرين في الجانب الغربي.

وكانت سوق الآداب والعلوم عنده نافقة، رحمه الله تعالى، وكان أولاد الشيخ صدر الدين بن حموية[٢] من أكابر أمراء دولته، وهم الأمير فخر الدين بن الشيخ وأخوته[٣] / ٢٤١/ عماد الدين، وكمال الدين ومعين الدين أولاد الشيخ المذكور، وكان كل من أولاد الشيخ المذكور حائزين فضيلتي السيف والقلم، يباشرون التدريس ويتقدمون على الجيوش.

ولما مات الملك الكامل بدمشق كان معه بها الناصر داود صاحب الكرك فاتفقت آراء الأمراء على تحليف العسكر للملك العادل أبي بكر[٤] بن الملك «الكامل»[٥] وهو حينئذ نائب أبيه بمصر.

فحلف له جميع العسكر وأقاموا في دمشق الملك الجواد يونس بن مودود بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب نائباً عن العادل أبي بكر بن الكامل.

وتقدّمت الأمراء إلى الناصر داود صاحب الكرك بالرحيل عن دمشق وتهدّدوه إن أقام، فرحل إلى الكرك وتفرّقت العساكر، فسار أكثرهم إلى مصر، وتأخر مع الجواد يونس بعضهم ومقدّمهم عماد الدين بن الشيخ، وبقي يباشر الأمور مع الملك الجواد.

ولما بلغ شيركوه صاحب حمص وفاة الملك الكامل فرح فرحاً عظيماً «وأتاه فرج»[٦] ما كان يطمع نفسه به، وأظهر «سروراً عظيماً»[٧] ولعب الكرة خلاف العادة وهو في عشر السبعين.

---

(١) أبو الخطاب عمر بن حسن بن علي، الأندلسي، السبتي، الحافظ، كان بصيراً بالحديث ضابطاً حافظاً له مشاركة في العربية، توفي سنة ٦٣٣هـ (النجوم الزاهرة ٦/ ٢٩٥ ومرآة الجنان ٤/ ٨٤ والشذرات ٥/ ١٦٠.

(٢) أبو الحسن محمد بن عمر بن علي بن محمد بن حموية شيخ الشيوخ بمصر والشام، كان فقيهاً متصوفاً، توفي سنة ٦١٧هـ، انظر: النجوم الزاهرة ٦/ ٢٥١ والشذرات ٥/ ٧٧ ومرآة الجنان ٤/ ٣٩.

(٣) في الأصل: أخوه، التصويب عن المختصر.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) الأصل: العادل وهو من هم الناسخ، والتصويب عن المختصر.

(٦) سقطت من الأصل، والتكملة عن المختصر.

(٧) سقطت عن الأصل والتكملة عن المختصر.

وأما المظفر صاحب حماة فإنه حزن لذلك ورحل من الرّسْتن إلى حماة فأقام فيها للعزاء وأرسل شيركوه[١] حينئذ ارتجع سلمية من نواب الملك المظفر، وقطع القناة الواصلة من سلمية إلى حماة فيبست بساتينها، ثم عزم على قطع نهر العاصي عن حماة فسدّ مخرجه مِن بحيرة قدس التي بظاهر حمص، فبطلت نواعير حماة وطواحينها وذهب ماء العاصي في وادي /٢٤٢/ إلى جانب البحيرة، ثم لما لم يجد الماء له مسلكاً عاد فَهَدَمَ ما كان قد عمله صاحب حمص، وجرى كما كان.

وكذلك كان قد حصل لصاحبة[٢] حلب وعسكرها الخوف من الملك الكامل فلما بلغهم موته فرحوا[٣].

ولما[٤] بلغ الحلبيين موت الكامل اتفقت آراؤهم على أخذ المعرّة وانتزعوها من يد المظفر وحاصروا قَلعَتها وملكوها وخرجَت المعرّة حينئذ عن المظفر صاحب حماة.

ثم سار عسكر حلب ومقدمهم المعظّم توران شاه[٥] بن صلاح الدين إلى حماة بعد استيلائهم على المعرّة، ونازلوا حماة وبها صاحبها الملك المظفر، ونهب الحلبيون بلاد حماة، واستمر الحصار على حماة حتى خرجت هذه السنة.

وفيها: عقد[٦] لسلطان الروم غياث الدين كيخسرو بن كيقباذ العقد على غازية خاتون بنت الملك العزيز محمد صاحب حلب وهي صغيرة حينئذ، وتولى القبول عن ملك بلاد الروم قاضي دوقات.

ثم عقد الملك الناصر يوسف بن الملك العزيز صاحب حلب العقد على أخت كيخسرو ملكة خاتون[٧] بنت كيقباذ، وأم ملكة خاتون المذكورة بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب، كان قد زوجها المعظم عيسى صاحب دمشق بكيقباذ المذكور، وخطب

---

(١) في المختصر: صاحب حمص.

(٢) في المختصر: صاحب، وصاحبة حلب ضيفة خاتون بنت الملك العادل، كانت المرجع في تدبير أمور حلب لصغر سن ولدها الناصر يوسف، وقد تقدم ذكر ذلك.

(٣) في المختصر: آمنوا من ذلك.

(٤) المختصر ٣/ ١٦٣ تحت عنوان: ذكر استيلاء الحلبيين على المعرة وحصارهم حماة، والخبر بعضه في شفاء القلوب ص٤٠٩.

(٥) توران شاه بن يوسف الملك الناصر صلاح الدين، كان مقدم الجيوش الحلبية، كان شجاعاً، أسره الخوارزمية جريحاً سنة ٦٣٧هـ، ولما استولى التتار على حلب، اعتصم بقلعتها ثم سلمها بالأمان، توفي سنة ٦٤٨هـ، انظر: شفاء القلوب ص٢٦٨.

(٦) المختصر ٣/ ١٦٢.

(٧) انظر ترجمتها في شفاء القلوب ص٣٩٣.

لغياث الدين كيخسرو بحلب.

وفيها: خرجت[١] الخوارزمية عن طاعة الملك الصالح أيوب بعد موت أبيه الكامل، ونهبوا البلاد.

وفيها: سار[٢] لؤلؤ صاحب الموصل وحاصر الملك الصالح بسنجار فأرسل الصالح واسترضى الخوارزمية وبذل لهم حران والرها / ٢٤٣/ فعادوا إلى طاعته واتّقع مع بدر الدين لؤلؤ، فانهزم بدر الدين وعسكره هزيمة قبيحة، وغنم عسكر الملك الصالح منهم شيئاً كثيراً.

وفيها: جرى[٣] بين الناصر داود صاحب الكرك وبين الملك الجواد يونس المستولي على دمشق مصافّ بين جنين ونابلس فانتصر الملك الجواد وانهزم الناصر داود هزيمة قبيحة، وقوى الملك الجواد بسبب هذه الوقعة، وتمكن من دمشق، ونهب عسكر الناصر داود وأثقاله.

وفي هذه السنة: ولد والدي[٤] الملك الأفضل[٥] نور الدين علي بن المظفر صاحب حماة.

وفي سنة ست وثلاثين:

رحل[٦] عسكر حلب المحاصر لحماة بعد مولد الملك الأفضل، وكانت قد طالت مدة الحصار، وضجروا، فتقدّمت إليهم ضيفة خاتون صاحبة حلب بنت الملك العادل بالرحيل عنها، فرحلوا، وضاق الأمر على الملك المظفر في هذا الحصار، وأنفق فيه أموالاً كثيرة.

---

(١) المختصر ٣/ ١٦٢ والخبر في شفاء القلوب ص٣٦٧.

(٢) المختصر ٣/ ١٦٢ والخبر في شفاء القلوب ص٣٦٧.

(٣) المختصر ٣/ ١٦٢.

(٤) المختصر ٣/ ١٦٣. وفي الأصل ولدي. وواضح أن المؤلف ينقل عن صاحب المختصر نقلاً حرفياً دون تغيير.

(٥) الملك الأفضل، علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شاذي، ولد سنة ٦٣٥هـ، وأمه غازية بنت الكامل محمد بن العادل، توفي بدمشق سنة ٦٩٢هـ وهو والد المؤيد إسماعيل صاحب (المختصر في تاريخ البشر) الذي ينقل عنه المؤلف أكثر فصول هذا الجزء من مسالك الأبصار، وانظر ترجمته الأفضل في شفاء القلوب ص٤٤٥ والبداية والنهاية ١٣/ ٣٣٤.

(٦) المختصر ٣/ ١٦٣. وانظر: مرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٧١٨ والحوادث الجامعة ص١١٤ والبداية والنهاية ١٣/ ١٥٢ والعسجد المسبوك ص٤٨٥.

واستمرت المعرّة في يد الحلبيين[١]، ولم يبق بيد المظفر غير حماة وبعرين، ولما جرى ذلك خاف الملك المظفر أن تخرج بعرين بسبب قلعتها، فتقدم بهدمها فهدمت إلى الأرض في هذه السنة.

وفي هذه السنة: وفي جمادى الأولى منها: استولى[٢] الملك الصالح أيوب بن الملك الكامل على دمشق وأعمالها بتسليم الملك الجواد يونس وأخذ العوض عنها سنجار والرّقة وعانة، وكان سبب ذلك أن الملك العادل بن الملك الكامل صاحب مصر لما علم باستيلاء الملك الجواد على / ٢٤٤/ دمشق أرسل إليه عماد الدين بن الشيخ لينتزع دمشق منه، وأن يعوض عنها إقطاعاً بمصر، فمال الملك الجواد إلى تسليمها إلى الملك الصالح حسبما ذكرناه، وجهّز على عماد الدين بن الشيخ مَنْ وَقَفَ له بقصة فلما أخذها عماد الدين منه ضربه بسكين فقتله، ولما وصل الصالح أيوب إلى دمشق وصل معه المظفر صاحب حماة معاضداً له، وكان قد لاقاه في أثناء الطريق، واستقرّ الصالح أيوب في ملك دمشق، وسار الجواد يونس إلى البلاد الشرقية المذكورة فتسلّمها.

ولما استقر ملك الملك الصالح بدمشق وردت إليه كتب المصريين يستدعونه إلى مصر ليملكها، وسأله المظفر في منازلة حمص وأخذها من شيركوه، فبرز إلى الثنية[٣]، وكانت قد نازلت الخوارزمية وصاحب حماة حمص، فأرسل شيركوه مالاً كثيراً وفرّقه في الخوارزمية فرحلوا عنه إلى البلاد الشرقية، ورحل صاحب حماة إلى حماة، ثم كرّ الملك الصالح عائداً إلى دمشق قاصداً مصر.

وسار من دمشق إلى خربة اللصوص، فعيّد بها عيد رمضان، ووصل إليه بعض عسكر مصر مقفّزين، ولما خرج الصالح من دمشق جعل نائبه فيها ولده الملك المغيث فتح الدين عمر[٤]، وشرع الملك الناصر يكاتب عمه الصالح إسماعيل صاحب بعلبك ويستدعيه إليه، وعمه إسماعيل يتحجّج ويعتذر عن الحضور، ويُظهر له أنّه معه، وهو يعمل في الباطن على ملك دمشق وأخذها من الصالح أيوب، وكان الناصر صاحب الكرك قد سافر إلى مصر، واتفق مع / ٢٤٥/ الملك العادل بن الكامل على قتال الصالح أيوب.

---

(١) بعدها في المختصر، وسلمية في يد صاحب حمص.

(٢) المختصر ٣/ ١٦٣.

(٣) في شفاء القلوب ص٣٦٩: ثنية العقاب، وهي ثنية مشرفة على غوطة دمشق (معجم البلدان ٢/ ٨٥).

(٤) الملك المغيث عمر بن أيوب. أسره عم أبيه الصالح إسماعيل وحبسه في بعض أبراج قلعة دمشق إلى أن مات سنة ٦٤٢هـ. (انظر: شفاء القلوب ص٤٢٦ والحوادث الجامعة ٣٩٣ والبداية والنهاية ١٣/ ١٦٥ والشذرات ٥/ ٢١٥).

ووصل أيضاً في هذه السنة محيي الدين بن الجوزي رسول الخليفة ليصلح بين الأخوين العادل صاحب مصر والصالح أيوب المستولي على دمشق، وهذا محيي الدين هو الذي ورد ليصلح بين الكامل والأشرف.

فاتفق أنه مات في حضوره في سنة أربع وثلاثين وخمس وثلاثين أربعة من السلاطين العظماء وهم الملك الكامل صاحب مصر وأخوه الأشرف صاحب دمشق والعزيز صاحب حلب، وكيقباذ صاحب بلاد الروم، فقال في ذلك ابن المسجّف أحد شعراء دمشق: [الكامل]

يا إمام الهدى أبا جعفر المنصور يا من له الفخار الأثيل[1]
ما جرى من رسولك الآن محي الـ دين في هذه البلاد قليل
جاء والأرض بالسلاطين تزهى وغدا والديار منهم طلول
أقفر الروم والشآم ومصر أفهذا مغسِّلٌ أم رسول

وفي صفر، سنة سبع وثلاثين:

سار[2] الصالح إسماعيل صاحب بعلبك ومعه الملك المجاهد صاحب حمص بجموعهما، وهجموا دمشق، وحصروا القلعة وتسلّمها الصالح إسماعيل وقبض على المغيث فتح الدين عمر بن الصالح أيوب، وكان الصالح أيوب بنابلس لقصد الاستيلاء على مصر، وكان قد بلغه مسعى عمّه إسماعيل في الباطن، وكان للصالح أيوب طبيب /٢٤٦/ يثق به يقال له الحكيم سعيد الدين الدمشقي، فأرسله الصالح أيوب إلى بعلبك ومعه قفص من حمام نابلس ليطالعه بأخبار الصالح إسماعيل صاحب بعلبك.

فاستحضره وأكرمه وسرق الحمام الذي لنابلس، وجعل موضعها حمام بعلبك ولم يشعر الطبيب بذلك فصار الطبيب المذكور يكتب إن عمَّك إسماعيل قد جمع وهو في نيّة قصد دمشق، ويطبق، فيقعد الطير ببعلبك، فيأخذ الصالح إسماعيل البطاقة ويزوّر على الحكيم: إن عمّك إسماعيل قد جمع ليعاضدك وهو واصل إليك ويسرّحه مع حمام نابلس، فيعتمد الصالح على ذلك الأمر من بطائق الحكيم ويترك ما يرد غيره من الأخبار.

واتفق أيضاً أن المظفر صاحب حماة علم بسعي الملك الصالح إسماعيل صاحب بعلبك في أخذ دمشق مع خلوّها ممن يحفظها فجهّز نائبه سيف الدين علي بن أبي علي

(١) الأبيات في شفاء القلوب ص٣١٩ وفوات الوفيات ٢/ ٢٨٦، ونسبها اليونيني في ذيل مرآة الزمان إلى الملك الناصر دواد بن عيسى، ولم ترد في ديوانه (الفوائد الجلية).

(٢) المختصر ٣/ ١٦٤ والعسجد المسبوك ص٤٩٢ والنجوم الزاهرة ٦/ ٣١٥.

ومعه جماعة من عسكر حماة وغيرهم، وجهّز معه من السلاح والمال شيئاً كثيراً ليصل إلى دمشق ويحفظها لصاحبها، وأظهر الملك وابن أبي علي أنهما قد اختصما، وأن ابن أبي علي قد غضب، فاجتمع معه هذه الجماعة، وقد قصدوا فراق صاحب حماة لأنّه يريد أن يسلم حماه إلى الفرنج.

كل ذلك خوفاً من شيركوه صاحب حمص، لئلا يقصد ابن أبي علي ويمنعه، فلم تخف عن شيركوه هذه الحيلة، ولما وصل ابن أبي علي إلى بحيرة حمص قصد شيركوه، وذكر بأنه مصدقه فيما قال /٢٤٧/ وسأله الدخول إلى حمص، فأخذ ابن أبي علي معه وأرسل من استدعى باقي أصحاب ابن أبي علي إلى الضيافة[١] فمنهم من سمع ودخل حمص، ومهم من هرب فسلم.

ولما حصلوا عنده بحمص قبض على ابن أبي علي، وعلى جميع من دخل حمص من الحمويين، واستولى على جميع ما كان معهم من السلاح والمال، وبقي يعذبهم ويطلب منهم أموالهم حتى استصفاها، ومات ابن أبي علي وغيره في حبس شيركوه بحمص، والذي بقي إلى بعد موت شيركوه خلص، ولما جرى ذلك ضعف الملك الظفر صاحب حماة.

وأما[٢] الصالح أيوب فلما بلغه قصد عمه إسماعيل دمشق، رحل من نابلس إلى الغور فبلغه استيلاء عمه على قلعة دمشق واعتقال ولده المغيث عمر، ففسدت نيات عساكره عليه، وشرعت الأمراء ومن معه[٣] يحركون نقّاراتهم ويرحلون مفارقين الصالح أيوب إلى الصالح إسماعيل بدمشق، فلم يبق عند الصالح أيوب بالغور غير مماليكه وأستاذ داره حسام الدين بن أبي علي، وأصبح الصالح أيوب لا يدري ما يفعل، ولا لَهُ موضع يقصدُهُ، فقصد نابلس ونزل بها بمن بقي معه.

وسمع الناصر داود بذلك، وكان قد نزل من مصر إلى الكرك، فنزل وأمسك الملك الصالح أيوب، وأرسله إلى الكرك واعتقله بها، وأمر بالقيام في خدمته بكل[٤] ما يختاره.

ولما[٥] اعتقل الصالح أيوب بالكرك، تفرّق باقي أصحابه ومماليكه ولم يبق معه منهم، غير عدّة يسيرة.

---

(١) في الأصل: الصافة، والتصويب عن المختصر.
(٢) المختصر ٣/ ١٦٤، وانظر شفاء القلوب ص٣٧١.
(٣) بعده في المختصر: من الملوك.
(٤) الأصل: كلّما.
(٥) المختصر ٣/ ١٦٤.

ولما جرى ذلك، أرسل /٢٤٨/ العادل أبو بكر صاحب مصر يطلب الصالح أيوب من الناصر داود، فلم يسلمه الناصر داود، فأرسل العادل يهدّد الناصر داود بأخذ بلاده فلم يلتفت إلى ذلك.

ثم[١] إن الناصر داود بعد ذلك قصد القدس، وكان الفرنج قد عمروا قلعتها بعد موت الملك الكامل، فحاصرها وفتحها وخرّب القلعة.

وفيها[٢] : توفي الملك المجاهد شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شاذي، وكانت ملكه[٣] لحمص نحو ست وخمسين سنة، لأن صلاح الدين ملك حمص سنة إحدى وثمانين وخمس مائة بعد موت أبيه ناصر الدين محمد بن شيركوه، وكان عمره يومئذ إثني عشر سنة، وكان شيركوه المذكور عسوفاً لرعيّته، وملك[٤] حمص بعده ولده المنصور إبراهيم.

وفيها[٥] : استولى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل على سنجار وأخذها من الملك الجواد يونس بن مودود بن الملك العادل بن أيّوب.

وفي[٦] أواخر رمضان: أفرج الملك الناصر داود صاحب الكرك عن ابن عمّه الملك الصالح أيوب، واجتمعت عليه مماليكه، وكاتبه البهاء زهير[٧]، وسار الناصر داود وصحبته الصالح أيّوب إلى قبّة الصخرة وتحالفا على أن تكون ديار مصر للصالح ودمشق والديار الشرقية للناصر داود.

فلما تملك الصالح لم يفِ للناصر بذلك، وكان يتأول في يمينه أنه كان مكرهاً،

---

(١) المختصر ٣/ ١٦٥.

(٢) المختصر ٣/ ١٦٥ والنجوم الزاهرة ٦/ ٣١٦ والبداية والنهاية ١٣/ ١٥٤ والشذرات ٥/ ١٨٤ والعسجد المسبوك ص٤٩٦.

(٣) في الأصل: مملكته، والتصويب عن المختصر.

(٤) المختصر ٣/ ١٦٦، وانظر ترجمة المنصور إبراهيم في مرآة الزمان ٨/ ٧٦٤ والوافي ٦/ ٢٠ وشفاء القلوب ص٣٣١.

(٥) المختصر ٣/ ١٦٦ وانظر الخبر في شفاء القلوب ص٣٩١ والعسجد المسبوك ص٤٩٠.

(٦) المختصر ٣/ ١٦٦ وانظر تفاصيل الخبر في شفاء القلوب ص٣٧٣.

(٧) هو الشاعر المشهور أبو الفضل زهير بن محمد بن علي المهلبي العتكي المعروف ببهاء الدين. ولد سنة ٥٨١هـ واتصل بخدمة الملك الصالح أيوب صاحب مصر وتوجه معه إلى دمشق، فلما أخذت منه وهو بنابلس بقي بها حتى إذا أطلق من سجنه بالكرك وملك مصر ذهب معه إليها. وتوفي سنة ٦٥٦هـ. انظر: وفيات الأعيان ٢/ ٣٣٢ والشذرات ٥/ ٢٧٦ والنجوم الزاهرة ٧/ ٦٢.

ثم سار إلى غزّة، فلما بلغ العادل صاحب مصر ظهور أمر أخيه الصالح عَظُم عليه /٢٤٩/ وعلى والدته ذلك، وبَرَزَ بعسكر مصر إلى بلبيس لقصد الناصر داود والصالح أخيه، وأرسل إلى عمه الصالح إسماعيل المستولي على دمشق أن يبرز ويقصدها من جهة الشام، وأن يستأصلهما، فسار الصالح إسماعيل بعساكر دمشق ونزل الفوار، فبينما الناصر داود والصالح في هذه الشدّة بين عسكرين قد أحاطا[١] بهما إذ ركبت جماعة من المماليك الأشرفية، ومقدمهم أيبك الأسمر وأحاطوا بدهليز الملك العادل أبي بكر محمد بن الكامل وقبضوا عليه، وجعلوه في خيمة صغيرة ووكّلوا عليه من يحيطه، وأرسلوا إلى الملك الصالح أيوب يستدعونه، فأتاه فرج لم يسمع بمثله[٢]، وفي ذلك يقول شيخ الشيوخ الحموي: [البسيط]

فإن بعثنا فعقبى دعوةٍ سَبَقَتْ ... ونحنُ في حاجم ضَنْكِ الأساليبِ
يا كاشف الضرّ عن أيّوب حين دعا ... قد مسّنا الضرُّ فاكشفه بأيّوب

وسار[٣] الملك الصالح أيوب والملك الصالح داود إلى مصر، وبقي الملك الصالح كل يوم يلتقي فوج بعد فوج من الأمراء والعسكر، وكان القبض على الملك العادل ليلة الجمعة ثامن ذي القعدة هذه السنة، فكانت مدّة ملكه نحو سنتين.

ودخل الملك الصالح أيوب إلى قلعة الجبل بكرة الأحد لستّ بقين من الشهر المذكور، وزُيّنَتْ له البلاد، وفرح الناس بمقدمه وحصل للمظفر[٤] صاحب حماة من السرور والفرح بملك الملك الصالح مصر /٢٥٠/ ما لا يمكن شرحُهُ.

فإنه ما زال على ولائه، حتى أنه لما أمسك بالكرك كان يخطب له بحماة وبلادها.

ولما[٥] استقر الملك الصالح أيوب في ملك مصر وعنده الناصر داود حصل عند كل واحد منهما استشعار من صاحبه، وخاف الناصر داود أن يقبض عليه، فطلب دستوراً وتوجّه إلى الكرك.

وفي هذه السنة: توفي[٦] ناصر الدين أرتق أرسلان بن إيلغازي بن ألْبي بن

---

(١) في الأصل: «أحاط».
(٢) ما بعده لم يرد في المختصر.
(٣) يعود المؤلف للنقل عن المختصر.
(٤) انظر خبر صاحب حماة في شفاء القلوب ص٣٧٤.
(٥) المختصر ٣/ ١٦٦ وانظر أيضاً: شفاء القلوب ص٣٧٤.
(٦) المختصر ٣/ ١٦٦ وفيه: وقيل سنة ست وثلاثين. وانظر العسجد المسبوك ص٤٨٥ (أحداث سنة ٦٣٦هـ) والحوادث الجامعة ص٥ والعبر ٥/ ١٤٨ والنجوم الزاهرة ٦/ ٣١٤ (وفيات سنة ٦٣٧هـ). والشذرات ٥/ ١٨٠.

تمرتاش بن إيلغازي بن أرتق، صاحب ماردين، وكان يلقّب الملك المنصور، وملك المذكور ماردين بعد أخيه حسام الدين يولق أرسلان حسبما تقدم ذكره في سنة ثمانين وخمسمائة، وبقي أرتق أرسلان متغلباً عليه البقش مملوك والده حتى قتله أرتق أرسلان في سنة إحدى وستمائة، واستقل بملك ماردين حتى توفي في هذه السنة.

ولما مات المنصور أرتق أرسلان ملك بعده ابنهُ الملك السعيد نجم الدين غازي بن أرتق حتى توفي في سنة ثلاث وخمسين وستمائة ظناً.

ثم ملك بعده في السنة المذكورة ابنه الملك المظفر قرا أرسلان بن غازي وكانت وفاة الملك المظفر قرا أرسلان المذكور سنة إحدى وتسعين وستمائة ظناً، ثم ملك بعده ولده الأكبر شمس الدين داود بن قرا أرسلان سنة وتسعة اشهر، ثم توفي وملك بعده أخوه الملك المنصور نجم الدين غازي في سنة ثلاث وتسعين وستمائة.

وفي سنة ثمان وثلاثين وستمائة:

قبض[١] الملك الصالح أيوب بعد استقراره في مصر على أيبك الأسمر مقدم المماليك الأشرفية / ٢٥١/ وعلى غيره من الأمراء والمماليك الذين قبضوا على أخيه، وأودعهم الحبوس، وأخَذَ في إنشاء مماليكه، وشرع في هذه السنة في بناء قلعة بالجيزة[٢] واتخذها مسكناً لنفسه.

وفيها: نزل الحافظ[٣] أرسلان شاه بن الملك العادل بن أيوب عن قلعة جعبر وبالس وسلمهما إلى أخته ضيفة[٤] خاتون صاحبة حلب، وتسلّم عوض ذلك أعزاز وبلاداً معها تساوي ما نزل عنها.

وكان سبب ذلك، أن الملك الحافظ المذكور أصابه فالج، وخشي من أولاده عليه، ففعل ذلك لأنه كان ببلاد قريبة[٥] لا يمكنهم التعرض إليه.

وفيها: كثر[٦] عبث الخوارزمية وفسادهم بعد مفارقة الصالح أيوب البلاد الشرقية، وساروا إلى قرب حلب، فخرج إليهم عسكر حلب مع المعظّم توران شاه بن

(١) المختصر ٣/ ١٦٧ وانظر: شفاء القلوب ص٣٧٥.
(٢) في المختصر: الجزيرة، وكذلك في شفاء القلوب ص٣٧٥ و٣٨١ والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٤١.
(٣) انظر ترجمته وخبر نزوله عن أعزاز في: شفاء القلوب ص٣٢٢ ومرآة الزمان و ٧٦٨ وذيل الروضتين ص١٥١ والبداية والنهاية ١٣/ ١٧٤ والشذرات ٥/ ٢٣٣.
(٤) انظر عن ضيفة خاتون: شفاء القلوب ص٣٢٨.
(٥) بعده في المختصر: إلى حلب، وانظر الخبر في شفاء القلوب ص٣٢٢.
(٦) المختصر ٣/ ١٦٧ وانظر شفاء القلوب ص٤١٠ وهو ينقل عن المختصر أيضاً.

صلاح الدين، ووقع بينهم القتال، فانهزم الحلبيون هزيمة قبيحة، وقتل منهم خلق كثير، منهم الملك الصالح بن الملك الأفضل بن السلطان صلاح الدين، وأُسر مقدم الجيش الملك المعظّم المذكور.

واستولى الخوارزميون على أثقال الحلبيين، وأسروا منهم عدّة كثيرة، ثم كانوا يقتلون بعضهم ليشتري غيره نفسه منهم بمال، فأخذوا بذلك شيئاً كثيراً، ثم لم يزل الخوارزمية بعد ذلك على جبلان، وكثر فسادهم في بلاد حلب وجفل أهل الحواضر والبلاد، ودخلوا حلب، واستعدّ أهلُها للحصار.

وارتكبت / ٢٥٢/ الخوارزمية من الزنا والفواحش والقتل ما ارتكبوه التتر، ثم سارت الخوارزمية إلى منبج، وهاجموها بالسيف يوم الخميس لتسع بقين من ربيع الأول وفعلوا من القتل والنهب مثل ما تقدم ذكره، ثم رجعوا إلى بلادهم وهي حرّان وما معها بعد أن خربوا بلد حلب، ثم إن الخوارزمية رحلوا من حران وقطعوا الفرات من الرقة ووصلوا إلى الجبّول وتل أعزاز ثم إلى سرمين، ثم إلى المعّرة، وهم ينهبون ما يجدونه، فإن الناس جفلوا من بين أيديهم.

وكان قد وصل الملك المنصور إبراهيم صاحب حمص ومعه عسكر من عسكر الصالح إسماعيل المستولي على حمص نجدةً للحلبيين، واجتمع الحلبيون مع صاحب حمص المذكور، وقصدوا الخوارزمية، واستمرت الخوارزمية على ما هم عليه من النهب حتى نزلوا على شيزر، ونزل عسكر حلب على تل السلطان[1]، ثم رحلت الخوارزمية إلى جهة حماة، ولم يتعرضوا إلى نهب لانتماء صاحبها الملك المظفر إلى الملك الصالح أيوب.

ثم سارت الخوارزمية إلى سلمية ثم إلى الرصافة طالبين الرقة، وسار عسكر حلب من تل السلطان إليهم ولحقتهم العرب، فأرمت الخوارزمية ما كان معهم من المكاسب[2]، وسيَّبوا الأسرى ووصلت الخوارزمية إلى الفرات في أواخر شعبان هذه السنة.

ولحقهم عسكر حلب وصاحب حمص[3] قاطع صفين، فعمل لهم الخوارزمية ستائر ووقع القتال بينهم إلى الليل / ٢٥٣/ فقطع الخوارزمية الفرات وساروا إلى حرّان، فسار عسكر حلب إلى البيرة، وقطعوا[4] الفرات منها، وقصدوا الخوارزمية.

---

(١) تل السلطان، موضع بينه وبين حلب مرحلة نحو دمشق (معجم البلدان ٢/ ٤٢).
(٢) الأصل: الكسب، والتصويب عن المختصر.
(٣) في المختصر (صاحب حمص إبراهيم)، وهو الملك المنصور إبراهيم بن شيركوه.
(٤) الأصل: وقطع.

واتّقعوا قرب الرها لتسع بقين من رمضان هذه السنة، فولى الخوارزمية منهزمين[١] وركب صاحب حمص وعسكر حلب أقفيتهم يقتلون ويأسرون إلى أن حال الليل بينهم، ثم سار عسكر حلب إلى حرّان فاستولوا عليها وهربت الخوارزمية إلى بلد عانة، وبادر بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل إلى نصيبين ودارا[٢]، وكانتا للخوارزمية، وخلّص من كان بهما من الأسارى.

وكان منهم الملك المعظم توران شاه بن السلطان صلاح الدين أسيراً في بلدة دارا من حين أسروه من كسرة الحلبيين، فحمله بدر الدين لؤلؤ إلى الموصل، وقدّم له ثياباً وتحفاً، وبعث به إلى عسكر حلب.

واستولى عسكر حلب «على» الرقة والرها وسروج وراس عين وما مع ذلك، واستولى المنصور إبراهيم صاحب حمص على بلد الخابور، ثم سار عسكر حلب ووصل إليهم نجدة من الروم، وحاصروا الملك المظفر بن الملك الصالح أيوب بآمد، وتسلّموها منه، وتركوا له حصن كيفا وقلعة الهيْم.

ولم يزل ذلك مدّة حتى توفي أبوه الصالح أيوب بمصر، وسار إليها المعظم وبقي ولده الملك الموحّد عبد الله بن المعظم توران شاه بن الصالح أيّوب مالكاً لحصن كيفا إلى أيام التتر، وطالت مدته بها.

وفي هذه السنة: / ٢٥٤/ كان[٣] هلاك الملك الجواد يونس بن مودود بن الملك العادل، وصورة ما جرى له أنه كان قد استولى بعد ملك دمشق على سنجار وعانة، فباع عانة من الخليفة المستنصر بمال تسلّمه منه، وسار لؤلؤ صاحب الموصل وحاصر سنجار والملك الجواد غائب عنها، واستولى عليها، ولم يبق بيد الجواد شيء من البلاد، فسار على البريّة إلى غزة، وأرسل إلى الملك الصالح أيوب صاحب مصر يسأله في المصير إليه، فلم يجبه إلى ذلك، فسار الجواد ودخل عكّا، وأقام مع الفرنج، فأرسل الصالح إسماعيل صاحب دمشق وبذل مالاً للفرنج وتسلّم الجواد منهم، واعتقله ثم خنقه[٤].

وفيها: ولى[٥] الملك الصالح أيوب الشيخ عز الدين عبد العزيز[٦] بن عبد

---

(١) في الأصل: منهزمون.

(٢) دارا: بلدة بين نصيبين وماردين (معجم البلدان ٢/ ٤١٨).

(٣) المختصر ٣/ ١٦٩. وانظر ترجمته في فوات الوفيات ٤/ ٣٩٦ ومرآة الزمان ٨/ ٧٤٣ والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٤٨ ومرآة الجنان ٤/ ١٠٤ والبداية والنهاية ١٣/ ١٦٣ وشفاء القلوب ص٣٨٨.

(٤) كان ذلك سنة ٦٤١هـ وانظر التفاصيل في شفاء القلوب ص٣٩٢.

(٥) المختصر ٣/ ١٦٩ وانظر البداية والنهاية ١٣/ ١٥٥.

(٦) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن، الشيخ عز الدين، أبو محمد السلمي

=

السلام القضاء بمصر والوجه القبلي، وكان الشيخ عز الدين بدمشق، فلما قوي خوف الصالح إسماعيل صاحب دمشق من ابن أخيه الصالح أيوب سلم الصالح إسماعيل صفد والشقيف للفرنج ليعضدوه ويكونوا معه على ابن أخيه الصالح أيوب.

فعظم ذلك على المسلمين، وأكثر الشيخ عز الدين بن عبد السلام التشنيع على الصالح إسماعيل بسبب ذلك وكذلك جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب، ثم خافا من الصالح إسماعيل فسار الشيخ عز الدين إلى مصر وتولى القضاء بها كرهاً.

وسار جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب إلى الكرك فأقام عند صاحبها الناصر داود، ونظم له / ٢٥٥/ مقدمة الكافية في النحو، ثم بعد «ذلك» سافر ابن الحاجب إلى الديار المصرية.

ودخلت[1] سنة تسع وثلاثين:

والصالح إسماعيل صاحب دمشق والمنصور إبراهيم بن شيركوه صاحب حمص وصاحبة حلب متفقون على عداوة الملك الصالح أيوب صاحب مصر.

ولم يوافقهم المظفر صاحب حماة على ذلك، وأَخْلَصَ في الانتماء إلى صاحب مصر.

وفيها: اتفقت[2] الخوارزمية مع المظفر غازي بن الملك العادل بن أيوب صاحب ميافارقين.

وفي شعبان منها، أصاب[3] المظفر صاحب حماة الفالج وهو جالس بين أصحابه بقلعة حماة، وبقي أياماً لا يتكلم ولا يتحرك، وكان ذلك في أواخر الشتاء، وأرجف الناس بموته، وقام بتدبير المملكة مملوكه وأستاذ داره سيف الدين طغريل، ثم خفّ مرض الملك المظفر، وفتح عينَهُ وصار يتكلم باللفظة واللفظتين، لا يكاد يفهم، وكان العاطب الجانب الأيمن منه.

وبعث إليه الصالح أيوب صاحب مصر طبيباً حاذقاً نصرانياً يقال له النفيس بن

= الدمشقي الشافعي، ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمس مائة، وتوفي سنة ٦٦٠هـ، وكان ناسكاً ورعاً أمّاراً بالمعروف انظر: الوافي بالوفيات ١٨/ ٥٢٠ وذيل الروضتين ١٧٠ و ٢١٦ والعبر ٥/ ٢٦٠ وفوات الوفيات ٢/ ٣٥٠ والبداية والنهاية ١٣/ ٢٣٥ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٠٨ وشذرات الذهب ٥/ ٣٠١.

(١) المختصر ٣/ ١٦٩.

(٢) المختصر ٣/ ١٦٩ والعسجد المسبوك ص٥٠١.

(٣) المختصر ٣/ ١٦٩ وانظر الخبر بنصه في شفاء القلوب ٤٠٥ وواضح أن صاحب الشفاء ينقل عن المختصر أيضاً.

طليب ولم تنجع فيه المداواة، واستمر على ذلك إلى أن توفي بعد سنتين[١].

وفي ذي الحجة منها: توفي[٢] الملك الحافظ نور الدين أرسلان شاه بن الملك العادل بن أيوب بأعزاز، وهي التي تعوضها عن قلعة جعبر، ونقل إلى حلب فدفن بالفردوس، وتسلم نواب الملك الناصر يوسف صاحب حلب قلعة أعزاز وأعمالها.

وفي سنة أربعين وستمائة:

كان[٣] بين /٢٥٦/ الخوارزمية ومعهم المظفر غازي صاحب ميافارقين، وبين عسكر حلب ومعهم المنصور إبراهيم صاحب حمص مصاف قرب الخابور عند المجدل في يوم الخميس لثلاث بقين من صفر هذه السنة.

فولّى المظفر غازي والخوارزمية منهزمين[٤] أقبح هزيمة، ونهب منهم عسكر حلب شيئاً كثيراً، ونهبت وطاقات الخوارزمية ونساؤهم أيضاً، ونزل الملك المنصور إبراهيم في خيمة المظفر غازي واحتوى على خزانته ووطاقه، ووصل عسكر حلب وصاحب حمص إلى حلب في مستهل جمادى الأولى مؤيدين منصورين.

وفي إحدى عشرة ليلة خَلَت من جمادى الأولى توفيت[٥] ضيفة خاتون بنت الملك العادل صاحبة حلب، وكان مرضها قرحة في مراق[٦] البطن وحمّى ودفنت بقلعة حلب.

وكان مولدها سنة إحدى وثمانين وخمس مائة بقلعة حلب حين كانت حلب لأبيها الملك العادل قبل أن ينتزعها منه أخوه السلطان صلاح الدين ويعطيها لابنه الظاهر غازي، واتفق مولدها ووفاتها بقلعة حلب، ولما ولدت كان عند أبيها العادل ضيف، فسماها ضيفة وكانت مدة عمرها نحو إحدى وستين سنة.

وكان الملك الظاهر صاحب حلب قد تزوج قبل ضيفة خاتون المذكورة بأختها غازية، فلما توفيت غازية تزوج بضيفة المذكورة.

وكانت ضيفة خاتون قد ملكت حلب بعد وفاة ابنها العزيز، وتصرفت في الملك تصرف السلاطين، /٢٥٧/ وقامَتْ بالملك أحسن قيام، فمدة ملكها نحو ست سنين،

---

(١) سيذكر المؤلف خبر وفاته فيما بعد.

(٢) المختصر ٣/ ١٦٩ وانظر ترجمة أرسلان شاه في شفاء القلوب ص٣٢١ ومفرج الكروب ٣/ ٢٧٥ وترويح القلوب ص٦٠.

(٣) المختصر ٣/ ١٧٠ وانظر الخبر في شفاء القلوب ص٣٣١ والحوادث الجامعة ص١٥١ والعسجد المسبوك ص٥٠٦.

(٤) في الأصل: منهزمون.

(٥) المختصر ٣/ ١٧١.

(٦) مراق: بتشديد القاف، وهو ما سفل من البطن عند الصفاق أسفل من السرة (اللسان: مرق).

ولما توفيت كان عمر «ابن»[(١)] ابنها الناصر بن العزيز نحو ثلاث عشرة سنة، فأشهد عليه أنه بلغ وحكم واستقل بمملكة حلب وما هو مضاف إليها، والمرجع في الأمور إلى جمال الدولة[(٢)] إقبال الخصي الأسود الخاتوني.

وفي هذه السنة: توفي[(٣)] الخليفة المستنصر بالله أبو جعفر المنصور بن الظاهر محمد بن الإمام الناصر بكرة الجمعة لعشرٍ خلون من جمادى الآخرة.

وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة إلا شهراً، وكان حسن السيرة عادلاً في الرعية، وهو الذي بنى المدرسة ببغداد المسماة بالمستنصرية على جنب الدجلة من الجانب الشرقي مما يلي دار الخلافة، وجعل لها أوقافاً جليلة على أنواع البر.

ولما توفي المستنصر اتفق آراء «أرباب»[(٤)] الدولة مثل الدوادار «و»[(٥)] الشرابي[(٦)] على تقليد الخلافة ولده عبد الله، ولقبوه المستعصم بالله سابع ثلاثين بني العباس وآخرهم، وكنيته أبو أحمد بن المستنصر منصور بن الظاهر.

وكان المستعصم ضعيف الرأي فاستبدّ كبراء دولته في الأمر، وحسَّنوا له قطع الأخبار وجمع المال، ومداراة التتر، ففعل ذلك، وقطع أكثر العساكر.

سنة إحدى وأربعين إلى سنة خمسين وستمائة:

فيها: قَصَدَت[(٧)] التتر بلاد غياث الدين كيخسرو بن كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان /٢٥٨/ السلجوقي صاحب بلاد الروم، فأرسل واستنجد بالحلبيين فأرسلوا إليه نجدةً مع ناصح الدين الفارسي، فجمع العساكر من كل جهة والتقى مع التتر، وانهزمت عساكر الروم، وقتل التتر منهم خلقاً كثيراً، وتحكمت[(٨)] التتر في البلاد، واستولوا على آمد وخلاّط وبلادهما، وهرب غياث الدين كيخسرو إلى بعض الأماكن، ثم أرسل إلى التتر ودخل في طاعتهم، ثم توفي غياث الدين المذكور في سنة أربع وخمسين وستمائة، وخلف ولدين صغيرين وهما ركن الدين وعز الدين، ثم هرب عز

---

(١) التكملة عن المختصر.
(٢) في المختصر: جمال الدين.
(٣) المختصر ٣/ ١٧١ وانظر البداية والنهاية ١٣/ ١٥٩ وتاريخ الخلفاء ص٤٦٣ وتاريخ مختصر الدول ص٢٥٣ والعسجد المسبوك ص٥٠٦ ومرآة الزمان جـ ٨ ق٢ ص٧٣٩ والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٤٥ والفخري ص٢٦٦ والحوادث الجامعة ص١٥٥ وأنساب العيون [الورقة ٢٤٩].
(٤) التكملة عن المختصر.
(٥) الزيادة عن المختصر.
(٦) إقبال الشرابي شرف الدين المتوفى سنة ٦٥٣هـ، الحوادث الجامعة ٣٠٨.
(٧) المختصر ٣/ ١٧١. وانظر بعض الخبر في النجوم الزاهرة ٦/ ٣٤٦.
(٨) في الأصل: تحملت.

الدين إلى قسطنطينية، وبقي ركن الدين في الملك تحت حكم التتر، والحاكم البرواناه معين الدين سليمان، والبرواناه لقبه وهو اسم الحاجب بالعجمي، ثم إن البرواناه قتل ركن الدين وأقام في الملك ولداً له صغيراً.

وفيها: كانت[١] المراسلة بين الصالح أيوب صاحب مصر وبين الصالح إسماعيل صاحب دمشق في الصلح، وأن يطلق الصالح إسماعيل «المغيث» فتح الدين عمر بن الصالح أيوب وحسام الدين بن أبي علي الهذباني، وكانا معتقلين عند الصالح إسماعيل.

فأطلق حسام الدين بن أبي علي واستمر الملك المغيث بن الصالح أيوب في الاعتقال.

واتفق الصالح إسماعيل مع الناصر داود صاحب الكرك واعتضدا بالفرنج وسلّما أيضاً إلى الفرنج عسقلان وطبريّة، فعمّر الفرنج قلعتيهما وسلّما أيضاً إليهما القدس بما فيها من المزارات.

قال ابن واصل[٢]: ومررت إذ ذاك بالقدس متوجهاً إلى مصر، ورأيت القسوس قد جعلوا على الصخرة قناني / ٢٥٩/ الخمر للقربان.

وفي سنة اثنتين وأربعين:

كان[٣] المصاف بين عسكر مصر وبين عسكر دمشق فوصلت الخوارزمية إلى غزّة باستدعاء الملك الصالح أيوب لنصرته على عمّه الصالح إسماعيل.

وكان مسيرهم على حارم والروج إلى أطراف دمشق حتى وصلوا إلى غزة، ووصل إليهم عدّة كثيرة من العساكر المصرية مع ركن الدين بيبرس مملوك الملك الصالح أيوب، وكان من أكبر مماليكه «وهو الذي» معه إلى حبس الكرك، وأرسل الصالح إسماعيل عسكر دمشق مع الملك المنصور إبراهيم صاحب حمص، وسار صاحب حمص جريدة ودخل عكا، واستدعى الفرنج على ما كان قد وقع عليه اتفاقهم ووعدهم بجزء من بلاد مصر فخرجت الفرنج بالفارس والراجل واجتمعوا بصاحب حمص وعسكري دمشق والكرك.

---

(١) المختصر ٣/ ١٧٢ وانظر الخبر في شفاء القلوب ص٣٧٥ والبداية والنهاية ١٣/ ١٦٢ والنجوم الزاهرة ٦/٣٤٦.

(٢) نقلاً عن المختصر وانظر: شفاء القلوب ص٣٧٥ وقد نقل لها ابن واصل عن المختصر أيضاً.

(٣) المختصر ٣/ ١٧٢ وانظر الخبر في شفاء القلوب ص٣٧٦ والبداية والنهاية ١٣/ ١٦٤.

ولم يحضر الناصر داود صاحب الكرك والتقى الفريقان بظاهر غزّة، فولى عسكر دمشق وإبراهيم صاحب حمص والفرنج منهزمين وتبعهم عسكر مصر والخوارزمية، فقتلوا منهم خلقاً عظيماً واستولى الملك الصالح أيوب صاحب مصر على غزة والسواحل والقدس ووصلت الرؤوس إلى مصر فدقّت بها البشائر عدة أيام، ثم أرسل الصالح أيوب باقي عسكر مصر مع معين الدين بن الشيخ واجتمع إليه مَنْ بالشام من عسكر مصر والخوارزمية وساروا إلى دمشق وحاصروها وبها الصالح إسماعيل وإبراهيم بن شيركوه صاحب حمص.

وخرجت السنة وهم محاصرون.

وفي هذه / ٢٦٠/ السنة: توفي الملك[١] المظفر صاحب حماة تقي الدين محمود يوم السبت ثامن جمادى الأولى من هذه السنة.

وكانت مدة تملكه لحماة خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وعشرة أيام.

وكان مريضاً بالفالج سنتين وتسعة أشهر وأياماً، وكانت وفاتُهُ وهو مفلوج بحمّى حادة عرضت له، وكان عمره ثلاثاً وأربعين سنة، وكان شهماً شجاعاً ذكياً، وكان يحب الفضائل وأهل العلوم[٢].

استخدم الشيخ علم الدين قيصر[٣] المعروف بتعاسيف، وكان مهندساً فاضلاً في العلوم الرياضيّة، فبنى للمظفر أبراجاً بحماة وطاحوناً على النهر العاصي، وعمل له كرةً من الخشب مدهونةً رسم فيها جميع الكواكب المرصودة وعملت هذه الكرة بحماة.

قال ابن واصل: وساعدت الشيخ علم الدين على عملها وكان المظفر يحضر ونحن نرسمها، ويسألنا عن مواضع دقيقة فيها.

---

(١) في المختصر: جد الملك المظفر صاحب حماة تقي الدين محمود بن المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب. وأما حفيده فهو أيضاً: الملك المظفر محمود بن محمد بن محمود توفي سنة ٦٩٨هـ. انظر ترجمته في شفاء القلوب ص٤٥٣ والبداية والنهاية ١٣/ ٣٠٥ والنجوم الزاهرة ٨/ ١٩٨ والعسجد المسبوك ص٥٣٣ وذيل الروضتين ص١٧٠ وفيه أنه توفي سنة ٦٣٨هـ.

(٢) في المختصر وشفاء القلوب: أهل الفضائل والعلوم.

(٣) علم الدين قيصر بن عبد الغني بن مسافر الأسفوني، ويعرف بتعاسيف، ولد بأصفون، قرية بصعيد مصر سنة ٥٧٤ أو ٥٦٤هـ وسمع من مشاهير عصره بمصر وحلب وأقام بحماة ودرّس بالمدرسة النورية، وتوفي بدمشق سنة ٦٤٩هـ، انظر الوافي بالوفيات ٢٤/ ٣٠٤ وفيه إنه ولد سنة ٥٥٧هـ، والطالع السعيد ٤٦٩ والوفيات ٥/ ٣١٥.

ولما مات المظفر صاحب حماة، ملك بعده ولده الملك المنصور[(١)] محمد وعمره حينئذ عشر سنين وشهراً واحداً وثلاثة عشر يوماً.

والقائم بتدبير المملكة سيف الدين طغريل مملوك المظفر ومشاركة الشيخ شرف الدين عبد العزيز[(٢)] المعروف بشيخ الشيوخ والطواشي مرشد والوزير بهاء الدين بن التاج، ومرجع الجميع[(٣)] إلى والدة الملك المنصور غازية خاتون بنت الملك الكامل.

وفيها: بلغ[(٤)] الصالح نجم الدين أيوب وفاة ولده المغيث فتح الدين عمر في حبس الصالح إسماعيل صاحب دمشق.

فاشتد حزن الصالح أيّوب على ولده / ٢٦١/ وكثر حنقُهُ على الصالح إسماعيل.

وفيها: توفي[(٥)] الملك المظفر شهاب الدين غازي بن الملك العادل صاحب ميافارقين، واستقرّ بعده في ملكه ولده الملك الكامل[(٦)] ناصر الدين محمد.

وفيها: سار[(٧)] من حماة الشيخ تاج الدين أحمد بن محمد بن نصر الله المعروف بابن المغيرك[(٨)] رسولاً إلى خليفة بغداد «وصحبته تقدمة من السلطان الملك المنصور صاحب حماة»[(٩)].

---

(١) الملك المنصور محمد، ناصر الدين، أبو المعالي، صاحب حماة، ولد سنة ٦٣٢هـ وولي حماة سنة ٦٤٢هـ وحضر وقعة عين جالوت مع المظفر قطز سنة ٦٥٨هـ فأحسن إليه المظفر وأقره على حماة وبأرين وأعاد عليه المعرّة، وفي سنة ٦٦٤ قدمه الظاهر بيبرس إلى حرب الأرمن فوصل إلى سيس، ثم عاد منتصراً، توفي بحماة سنة ٦٨٣هـ انظر: شفاء القلوب ص٤٣٩ والوافي ٥/ ١١ والبداية والنهاية ١٣/ ٣٠٥ والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٦٣ والشذرات ٥/ ٣٨٤.

(٢) عبد العزيز بن محمد الأنصاري الشيخ شرف الدين، ولد بدمشق سنة ٥٨٦هـ، وتوفي سنة ٦٦٢هـ. وكان أديباً شاعراً له ديوان طبع بتحقيق عمر موسى، ونشر بدمشق سنة ١٩٦٧، انظر: فوات الوفيات ١/ ٥٩٨، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢١٤.

(٣) في الأصل: والمرجع في الجميع، والتصويب عن المختصر.

(٤) المختصر ٣/ ١٧٣.

(٥) المختصر ٣/ ١٧٣ وانظر ترجمة المظفر غازي في: شفاء القلوب ٣٢٢ ومرآة الزمان ٨/ ٧٦٨ وذيل الروضتين ص١٥١ السلوك ١/ ٣٣٢ والبداية والنهاية ٣/ ١٧٤ والشذرات ٥/ ٢٧٣.

(٦) انظر ترجمة الكامل محمد في شفاء القلوب ص٣٨٧ وذيل الروضتين ٢٠٠٥ والسلوك ١/ ٤٤١ والنجوم الزاهرة ٧/ ٩١ والشذرات ٥/ ٢٩٥ والوافي ٤/ ٣٠٧.

(٧) المختصر ٣/ ١٧٣ وفيه (سير).

(٨) في المختصر: المعروف بيته ببني المغيرك.

(٩) ما بين قوسين سقط من الأصل، وسقط بعده خبر وفاة القاضي شهاب الدين إلى قوله: فمرض في المعرة واختلط الخبران، وقراءة الأصل: أن تاج الدين أحمد هو الذي مرض في المعرة ومات بحماة، وهو صاحب التاريخ المظفري.

«وفيها: توفي القاضي شهاب الدين إبراهيم[١] بن عبد الله بن عبد المنعم بن علي بن محمد الشافعي، عرف بابن أبي الدم قاضي حماة، وكان قد توجه في الرسلية إلى بغداد»[٢] فمرض في المعرة، وعاد إلى حماة مريضاً فتوفي بها، وهو الذي ألف التاريخ الكبير المظفري وغيره.

وفي[٣] سنة ثلاث وأربعين:

سيّر الصالح إسماعيل وزيره أمين الدولة الذي كان سامرياً وأسلم إلى العراق مستشفعاً إلى الخليفة ليصلح بينه وبين ابن أخيه، فلم يجب الخليفة إلى ذلك، وكان أمين الدولة غالباً على الصالح إسماعيل وأنه كان لا يخرج عن رأيه.

وفيها: تسلم[٤] عسكر الملك الصالح أيوب ومقدمهم معين الدين بن الشيخ دمشق من الصالح إسماعيل بن الملك العادل، وكان محصوراً معه بدمشق إبراهيم بن شيركوه صاحب حمص، فتسلم دمشق على أن يستقر بيد الصالح إسماعيل بعلبك وبصرى والسواد، ويستقر بيد صاحب حمص «حمص»[٥] وما هو مضاف إليها، فأجابهما معين الدين بن الشيخ إلى ذلك.

ووصل إلى دمشق حسام الدين بن أبي علي بمن كان معه من العسكر المصري، واتفق بعد تسليم دمشق أن معين الدين بن الشيخ مرض وتوفي بها، وبقي حسام الدين بن أبي علي نائباً بدمشق للملك الصالح أيوب.

ثم إن الخوارزمية خرجوا عن طاعة الملك الصالح / ٢٦٢/ أيوب، فإنهم كانوا يعتقدون أنهم إذا كسروا الصالح إسماعيل وفتحوا دمشق يحصل لهم من البلاد والإقطاعات ما يرضي خواطرهم، فلما لم يحصل لهم ذلك خرجوا عن طاعة الصالح إسماعيل، وانضّم إليهم الناصر داود صاحب الكرك، وساروا إلى دمشق وحصروها، وغَلَتْ بها الأقوات، وقاسى أهلها شدة عظيمة لم يُسمَع بمثلها، وقام حسام الدين بن أبي علي الهذباني في حفظ دمشق أتم قيام.

---

(١) ولد سنة ٥٨٣هـ، رحل وسمع ببغداد وحدث بالقاهرة وحماة وحلب، وكان أديباً شاعراً، انظر ترجمته في الوافي ٦/ ٣٣ وشذرات الذهب ٥/ ٢١٣.

(٢) ما بين قوسين سقط من الأصل، والتكملة عن المختصر.

(٣) المختصر ٣/ ١٧٤. وانظر الخبر في شفاء القلوب ص٣٧٦.

(٤) المختصر ٣/ ١٧٤. وانظر الخبر في شفاء القلوب ص٣٧٧.

(٥) التكملة عن المختصر.

وفيها: قصدت[١] التتر بغداد، وخرجت عساكر بغداد للقائهم، فلم يكن للتتر بهم طاقة، فولّوا منهزمين تحت الليل.

وفيها: توفيت[٢] ربيعة خاتون بنت أيوب أخت السلطان صلاح الدين بدار العقيقي، وكانت قد جاوَزَت ثمانين سنة، وبنت مدرسة للحنابلة بجبل الصالحيّة.

وفيها[٣]: لما تسلم الملك الصالح أيوب دمشق، تسلمت نواب الملك المنصور صاحب حماة سلمية وانتزعوها من صاحب حمص، واستقرت سلمية في هذه السنة «في»[٤] ملك «الملك»[٥] صاحب حماة.

ثم دخلت سنة أربع وأربعين:

كنّا[٦] قد ذكرنا اتفاق الخوارزمية مع الصالح إسماعيل والناصر داود، ومحاصرتهم دمشق وبها حسام الدين بن أبي علي ولما وقع ذلك اتفق الحلبيون والملك المنصور إبراهيم صاحب حمص وساروا مع الصالح أيوب وقصدوا الخوارزمية، فرحلت الخوارزمية عن دمشق وساروا نحو الحلبيين وصاحب حمص، والتقوا على القصب في هذه السنة.

وفي هذه / ٢٦٣/ السنة: انهزمت الخوارزمية هزيمةً قبيحة تشتت شملهم بعدها، وقُتل مقدمهم حسام الدين بركة خان وحمَل رأسه إلى حلب، ومَضَت طائفة من الخوارزمية مع مقدمهم كشلوخان الخوارزمي فلحقوا بالتتر، وصاروا معهم، وانقطع منهم جماعة، وخدموا في الشام، وكفى الله الناس شرّهم.

ولما وصل خبر كسرتهم إلى الملك الصالح أيوب بديار مصر فرح فرحاً عظيماً، ودقّت البشائر بمصر، وزال ما كان عنده من الغيظ على إبراهيم صاحب حمص، وحصل بينهما التصافي بسبب ذلك.

وأما الصالح إسماعيل فإنه سار إلى الناصر يوسف صاحب حلب فاستجار به،

---

(١) المختصر ٣/ ١٧٤ والعسجد المسبوك ص٥٣٥ والحوادث الجامعة ص١٩٩.

(٢) المختصر ٣/ ١٧٤، وربيعة خاتون، تزوجت سعد الدين أز، ثم مات فتزوجها مظفر الدين صاحب أربل، فأقامت بها، ثم قدمت دمشق، وتوفت بها، وكان لها تواليف ومجموعات، انظر شفاء القلوب من ٢٣٠ ومرآة الزمان ٨/ ٧٥٦ وذيل الروضتين ١١٧ والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٥٣ والشذرات ٥/ ٢١٨ والبداية والنهاية ١٣/ ١٧٠ والعسجد المسبوك ص٥٤٢ وفيه: أم ربيعة خاتون.

(٣) المختصر ٣/ ١٧٤.

(٤) التكملة عن المختصر.

(٥) التكملة عن المختصر.

(٦) المختصر ٣/ ١٧٥. وانظر الخبر في شفاء القلوب ص٣٧٧ والبداية والنهاية ١٣/ ١٧١.

فأرسل الصالح أيوب يطلبه فلم يسلّمه الناصر يوسف إليه.

ولما جرى ذلك رحل حسام الدين بن أبي علي الهذباني بعسكر دمشق وحاصر بعلبك وبها أولاد الصالح إسماعيل وتسلّمها بالأمان وحمل أولاد الصالح إسماعيل إلى الملك الصالح أيوب صاحب مصر فاعتقلوا هناك وكذلك بعث أمين الدولة وزير الصالح إسماعيل وأستاذ داره ناصر الدين يغمور فاعتقلا بمصر أيضاً.

وزينت القاهرة ومصر، ودقت البشائر بهما لفتح بعلبك، واتفق في هذه الأيام وفاة صاحب عجلون سيف الدين بن قليج أرسلان، فتسلم الصالح أيوب عجلون.

ولما جرى ما ذكرناه أرسل الصالح أيوب عسكراً مع الأمير فخر الدين يوسف بن الشيخ، وكان المذكور قد اعتقله العادل أبو بكر بن الملك الكامل، ثم لما ملك / ٢٦٤/ الملك الصالح أيوب مصر أفرج عنه وأمره بملازمة بيته، فلازمه مدّة، ثم قدّمه في هذه السنة على العسكر وجهزه إلى حرب داود صاحب الكرك.

فسار فخر الدين المذكور واستولى على جميع بلاد الملك الناصر وولى عليها، وسار إلى الكرك وحاصرها وخرب ضياعها، وأضعف الملك الناصر داود ضعفاً بالغاً، ولم يبق بيده غير الكرك بمفردها.

وفيها[1]: حبس الصالح مملوكه بيبرس، وهو الذي كان معه لما اعتقل بالكرك وسببه أن بيبرس المذكور مال إلى الخوارزمية وإلى الناصر داود وصار معهم على أستاذه لما جرّده إلى غزة، فأرسل أستاذه الصالح أيوب واستماله فوصل إليه فاعتقله في هذه السنة، وكان آخر العهد به.

وفيها[2]: أرسل الملك المنصور إبراهيم بن شيركوه صاحب حمص وطلب دستوراً من الملك الصالح أيوب ليصير إلى بابه وينتظم في سلك خدمته، وكان قد حصل بإبراهيم المذكور السل[3] وسار على تلك الحالة[4] إلى الديار المصرية، ووصل دمشق فقوى به المرض، وتوفي بدمشق، فنقل إلى حمص، وملك بعده ولده الملك الأشرف مظفر الدين موسى[5].

---

(١) المختصر ٣/ ١٧٦.

(٢) المختصر ٣/ ١٧٦. وانظر ترجمته وخبر وفاته في مرآة الزمان جـ٨ ق٢ ص٧٦٤ والبداية والنهاية ١٣/ ١٧٢ والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٥٦ والعسجد المسبوك ٥٤٨.

(٣) في الأصل: «الشك» والتصويب عن المختصر. انظر شفاء القلوب ص٣٣٢.

(٤) بعدها في المختصر: من حمص متوجهاً.

(٥) الملك الأشرف موسى، آخر ملوك الأيوبيين من بني شيركويه في حمص، توفي سنة ٦٦١هـ انظر

=

وفيها[١]: بعد فتوح دمشق وبعلبك استدعى الملك الصالح أيوب حسام الدين بن أبي علي إلى مصر، وأرسل موضعه نائباً بدمشق الأمير جمال الدين بن مطروح، ولما وصل حسام الدين إلى مصر استنابه الملك الصالح بها وسار الصالح أيوب إلى دمشق، ومنها إلى بعلبك، ثم عاد / ٢٦٥/ إلى دمشق، ووصل إلى خدمته بدمشق الملك المنصور محمد صاحب حماة والملك الأشرف موسى صاحب حمص، فأكرمهما وردّهما إلى بلادهما، واستمر الملك الصالح أيوب بالشام حتى خرجت السنة.

وفي سنة خمس وأربعين:

عاد[٢] الملك الصالح نجم الدين أيوب من الشام إلى الديار المصرية.

وفيها: فتح[٣] فخر الدين بن الشيخ قلعتي عسقلان وطبرية والملك الصالح بعد بالشام محاصرها، وكنا قد ذكرنا تسليمها إلى الفرنج في سنة إحدى وأربعين وستمائة فعمروها، واستمرتا بيد الفرنج حتى فتحتا هذه السنة.

وفيها: سلّم[٤] الأشرف صاحب حمص شميميس[٥] للملك الصالح أيوب فعظم ذلك على الحلبيين لئلا يحصل الطمع للملك الصالح في ملك باقي الشام.

وفيها: توفي[٦] الملك العادل أبو بكر بن الملك الكامل بالحبس، وأمه بنت الفقيه نصر، وتعرف بالست السوداء، وكان مسجوناً من حين قبض عليه ببلبيس إلى هذه الغاية، فكان مدة مقامه بالسجن ثمان سنين، وكان عمره نحو ثلاثين سنة، وخلف ولداً صغيراً هو الملك المغيث فتح الدين عمر وهو الذي ملك الكرك فيما بعد، وقتله الملك الظاهر بيبرس على ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

وفيها: توجّه[٧] الطواشي مرشد الدين المنصوري ومجاهد الدين أمير جندار[٨]

= ترجمته في: شفاء القلوب ص٣٩٤ وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣١٠ والسلوك ١/ ٥٢٢ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢١٥ والشذرات ٥/ ٣١١.

(١) المختصر ٣/ ١٧٦.

(٢) المختصر ٣/ ١٧٦ وانظر البداية والنهاية ١٣/ ١٧٣.

(٣) المختصر ٣/ ١٧٦ وانظر الخبر في عيون التواريخ ٢٠/ ١١ ومرآة الزمان ٨/ ٧٦٦.

(٤) المختصر ٣/ ١٧٦ وانظر الخبر في شفاء القلوب ص٣٧٨ وعيون التواريخ ٢٠/ ١١ ومرآة الزمان ٨/ ٧٦٦.

(٥) في المختصر: شمميس، وفي شفاء القلوب شميميش، وفي عيون التواريخ، شميس وفي مرآة الزمان ٨/ ٧٦٦ (سمين).

(٦) المختصر ٣/ ١٧٦.

(٧) المختصر ٣/ ١٧٦.

(٨) الجاندارية كلمة فارسية مركبة من لفظين: جان ومعناه السلاح، ودار ومعناه ممسك، وموضوع =

من حماة إلى حلب وأحضرا بنت الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر صاحب حلب، وهي عائشة[١] خاتون زوج الملك المنصور صاحب حماة، وحضرت معها / ٢٦٦/ أمها فاطمة[٢] خاتون بنت السلطان الملك الكامل، ووصلت إلى حماة في العشر الأوسط من رمضان هذه السنة، وَوَصَلَتْ في محملٍ عظيم في العشر الأوسط من رمضان هذه السنة.

وفي سنة ست وأربعين:

أرسل[٣] الناصر يوسف صاحب حلب عسكراً مع شمس الدين لؤلؤ الأرمني[٤] فحاصروا الملك الأشرف موسى بحمص مدة شهرين فسلم الأشرف إليهم حمص، وتعوّض عنها تل باشر مضافاً إلى ما بيده من تدمر[٥] والرحبة، ولما بلغ[٦] الصالح نجم الدين ذلك شق عليه وسار إلى الشام لارتجاع حمص من الحلبيين، وكان قد حصل له مرض وورم في مأبطه[٧]، ثم فتح وحصل منه ناصور[٨]، ووصل الملك الصالح إلى دمشق وأرسل عسكراً إلى حمص مع حسام الدين بن أبي علي وفخر الدين بن الشيخ، فنازلوا حمص، ونصبوا عليها منجنيقاً مغربياً يرمي بحجر زنته مائة وأربعون رطلاً بالشامي عليها[٩]، واتفق حينئذ وصول الخبر إلى الملك الصالح أيوب وهو بدمشق بوصول الفرنج إلى جهة دمياط وكان أيضاً قد قوي مرضُهُ، ووصل أيضاً نجم الدين البادرائي[١٠] رسول الخليفة.

= وظيفة الجاندارية أن متوليها يستأذن السلطان قبل دخول الأمراء (صحيح الأعشى ٤/ ٢٠).

(١) عائشة خاتون بنت العزيز محمد، انظر ترجمتها في شفاء القلوب ص٤٢٢، ولم يذكر سنة وفاتها.

(٢) فاطمة خاتون بنت الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب، انظر ترجمتها في شفاء القلوب ص٣٨٥.

(٣) المختصر ٣/ ١٧٧.

(٤) لؤلؤ بن عبد الله، مقدم عسكر حلب، قتل سنة ٦٨٨، وكان أميراً مقداماً شجاعاً (النجوم الزاهرة ٧/ ٢١).

(٥) تدمر مدينة قديمة مشهورة في برية الشام بينها وبين حلب خمسة أيام (معجم البلدان ٢/ ١٧).

(٦) انظر خبره في عيون التواريخ ٢٠/ ٢١ ومرآة الزمان ٨/ ٧٧٠ والبداية والنهاية ١٣/ ١٧٤.

(٧) في الأصل: وأبض، والتصويب عن المختصر وفي شفاء القلوب: ماء بيضه.

(٨) في شفاء القلوب: ناسور، وفي النجوم الزاهرة ٦/ ٣٢٨ (ناسور بعسر البول).

(٩) بعده في المختصر: مع عدة منجنيقات أخر، وكان البرد والشتاء قوياً.

(١٠) نجم الدين، عبد الله بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن الحسن البغدادي البادرائي، ولد سنة ٥٩٤هـ. وسمع من جماعة، وحدث ببغداد وحلب ودمشق ومصر، وترسل عن الديوان إلى مصر =

وسعى في الصلح بين الملك الصالح والحلبيين، وأن تستقر حمص بيد الحلبيين، فأجاب الملك الصالح إلى ذلك، وأمر العسكر فرحلوا عن حمص بعد أن أشرفوا على أخذها، ثم رحل الملك الصالح /٢٦٧/ من دمشق لقوّة مرضه، واستناب بدمشق جمال الدين يغمور وعزل ابن مطروح، وأرسل حسام الدين بن أبي علي ليسبقه إلى مصر وينوب عنه بها.

وفيها: توفي[١] عز الدين أيبك المعظمي في محبسه في القاهرة، وكان المذكور قد ملك صرخد في سنة ثمان وستمائة.

قال ابن خلكان[٢]: إنه ملك صرخد سنة إحدى عشرة وستمائة، قال: لأن أستاذه الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أيوب حج في السنة المذكورة، وأخذ صرخد من ابن قراجا وأعطاها لمملوكه أيبك المذكور، واستمرت في يد أيبك إلى سنة أربع وأربعين وستمائة، وأخذها الملك الصالح أيوب بن الملك الكامل من أيبك المذكور، وأمسك أيبك في السنة المذكورة وحبسه في القاهرة في دار الطواشي صواب، واستمر معتقلاً بها حتى توفي في السنة المذكورة، في أوائل جمادى الأولى، ودفن في[٣] تربة شمس الدولة، ثم نقل إلى الشام ودفن في تربةٍ كان قد أنشأها بظاهر دمشق على الشرف الأعلى، مطلة على الميدان الأخضر الكبير.

وفي سنة سبع وأربعين:

سار[٤] ريدافرنس[٥]، وهو من أعظم ملوك الفرنج وريدا بلغتهم هو الملك، أي ملك أفرنس، وأفرنس أمة عظيمة من أمم الفرنج، وكان قد جمع ريدافرنس نحو خمسين ألف مقاتل، وشتّى في جزيرة قبرس، ثم سار ووصل في هذه السنة إلى دمياط.

= والشام وولي قضاء القضاء ببغداد، وكان فاضلاً ديناً، متواضعاً، مات ببغداد سنة ٦٥٥هـ انظر: عيون التواريخ، ٢٠/ ١١٥ وذيل المرآة ١/ ٧١، وطبقات الشافعية للسبكي ٨/ ١٥٩، والنجوم الزاهرة ٧/ ٥٧، والذيل على الروضتين ص١٩٨، والسلوك ١ ق / ٤٠٧.

(١) المختصر ٣/ ١٧٨ وانظر خبر وفاته في وفيات الأعيان ٣/ ٤٩٦ والبداية والنهاية ١٣/ ١٧٤.

(٢) نقلاً عن المختصر، وانظر وفيات الأعيان ٣/ ٤٩٤.

(٣) في المختصر: ودفن في خارج باب النصر في تربة شمس الدين.

(٤) المختصر ٣/ ١٧٨ وانظر الخبر في شفاء القلوب ص٣٧٩ وعيون التواريخ ٢٠/ ٣٠ والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٦٢ والحوادث الجامعة ص٢٣٩ والبداية والنهاية ١٣/ ١٧٧ والعسجد المسبوك ص٥٧٠ وتاريخ مختصر الدول ص٤٥٢.

(٥) الأصل: زيدافنس، والتصحيح عن مصادر الخبر، وقد أطلقت المصادر العربية هذه التسمية على لويس التاسع ملك فرنسا.

وكان قد شحنها الملك الصالح أيوب بآلات عظيمة، /٢٦٨/ وذخائر وافرة، وجعل فيها بني كنانة، وهم مشهورون بالشجاعة، وكان قد أرسل الملك الصالح فخر الدين بن الشيخ بجماعة كثيرة من العسكر ليكونوا قبالة الفرنج على ظاهر دمياط.

ولما وصلت الفرنج عبر فخر الدين بن الشيخ من الجانب الغربي إلى البر الشرقي، ووصل الفرنج إلى البر الغربي لتسع بقين من صفر هذه السنة، ولما جرى ذلك هربت بنو كنانة وأهل دمياط، وأخلوا دمياط، وتركوا أبوابها مفتحة، فتملكها الفرنج بغير قتال، واستولوا على ما بها من الذخائر والأسلحة، وكان هذا من أعظم المصاب.

وعظُم ذلك على الملك الصالح، وأمر بشنق بني كنانة، فشنقوا عن آخرهم، ووصل الملك الصالح إلى المنصورة، ونزل بها يوم الثلاثاء لخمسٍ بقين من صفر هذه السنة وقد اشتدَّ مرضُه وهو السل والقرحة التي كانت به[١].

وفي هذه السنة: سار[٢] الناصر داود بن الملك المعظم من الكرك إلى حلب لما ضاقت به الأمور مستجيراً بالملك الناصر يوسف صاحب حلب، وكان قد بقي عند الناصر داود من الجوهر مقداراً كثيراً، قيل كان يساوي مائة ألف دينار[٣] إذا بيع بالهوان، فلما وصل إلى حلب سيّر الجوهر المذكور إلى بغداد واستودعه الخليفة المستعصم[٤]، ووصل إليه خط الخليفة بتسليمه.

فلم تقع عينه عليه بعد ذلك[٥]، ولما سار الناصر داود عن الكرك، استناب بها ابنه عيسى[٦] ولقبه /٢٦٩/ الملك المعظم، وكان له ولدان آخران أكبر من عيسى هما الأمجد حسن[٧] والظاهر شاذي[٨]، فغضب الأخوان المذكوران من تقديم أخيهما

---

(١) بعده في المختصر: وقد أيس منه.

(٢) المختصر ٣/ ١٧٩. وانظر الخبر في شفاء القلوب ص٣٥٢.

(٣) بعده في شفاء القلوب: وقيل خمسمائة ألف دينار.

(٤) في الأصل: المعتصم.

(٥) أبى المستعصم أن يردّ على الناصر وديعته، وقد سار إليه سنة ٦٥٤هـ، فأرسل إليه من حاسبه على ذلك في تردداه إلى بغداد مثل اللحم والخبز والعليق وغيره، وثمن عليه ذلك بأغلى الأثمان، وأرسل إليه شيئاً نزراً، انظر: شفاء القلوب ص٣٥٥.

(٦) الملك المعظم عيسى، ذكره صاحب ترويح القلوب ص٧٤ وكذلك صاحب شفاء القلوب ص٤٢٤ ولم يذكرا سنة وفاته.

(٧) الملك الأمجد حسن، ذكره صاحب شفاء القلوب ص٤٢٤، وترجمته في ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٧٢ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٣٦ والشذرات ٥/ ٣٣١ وفيها أنه توفي سنة ٦٧٠هـ.

(٨) الظاهر شاذي، توفي سنة ٦٨١هـ انظر ذيل مرآة الزمان ٤/ ١٧٢.

عيسى عليهما، وبعد سفر أبيهما سارا إلى مصر وأطمعا الملك الصالح في الكرك فأحسن الصالح إليهما وأقطعهما إقطاعاً أرضاهما به، وأرسل إلى الكرك وتسلمها يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة من هذه السنة، وفرح الملك الصالح أيوب بالكرك فرحاً عظيماً مع ما هو فيه من المرض، لما كان في خاطره من صاحبها.

وفي هذه السنة: توفي[١] الملك الصالح نجم الدين أيوب ليلة الأحد، لأربع عشرة ليلة مضت من شعبان هذه السنة.

وكانت مدة مملكته للديار المصرية تسع سنين وثمانية أشهر وعشرين يوماً، وكان عمره نحو أربع وأربعين سنة.

وكان مهيباً، عالي الهمة، شجاعاً، عفيفاً، طاهر اللسان والذيل، شديد الوقار، كثير الصمت، وجمع من المماليك الترك ما لم يجمعه غيره من أهل بيته، حتى كان أكثر أمراء العسكر مماليكه.

ورتب جماعة من المماليك الترك حول دهليزه وسمّاهم البحرية، وكان لا يجسر أحد أن يخاطبه[٢] إلا جواباً، ولا يتكلم بحضرته ابتداءً.

وكانت القصص توضع بين يديه مع الخدام فيكتب[٣] بيده عليها، وتخرج للموقعين، وكان لا يستقبل أحداً من أهلِ بيته بأمر من الأمور إلا بعد مشاورته بالقصص.

وكان غاوياً للعمارة، بنى قلعة الجيزة[٤] والصالحية، وهي بلدة بالسايح /٢٧٠/ وبنى بها قصوراً للتصيّد، وبنى قصراً عظيماً بين مصر والقاهرة يسمى بالكبش.

وكانت أم الملك الصالح المذكور جارية سوداء تسمى ورد المنى، غشيها الملك الكامل فحملت بالملك الصالح.

وكان للملك الصالح ثلاثة أولاد، أحدهم فتح الدين عمر[٥]، توفي في حبس الصالح إسماعيل، وكان قد توفي ولده الآخر قبله[٦]، ولم يكن قد بقي له غير المعظم

---

(١) المختصر ٣/ ١٧٩ وانظر الخبر في عيون التواريخ ٢٠/ ٣١ ومرآة الزمان ٨/ ٧٧٥ والبداية والنهاية ١٣/ ١٧٧ والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٦٣ والعسجد المسبوك ص٥٧٤.

(٢) في الأصل لا يجسر أحداً يخاطبه.

(٣) في الأصل: فيكتبه.

(٤) في المختصر: الجزيرة، وكذلك في شفاء القلوب ص٣٨١.

(٥) الملك المغيث عمر بن أيوب، وصف بأنه كان ولداً عاقلاً ديناً، أسره عم أبيه الصالح إسماعيل في سنة ٦٣٨ وحبسه في دمشق، وتوفي بالسجن سنة ٦٤٢هـ، انظر شفاء القلوب ص٤٢٦ والحوادث الجامعة ص٣٩٣ والبداية والنهاية ١٣/ ١٦٥ والشذرات ٥/ ٢١٥.

(٦) في شفاء القلوب ص٣٨٠ أن اسمه خليل وأنه مات وهو طفل.

توران شاه[١] بحصن كيفا.

ومات الملك الصالح ولم يوص بالملك إلى أحد، فلما توفي أحضَرَت شجرة الدر[٢]، جاريته فخر الدين بن الشيخ والطواشي جمال الدين محسناً، وعرفتهما بموت السلطان، فكتموا ذلك خوفاً من الفرنج، وجمعت شجر الدر الأمراء وقالت لهم: السلطان يأمركم أن تحلفوا له، ثم من بعده لولده الملك المعظم توران شاه المقيم بحصن كيفا، وللأمير فخر الدين «بن» الشيخ بأتابكية العسكر، وكتبت إلى حسام الدين بن أبي علي، وهو النائب بمصر بمثل ذلك، فحلفت الأمراء والأجناد بالعسكر بمصر والقاهرة على ذلك في العشر الأوسط من شعبان هذه السنة، وكان بعد ذلك تخرج الكتب والمراسيم وعليها علامة الملك الصالح، وكان يكتبها خادم يقال له السهيلي، فلا يشك أحد في أنه خط السلطان.

وأرسل فخر الدين بن الشيخ قاصداً لإحضار الملك المعظم من حصن كيفا، ولما جرى ذلك شاع بين الناس موت السلطان، وكان أرباب الدولة لا يجسروا أن يتفوّهوا به، وتقدم الفرنج عن دمياط للمنصورة، وجرى بينهم وبين المسلمين / ٢٧١/ في رمضان هذه السنة وقعة عِظيمة استشهد فيها من كبار المسلمين[٣]، ونزلت الفرنج بحر مساح[٤]، ثم قربوا من المسلمين، ثم إن الفرنج كبسوا المسلمين على المنصورة بكرة الثلاثاء لخمسٍ مضين من ذي القعدة.

وكان فخر الدين يوسف بن الشيخ صدر الدين بن حموية[٥] بالحمام[٦] في

---

(١) الملك المعظم، توران شاه بن أيوب، غياث الدين، ولي بعد أبيه فَبَدَت منه أمور نفّرت منه القلوب، منها أنه كان فيه خفة وطيش وسوء تدبير وانهماك بالملذات واللهو فقتله غلمان أبيه سنة ٦٤٨هـ. انظر: مرآة الزمان ٨/ ٥٨١ وذيل الروضتين ص٨٥ وفوات الوفيات ١/ ٢٦٣ والبداية ١٣/ ١٨٠ والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٦٤ والشذرات ٥/ ٢٤١ وعيون التواريخ ٢٠/ ٤٠ و ٤٣.

(٢) شجرة الدر، أم خليل الصالحية، وجارية السلطان نجم الدين أيوب، وأم ولده خليل. كانت في صحبته وهو في الشرق أيام أبيه الملك الكامل، ثم رافقته لما حبس بالكرك، ثم قدمت معه إلى مصر، وكان السلطان نجم الدين يعتمد عليها في مهماته. وكانت ذا رأي ودهاء وتدبير، أخفت موت زوجها حتى أحكمت الأمر لابن زوجها توران شاه، إلا أنه لم يحمد لها ذلك، فكان يتهددها ويطالبها بالأموال، فلما قتل توران شاه سلطنها الأمراء على مصر وخطب لها على المنابر عدة ثلاثة أشهر حيث استقر زوجها أيبك التركماني. انظر: النجوم الزاهرة ٦/ ٣٧٣.

(٣) في الأصل: فيها كبار من المسلمين، والتصويب عن المختصر.

(٤) في الأصل: سر مساح، والتصويب عن المختصر.

(٥) في الأصل: يرجمونه، وهو تصحيف، والتصويب عن المختصر.

(٦) في عيون التواريخ ٢٠/ ٣١ ومرآة الزمان ٨/ ٧٧٥: في الدهليز.

المنصورة فركب مسرعاً وصادفه جماعة من الفرنج فقتلوه، وكان سعيداً في الدنيا، ومات شهيداً.

ثم حملت المسلمون والترك البحرية على الفرنج فردوهم على أعقابهم، واستمرت بهم الهزيمة.

وأما الملك المعظم توران شاه فإنه سار من حصن كيفا «ووصل» إلى دمشق في رمضان هذه السنة، وعيّد بها عيد الفطر، ووصل إلى المنصورة يوم الخميس لسبع بقين من ذي القعدة.

ثم اشتدَّ القتال بين المسلمين والفرنج براً وبحراً ووقعت مراكب المسلمين على الفرنج، فأخذوا منهم اثنتين وثلاثين مركباً، منها تسع شواني، فضعفت الفرنج لذلك، وأرسلوا يطلبون القدس وبعض السواحل ويسلّموا دمياط فلم تقع الإجابة إلى ذلك.

وفيها: وقع[١] الحرب بين بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل وبين الناصر صاحب حلب، فأرسل الملك الناصر عسكراً التقوا مع المواصلة بظاهر نصيبين فانهزمت المواصلة هزيمة قبيحة.

واستولى الحلبيون على أثقال لؤلؤ صاحب الموصل وخيمه، وتسلموا نصيبين من صاحب الموصل، ثم ساروا إلى دارا فتسلّموها وخرّبوها بعد قتال / ٢٧٢/ وحصار ثلاثة أشهر، ثم تسلموا قرقيسيا وعادوا إلى حلب.

وفي سنة ثمان وأربعين:

انهزم[٢] الفرنج لأنهم لما أقاموا قبالة المسلمين بالمنصورة فنيت أزوادهم وانقطع عنهم المدد من دمياط، فإن المسلمين قطعوا الطريق الواصل من دمياط إليهم فلم يبقَ لهم صبر علىِ المقام، فرحلوا ليلة الأربعاء لثلاث مضين من المحرم، متوجهين إلى دمياط، وركب[٣] المسلمون أكتافهم، ولما أسفر صباح الأربعاء خالطهم المسلمون وبذلوا فيهم السيف، فلم يسلم منهم إلا القليل، وبلغت عدّة الأسرى من الفرنج ثلاثين ألفاً على ما قيل.

وانحاز ريدافرنس ومن معه من الملوك إلى بلدٍ هناك، وطلبوا الأمان، فآمنهم الطواشي محسن الصالحي، ثم احتيط عليهم وأحضروا إلى المنصورة، وقيد

---

(١) المختصر ٣/ ١٨١ والخبر (نقلاً عن المختصر) في شفاء القلوب ص٤١٢.

(٢) المختصر ٣/ ١٨١ وانظر الخبر في عيون التواريخ ٢٠/ ٣٦ والبداية والنهاية ١٣/ ١٧٨.

(٣) الأصل: ركبت.

ريدافرنس، وجُعل في الدار التي كان ينزلها كاتب الإنشاء فخر الدين بن لقمان، ووكل به الطواشي صبيح المعظمي[١].

ولما جرى ذلك رحل الملك المعظم بالعساكر من المنصورة ونزل بفارسكور ونَصب بها برج خشب للملك المعظّم.

وفي[٢] هذه السنة: يوم الاثنين لليلة بقيت من المحرم قتل الملك المعظم توران شاه بن الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل، وسبب ذلك أن المذكور أطرح جانب مماليكه وأمرائه وكل منهم بلغه من التهديد والوعيد ما نفّر قلبه منه.

واعتمد على بطانةٍ وصلت معه من حصن كيفا، وكانوا أطرافاً أرذال، فاجتمعت البحرية على قتله بعد /٢٧٣/ نزوله بفارسكور، وهجموا عليه بالسيوف وكان أول من ضربه ركن الدين بيبرس الذي صار سلطاناً فيما بعد على ما سنذكره، فهرب الملك المعظم منهم إلى البرج الخشب الذي نصب له، فأطلقوا فيه النار.

فخرج الملك المعظم من البرج هارباً طالباً البحر ليركب في حراقته، فحالوا بينه وبينها بالنشاب، فطرح نفسه في البحر فأدركوه وأتموا قتله في نهار للاثنين، وكان مدة إقامته في المملكة «من»[٣] حين وصوله إلى الديار المصرية شهرين وأياماً.

ولما جرى ذلك اتفق الأمراء على إقامة شجرة الدر زوجة الملك الصالح في المملكة، وأن يكون عز الدين أيبك[٤] الجاشنكير الصالحي المعروف بالتركماني أتابك العسكر، وحلفوا على ذلك، وخطب لشجر الدر على المنابر. وضربت السكة باسمها، وكان نقش السكة المستعصمية الصالحية ملكة المسلمين والدة الملك المنصور خليل.

---

(١) انظر تفاصيلاً أخرى وشعراً لابن مطروح (سيذكره المؤلف فيما بعد) في عيون التواريخ ٢٢٠/٣٦ وتاريخ ابن خلدون ٥/ ٣٦١ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٤.

(٢) المختصر ٣/ ١٨١ وانظر الخبر في عيون التواريخ ٢٠/ ٤٠ ومفرج الكروب وشفاء القلوب ص٤٢٨ والبداية والنهاية ١٣/ ١٨٠ والعسجد المسبوك ص٥٧٦ ومرآة الزمان جـ ٨ ق٢ ص٧٨١ وتاريخ مختصر الدول ص٢٦٠ والحوادث الجامعة ص٢٤٦ والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٧٠.

(٣) الزيادة في المختصر.

(٤) أيبك بن عبد الله الصالحي، الملك المعز عز الدين، التركماني، اشتراه الصالح أيوب، وتنقلت به الأحوال، ولما قتل المعظم اختاره الأمراء أتابكاً للعسكر، ثم سلطنوا مظفر الدين موسى بن الناصر الأيوبي وكان صغيراً، فجعلوا أيبك أتابكه، ثم بعد نزاع طويل استقل بالسلطنة وتزوج بشجرة الدر سنة ٦٥٣هـ ثم عملت شجرة الدر على قتله، فاغتيل سنة ٦٥٥هـ. انظر: الوافي ٩/ ٤٦٩ وذيل مرآة الزمان ١/ ٥٤ والنجوم الزاهرة ٧/ ٤ و ٦/ ٣٧٥.

وكان الملك الصالح قد ولد له من شجر الدر ولداً ومات صغيراً. واسمه خليل، فسميت شجر الدر والدة خليل، وكانت صورة علامتها على المناشير والتواقيع والدة خليل.

ولما جرى ذلك، وقع الحديث مع ريدا فرنس في تسليم دمياط بالإفراج عنه فتقدم ريدا فرنس إلى مَنْ بها من نوابه بتسليمها، فسلموها، وصعد إليها العلم السلطاني في يوم الجمعة لثلاث مضين من صفر من هذه السنة. وأطلق ريدا فرنس فركب البحر بمن سلم معه / ٢٧٤/ نهار السبت غداة الجمعة المذكورة وأقلعوا إلى عكا، ووردت البشرى بهذا الفتح العظيم إلى سائر الأقطار، في واقعة ريدا فرنس[١] المذكورة يقول جمال الدين يحيى بن مطروح أبياتاً منها[٢]:

قل للفرنيس إذا جئته ... مقال صدقٍ عن قؤول نصيح
أتيت مصراً تبتغي ملكها ... تحسب[٣] الزمر يا طبل ريح
وكل أصحابك أوردتهم ... بحسن تدبيرك بطن الضريح
خمسون ألفاً لا يرى منهم ... غير[٤] قتيل أو أسير جريح
وقل لهم إن أضمروا عودة ... لأخذ ثأرٍ أو لقصدٍ صحيح[٥]
دار ابن لقمان على حالها ... والقيد باقٍ والطواشي صبيح

ثم عادت العساكر ودخلت القاهرة يوم الجمعة تاسع صفر، وأرسل المصريون رسولاً إلى أمراء دمشق[٦] في موافقتهم على ذلك، فلم يجيبوا إليه، وكان الملك السعيد[٧] ابن العزيز عثمان بن الملك العادل صاحب الصبيبة قد تلّمسها إلى الملك الصالح أيوب، فلما جرى ذلك قصد قلعة الصبيبة فسلمت إليه. وكان الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك العادل بن الكامل قد أرسله المعظم لما وصل إلى الديار المصرية إلى الشوبك واعتقله بها، وكان النائب بالكرك والشوبك لؤلؤ الصالحي، فلما

(١) في الأصل: افرنس.

(٢) الأبيات في: عيون التواريخ ٢٠/ ٣٨ وتاريخ ابن خلدون ٥/ ٣٦١.

(٣) في عيون التواريخ: تزعم.

(٤) في العيون: إلا.

(٥) في العيون: قبيح.

(٦) في المختصر: الأمراء الذين بدمشق.

(٧) الملك السعيد حسن بن العزيز عثمان بن أبي بكر بن أيوب، ملك الصبيبة بعد وفاة أخيه سنة ٦٣٠هـ، ثم تنازل عنها للملك الصالح أيوب وصار في خدمته. ثم رحل عن مصر بعد وفاة الصالح، فمرّ بغزة وأخذ أموالها وعاد إلى الصبيبة، ثم سلمها إلى التتار وصار معهم، ثم أُسر بعد عين جالوت فأمر قطز بضرب عنقه. انظر: شفاء القلوب ص٣٦٠ وذيل الروضتين ٢٠٧ والنجوم الزاهرة ٧/ ٩٢.

جرى ما ذكرناه من قتل المعظم وما استقر عليه الحال، بادر بدر الدين لؤلؤ / ٢٧٥/ وأفرج عن المغيث وملكه قلعتي الكرك والشوبك وقام في خدمته أتمَّ قيام. ولما لم يجب أمراء دمشق إلى ما دعاهم إليه المصريون، كاتب الأمراء القيمرية[١] الذين بدمشق الملك الناصر يوسف صاحب حلب، فسار إليهم وملك دمشق ودخلها يوم السبت لثمان بقين من ربيع الآخِرة هذه السنة. ولما استقر الناصر المذكور في تلك دمشق خلع على جمال الدين يغمور وعلى أمراء دمشق وأحسن إليهم، واعتقل جماعة من مماليك الصالح أيوب، وعصت عليه بعلبك وعجلون وشميش مديدة، ثم سلمت إليه جميعها، ولما بلغ الخبر بذلك إلى مصر قبضوا على مَنْ عندهم من القيمرية، وعلى كل من اتهم بالميل إلى الحلبيين.

ثم إنَّ أمراء الدولة وأكابرها اتفقوا على إقامة عز الدين إيبك الجاشنكير الصالحي في السلطنة[٢]، وأقاموا إيبك المذكور، وركب بالسناجيق السلطانية، وحملت الغاشية بين يديه يوم السبت آخر ربيع الآخر هذه السنة. ولقب الملك العزيز. وأبطلت السكة والخطبة التي كانت بالشام باسم شجر الدر. ثم أجمعت الأمراء واتفقوا على أنه لا بد من إقامة شخص من بني أيوب في السلطنة واجتمعوا على إقامة موسى[٣] المذكور ولقبوه الأشرف وأن يكون إيبك التركماني أتابك. وجلس الأشرف موسى بن يوسف بن الملك المسعود صاحب اليمن الملقب أطز المعروف بأقسيس بن الملك الكامل بن العادل في دست / ٢٧٦/ السلطنة، وحضرت الأمراء في خدمته يوم الخميس، لخمسٍ مضين من جمادي الأولى هذه السنة.

وكان بغزة جماعة من عسكر مصر مقدمهم خاص ترك، فسار إليهم عسكر دمشق فاندفعوا من غزة إلى الصالحية بالسايح، واتفقوا على طاعة المغيث صاحب الكرك وخطبوا له بالصالحية لأربع مضين من جمادى الآخرة هذه السنة، ولما جرى ذلك اتفق كبار الدولة بمصر ونادوا بالقاهرة ومصر: إن البلاد للخليفة المستعصم، ثم جددت الإيمان للملك الأشرف بالسلطنة ولإيبك التركماني بالأتابكيَّة.

وفي يوم الأحد: لخمسٍ مضين من رجب رحل فارس الدين أقطاي[٤] الجمدار

---

(١) القيمرية: نسبة إلى قيمر، قلعة بين الموصل وخلاط.

(٢) بعده في المختصر ٣/ ١٨٣: لأنه إذا استقر أمر المملكة في امرأة على ما هو عليه الحال تفسد الأمور.

(٣) الأشرف موسى بن يوسف الأيوبي، بويع له بالسلطنة بمصر، ثم عزله إيبك سنة ٦٥٢هـ ومول آخر عن حكم مصر من الأيوبيين، (انظر: شفاء القلوب ص٤٥٠).

(٤) فارس الدين اقطاي، كان رأس المماليك البحرية، شجاعاً مقداماً، زاهرة عالية، قتله فيما بعد أيبك التركماني، انظر: دول الإسلام الشريفة البهية ص٢٧، والوافي ٩/ ٣١٧ والشذرات ٥/ ٢٥٥.

الصالحي متوجهاً إلى جهة غزة ومعه (تقدير)[١] ألفي فارس. وكان أقطاي المذكور مقدم البحرية. فلما وصل إلى غزة اندفع من كان بها من جهة الملك الناصر بين يديه.

وفي هذه السنة[٢]: اتفق كبراء الدولة، وهدموا سور دمياط في العشر الأخير من شعبان هذه السنة لما حصل للمسلمين عليها من الشدَّة مرة بعد أخرى، وبنوا مدينة بالقرب منها بالبرِّ، وسمُّوها المنشيَّة. وأسوار دمياط التي هدمت من عمارة المتوكِّل العباسي[٣].

وفي مستهل شعبان[٤]: قبض الناصر يوسف صاحب دمشق وحلب على الناصر داود بن العظم بن العادل الذي كان صاحب الكرك، وبعث به إلى حمص، فاعتقل بها، وذلك / ٢٧٧/ لأشياء بلغته عنه خاف منها.

وفي هذه السنة[٥]: سار الملك الناصر يوسف بعساكره من دمشق إلى الديار المصرية، وصحبته من ملوك أهل بيته الصالح إسماعيل بن العادل بن أيوب والأشرف موسى صاحب حمص، وهو حينئذٍ صاحب تل باشر والرحبة وتدمر، والمعظم[٦] توران شاه بن السلطان صلاح الدين وأخوه نصرة الدين[٧] والأمجد حسن والظاهر شاذي[٨] ابنا الناصر داود بن المعظم عيسى بن العادل ابن أيوب، وتقي الدين عباس[٩] بن الملك العادل بن أيوب، ومقدم الجيش شمس الدين لؤلؤ الأرمني واليه تدبير المملكة، فرحلوا من دمشق يوم الأحد منتصف رمضان هذه السنة. ولما بلغ المصريين ذلك اهتموا لقتاله ودفعه. وبرزوا إلى السائح وتركوا الأشرف المسمى بالسلطان بقلعة الجبل. وأفرج أيبك حينئذٍ عن ولدي الصالح إسماعيل وهما المنصور إبراهيم والسعيد عبد الملك. وكانا معتقلين من حين استيلاء الصالح أيوب على بعلبك، وخلع عليهما ليتوهم

---

(١) الزيادة عن المختصر. (٢) المختصر ٣/ ١٨٤.

(٣) بويع للمتوكل بالخلافة سنة ٢٣٢هـ، وأغار الروم بمراكبهم على دمياط سنة ٢٣٨هـ، فنهبوا وسبوا نساءً، انظر تاريخ الطبري ٩/ ١٩٣.

(٤) المختصر ٣/ ١٨٤.

(٥) المختصر ٣/ ١٨٤، وعنه في شفاء القلوب ٤١٣. وانظر: العسجد المسبوك ص٥٨٠ والنجوم الزاهرة ٧/ ٦.

(٦) المعظم فخر الدين توران شاه، ولد سنة ٥٧٧هـ وكان مقدم العسكر الشامي، توفي سنة ٦٤٨هـ، شفاء القلوب ص٢٦٩ وذيل مرآة الزمان ١/ ١٥ والنجوم الزاهرة ٧/ ٩٠.

(٧) نصرة الدين مروان، ولد بحران سنة ٥٨٩هـ بعد وفاة والده، (شفاء القلوب ص١٩٧).

(٨) انظر عنهما شفاء القلوب ص٤٢٤.

(٩) الأمجد، تقي الدين عباس، توفي سنة ٦٦٩هـ، انظر شفاء القلوب ص٣٢٧ والنجوم الزاهرة.

الناصر يوسف صاحب الشام من أبيهما الصالح إسماعيل. والتقى العسكران المصري والشامي بالقرب من العباسية يوم الخميس عاشر ذي القعدة هذه السنة. وكانت الكسرة أولاً على عسكر مصر، فخاطر جماعة من المماليك الترك العزيزية على الملك الناصر صاحب الشام. وثبت المعز أيبك التركماني في جماعة يسيرة من البحرية، وانضاف جماعة من العزيزية مماليك والد الملك الناصر إلى المعزّ. /٢٧٨/ ولما انكسرت[١] المصريون، وتبعتهم العساكر الشامية لم يشكوا في النصر. بقي الملك الناصر تحت السناجق السلطانية في جماعة يسيرة من المتعممين لا يتحرك من موضعه. فحمل المعز التركماني بمن معه عليه فولى الناصر منهزماً طالباً جهة الشام، ثم حمل المعزّ على طلب شمس الدين لؤلؤ فهزمهم وأُخِذ لؤلؤ أسيراً، فضربت عنقه صبراً، وكذلك أسر الأمير ضياء الدين القيمري فضُرِبت عنقه، وأسر يومئذٍ الصالح إسماعيل والأشرف موسى صاحب حمص والمعظم توران شاه ابن السلطان صلاح الدين، وأخوه نصرة الدين، ووصل عسكر الملك الناصر في أثر المنهزمين إلى العباسية، وضربوا بها دهليز الملك الناصر، وهم لا يشكون أن الهزيمة (تمت)[٢] على المصريين، فلما بلغهم هروب الملك الناصر اختلفت آراؤهم، فمنهم من أشار بالدخول إلى القاهرة وتملكها، ولو فعلوه لما كان بقي مع المعز من يقاتلهم به. فإن غالب المصريين المنهزمين وصلوا إلى الصعيد. ومنهم من أشار بالرجوع إلى الشام. وكان معهم تاج الملوك[٣] بن المعظم، وهو مجروح، وكانت الوقعة يوم الخميس، ووصل المنهزمون من المصريين إلى القاهرة في غد الوقعة، نهار الجمعة، فلم يشك أهل مصر في ملك الملك الناصر ديار مصر، وخطب له في الجمعة المذكورة بقلعة الجبل بمصر. وأما القاهرة فلم تقُم فيها في ذلك اليوم خطبة لأحد، ثم وردت البشرى بانتصار البحرية. ودخل أيبك التركماني والبحرية إلى القاهرة يوم السبت ثاني عشر ذي القعدة، ومعه الصالح إسماعيل تحت الاحتياط، وغيره من المعتقلين، فحبسوا بالقلعة، /٢٧٩/ وعقبت ذلك أخرج أيبك التركماني أمين الدولة[٤] وزير الصالح إسماعيل وأستاذ داره يغمور وكانا

---

(١) كذا والصواب: انكسر.

(٢) الزيادة عن المختصر.

(٣) تاج الملوك ابن المعظم يوسف بن الناصر أيوب، توفي سنة ٦٤٨هـ، شفاء القلوب ص٣٤٥.

(٤) أمين الدولة، أبو الحسن بن غزال المسلماني السامري، الخطيب، وزير الملك الصالح، قال ابن شاكر، وهو الذي كان سبباً لزوال دولته وإخماد جمرته، وما كان مسلماً ولا سامرياً، بل كا يتستر بالإسلام.. ولقد ظهر له من الأموال والجواهر واليواقيت والتحف والذخاير ما لا يوجد في خزائن الخلفاء ولا السلاطين.. ووجد له عشرة آلاف مجلة من الكتب النفيسة والخطوط المنسوبة، فتمزق الجميع. انظر عيون التواريخ ٢٠/ ٤٧ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢١ ومرآة الزمان ٨/ ٧٨٤.

معتقلين من حين (استيلاء)[(١)] الصالح أيوب على بعلبك، فشنقهما على باب قلعة الجبل رابع عشر ذي الحجة.

وفي ليلة[(٢)] الأحد: سابع عشرين ذي القعدة هجم جماعة على الملك الصالح عماد الدين بن إسماعيل بن الملك العادل بن أيوب وهو يمصُّ قصب السكر، وأخرجوه إلى ظاهر قلعة الجبل من جهة القرافة وقتلوه، فدفن هناك، وعمره نحو خمسين سنة، وكانت أُمُّهُ رومية من حظايا الملك العادل.

وفيها[(٣)]: بعد هزيمة الملك الناصر صاحب الشام، سار فارس الدين أقطاي بثلاثة آلاف فارس إلى غزَّة فاستولى عليها ثم عاد إلى الديار المصرية.

وفي هذه السنة: وَثَبَ[(٤)] على الملك المنصور عمر صاحب اليمن جماعة فقتلوه وهو عمر بن علي (بن) رسول، وكان والده علي بن رسول أستاذ دار الملك المسعود[(٥)] بن السلطان الملك الكامل. فلما سار الملك المسعود من اليمن قاصداً الشام وتوفى[(٦)] استناب أستاذ داره علي بن رسول المذكور على اليمن. فاستقرَّ نائباً بها لبني أيوب، وكان لعلي المذكور إخوة فأحضروا إلى مصر وأُخذوا رهائن خوفاً من استيلاء علي بن رسول على اليمن، واستمر علي المذكور نائباً حتى مات قبل سنة ثلاثين وستمائة، واستولى على اليمن بعده ولده عمر على ما كان عليه أبوه من النيابة، فأرسل من مصر أعمامه ليعز ولده ويكونوا نواباً موضعه، فلما وصلوا إلى اليمن قبض عمر المذكور / ٢٨٠/ عليهم واعتقلهم واستقلَّ بملك اليمن حينئذٍ، وتلقَّب بالملك المنصور، واستكثر من المماليك الترك، فقتلوه في هذه السنة أعني سنة ثمانٍ وأربعين وستمائة، واستقرَّ بعده في ملك اليمن ابنُهُ يوسف، وتلقَّب المظفَّر، وصفا له اليمن، وطالت أيام مملكته.

---

(١) الزيادة عن المختصر.

(٢) المختصر ٣/ ١٨٥ وانظر خبر وفاته في عيون التواريخ ٢٠/ ٤٦ وفيه أن أيبك التركمان هو الذي قتله.

(٣) المختصر ٣/ ٨٥. (٤) المختصر ٣/ ٨٥.

(٥) الملك المسعود يوسف بن محمد بن أبي بكر بن أيوب بن شادي، المعروف بأقسيس، الملقب أطسز، ملك اليمن سنة ٦١٢هـ، أرسله إليها الملك الكامل، فأخذه من المعظم سليمان بن شاهنشاه، انظر: شفاء القلوب ص٣٦٢ ومرآة الزمان ٨/ ٦٥٨ ومفرج الكروب ٤/ ٢٥٩ والحوادث الجامعة ص١٢.

(٦) في المختصر: ومات بمكة على ما تقدم.

سنة إحدى وخمسين إلى ستين وستمائة

في سنة إحدى وخمسين:

استقرَّ[١] الصلح بين الناصر يوسف صاحب الشام وبين البحرية بمصر على أن يكون للمصريين إلى نهر الأردن، وللملك الناصر ما وراء ذلك، وكان نجم الدين الباذرائي رسول الخليفة هو الذي حضر من جهة الخليفة وأصلح بينهم على ذلك، ورجع كلٌّ إلى مقرِّه.

وفيها: قطع[٢] أيبك التركماني خبز حسام الدين بن أبي علي الهذباني فطلب دستوراً. فأعطاه، فسار إلى الشام، فاستخدمه الناصر بدمشق.

وفيها: أفرج[٣] الملك الناصر يوسف عن[٤] الملك الناصر داود بن المعظم وكان قد اعتقله بقلعة حمص، وأفرج عنه بشفاعة الخليفة المستعصم، وأمره أن لا يسكن في بلاده، فرحل الناصر داود إلى جهة بغداد، فلم يمكنوه من الوصول إليها، وطلب وَدِيْعَتُه الجوهر فمنعوه إياها. وكَتَبَ الملك الناصر يوسف إلى ملوك الأطراف أن لا يأووه ولا يجيروه. فبقي الناصر داود في جهات عنه والحديثة، وضاقت به الحال وبمن معه، وانضم / ٢٨١/ إليه جماعة [من][٥] غزية فبقي معهم يرحلون وينزلون جميعاً، ثم لما[٦] قوي الحر، ولم يبقَ بالبريَّة عشب، قصدوا أزوار الفرات يقاسون بقّ الليل وهواجر النهار، وكان معه أولاده، وكان لولده الطاهر شاذي فهد، وكان يتصيَّد بالنهار عشرة غزلان[٧]. وكان يمضي للناصر داود وأصحابه أياماً لا يطعمون غير الغزلان. واتفق أن الأشرف صاحب تل باشر وتدمر والرحبة يومئذٍ أرسل إلى الناصر داود مركبين مُوَسَّقَيْن دقيقاً وشعيراً، فأرسل الناصر يوسف وتهدده على ذلك، ثم إن الناصر داود قصد مكاناً للشرابي[٨] واستجار به، فرتب له الشرابي شيئاً دون كفايتِهِ وأذِنَ لَهُ في النزول بالأنبار، وبينها وبين بغداد ثلاثة أيام، والناصر داود مع ذلك يتضرَّع إلى الخليفة المستعصم فلا

---

(١) المختصر ٣/ ١٨٦ وانظر الخبر في شفاء القلوب ص٤١٤ والبداية والنهاية ١٣/ ١٨٤.
(٢) المختصر ٣/ ١٨٦.
(٣) المختصر ٣/ ١٨٦ وانظر الخبر في شفاء القلوب ص٣٥٤.
(٤) في الأصل: على.
(٥) التكملة عن المختصر.
(٦) الأصل: لولا.
(٧) عبارة المختصر: يتصيد في النهار ما يزيد عن عشرة غزلان.
(٨) هو شرف الدين إقبال الشرابي، المتوفى سنة ٦٥٣، الحوادث الجامعة ص٣٧٠.

يَجيب ضراعَتَهُ، ويطلب وديَعَتَهُ فلا يردّ لهفَتَهُ ولا يجيبه إلاَّ بالمماطلةِ والمطاولةِ، وكان مدة مقامه متنقلاً في الصحارى مع الغزية ثلاثة أشهر، ثم بعد ذلك أرسل الخليفة وشفع فيه عند الناصر يوسف، فقبل شفاعته، وأذن له في العود إلى دمشق، ورتب له مائة ألف درهم على بحيرة فامية[١] وغيرها، فلم يتحصّل له من ذلك إلاَّ دون الثلاثين ألف درهم.

وفيها: وَصَلَتْ[٢] الأخبار من مكة إن ناراً ظهرت من عدن وبعض جبالها بحيث كانت تظهر بالليل، ويرتفع منها في النهار دخان عظيم.

ذكر أخبار الحفصيين ملوك تونس[٣]:

/ ٢٨٢/ وإنَّما ذكرناهم في هذه السنة لأنها كانت كالمتوسطة لمدَّة ملكهم.

قال[٤]: والحفصيون[٥] أولهم أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي. وهنتاتة بتائين مثناتين من فوقهما قبيلة من المصامدة، ويزعمون أنهم قرشيون من بني عدي بن كعب رهط عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وكان أبو حفص المذكور من أكبر أصحاب ابن تومرت[٦] بعد عبد المؤمن[٧]، وتولَّى ولده عبد الواحد بن أبي حفص إفريقية نيابة عن بني عبد المؤمن في سنة ثلاث وستمائة، ومات سلخ الحجة سنة ثمان عشرة وستمائة، فتولى أبو العلاء من بني عبد المؤمن، ثم توفَّى، فعادَتْ إفريقية إلى ولاية الحفصيين،

---

(١) فامية: مدينة كبيرة من سواحل حمص (معجم البلدان ٤/ ٢٣٢).

(٢) المختصر ٣/ ١٧٨، وانظر الخبر في عيون التواريخ ٢٠/ ٧٤ والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٢ ومرآة الزمان ٨/ ٧٩١.

(٣) المختصر ٣/ ١٨٧.

(٤) نقلها في المختصر: وهو ما نقلناه من الشيخ الفاضل ركن الدين بن قويع التونسي.

(٥) الحفصيون أسرة بربرية حكمت افريقيا (تونس) (١٢٢٨ ـ ١٥٧٤م) أولها أبو حفص يحيى الهنتاني، وهي من فروع الموحدين، أيد أبو حفص سلطاتهم بالأندلس، ولما توفي تداول أبناؤه الرئاسة بالأندلس والمغرب وافريقيا مع بني عبد المؤمن، تمتعت الدولة الحفصية مدة استقلالها بسلطان واتساع ملك ونفوذ، ولكن غلب عليها سوء الإدارة، من أمرائها أبو محمد عبد الواحد، وأبو زكريا يحيى والمستنصر بالله وأبو إسحاق إبراهيم، (الموسوعة الميسرة ص٧٢٧).

(٦) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت، الملقب بالمهدي الهرغي، صاحب دعوة عبد المؤمن بن علي بالمغرب وأقام بالمهدية، ثم انتقل إلى بجاية، ثم التقى بعبد المؤمن، توفي سنة ٥٥٤هـ، انظر وفيات الأعيان ٥/ ٤٥ والشذرات ٤/ ٧٠ والعبر ٤/ ٥٧.

(٧) أبو محمد عبد المؤمن بن عبد الله الكولي، القيسي، دعا إليه ابن تومرت فملك المغرب وافريقية وبعضاً من بلاد الأندلس، وتسمى أمير المؤمنين، توفي سنة ٥٥٨هـ، انظر الوفيات ٣/ ٢٣٧ والوافي ١٦/ ٢٣٨.

وتولى منهم عبد الله بن عبد الواحد ابن أبي حفْص في سنة ثلاث وعشرين وستمائة. ولما تولَّى ولَّى أخاه أبا زكريا يحيى قابس[١]. وأخاه أبا إبراهيم إسحاق بلاد الجريد[٢]. ثم خرج على عبد الله وهو على قابس أصحابه ورجموه وطردوه، وولُّوا موضعَهُ أخاه أبا زكريا بن عبد الواحد سنة خمس وعشرين[٣] وستمائة، فنقم بنو عبد المؤمن على أبي زكريا ذلك، فأسقط أبو زكريا اسم عبد المؤمن من الخطبة، وبقي اسم المهدي وخلع طاعة بني عبد المؤمن، وتملَّك إفريقية، وخطب لنفسه بالأمير المرتضى، واتَّسعت مملكته، وفتح تلمسان والغرب الأوسط وبلاد الجريد والزاب. وبقي كذلك إلى أن توفي على بونة[٤] سنة سبع وأربعين وستمائة وأنشأ في تونس بنايات عظيمة شامخة. وكان عالماً بالأدب، وخلف أربع بنين وهم: أبو عبد الله محمد، وأبو إسحاق إبراهيم، وأبو حفص عمر، وأبو بكر وكنيته /٣٨٣/ أبو يحيى، وخلَّف أخوين وهما: أبو إبراهيم إسحاق ومحمد اللحياني ابني عبد الواحد بن أبي حفص. وكان محمد اللحياني صالحاً منقطعاً يتبرك به. ثم تولى بعده ابنُه أبو عبد الله محمد بن أبي زكريا رغم سعي عمُّهُ في خلعه، فخلع وبايع لأخيه محمد اللحياني الزاهد على كره منه لذلك. فجمع أبو عبد الله محمد المخلوع أصحابه في يوم خلعه وشدَّ على عمَّيه فقهرهما وقتلهما واستقرَّ في ملكه، وتلقَّب بالمستنصر بالله أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد ابن الأمراء الراشدين. وفي أيامه سنة ثمانٍ وستين وستمائة وصل الفرنسيس إلى إفريقية بجموع الفرنج، وأشرفت إفريقية على الذهاب فعصمه الله ومات الفرنسيس، وتفرَّقت جموعُهُ. وفي أيامه خاف أخوه أبو إسحاق إبراهيم بن أبي زكريا، فهرب ثم أقام بتلمسان، وبقي المستنصر المذكور حتى توفي ليلة حادي عشر ذي الحجة سنة خمس وسبعين وستمائة. فملك ابنه يحيى بن محمد بن زكريا، وتلقَّب بالواثق بالله أمير المؤمنين. وكان ضعيف الرأي فتحرك عليه عمه أبو إسحاق الذي هرب وأقام بتلمسان، وغلب على الواثق، فخلع نفسه، واستقر أبو إسحاق إبراهيم في المملكة في ربيع الأوَّل سنة ثمان وتسعين

---

(١) قابس: مدينة بافريقية بالقرب من المهدية (وفيات الأعيان ٣/ ٣٢٢ والاستبصار ص١١٢).

(٢) سميت كذلك لكثرة النخل فيها، وهي بلاد واسعة، وهي آخر بلاد افريقية على طرف الصحراء، وأولها من جهة البحر مدينة قابس، انظر: الاستبصار ص١٥٠.

(٣) في المختصر: سنة اثنتين وستين، ولعله من وهم النساخ.

(٤) بونة، مدينة قديمة، فيها آثار كثيرة على ربوة تشرف على البحر، والبحر يضرب في سورها وفيها دفن أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص، انظر: الاستبصار ص١٢٧ والروض المعطار ص١١٥.

وستمائة، وخطب لنفسه بالأمير المجاهد وترك زي الحفصيين، وأقام على زي زناتة، وعكف على الشرب، وفرق المملكة[١] على أولاده، فوثبت[٢] أولاده على الواثق المخلوع فذبحوه، وذبحوا معه ولديه الفضل والطيب، وسلم للواثق ابن صغير تلقَّب أبا عصيدة، لأنهم / ٢٨٤/ يصنعون للنفساء عصيدة فيها دواء ويهدونها للنسوان[٣]، وعملت أم الصبي ذلك، فلقبوا ابنها أبو عصيدة[٤]، ثم ظهر إنسان ادَّعى أنه الفضل بن الواثق الذي ذُبح مع أبيه، واجتمعت عليه الناس، وقصد أبا إسحاق إبراهيم وقهره فهرب أبو إسحاق إلى بجاية، وفيها ابنه أبو فارس عبد العزيز فترك أبو فارس[٥] أباه ببجاية وسار في أخوته وجمعه إلى الدَّعي بتونس، والتقى الجمعان، فانهزم عسكر بجاية، وقُتل أبو فارس وثلاثة من إخوتِهِ، ونجا له أخ اسمه يحيى وعمه أبو حفص عمر بن زكريا.

ولما هزم الدَّعيُّ عسكر بجاية وقتل المذكورين، أرسل إلى بجاية من قتل أبا إسحاق إبراهيم وجاءه برأسه، ثم تحدث الناس بدعوة الدَّعي، واجتمعت العرب على عمر بن زكريا بعد هروبه من المعركة، وقوي أمره وقصد الدعي بتونس وقهره. و استقر الدَّعي في بيت بعض التجار بتونس، ثم أحضر واعترف بنفسه فضُربت عنقه، وكاد الدَّعي المذكور من أهل بجاية واسمه أحمد بن مرزوق ابن أبي عمار، وكان أبوه يتّجر إلى بلاد السودان. وكان الدَّعي المذكور محارفاً قصيفاً، وسار إلى ديار مصر، ونزل بدار الحديث الكامليَّة[٦]، ثم عاد إلى الغرب، فلما مرَّ على طرابلس كان هناك شخص أسود يسمَّى نصيراً وكان خصيصاً بالواثق المخلوع، وقد هرب لما جرى للواثق ما جرى وكان في الدَّعي بعض الشبه من الفضل بن الواثق، فدبر مع نصير المذكور الأمر، فشهد له أنه الفضل بن الواثق، فاجتمعت عليه العرب، وكان منه ما ذكرناه، / ٢٨٥/ حتى

---

(١) الأصل: مماليكه، والتصويب عن المختصر ٣/ ١٨٨.

(٢) كذا في الأصل والمختصر، والصواب فوثب.

(٣) في المختصر: يهدى منها للجيران.

(٤) في المختصر: فلقب ولدها بأبي عصيدة.

(٥) الأصل: أبا.

(٦) دار الحديث الكاملية، أنشأها السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي في سنة ٦٢٢هـ بين القصرين بالقاهرة، ووقفها على المشتغلين بالحديث النبوي، ثم من بعدهم على الفقهاء الشافعية، ولم تزل بيد أعيان الفقهاء حتى تلاشت بعد سنة ٨٠٦هـ. انظر خطط المقريزي ٣/ ٣٣٥.

قتل. وكان الدعي يخطب له بالخليفة المنصور بالله، القائم بحق الله أمير المؤمنين، أبو العباس الفضل.

ولما استقر أبو حفص عمر في المملكة وقَتَلَ الدَّعي تلقَّب بالمستنصر بالله أمير المؤمنين، وهو المستنصر الثاني، ولما استقر في المملكة سار ابن أخيه يحيى بن إبراهيم بن أبي زكريا الذي سلم من المعركة إلى بجاية وملكها، وتلقَّب بالمنتخب لإحياء دين الله أمير المؤمنين، واستمر المستنصر الثاني أبو حفص عمر بن أبي زكريا في مملكته حتى توفي في أوائل محرم سنة خمس وسبعين وستمائة. ولما اشتدَّ مرضه بايع لابنٍ له صغير. فاجتمعت[1] الفقهاء وقالوا له: أنت صائر إلى الله، وتولية مثل هذا لا يحلّ، فأبطل بيعته، وأخرج ولد الواثق المخلوع الذي كان صغيراً وسلم من الذبح الملقب بأبي عصيدة أبا عبد الله محمد فلقب بالمستنصر أيضاً، وهو المستنصر الثالث، وتوفي أيامه صاحب بجاية المنتخب يحيى بن إبراهيم بن أبي زكريا. وملك بجاية بعده ولده خالد، وبقي أبو عصيدة كذلك حتى توفي سنة تسع وسبعمائة، فملك بعده شخص من الحفصيين يقال له أبو بكر بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص صاحب ابن تومرت. وأقام في الملك ثمانية عشر يوماً، ثم وصل خالد بن المنتخب صاحب بجاية ودخل تونس، وقتل أبا بكر المذكور سنة تسع وسبعمائة. ولما جرى ذلك كان اللحياني بمصر. فسار مع عسكر السلطان الملك الناصر إلى طرابلس الغرب وبايعه العرب، وسار إلى تونس، /٢٨٦/ فخلع خالد بن المنتخب، وحبس. ثم قتل قصاصاً بأبي بكر بن عبد الرحمن المقدم الذكر. واستقر اللحياني في ملك إفريقية وهو ابن يحيى[2] زكريا بن أحمد بن محمد الزاهد اللحياني بن عبد الرحمن بن أبي حفص صاحب ابن تومرت، ثم تحرك على اللحياني أخو خالد بن المنتخب وهو أبو بكر بن يحيى المنتخب، فهرب اللحياني إلى ديار مصر وأقام بالإسكندرية.

وملك أبو بكر بن يحيى المنتخب تونس وما معها خلا طرابلس والمهديَّة، فإنه بعد هروب اللحياني بايع ابنه محمد لنفسه واقتتل مع أبي بكر، فهزمه أبو بكر واستقر محمد بن اللحياني بالمهدية وله معها طرابلس. وكان استيلاء أبي بكر وهروب اللحياني إلى ديار مصر في سنة تسع عشرة وسبعمائة.

---

(١) بعده في المختصر: وبويع صبيحة موت أبي حفص عمر الملقب بالمستنصر. وكان اسم أبي عصيدة المذكور.

(٢) الأصل: أبو، والتصويب عن المختصر.

وأقام اللحياني في الإسكندرية، ثم وردت عليه مكاتبات من تونس في ذي العقدة سنة إحدى وعشرين وسبعمائة إلى الإسكندرية يذكرون فيها أن أبا بكر متملك تونس المذكور، قد هرب وترك البلاد، وأن الناس قد أجابوا إلى طاعة اللحياني، وبايعوا نائبه، وهو محمد بن أبي بكر من الحفصيين، وهو صهر زكريا اللحياني المذكور، وهم في انتظار اللحياني إلى مملكته.

أقول[١]: وقد بقيت مملكة إفريقية، فهرب منها لاستيلاء العرب عليه.

وفي سنة ثلاث وخمسين وستمائة:

اغتال[٢] المعز التركماني المستولي مصر خوشداشة[٣] الفارس أقطاي الجمدار، وأوْقف له في بعض دهاليز الدور التي بقلعة الجبل ثلاث مماليك، / ٢٨٧/ وهم قطز وبهادر وسنجر الغنمي، فلما مر بهم أقطاي ضربوه بسيوفهم، ولما علمت البحرية ذلك هربوا من الديار المصرية إلى الشام.

وكان الفارس أقطاي يمنع أيبك من الاستقلال بالسلطنة، وكان الاسم للملك الأشرف موسى بن يوسف بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، فلما قتل أقطاي استقل المعز بالسلطنة، وأبطل الأشرف موسى المذكور منها بالكلية، وبعث به إلى عماته القطبيات[٤]. وموسى المذكور آخر من خطب له من بيت أيوب بالسلطنة بمصر. وكان انقضاء دولتهم من الديار المصرية في هذه السنة على ما شرحناه.

ووصلت البحريَّة إلى الملك الناصر يوسف صاحب الشام وأطمعوه في ملك مصر، فرحل من دمشق بعسكره ونزل عمقا[٥] من الغور. وأرسل إلى غزة عسكراً فنزلوا بها. وبرز المعز التركماني إلى العباسية، وخرجت السنة وهم على ذلك.

---

(١) الكلام لأبي الفداء في المختصر ٣/ ١٩٠ ولفظه: أقول: وقد بقيت مملكة افريقية فهرب منها لضعفها بسبب استيلاء العرب عليها.

(٢) المختصر ٣/ ١٩٠، وانظر خبر مقتل أقطاي في: عيون التواريخ ٢٠/ ٧٥ ومرآة الزمان ٨/ ٧٩٢ والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٣ ودول الإسلام الشريفة البهية ص٢٦.

(٣) خشداش، معرب اللفظ الفارسي (خوجاتاش) أي الزميل في الخدمة، والخشداشية في اصطلاح عصر المماليك بمصر تعني الأمراء الذين نشأوا عند سيد واحد فنبتت عندهم رابطة الزمالة القديمة، راجع هامش شفاء القلوب ص٤٥٠، وهامش السلوك ٣/ ٣٨٨.

(٤) القطبيات: هن بنات الملك العادل الكبير بن أيوب المعروفات بالقطبيات نسبة إلى شقيقهن قطب الدين أحمد (هامش ص٤٥٠ من شفاء القلوب).

(٥) في المختصر: عمقا، وعمتا قرية بالأردن وهي في وسط الغور (معجم البلدان ٤/ ١٥٣).

وفيها[١]: قدمت ملكة خاتون بنت كيقباذ ملك الروم إلى زوجها الملك الناصر صاحب الشام.

وفي سنة ثلاث وخمسين[٢]:

عزمت العزيزية المقيمون مع المعز أيبك على القبض عليه، وعلم بذلك، فاستعد لهم فهربوا من مخيمهم على العباسية[٣] على حميَّة واحتيط على وطاقاتهم[٤] جميعاً.

وفيها[٥]: تزوج المعز أيبك شجرة الدر أم خليل التي خُطب لها بالسلطنة بديار مصر.

وفيها[٦]: طلب الناصر داود من الناصر يوسف دستوراً إلى العراق /٢٨٨/ بسبب طلب وديعته من الخليفة، وهو الجوهر الذي تقدَّم ذكره، وأن يمضي إلى الحج، فأذن له الناصر يوسف في ذلك، فسافر الناصر داود إلى كربلاء ثم منها إلى الحج. ولما رأى قبر النبي صلى الله عليه وسلم، تعلَّق في أستار الحجرة الشريفة بحضور الناس، وقال: اشهدوا أن هذا مقامي من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، داخلاً عليه ومستشفعاً به إلى ابن عمه المستعصم، في أن يردَّ عليَّ وديعتي، فأعظم الناس ذلك. وجَرَتْ عَبراتُهم، وارتفع بكاؤهم، وكتب بصورة ما جرى مشروح، ودفع إلى أمير الحاج، وذلك يوم ثامن عشر ذي الحجة، وتوجه الناصر داود مع الحاج العراقي وأقام ببغداد.

وفي سنة أربع وخمسين:

توفى كيخسرو[٧] ملك الروم، وأُقيم في السلطنة ولداه الصغيران عز الدين كيكاوس[٨] وركن الدين قليج أرسلان.

وفيها[٩]: توجه كمال الدين ابن العديم[١٠] رسولاً من الناصر يوسف صاحب

---

(١) المختصر ٣/ ١٩٠. (٢) المختصر ٣/ ١٩٠ والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٤.

(٣) العباسية، وهي أول ما يلقى القاصد لمصر من الشام من الديار المصرية، بينها وبين القاهرة ١٥ فرسخاً، (معجم البلدان ٤/ ٧٥).

(٤) الوطاق: لفظ فارسي معناه الخيمة.

(٥) المختصر ٣/ ١٩١.

(٦) المختصر ٣/ ١٩١، وانظر الخبر في شفاء القلوب ص٣٥٥، وعيون التواريخ ٢٠/ ٩٢.

(٧) المختصر ٣/ ١٩١.

(٨) اقتسم هو وأخوه ملك الروم ثم ثار عليه أخوه فهرب إلى ملك القسطنطينية، توفي سنة ٦٧٢هـ (الوافي ٢٤/ ٣٨٤).

(٩) المختصر ٣/ ١٩١ وانظر الخبر في شفاء القلوب ص٤١٥ نقلاً عن المختصر أيضاً.

(١٠) كمال الدين ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله المعروف بابن العديم، كان محدثاً حافظاً =

الشام إلى الخليفة المستعصم ومعه تقدمة جليلة، وطلب خلعة من الخليفة لمخدومه، ووصل من مصر من جهة المعز التركماني شمس الدين سنقر الأقرع[١] وهو من مماليك المظفر غازي صاحب ميافارقين إلى بغداد بتقدمةٍ جليلة، وسعى في تعطيل خلعة الناصر متحيِّراً، ثم أنه أحضر سكيناً من اليشم[٢] كبيرة، وقال الخليفة لوزيره[٣] اعطِ هذه السكين لرسول صاحب الشام علامة مني أن له عندي خلعة في وقت / ٢٨٩/ آخر، وأما في هذا الوقت فلا يمكنني، فأخذ كمال الدين ابن العديم السكين وعاد إلى الناصر يوسف بغير خلعة.

وفيها[٤]: جرى للناصر داود على الخليفة ما صورتُه أنه لما أقام ببغداد بعد وصوله مع الحجاج واستشفاعه بالنبي صلى الله عليه وسلم في ردِّ وديعته، أرسل الخليفة المستعصم من حاسب الناصر المذكور فيما وصله في ترداده إلى بغداد من المضيف مثل اللحم والخبز والحطب والعليق والتبن وغير ذلك، وثمَّن عليه ذلك بأغلى الأثمان، وأرسل إليه شيئاً نزراً، وألزمه أن يكتب خطّه بقبض وديعته، وأنه ما بقي يستحق عند الخليفة شيئاً. فكتب خطه بذلك كرهاً، وسار عن بغداد، وأقام مع العرب، ثم أرسل إليه الناصر يوسف صاحب الشام فحلف له وطيَّب قلْبه. فقدم الناصر داود دمشق، ونزل الصالحية.

وفيها[٥]: في يوم الأحد ثالث شوَّال، توفي سيف الدين طغريل مملوك الملك المظفر.

وفي سنة خمس وخمسين:

قتل[٦] المعز التركماني الجاشنكير الصالحي. قتلته امرأته شجرة الدر التي كانت امرأة أستاذه الملك الصالح أيوب، وهي التي خطب لها بالسلطنة بديار مصر. وكان سبب ذلك أنه بلغها أن المعز قد خطب بنت بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، ويريد

= مؤرخاً فقيهاً، توفي سنة ٦٦٠هـ، فوات الوفيات ٣/ ١٢٦، النجوم الزاهرة ٧/ ٢٠٨، وعيون التواريخ ٢٠/ ٢٧٥ والبداية والنهاية ١٣/ ٢٣٦ وشذرات الذهب ٥/ ٧٠٣.

(١) سنقر بن عبد الله، المعروف بالأقرع، من أعيان الأمراء بالديار المصرية، توفي سنة ٦٧٠هـ (ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٧٩ والوافي بالوفيات ١٥/ ٤٩٠).

(٢) في المختصر، اليسم، واليشم: حجر ثمين من الزبرجد منه الأبيض والأخضر والزيتي.

(٣) في شفا القلوب: لابن العديم.

(٤) المختصر ٣/ ١٩١ والخبر في شفاء القلوب ص٣٥٦ وعيون التواريخ ٢٠/ ٩٣.

(٥) المختصر ٣/ ١٩٢، وانظر ترجمته طغريل في الوافي ١٦/ ٤٥٨ وذيل مرآة الزمان ١٧١.

(٦) المختصر ٣/ ١٩٢، وانظر الخبر في عيون التواريخ ٢٠/ ١٠٦ و١١١، والنجوم الزاهرة ٧/ ١٣ وشذرات الذهب ٥/ ٢٦٨ وذيل مرآة الزمان ١/ ٥٤ والبداية والنهاية ١٣/ ١٩٦.

الدخول بها، فقتلته في الحمام بعد عوده من لعب الكرة في النهار المذكور، وكان الذي قتله سنجر الجوهري مملوك الطواشي محسن والخدام حسبما اتفقت / ٢٩٠/ معهم، وأرسلت في تلك الليلة إصبع المعز وخاتمه إلى الأمير عز الدين الحلبي الكبير، وطلبت منه أن يقوم بالأمر فلم يجسر على ذلك. ولما ظهر الخبر أراد مماليك المعز قتل شجر الدر فحماها المماليك الصالحية. واتفقت الكلمة على إقامة نور الدين علي[1] ابن الملك المعز أيبك، ولقبوه بالملك المنصور، وعمره حينئذٍ خمس عشرة سنة[2]، ونقلت شجرة الدر من دار السلطنة إلى البرج الأحمر، وصلبوا الخدام الذين اتفقوا معها على قتل المعز، وهرب سنجر الجوهري، ثم ظفروا به وصلبوه، واحتيط على الصاحب بهاء الدين علي بن جنًّا لكونه وزير شجر الدر، وأخذ خطّه بستين ألف دينار.

وفي[3] يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر هذه السنة: اتفقت مماليك المعز مثل سيف الدين قطز وسنجر الغتمي وبهادر، وقبضوا على علم الدين سنجر الحلبي[4]، وكان قد صار أتابكاً للملك المنصور علي بن المعز، ورتبوا في الأتابكية أقطاي المستعرب الصالحي.

وفي[5] سادس ربيع الآخر من هذه السنة: قُتلت شجرة الدر، وأُلقيت خارج البرج فحُمِلت إلى تربة كانت عند عمتها فدفنت فيها. وكانت تركية الأصل، وقيل أرمنية، وكانت مع الملك الصالح في الاعتقال بالكرك، وولدت منه ولداً اسمه خليل مات صغيراً، وبعد ذلك بأيام خنق شرف الدين الفائزي.

وفي[6] هذه السنة: نقل إلى الملك الناصر يوسف بن الملك العزيز صاحب الشام أن البحرية يريدون أن يفتكوا به، فاستوحش منهم خاطره، وتقدم إليهم بالانتزاح عن دمشق، فساروا إلى / ٢٩١/ غزة وانتموا إلى الملك المغيث فتح الدين عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل، وانزعج أهل مصر لقدوم البحرية إلى غزة. وبرزوا إلى العباسية،

---

(١) انظر خبره في النجوم الزاهرة ٧/ ٤١، وفيه: أن الأمير قطر خلعه بعد أن أمضى في السلطنة سنتين وسبعة أشهر واثنتين وعشرين يوماً، واعتقله ولم يزل في الاعتقال حتى تولى الملك الظاهر بيبرس البندقداري، فنفاه هو ووالدته وأخاه سنة ٦٥٨هـ. انظر النجوم ٧/ ٥٥.

(٢) في دول الإسلام الشريفة البهئة ص٢٨: وعمره عشر سنين.

(٣) المختصر ٣/ ١٩٢.

(٤) من أكابر الأمراء، ولي نيابة دمشق ثم سلطتها وتسمى الملك المجاهد، ثم أخرج منها وحبس، توفي سنة ٦٩٢هـ، انظر الوافي ١٥/ ٤٧٣.

(٥) المختصر ٣/ ١٩٢، وانظر عيون التواريخ ٢٠/ ١٠٩ والنجوم الزاهرة ٧/ ٥٦.

(٦) المختصر ٣/ ١٩٢، وانظر شفاء القلوب ص٤١٦ وعيون التواريخ ٢٠/ ١٠٨ والنجوم الزاهرة ٧/ ٤٤.

ووصل من البحرية جماعة مقفزين إلى القاهرة منهم عز الدين الأفرم، فأكرموهم، وأفرجوا عن أملاك الأفرم، ولما فارق البحرية الناصر صاحب الشام أرسل عسكراً في أثرهم فكبس البحرية ذلك العسكر ونالوا منه. ثم أنَّ عسكر الناصر بعد الكبسة كسر البحرية فانهزموا إلى البلقاء وإلى زعزع ملتجئين إلى المغيث صاحب الكرك، فأنفق فيهم المغيث أموالاً جليلة وأطمعوه في ملك مصر، فجهَّزهم بما احتاجوه، وسارَتْ البحريَّةُ إلى جهة مصر وخرجَتْ عساكر مصر لقتالهم، والتقى المصريون مع البحرية وعسكر المغيث بكرة السبت منتصف القعدة من هذه السنة. فانهزم عسكر المغيث والبحرية وفيهم بيبرس البندقداري المسمى بعد ذلك بالملك الظاهر إلى جهة الكرك.

وفيها[١]: وصل من الخليفة المستعصم الخلعة، والطوق والتقليد إلى الملك الناصر يوسف بن عبد العزيز على يد الشيخ نجم الدين البادرائي[٢]. فقال في ذلك الشهاب الموقاني[٣]:

يا أيُّها الملك الذي أضحى الورى ... من فعلِهِ في نعمةٍ ومزيدِ
إنِّي عهدتك في العلوم مقلّداً ... فعجبتُ كيف أتيت بالتَّقليد

وفيها[٤]: استجار الناصر داود بنجم الدين البادرائي في أن يتوجه صحبته /٢٩٢/ إلى بغداد، فأخذه صحبته، وتوصل الناصر يوسف صاحب دمشق إلى منعه من ذلك، فلم يتهيأ له ذلك. وسار الناصر داود من البادرائي إلى قرقيسيا، فأخره الباذرائي ليشاور عليه، فأقام الناصر داود تقريباً بقرقيسيا ينتظر الأذن له في القدوم إلى بغداد، فلم يؤذن له، فطال مقامه فسار إلى البريَّة، وقصد تيْه بني إسرائيل، وأقام مع عرب تلك البلاد.

وفيها[٥]: أو التي قبلها ظهرت نار بالحرَّة عند مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) المختصر ٣/ ١٩٣ وانظر الخبر في عيون التواريخ ٢٠/ ١٠٩.

(٢) نجم الدين، أبو محمد، عبد الله بن محمد بن الحسن، البادرائي، من العلماء، نرسل عن الخليفة إلى مصر والشام، توفي سنة ٦٥٥هـ، انظر: عيون التواريخ ٢٠/ ١١٥ وذيل المرآة ١/ ٧١ والنجوم الزاهرة ٧/ ٥٧.

(٣) لم يرد بيتا الموقاني في المختصر.

(٤) المختصر ٣/ ١٩٣ وانظر الخبر في عيون التواريخ ٢٠/ ١٠٩ وشفاء القلوب ص٣٥٦.

(٥) المختصر ٣/ ١٩٣ وانظر الخبر مفصلاً في عيون التواريخ ٢٠/ ٨٧ وذيل مرآة الزمان ١/ ٤١ وشذرات الذهب ٥/ ٢٦٣ والبداية والنهاية ١٣/ ١٨٧ والعسجد المسبوك ص٦١٩ والنجوم الزاهرة ٧/ ١٦ و٣٦ والحوادث الجامعة ص٣١٤.

وكان لها بالليل ضوء عظيم يظهر من مسافة بعيدة جداً، ولعلَّها النار التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم من علامات الساعة، فقال: نار تظهر بالحجاز تضيء بها أعناق الإبل ببصرى، ثم اتفق أن الخدَّام بحرم النبي صلى الله عليه وسلم وقع منهم في بعض الليالي تفريط، فاشتعلت النار في المسجد الشريف، فاحترقت سقوفُهُ ومنبر النبي صلى الله عليه وسلم، وتألم الناس لذلك.

وفي[1] سنة ست وخمسين:

كان استيلاء التتر على بغداد وانقراض الدولة العباسية. وسبب ذلك أن وزير الخليفة مؤيد الدين بن العلقمي كان رافضياً، وكان أهل الكرخ روافض، فجرت فتنة بين السنة والرافضة فأمر أبو بكر بن الخليفة وركن الدين الدوادار العسكر فنهبوا الكرخ، وهتكوا النساء وركبوا منهنّ الفواحش، فعظم ذلك على الوزير ابن العلقمي، وكاتب التتر وأطمعهم في ملك بغداد[2]، وكان عسكر / ٢٩٣/ بغداد يبلغ مائة ألف فارس، فقطعهم المستعصم ليحمل إلى التتر إقطاعاتهم، وصار عسكر بغداد دون عشرين ألف فارس.

وأرسل ابن العلقمي إلى التتر أخاه يطلبهم، فساروا قاصدين بغداد في جحفلٍ عظيم، وخرج عسكر الخليفة لقتالهم وفي مقدمتهم ركن الدين الدوادار والتقوا على مرحلتين من بغداد. واقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم عسكر الخليفة ودخل بعضهم بغداد، وسار بعضهم إلى جهة الشام، ونزل هؤلاء على بغداد من الجانب الشرقي، نزل باجو وهو مقدم كبير بالجانب الغربي قبالة دار الخليفة، وخرج مؤيد الدين بن العلقمي إلى هولاكو فتوثق منه لنفسه، وعاد إلى الخليفة وقال: إن هولاكو يبقيك بدار الخلافة كما فعل بسلطان الروم، ويريد أن يزوج ابنته بابنك أبي بكر، وحسَّنَ له الخروج إلى هولاكو، فخرج المستعصم في جمع من أكابر أصحابه، فأنزل في خيمة ثم استدعى الوزير الفقهاء والأماثل. فاجتمع هناك جميع سادات بغداد والمدرسون. وكان منهم:

---

(١) المختصر ٣/ ١٩٣ وانظر خبر استيلاء التتر على بغداد في تاريخ مختصر الدول ص٤٧٣ وعيون التواريخ ٢٠/ ١٢٩ والبداية والنهاية ١٣/ ٢٠٠ والحوادث الجامعة ٣٢٨ والنجوم الزاهرة ٧/ ٤٧ والفخري ص٢٦١ والشذرات ٥/ ٢٧٠ وتاريخ الخلفاء ص٤٧١ والعسجد المسبوك ص٦٣ وتاريخ مختصر الدول ص٤٧٣.

(٢) اختلف المؤرخون في شأن مؤيد الدين بن العلقمي وموقفه من خلافة بغداد والتتر، وهناك اتجاه لدى المؤرخين القدماء وأكدته الدراسات الحديثة أن المذكور افتري عليه، ولأمر ما دأب المؤرخون وغيرهم قديماً وحديثاً عن تأكيد خيانته في حين سكتوا عن آخرين من أرباب الدول الإسلامية شاركوا هولاكو في حصار بغداد وغيرها من الحواضر الإسلامية.

محيي الدين الجوزي[١] وأولاده[٢]، وبقي كذلك يخرج إلى التتر طائفة بعد طائفة، فلما تكاملوا قتلوهم عن آخرهم، ثم مدُّوا الجسر، وعدًّا باجو ومن معه، وبذلوا السيف في بغداد، وهجموا دار الخلافة وقتلوا مَنْ كان فيها من الأشراف، ولم يسلم إلاَّ مَنْ كان صغيراً. فأُخذ ودام القتل والنهب في بغداد أربعين يوماً، / ٢٩٤/ ثم نودي بالأمان.

وأما الخليفة فإنهم قتلوه، ولم يقع اطلاع على كيفية قتله، فقيل خُنِق، وقيل وضعوه في عدلٍ ورفسوه حتى مات، وقيل غرق في دجلة، والله أعلم.

وكان هذا المستعصم (وهو)[٣] أبو أحمد عبد الله بن المستنصر أبي جعفر منصور بن محمد بن الظاهر بن الإمام الناصر احمد، وتقدم ذكر باقي نسبه عند وفاة الإمام الناصر، ضعيف[٤] الرأي، وقد غَلَب أمراء دولته لسوء تدبيره، تولَّى الخلافة بعد موت أبيه المستنصر في سنة أربعين وستمائة، وكانت مدة خلافته نحو ستة عشر سنة تقريباً، وهو آخر خلفاء بني العباس، وكان ابتداء دولتهم في سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وهي السنة التي بويع فيها السفاح بالخلافة. وقتل فيها مروان الحمار آخر الخلفاء بني أمية. فكانت مدة ملكهم خمسمائة وأربعاً وعشرين سنة تقريباً، وعدة خلفائهم سبعة وثلاثون خليفة.

حكى[٥] القاضي جمال الدين بن واصل قال: لقد أخبرني مَنْ أثق به أنه وقف على كتاب عتيق فيه ما صورته: أن علي بن عبد الله عباس بن عبد المطلب، بلغ خلفاء بني أمية عنه أنه يقول: إن الخلافة تصير إلى ولده فأمر الأموي بعلي بن عبد الله فحمل على جمل بعد أن ضُرب وطيف به. ونودي عليه عند ضربه هذا جزاء من يفتري ويقول: إن الخلافة تكون في ولده، فكان علي بن عبد الله يقول: أي والله لتكونَنَّ الخلافة في ولدي. لا تزال فيهم حتى يأتيهم العلج من خراسان فينزعها منهم، فوقع / ٢٩٥/

---

(١) محيي الدين، يوسف بن الشيخ جمال الدين، أبو الفرج بن الجوزي، ولد سنة ٥٨٠هـ، وتفقه عن مذهب الإمام أحمد، وكان إماماً فاضلاً، ترسل عن الديوان إلى الملوك، وتولى أستاذية دار الخلافة، قتله التتار هذه السنة، انظر: عيون التواريخ ٢٠/ ٢٠٧ وذيل الروضتين ٢١ وذيل مرآة الزمان ١/ ٣٣٢ والبداية والنهاية ١٣/ ١٢، والنجوم الزاهرة ٧/ ٦٦ والشذرات ٥/ ٢٨٦.

(٢) وهم الشيخ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن وشرف الدين عبد الله وتابع الدين عبد الكريم، انظر: شذرات الذهب ٥/ ٢٨٧.

(٣) الزيادة عن المختصر.

(٤) في الأصل: أنه ضعيف.

(٥) نقلاً عن المختصر ٣/ ١٩٤، قد ورد ما يشبه حكاية ابن واصل في وفيات الأعيان ٣/ ٢٧٦، أخبار الدولة العباسية لمؤلف مجهول ص١٣٨.

مصداق ذلك، وهو ورود هولاكو، وإزالته ملك بني العباس.

وفي هذه السنة: كانت[١] الواقعة بين المغيث[٢] صاحب الكرك وعسكر مصر. كان قد انضمَّت البحرية إلى المغيث بن العادل بن الكامل بن العادل بن أيوب ونزل من الكرك، وخيم بغزة، وجمع الجموع، وسار إلى مصر في دست السلطنة وخرجت عساكر مصر مع مماليك الملك المعز أيبك وأكبرهم سيف الدين قطز والغتمي وبهادر، والتقى الفريقان، وانكسر الغيث ومَنْ معه. وسار منهزماً إلى الكرك في أسوأ حال، ونهب ثقله ودهليزه.

وفي هذه السنة[٣]: أعني سنة ست وخمسين: توفي الملك الناصر داود بظاهر دمشق في قرية يقال لها البويضا، ومولده سنة ثلاث وستمائة، وكان عمره نحو[٤] ثلاث وخمسين سنة. وكنا[٥] قد ذكرنا أخباره في سنة خمس وخمسين، وأنه توجه إلى تيه بني إسرائيل، وصار مع عرب تلك البلاد، وبلغ المغيث صاحب الكرك وصوله إلى تلك الجهة، فخشى منه، وأرسل اليه، وقبض عليه، وحمله إلى الشوبك، وأمر بحفر مطموره ليحبسه فيها، وبقي الناصر ممسوكاً، والمطمورة تحفر قدامه ليحبس فيها، فبينما هو على تلك الحال إذْ وَرَدَ رسولُ الخليفة المستعصم من بغداد يطلبه لما قصده التتار ليقدِّمه على بعض العساكر. فلما ورد رسول الخليفة إلى دمشق جهز الناصر يوسف[٦] إلى المغيث، ووصل الرسول إلى الناصر داود قبل فراغ المطمورة، فأخذه وعاد به إلى دمشق. فبلغ الرسول استيلاء التتر على بغداد وقتل الخليفة، فتركه الرسول ومضى /٢٩٦/ لشأنه. فسار الناصر داود إلى البويضا من قرى دمشق، وأقام بها ولحق الناس بالشام في تلك المدة طاعون مات منه الناصر داود، وخرج الناصر يوسف صاحب دمشق إلى البويضا، وأظهر الحزن والآسف ونقله إلى الصالحية فدفنه بتربة

---

(١) المختصر ٣/ ١٩٥، وانظر الخبر في شفاء القلوب ص٤٣٢ وعيون التواريخ ٢٠/ ١٣٥.

(٢) المغيث، عمر بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن أيوب بن شاذي مضى ذكره، ترجمته في شفاء القلوب ٤٣١ والشذرات ٥/ ٣١٠ وذيل مرآة الزمان ٢/ ٢٩٥ والسلوك ١/ ٥٢٢.

(٣) المختصر ٣/ ١٩٥، وانظر خبر وفاة الناصر داود وترجمته في شفاء القلوب ٣٤٦ وذيل الروضتين ١/ ٣٢١ والبداية والنهاية ١٣/ ١٩٨ والشذرات ٥/ ٢٨٥ والحوادث الجامعة ٧٧ وعيون التواريخ ٢٠/ ١٦٨ والنجوم الزاهرة ٧/ ٦١.

(٤) عن المختصر.

(٥) الكلام: لأبي الفداء في المختصر.

(٦) في المختصر: فلما وصول رسول الخليفة إلى دمشق جهزوه إلى المغيث صاحب الكرك، ووصل الرسول إلى موضع الملك الناصر قبل أن يتم المطمورة...

والده المعظم. وكان الناصر داود فاضلاً ناظماً نائراً. وقرأ [العلوم][١] العقلية على الشيخ شمس الدين عبد الحميد[٢] الخسروشاهي، تلميذ الإمام فخر الدين الرازي.

وللناصر داود المذكور أشعار جيِّدة، قد تقدم ذكر بعضها، ومن شعره أيضاً[٣]: [من الطويل]

عيونٌ عن السحر المبين تُبينُ ... لها عند تحريك القلوب سكونُ
تصولُ ببيضٍ وهي سودٌ فرندها ... ذبول فتورٍ والجفونُ جفونُ
اذا ما رأت قلْباً خلياً من الهوى ... تقول لَهُ كنْ مُغرَماً فيكُونُ

وله[٤]: [من الكامل]

طرفي وقلبي قاتل وشهيدُ ... ودمي على خديك منه شهود
أما[٥] وحبّك لسْتُ أضْمِرُ سَلْوةً ... عن صبوتي ودعِ الفؤاد يبيدُ
مني[٦] بطيفك بعد ما منع الكرى ... عن ناظريَّ البعد والتسهيدُ
ومن العجائب أن قلبك لم يكن ... لي والحديد ألانَهُ داودُ

ومما كتب (به)[٧] في أثناء مكاتبته إلى الشيخ عز الدين[٨] بن عبد السلام، وكان قد أغارت الفرنج على نابلس في أيام الصالح أيوب صاحب مصر: [من الطويل]

/٢٩٧/ ألا ليتَ أمِّي أيمٌ طول عمرها ... فلم يقضها ربِّي لمولىً ولا بَعْلِ[٩]
ويا ليتَهُ[١٠] لما قضاها لسيِّدٍ ... لبيبٍ أريبٍ طيب الفرع والأصلِ

---

(١) الزيادة عن المختصر.

(٢) عبد الحميد بن عيسى الخسروشاهي، صحب الفخر الرازي، أقام عند الناصر مدة طويلة، وتوفي بدمشق سنة ٦٥٢هـ، (فوات الوفيات ٢/ ٢٥٧ والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٢).

(٣) الأبيات من ملحقات الديوان ص٣٥٩ عن: ذيل مرآة الزمان ١/ ١٥٣ وعيون التواريخ ٢٠/ ١٧١ وشفاء القلوب ص٣٥٧.

(٤) الأبيات من ملحقات الديوان، وانظر التخريج ص٣٥٦ منه.

(٥) في الديوان: داما.

(٦) في الديوان: من لي.

(٧) الزيادة عن المختصر.

(٨) الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي الشافعي، من الأئمة العلماء، توفي سنة ٦٦٠هـ، **ترجمته في**: عيون التواريخ ٢٠/ ٢٧٤ وذيل الروضتين ٢١٦ وفوات الوفيات ١/ ٥٩٤ والشذرات ٥/ ٣٠١.

(٩) الأبيات في شفاء القلوب ص٣٥٨ وذيل المرآة ١/ ١٥٨ وصبح الأعشى ٤/ ١٧٥، وهي في ديوانه (الفوائد الجلية في الفرائد الناصرية) ص٢٥٤.

(١٠) في الديوان والمصادر الأخرى (ويا ليتها).

قضاها من اللائي خُلِقْنَ عواقِراً فما بُشّرتْ يوماً بأنثى ولا فَحْلِ
ويا ليتها لما غَدَتْ بي حامِلاً أُصيبت بما احتفَّت[(١)] عليه من الحملِ
ويا ليتني لما ولدتُ وأصبحت تشدُّ ازاري كنت أرمحت بالرجلِ[(٢)]
لحقت بأسلافي فكنت ضجيعهم ولم أرَ في الإسلامِ ما فيهِ من خِلِّ[(٣)]

وفي هذه السنة: قصدت[(٤)] التتر ميافارقين بعد ملكهم بغداد، وكان صاحب ميافارقين حينئذٍ الملك الكامل محمد بن الملك المظفر شهاب الدين غازي ابن العادل أبي بكر بن أيُّوب. وكان قد ملكها بعد وفاة أبيه سنة اثنتين وأربعين وستمائة. فحاصره التتر وضايقوا ميافارقين مضايقة شديدة، وصبر أهل ميارفارقين مع الكامل المذكور على الجوع الشديد، ودام ذلك حتى كان منه ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

وفيها[(٥)]: اشتدَّ الوباء بالشام، خُصوصاً دمشق، حتى لم يوجد مغسل الموتى.

وفيها[(٦)]: أرسل الملك الناصر يوسف صاحب الشام ولده الملك العزيز محمد[(٧)] وصحبته زين الدين المعروف بالحافظي، وهو من أهل قرية عقرباء من بلاد دمشق بتحف وتقادم إلى هولاكو ملك التتر، وصانَعَهُ لعلمه بعجزه عن مقاومته.

وفيها[(٨)]: كان بين البحرية بعد هزيمتهم من المصريين بين عسكر الناصر يوسف صاحب دمشق ومقدمهم الأمير /٢٩٨/ مجير الدين بن أبي زكري مصاف بظاهر غزَّة انهزم فيه عسكر الناصر يوسف. وأسر مجير الدين، وقوي أمير البحرية بعد هذه الكسرة، وأكثروا العبث والفساد.

وفي سنة سبع وخمسين:

سار[(٩)] عز الدين كيكاورس وركن الدين قليج أرسلان ابنا كيخسرو بن كيقباذ إلى

---

(١) في الديوان: اجتنَّتْ.
(٢) في الديوان والمختصر والمصادر الأخرى: تَشَدُّ إليَّ الشدقميات بالرحل.
(٣) في الديوان: خبل، وفي صبح الأعشى: ثكل.
(٤) المختصر ٣/ ١٩٦ وانظر الخبر في شفاء القلوب ص٣٨٧.
(٥) المختصر ٣/ ١٩٧.
(٦) المختصر ٣/ ١٩٧ وانظر التفاصيل في شفاء القلوب ص٤١٦.
(٧) الملك العزيز محمد، لما قتل أبوه سنة ٥٦٩هـ، كما سيأتي شفعت فيه زوجة هولاكو، فبقي عندهم مدة طويلة مكرماً ثم مات (شفاء القلوب ص٤٤٧).
(٨) المختصر ٣/ ١٩٧.
(٩) المختصر ٣/ ١٩٧.

خدمة هولاكو وأقاما معه مدة ثم عادا إلى بلادهما.

وفي هذه السنة: توفي[1] بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، ولقبه الملك الرحيم، وكان عمره قد جاوز ثمانين سنة، ولما مات ملك بعده ولده الملك الصالح الموصل، وملك سنجار ولده آخر علاء الدين، وكان بدر الدين قد صانع هولاكو، ودخل تحت طاعته، وحمل إليه الأموال، ووصل إلى خدمة هولاكو. بعد أخذ هولاكو ببلاد أذربيجان وكان صحبة لؤلؤ الشريف العلوي ابن صلايا[2]، فقيل إن لؤلؤ سعى إلى هولاكو فقتل الشريف المذكور. ولما عاد لؤلؤ إلى الموصل لم يطل مقامه بها حتى مات. وطالت أيامه في ملك الموصل، فانه كان القائم بأمور أستاذه أرسلان شاه بن مسعود بن مودود ابن زنكي بن أقسنقر، وقام بتدبير ولده الملك القاهر، ولما توفي الملك القاهر في سنة خمسة عشرة وخمسمائة، انفرد لؤلؤ بالمملكة، وأقام ولدي القاهر الصغيرين واحداً بعد آخر، واستبد بملك الموصل وبلادها ثلاثاً وأربعين سنة تقريباً، ولم يزل في ملكه سعيداً لم تطرقه آفة، ولم يختل لملكِهِ نظام.

وفي هذه السنة[3]: لما جرى من البحرية ما ذكرناه من كسر عسكر الناصر يوسف سار الناصر المذكور من دمشق / ٢٩٩/ بنفسه وعساكره وسار في صحبته الملك المنصور صاحب حماه بعسكره في جهة الكرك، وأقام على بركة زيزاء[4] محاصراً للملك المغيث صاحب الكرك [بسبب حمايته للبحرية، ووصل إلى الملك الناصر رسل الملك المغيث صاحب الكرك][5] والقطبية بنت الملك الأفضل قطب الدين[6] بن الملك العادل يتضرعون إلى الملك الناصر ويطلبون رضاه عن الملك المغيث فلم يجب

---

(١) المختصر ٣/ ١٩٨، وانظر: عيون التواريخ ٢٠/ ٢١٦ والوافي ٩/ ٤٣ والعبر للذهبي ٥/ ٢٤٠ وذيل الروضتين ٢٠٣ والبداية والنهاية ١٢/ ٢١٤ وفيه أنه مات سنة ٦٥٦هـ والنجوم الزاهرة ٧/ ٧٠ والشذرات ٥/ ٢٨٩. وقد مضت ترجمته.

(٢) هو الصاحب تاج الدين أبو المكارم محمد بن نصر بن يحيى المعروف بابن الصلايا العلوي نائب الخليفة بأربل، توفي سنة ٦٥٦هـ. انظر: شذرات الذهب ٥/ ٢٨٤ والنجوم الزاهرة ٧/ ١٦ والحوادث الجامعة ٣٣٧.

(٣) المختصر ٣/ ١٩٨ وانظر: عيون التواريخ ٢٠/ ٢١٢ وذيل مرآة الزمان ١/ ٣٤٢ وشفاء القلوب ص٤٣٢ نقلاً عن المختصر.

(٤) زيزاء: من قرى البلقاء، كبيرة يطؤها الحاج ويقام بها لهم سوق، وفيها بركة كبيرة، (معجم البلدان ٢/ ٩٦٦).

(٥) ما بين قوسين سقط من الأصل، والتكملة عن المختصر.

(٦) قطب الدين أحمد بن أبي بكر المتوفى سنة ٦١٩هـ (ترويج القلوب ص٥٩).

إلى ذلك إلا بشرط أن المغيث يقبض على مَنْ عنده من البحرية، فأجاب المغيث إلى ذلك، وعلم بالحال ركن الدين بيبرس البندقداري فهرب في جماعة من البحرية إلى الناصر يوسف. فأحسن إليه، وقبض المغيث على مَنْ عنده من البحرية، ومن جملتهم سنقر الأشقر وتنكز وبرامق، وأرسلهم على الحال إلى الملك الناصر فبعث بهم إلى حلب، واعتقلوا بها، واستقر الصلح بين الناصر وبين المغيث صاحب الكرك، وكان مدة مقام الناصر يوسف بالعساكر على بركة زيزاء ما يزيد على شهرين بقليل، ثم عاد إلى دمشق، وأعطى للملك المنصور صاحب حماه دستوراً، فعاد إلى بلده.

وفي أواخر سنة سبع وخمسين[(١)]:

في أوائل ذي الحجة قبض سيف الدين قطز على ابن أستاذه الملك المنصور نور الدين علي بن المعز أيبك وخَلَعَه من السلطنة، وكان علم الدين الختمي وسيف الدين بهادر. وهما من كبار المعزيَّة غائبين في رمي البندق[(٢)]، وانتهز قطز الفرصة في غيبتهما، وفعل ذلك. ولما حضر الغنمي وبهادر المذكوران قبض عليها أيضاً واستقر قطز في ملك الديار المصرية. وتلقب بالملك المظفر، / ٣٠٠/ وكان رسول صاحب الشام وهو كمال الدين بن العديم قد قدم إلى مصر في أيام المنصور علي بن المعز مستجيراً على التتر، واتفق خلع علي المذكور وولاية قطز بحضرة كمال الدين ابن العديم فلما استقر قطز في السلطنة أعاد جواب الملك الناصر أنه ينجده ولا يقعد عن نصرته، وعاد ابن العديم بذلك.

وفي هذه السنة[(٣)]: قصد هولاكو البلاد التي شرقي الفرات، ونازل حران وملكها، واستولى على البلاد الجزرية، وأرسل ولده شموط[(٤)] بن هولاكو إلى الشام فوصل إلى ظاهر حلب في العشر الأخير في ذي الحجة هذه السنة، وكان الحاكم بحلب الملك المعظم توران شاه بن السلطان صلاح الدين نائباً عن ابن ابن أخيه الملك الناصر فخرج عسكر حلب لقتالهم وخرج المعظم، ولم يكن من رأيه الخروج. وأكمن لهم التتر في الباب المعروف بباب الله[(٥)]. وتقاتلوا عند بانقوسا[(٦)]، فاندفع التتر قدامهم حتى

---

(١) المختصر ٣/ ١٩٩، انظر: عيون التواريخ ٢٠/ ٢١٤، والبداية والنهاية ١٣/ ٢١٦.

(٢) البندق، كلمة فارسية تطلق على كرات صغيرة من الحجر أو الطين، ثم من الرصاص بعد ذلك، كانوا يقذفونها بواسطة الأقواس كالنبل وتستخدم في الحرب والرياضة وشاع استعمال البندق في العصر العباسي وعنى به الخلفاء.

(٣) المختصر ٣/ ١٩٩، وانظر عيون التواريخ ٢٠/ ٢١٤ وذيل المرآة ١/ ٣٧٥.

(٤) في الأصل والمختصر: سموط، وهو أشموط ويشموت، الابن الأصغر لهولاكو.

(٥) ويكتب أيضاً: بابلا، وهي قرية كبيرة بظاهر حلب بينهما نحو ميل (معجم البلدان ٥/ ٤٨٢).

(٦) بانقوسا: جبل في ظاهر مدينة حلب من جهة الشمال. (معجم البلدان ص/ ٤٨٢).

خرجوا[١] عن البلد، ثم عادوا عليهم، وهرب المسلمون طالبين المدينة، والتتر يقتلون فيهم[٢] حتى دخلوا البلد، واختنق في أبواب البلد جماعة من المسلمين[٣]، ثم وصل التتر إلى إعزاز فتسلَّموها بالأمان.

ولما بلغ الناصر يوسف صاحب الشام قَصْد التتر حلب برز من دمشق إلى برزة[٤] في أواخر السنة، وجفل الناس من بين يدي التتر، وسار الملك المنصور صاحب حماه إلى دمشق، ونزل مع الناصر ببرزة، وكان هناك مع الناصر يوسف بيبرس البندقداري من حيث هرب من الكرك والتجأ إلى الناصر، واجتمع عند الناصر /٣٠١/ على برزة أمم عظيمة من العساكر والجفَّال، فدخلت سنة ثمانٍ وخمسين [٥]، والملك الناصر على برزة، ثم بلغه أن جماعة من مماليكه قد عزموا على اغتياله والفتك به، فهرب من الدهليز إلى قلعة دمشق. وبلغ مماليكه (الذين)[٦] قصدوا (ذلك)[٧] علمه بهم فهربوا على حميّة إلى غزَّة. وكذلك بيبرس البندقداري إلى غزَّة، وأشاع المماليك الناصرية أنهم لم يقصدوا قتل الملك الناصر، وإنما كان قصدهم أن يقبضوا عليه ويسلطنوا أخاه الملك الظاهر غازي[٨] بن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن السلطان صلاح الدين لشهامته. ولما جرى ذلك هرب الملك الظاهر المذكور خوفاً من أخيه الملك الناصر، وكان الظاهر المذكور شقيق الناصر، وأمهما تركية[٩]، ووصل الملك الظاهر إلى غزَّة واجتمع عليه من بها من العسكر، وأقاموه سلطاناً.

ولما جرى[١٠] ذلك كاتب بيبرس البندقداري الملك المظفر قطز صاحب مصر، فبذل له الأمان، ووعده، ففارق بيبرس البندقداري الشاميين وسار إلى مصر مع جماعة من أصحابه. فأقبل عليه الملك المظفر قطز، وأنزله في دار الوزارة، وأقطعه قيلوب[١١] وأعمالها.

(١) في الأصل: قدموا إلى أن خرجوا، والتصويب عن المختصر.
(٢) الأصل: يقتلون المدينة، واثبت نص أبي الفداء في المختصر.
(٣) في المختصر: المنهزمين.
(٤) برزة: قرية من غوطة دمشق، (معجم البلدان ٢/ ٥٦٣).
(٥) المختصر ٣/ ٢٠٠، وانظر: شفاء القلوب ص٤١٦.
(٦) التكملة عن المختصر.
(٧) التكملة عن المختصر.
(٨) قتله هولاكو مع شقيقه الناصر سنة ٦٦٩هـ، (الشذرات ٥/ ٢٩٨).
(٩) في المختصر: أم ولد تركية.
(١٠) المختصر ٣/ ٢٠٠.
(١١) قليوب، من البلاد القديمة، تقع شمال القاهرة (النجوم الزاهرة ٥/ ١٣٩ الحاشية).

وفي سنة ثمانٍ وخمسين:

في يوم الأحد[١]، تاسع صفر، كان استيلاء التتر على حلب، وسببُهُ أن هولاكو عبر الفرات بجموعِهِ، ونازل حلب. وأرسل هولاكو إلى الملك المعظم توران شاه نائب السلطنة بحلب يقول: أنكم تضعفون عن لقاء المغل، ونحن قصدنا الملك الناصر والعساكر، فاجعلوا لنا عندكم بحلب شحنة. وبالقلعة / ٣٠٢/ شحنة، ونحن نتوجَّه إلى العسكر فإن كانت الكسرة على الإسلام[٢]، وكانت البلاد لنا، وتكونون قد حقنتم دماء المسلمين، وإن كانت الكسرة علينا[٣]، كنتم مخيرين في الشحنتين، إن شئتم طردتموها، وإن شئتم قتلتموها، فلم يجب المعظم إلى ذلك، وقال: ليس لكم عندنا إلا السَّيف. وكان[٤] رسول هولاكو إليهم في ذلك صاحب أرزن الروم[٥]، فتعجَّب من الجواب، وتألم من هلاك أهل حلب بسبب ذلك. وأحاط التتر بحلب ثاني صفر. وهجموا النواثر[٦] في غد ذلك اليوم، وقتل من المسلمين جماعة كبيرة، وممن قتل: أسد الدين[٧] بن الملك الزاهر بن صلاح الدين. واشتدَّت[٨] مضايقة التتر للبلد، وهجموه من عند حمام حمدان، في ذيل قلعة الشريف يوم الأحد ثاني صفر، وبذلوا السيف في المسلمين، وصعد إلى القلعة خلق عظيم ودام القتل والنهب من نهار الأحد المذكور إلى الجمعة رابع عشر صفر المذكور فأمر هولاكو برفع السيف، نودي بالأمان، ولم يسلم من أهل حلب إلا من التجأ إلى دار شهاب الدين بن عمرون ودار نجم الدين أخي مردكين ودارالبازيار، ودار علم الدين قيصر الموصلي، والخانقاه التي فيها زين الدين الصوفي وكنيسة اليهود. وذلك لفرمانات[٩] كانت في أيديهم. وقيل أنه سلم بهذه الأماكن ما يزيد عن خمسين ألف نفس. ونازل التتر القلعة وحاصروها وبها

---

(١) المختصر ٣/ ٢٠٠، وانظر: شفاء القلوب ص٤١٦ وعيون التواريخ ٢٠/ ٢٢٢ والشذرات ٥/ ٢٩٠ وتاريخ مختصر الدول ص٤٨٦.

(٢) في المختصر وعسكر الإسلام.

(٣) الأصل: المسلمين، والتصويب عن المختصر.

(٤) في الأصل: فال، والتصويب عن المختصر.

(٥) ارزن الروم: مدينة مشهورة قرب خلاط (معجم البلدان ١/ ١٥٠).

(٦) في شفاء القلوب: السور.

(٧) أسد الدين، أرسلان بن داود الملك الزاهر. انظر ترجمته في شفاء القلوب ص٣٤٠ وذيل مرآة الزمان ١/ ٤٢٩ وترويح القلوب ص٩٨.

(٨) الأصل: اشتدَّ.

(٩) واحدها فرمان، وهو الأمر السلطاني بالأمان، أو المرسوم بتقليد وظيفة من الوظائف.

المعظم ومن التجأ إليها من العسكر، واستمرَّ الحصار عليها (إلى آن ما نذكر)[١].

وكان[٢] قد تأخر بحماه الطواشي مرشد لما سار صاحب حماه /٣٠٣/ إلى دمشق، فلما بلغ أهل حماه فتح حلب توجَّه الطواشي مرشد من حماه إلى الملك المنصور صاحب حماه بدمشق[٣]، ووصل كبراء حماه إلى حلب ومعهم مفاتيح حماه، وحملوها إلى هولاكو، وطلبوا منه الأمان لأهل حماه، وشحنة يكون عندهم، فآمنهم هولاكو، وأرسل إلى حماه شحنة رجلاً أعجمياً كان يدعي أنه من ذريَّة خالد بن الوليد يقال له خسرو شاه، فسار إلى حماه وتولاَّها.

وأمَّن الناس، وكان بقلعة حماه مجاهد الدين قيماز أمير جندار، فسلَّم القلعة إليه، ودخل في طاعة التتر، ولما بلغ الملك الناصر بدمشق أخذ حلب رحل من دمشق بمن معه من العساكر إلى الديار المصرية، وفي صحبته الملك المنصور صاحب حماه، وأقام بنابلس أياماً، ورحل عنها ونزلها الأمير مجير الدين ابن أبي زكي والأمير علي بن شجاع، ومعهما جماعة من العسكر، ثم سار الملك الناصر إلى غزَّة، فانضمَّ إليه مماليكه الذين كانوا أرادوا قتله، وكذلك اصطلح معه أخوه الملك المظفر غازي، وانضمَّ إليه خلق عظيم، ووصل التتر إلى نابلس، وكبسوا العسكر الذين بها، وقتلوا الأمير مجير الدين[٤] والأمير علي بن شجاع[٥]، وكانا أميرين جليلين فاضلين، وكان البحرية قد قبضوا عليهما واعتقلوهما بالكرك، وأفرج عنهما المغيث لما وقع الصلح بينه وبين الناصر، ولما بلغ الملك الناصر وهو بغزَّة ما جرى من كبسة التتر لنابلس رحل من غزَّة /٣٠٤/ إلى العريش، وسيَّر القاضي برهان الدين بن الحضر رسولاً إلى الملك المظفَّر يطلب منه المعاضدة، ثم سار الملك الناصر والمنصور صاحب حماه والعسكر ووصلوا إلى قطيا[٦]. فجرى فيها فتنة بين التركمان[٧] والأكراد الشهرزورية، ووقع نهب في الجفَّال، وخاف الملك الناصر أن يدخل مصر فيقبض عليه، فتأخر في قطيا،

---

(١) كذا في الأصل، وفي المختصر: وكان من ذلك ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

(٢) المختصر ٣/ ٢٠١.

(٣) الأصل: على دمشق.

(٤) مجير الدين إبراهيم بن أبي بكر بن زكري، تقدمت بعض أخباره. وكان من أعيان الأمراء الأكراد، خدم الصالح نجم الدين ومن بعده ملوك الأيوبيين، قاتل التتار بنابلس بشجاعة حتى قتل. انظر: عيون التواريخ ٢٠/ ٢٣٢ وذيل مرآة الزمان ٣/ ٨٧ والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٢١ وذيل الروضتين ٣٠٤.

(٥) انظر: عيون التواريخ ٢٠/ ٢٣٢ وذيل المرآة ١/ ٤٣٣.

(٦) وتكتب: قطية، وهي قرية في طريق مصر في وسط الرمل(معجم البلدان ٤/ ٣٧٨).

(٧) في المختصر: التركماني.

ورحلت العساكر والملك المنصور صاحب حماه إلى مصر، وتأخر من الملك الناصر جماعة يسيرة منهم أخوه الظاهر(١) والملك الصالح بن شيركوه صاحب حمص، وشهاب الدين القمري، ثم سار الملك الصالح بمن تأخر معه إلى تيه بني إسرائيل، ولما وصلت العساكر إلى مصر التقاهم المظفَّر قطز بالصالحية، وطيَّب قلوبهم، وأرسل إلى الملك المنصور صاحب حماه سنجقاً، والتقاه ملتقى حسناً، وطيَّب قلبه، ودخل القاهرة، وأما التتر فإنهم استولوا على دمشق وعلى سائر الشام إلى غزَّة واستقرَّت شحانيهم بهذه البلاد، وأمَّا قلعة حلب، فوثب جماعة من أهلها في مدّة الحصار على صفي الدين بن طرزة رئيس حلب وعلى نجم الدين محمد بن عبد العزيز بن القاضي نجم الدين بن أبي عصرون فقتلوهما لأنهم اتهموها بمواطأة التتر، ودام الحصار على القلعة نحو شهرين، ثم سُلِّمت بالأمان في يوم الاثنين الحادي عشر من ربيع الأول هذه السنة. ولما نزل أهلُها بالأمان، وكان فيها جماعة من البحرية الذين /٣٠٥/ حبسهم الملك الناصر منهم: سكز وبرامق وسنقر الأشقر، فسلَّمهم هولاكو وباقي الترك إلى رجل مع التتر يقال له سلطان حق، وهم من أكابر القفجاق، هرب من التتر لما غلبت على القفجاق إلى حلب، فأكرمه الملك الناصر، فلم تطب له تلك البلاد، وعاد إلى التتر، وأما العوام والغرباء فنزلوا إلى أماكن الحمى التي قدَّمنا ذكرها.

وأمر هولاكو أن يمضي كل من سلَّم إلى داره وملكه وأن لا يعارض، وجَعَلَ النائب بحلب عماد الدين القزويني، ووصل إلى هولاكو على حلب الملك الأشرف صاحب حمص بن إبراهيم بن شيركوه(٢)، وكان قد انفرد الأشرف المذكور عن المسلمين، ولما توجَّه الناصر يوسف إلى جهة مصر، ووصل إلى هولاكو بحلب فأكرمه هولاكو وأعاد عليه حمص، وكان قد أخذها منه الناصر صاحب حلب سنة ست وأربعين وستمائة وعوضه عنها تل باشر كما تقدم ذكره. فعادت إليه في هذه السنة، واستقرَّ ملكه بها، وقدم أيضاً على هولاكو وهو نازل على حلب محي الدين بن الزكي من دمشق ومعه مفاتيحها، فأقبل عليه هولاكو وخلع عليه وولاَّه قضاء الشام. ولما عاد ابن الزكي المذكور إلى دمشق لبس خلعة هولاكو، وكانت مذهبة، وجمع الفقهاء وغيرهم من أكابر دمشق، وقرأ عليهم تقليد هولاكو، واستقرَّ في القضاء، ثم رحل

(١) الملك الظاهر علي، قتله التتار مع الناصر سنة ٦٥٩هـ كما سيأتي. انظر: ترجمته في شفاء القلوب وترويح القلوب ٩٣ وذيل مرآة الزمان ٢/ ١٣٠.

(٢) في المختصر: موسى إبراهيم بن شيركوه.

هولاكو إلى حارم، وطلب تسليمها، فامتنعوا أن يسلموها لغير فخر الدين والي قلعة حلب. فأحضره هولاكو، /٣٠٦/ فسلَّموها إليه، فغضب هولاكو وقتل أهل حارم عن آخرهم، وسبى النساء، ثم رحل بعد ذلك وعاد إلى الشرق، وأمر عماد الدين القزويني بالرحيل إلى بغداد، فسار إليها وجعل مكانه بحلب رجلاً أعجمياً. وأمر هولاكو بخراب أسوار قلعة حلب وخراب أسوار المدينة، فخربت عن آخرها. وأعطى هولاكو الأشرف موسى صاحب حمص الدستور، ففارقه ووصل حماه فنزل بدار المبارز، وأخذ في خراب سور حماه بتقدم هولاكو إليه، فخربت أسوارها وأُحرِقت زَرْدَ خاناتها، وبيعت (الكتب)[1] التي في دار السلطنة بقلعة حماه بأبخس الأثمان.

وأما أسوار مدينة حماه فلم تخرب لأنه كان بحماه رجل يقال له إبراهيم ابن الإفرنجية ضامن الجهة المفردة، بَذَل لخسروشاه جملة كبيرة من المال، وقال: الفرنج قريب منا بحصن الأكراد، ومتى خربت أسوار المدينة لم يقدر أهلها على المقام فيها، فأخذ منه المال ولم يتعرض لخراب أسوار المدينة، وكان قد أمر هولاكو الملك الأشرف صاحب حمص بخراب قلعة حمص، فلم يخرب منها إلاَّ شيئاً قليلاً لأنها مدينته.

وأما دمشق فإنهم لما ملكوا المدينة بالأمان لم يتعرضوا إلى قتل ونهب وعصت عليهم قلعة دمشق فحاصرها[2] التتر، وجرى على أهل دمشق شدَّة عظيمة من عصيان القلعة، وضايقوا القلعة، وأقاموا عليها المناجيق، ثم تسلموها بالأمان في منتصف جمادى الأولى هذه السنة، /٣٠٧/ ونهبوا جميع ما فيها. وجدّوا في خراب أسوار القلعة وإعدام ما بها من الزردخانات والآلات.

ثم توجهوا إلى بعلبك، ونازلوا قلعتها.

وفي هذه السنة: استولى[3] التتر على ميافارقين، وقد تقدم ذكر نزولهم عليها في سنة ست وخمسين، ودام الحصار عليهم حتى فنيت أزوادهم، وفنى أهلها بالوباء وبالقتل، وصاحبها الملك الكامل محمد[4] بن المظفر غازي ابن العادل أبي بكر بن أيوب مصابراً ثابتاً، وضعف مَنْ عنده عن القتال. فاستولى التتر عليها وقتلوا صاحبها

---

(١) التكملة عن المختصر.
(٢) الأصل: حاصروها وانظر الخبر في الشذرات ٥/ ٢٩٠ والبداية والنهاية ١٣/ ٢١٩.
(٣) المختصر ٣/ ٢٠٣ وانظر: الخبر في شفاء القلوب ص٣٨٧ والشذرات ٥/ ٢٩٥.
(٤) **ترجمته في**: ذيل الروضتين ٢٠٥. السلوك ١/ ٤٤١. ذيل مرآة الزمان ٢/ ٥٧، والنجوم الزاهرة ٧/ ٩١. وشذرات الذهب ٥/ ٢٩٥ والوافي في الوفيات ٤/ ٣٠٧.

الملك الكامل المذكور، وحملوا رأسه على رمح وطيف به في البلاد، ومرُّوا به على حلب وحماه ووصلوا به إلى دمشق في سابع عشرين جمادى الأولى، فطافوا به في دمشق بالمغاني والطبول وعلّق الرأس المذكور في شبكة بسور باب الفراديس إلى أن عادت دمشق إلى المسلمين، فدفن بمشهد الحسين داخل باب الفراديس، وفيه يقول الشيخ شهاب الدين أبو شامة رحمه الله أبياتاً منها[1]:

إبْنُ غازي غزا وجاهد قوماً	أثخنوا في العراق والمشرقين
ظاهراً عالياً ومات شهيداً	بعد صبرٍ عليهمُ عامين
لم يشنه إذا طيف بالرأس منه	وله إسوةٌ برأس الحسينِ
ثم واروا في مشهد الرأس ذلك	الرأس واستعجبوا في الحالتين

وأما الملك الناصر يوسف، فإنه لما انفرد عن العسكر من قطية وسار /٣٠٨/ إلى تيْه بني إسرائيل بقي متحيراً[2] إلى أين يتوجَّه، وعزم على التوجُّه إلى الحجاز، وكان له طبردار[3] اسمه حسين، فحسَّن له المضي إلى التتر وقصد هولاكو. فاغترَّ بقوله، ونزل ببركة زيزاء[4]، وسار حسين الكردي إلى كتبغا نائب هولاكو، وعرَّفه بموضع الناصر، فأرسل كتبغا إليه وقبض عليه وأحضره إلى عجلون، وكانت بَعْدُ عاصية، فأمرهم الملك الناصر بتسليمها فسلمت إليهم، فهدموها.

وكنا قد ذكرنا حصار التتر لبعلبك، فتسلموها قبل تسليم عجلون، وخربوا قلعتها أيضاً.

وكان بالصبيبية صاحبها الملك السعيد بن الملك العزيز بن العادل فسلَّم الصبيبة إليهم، وصار الملك السعيد معهم، وأعلن بالفسق والفجور وسفك دماء المسلمين.

وأما الملك الناصر يوسف فإن كتبغا بعث به إلى هولاكو، فوصل إلى دمشق، ثم إلى حماه، وبها الملك الأشرف صاحب حمص، فخرج إلى لقائه هو وخسروشاه النائب بحماه، ثم سارا إلى حلب، فلما عاينها الملك الناصر وما حلَّ بها وبأهلها بكا وتألَّم وأنشد[5]:

---

(١) الأبيات في: شفاء القلوب ص٣٨٧ والوافي ٤/ ٣٠٧ وابن الوردي ٢/ ٢٩٤.

(٢) الأصل: متعجباً، والتصويب عن المختصر.

(٣) الطبردار: الذي يحمل السلاح بين يدي السلطان لأجل حفظ نفسه.

(٤) بركة زيزاء: من قرى البلقاء، كبيرة، وبها بركة عظيمة (معجم البلدان ٣/ ١٦٣).

(٥) البيت في النجوم الزاهرة ٧/ ٢٠٥ وابن الوردي ٢/ ٢٩١ وهو من أبيات شفاء القلوب ٤١٩.

يعزُّ علينا أنْ نرى ربعكم يَبْلَى وكانت به آيات حسنكم تُتْلَى

ثم سار إلى الأردن فأقبل عليه هولاكو ووعده بردِّه إلى مملكته.

وفي خامس عشر شعبان: أخرج التتر من الاعتقال نقيب قلعة دمشق وواليها وضربوا أعناقهما بداريا.

واشتهر عند أهل دمشق خروج العسكر من مصر /٣٠٩/ لقتال التتر، فأوقعوا بالنصارى. وكان قد استطالوا على المسلمين بدق النواقيس وإدخال الخمر إلى الجامع، فنهبهم المسلمون في سابع عشرين رمضان، وأخربوا كنيسة مريم، وكانت كنيسة عظيمة، وكانت كنيسة مريم في جانب دمشق الذي فتحه خالد بن الوليد بالسيف فبقيت بيد المسلمين، وكان ملاصق الجامع كنيسة وهي من الجانب الذي فتحه أبو عبيدة بن الجراح بالأمان، فبقيت بأيدي النصارى. فلما ولي الوليد بن عبد الملك الخلافة خرَّب الكنيسة الملاصقة للجامع وأضافها إليه. ولم يعوض النصارى عنها. فلما ولي عمر بن عبد العزيز عوضهم كنيسة مريم عن تلك الكنيسة فعمروها عمارةً عظيمة، وبقيت كذلك حتى خربها المسلمون في التاريخ المذكور.

وفي يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان هذه السنة: كانت[1] هزيمة التتر على عين جالوت، وذلك لما اجتمعت العساكر الإسلامية بمصر، عزم الملك المظفَّر قطز. مملوك المعز أيبك على الخروج على الشام ولقتال التتر وسار من مصر بالعساكر الإسلامية وصحبته الملك المنصور محمد صاحب حماه وأخوه الملك الأفضل علي، وكان مسيره من الديار المصرية في أوائل رمضان من هذه السنة، ولما بلغ كتبغا، سار بجموعه والتقى الجمعان في اليوم المذكور، فانهزمت التتر هزيمة قبيحة، وأخذتهم /٣١٠/ سيوف المسلمين، وقتل مقدمهم كتبغا، واستؤسر ابنه، وتعلق مَنْ سلم مِنَ التتر برؤوس الجبال، وتبعهم المسلمون فأفنوهم، وهرب من سلم إلى الشرق، وجرد قطز ركن الدين بيبرس البندقداري في أثرهم فتبعهم إلى أطراف البلاد. وكان أيضاً في جهة التتر الملك الأشرف موسى صاحب حمص، ففارقهم وطلب (الأمان)[2] من المظفر قطز فآمنه، ووصل إليه فأكرمه، وأقرَّه على ما بيده وهو حمص ومضافاتها.

وأما الملك العزيز صاحب الصبيبة، فإنه أُمسك أسيراً وأُحضِر إلى بين يدي

---

(١) المختصر ٣/ ٢٠٥، وانظر خبرعين: جالوت في الشذرات ٥/ ٢٩١ ودول الإسلام الشريفة البهية ص٣١، وتاريخ الخلفاء ص٤٧٥ والبداية والنهاية ١٣/ ٢٢٠ وعيون التواريخ ٢٠/ ٢٢٦ والنجوم الزاهرة ٧/ ٧٨.

(٢) التكملة من المختصر.

المظفَّر قطز، فأمر بضرب عنقه بسبب ما كان اعتمده من سفك الدماء والفسق. ولما انقضى أمر المصاف، أحسن المظفَّر قطز إلى الملك المنصور صاحب حماه وأقرَّه على حماه وبارين وأعاد إليه المعرَّة وكانت في يد الحلبيين من حين استولوا عليها في سنة خمس وثلاثين وستمائة. وأخذ سلمية منه وأعطاها لأمير العرب. وأتم الملك المظفر السير بالعسكر وصحبته الملك المنصور صاحب حماه حتى دخل دمشق، وتضاعف شكر المسلمين لله تعالى على هذا النصر العظيم، فإن القلوب كانت يئست من النصر على التتر لاستيلائهم على معظم بلاد الإسلام، ولأنهم ما قصدوا إقليماً إلاَّ فتحوه، ولا عسكراً إلاَّ هزموه، فابتهجت الرعايا بالنصرة عليهم وبقدوم الملك المظفر قطز إلى الشام وفي يوم دخوله دمشق أمر بشنق جماعة منتسبين إلى التتر، فشنقوا، وكان من جملتهم حسين الكردي طبردار الملك الناصر يوسف، وهو الذي أوقع الناصر /٣١١/ في أيدي التتر، وفي هذه النصرة، وقدُم قطز إلى الشام يقول بعض الشعراء:

هلك الكفر في الشآم جميعاً ... وأستجد الإسلام بعد دحوضه
بالمليك المظفر الملك الأر ... روع سيف الإسلام عند نهوضه
ملك جاءنا بحزم وعزم ... فاعتززنا بسمره وبيضهِ
أوْجَبَ الله شكر ذاك علينا ... دائماً مثل واجبات فروضهِ

ثم أعطى قطز لصاحب حماة الدستور، فقدم الملك المنصور قدامه مملوكه ونائبه مبارز الدين أقوش(١) المنصوري إلى حماة، ثم سار الملك المنصور وأخوه الأفضل، ووصلا إلى حماة، ولما أستقر الملك المنصور بحماة قبض على جماعة كانوا مع التتر وأعتقلهم.

وهنأ الشيخ شرف الدين شيخ الشيوخ(٢) المنصور بهذا النصر العظيم، وبعود المعرَّة، بقصيدة منها: [الكامل]

رُعْتَ العدى فَضَمِنْتَ ثَلَ عروشها ... ولقيتها فَأَخذْتَ تل جيوشها
نازَلْتَ أملاك التتار فأنْزَلْتْ ... عن فحلها قَسْراً وعن إكديشها
فغدا لسيفك في رقاب كماتها(٣) ... حصد المناجل في يبيس حشيشها
فُقْتَ الملوك ببذل ما تحويه إذ ... خَتَمَتْ خزائِنها على منقوشها

---

(١) آقوش المنصوري الحموي، التركي، أستاذ صاحب حماه، من كبار الأمراء في حماه وصف بالشجاعة والكرم، توفي سنة ٦٧٢هـ. انظر: الوافي ٩/ ٣٢٢.

(٢) الصاحب شرف الدين الأنصاري، والقصيدة في ديوانه ص٢٩٦، وشفاء القلوب ص٤٤١.

(٣) الأصل: كأنها، والتصويب من الديوان والشفاء.

وطويت عن مصر فسيح مراحلٍ ما بين بركتها[1] وبين عريشها
حتى حفظت على العباد بلادها من رومها الأقصى إلى أحبوشها
/ ٣١٢/ فرشت حماه لوطىء نعلك خدّها فوطئت عين الشمس من مفروشها
وضربت سكّتها التي أخْلَصْتَها عما يشوب النقد مِنْ مغشوشها
وكذا المعرَّة إذ بلغت قيادها دَهَشَتْ سروراً سار في مدهوشها
طربت برجعتها إليك كأنما سكرت[2] بخمرة كاسها[3] أو جيشها
لا زلْت تنعش بالنوال فقيرها وتنال أقصى الأجر من مَنْعُوشِها

وكان خسرو شاه قد سافر من حماه إلى جهة المشرق لما بلغه كسرة التتر. ثم جهز الملك المظفر قطز عسكراً إلى حلب لحفظها، ورتب شمس الدين آقوش البرلي العزيزي أميراً بالسواحل وغزَّة، ورتَّب معه جماعة من العزيزية، وكان البرلي المذكور من مماليك الملك العزيز محمد صاحب حلب. وسار في جملة العزيزية مع ولده الملك الناصر إلى قتال المصريين وخامر البرلي وجماعة من العزيزية على ابن أستاذهم الملك الناصر، وصاروا مع أيبك التركماني صاحب مصر، ثم أن المذكورين قصدوا اغتيال المعزّ أيبك المذكور، فعلم بهم، فقبض على بعضهم، وهرب بعضهم، وكان البرلي المذكور من جملة من سلم وهرب إلى الشام، فلما وصَلَ إلى الملك الناصر اعتقله بقلعة عجلون، فلما توجَّه الملك الناصر بالعساكر إلى الغور مندفعاً بين يدي التتر أخرج البرلي المذكور من حبس عجلون، وطيَّب خاطره، فلما هرب الملك الناصر من قطية، دخل شمس الدين البرلي إلى مصر مع باقي العساكر، فأحسن إليه قطز وولاَّه الآن السواحل وغزَّة.

ثم إن المظفر قطز فوَّض السلطنة بدمشق إلى الأمير علم الدين سنجر الحلبي، وهو الذي / ٣١٣/ كان أتابك علي بن المعزّ أيبك.

وفوض نيابة السلطنة بحلب إلى الملك السعيد بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، وكان المذكور قد وصل إلى الملك الناصر يوسف صاحب الشام ودخل مع العساكر إلى مصر، وصار مع المظفر قطز ففوّض إليه نيابة السلطنة بحلب، وكان سببه أن (أخاه)[4] الملك الصالح بن لؤلؤ قد صار صاحب الموصل بعد أبيه فولاَّه حلب ليكاتبه أخوه بأخبار التتر. ولما استقرَّ السعيد المذكور في نيابة حلب سار سيرةً رديئة،

---

(١) الأصل: والتصويب عن الديوان والشفاء.
(٢) الأصل: شربت، والتصويب عن الديوان والشفاء.
(٣) في الديوان والشفاء: جأشها.
(٤) التكملة عن المختصر.

وكان دأبه التحيل على أموال الرعية.

ولما قرر[١] الملك المظفر قطز المذكور الشام على ما شرحناه سار من دمشق إلى جهة الديار المصرية. وكان قد اتفق بيبرس البندقداري الصالحي مع أنص مملوك نجم الدين الرومي الصالحي والهاروني وعلم الدين صغن أغلى على قتل المظفر قطز. وساروا معه يتوقعون الفرصة، فلما صار قطز إلى القصير بطرف الرمل وبينه وبين الصالحية مرحلة، وقد سبق الدهليز والعسكر إلى الصالحية، فبينا قطز يسير إذ قامت أرنب بين يديه، فساق عليها، وساق هؤلاء المذكورون معه، فلما بعدوا تقدم إليه أنص وشفع عند الملك المظفر في إنسان فأجابه إلى ذلك، وأهوى ليقبل يده وقبض عليها، فحمل عليه بيبرس البندقداري حينئذٍ وضربه بالسيف، واجتمعوا عليه ورموه عن فرسه وقتلوه بالنشاب، وذلك في سابع عشر ذي القعدة من هذه السنة، فكانت /٣١٤/ مدة ملكه إحدى عشر شهراً، وثلاثة عشر يوماً، وساق بيبرس وأصحابه بعد مقتله حتى وصلوا إلى الدهليز بالصالحية.

ولما[٢] وصل بيبرس المذكور هو والجماعة قاتلي المظفر قطز إلى الدهليز وكان عند الدهليز نائب السلطنة فارس الدين أقطاي[٣] المستعرب، وهو الذي كان أتابكاً لعلي بن المعز أيبك بعد الحلبي[٤]، فلما تسلطن قطز أقره على نيابة السلطنة، فلما وصل بيبرس البندقداري (مع الجماعة الذين قتلوا قطز إلى الدهليز)[٥]، سألهم أقطاي (المستعرب المذكور)[٦] وقال: مَنْ قتله منكم؟ فقال بيبرس: أنا. قال له أقطاي: يا خوند[٧]، اجلس في مرتبة السلطنة، فجلس واستدعيت العساكر للتحليف، فحلفوا له في اليوم الذي قُتل فيه قطز، واستقر بيبرس في السلطنة، وتلقب بالملك القاهر، ثم بعد ذلك غيَّر لقبه، وتلقب بالملك الظاهر، لأنه بلغه أن القاهر لقب غير مبارك، ما لقِّب به أحد فطالت مدته، وكان الملك الظاهر المذكور وقد سأل من قطز النيابة بحلب فلم

---

(١) المختصر ٣/ ٢٠٧تحت عنوان (ذكر عود الملك المظفر قطز إلى جهة الديار المصرية ومقتله) وانظر: خبر مقتل الملك في شذرات الذهب ٥/ ٢٩٣.

(٢) المختصر ٣/ ٢٠٧، تحت عنوان ((ذكر سلطنة بيبرس البندقداري المذكور)).

(٣) أقطاي بن عبد الله، الأمير، الأتابك، فارس الدين، الصالحي النجمي، كان مملوكاً لنجم الدين محمد بن يمن ثم انتقل إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب، وأقرَّه، ثم ترقَّى، فكان نائب السلطنة بمصر، وبايع للظاهر بيبرس، فأبقاه على نيابة السلطنة، وتغير عليه بعد ذلك، ومات سنة ٦٧٢هـ، انظر: الوافي ٩/ ٣١٨ وذيل مرآة الزمان ٣/ ٤٥، والبداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ٢١٦.

(٤) هو سنجر الحلبي.

(٥) التكملة عن المختصر.

(٦) التكملة عن المختصر.

(٧) خوند: تعني السيد

يجبه ليكون ما قدَّره الله تعالى.

ولما حلف الناس للملك الظاهر بالصالحية، ساق جماعة من أصحابه وسبق العسكر إلى قلعة الجبل ففتحت له، ودخلها، واستقرت قدمُهُ في المملكة، وكانت قد زينت مصر والقاهرة لقدوم قطز، فاستمرت الزينة لسلطنة بيبرس في سابع عشر ذي القعدة.

وفي[1] العشر الأخير في ذي القعدة: شرع الأمير علم الدين سنجر الحلبي نائب السلطنة بدمشق بعمارة قلعة دمشق، وجمع لها الصناع وكبراء الدولة والناس، وعملوا فيها حتى النساء أيضاً[2]، وكان عند الناس / ٣١٥/ بذلك سرور عظيم.

وفي[3] العشر الأوَّل من (ذي الحجة): من هذه السنة أعني سنة ثمانٍ وخمسين وستمائة جمع سنجر الحلبي الناس، وحلَّفهم لنفسه بالسلطنة فأجابه الناس إلى ذلك وحلفوا له، ولم يتأخر عنه أحد. ولقب بالملك المجاهد، وخطب له بالسلطنة وضُرِبت السكة باسمه، وكاتب الملك المنصور صاحب حماه فلم يجبه، وقال صاحب حماه: أنا مع من يملك مصر كائناً مَنْ كان.

وقد[4] ذكرنا أن الملك السعيد[5] بن لؤلؤ صاحب الموصل كان قد أساء السيرة في حلب فأبْغَضَهُ العسكر، وبلغ الملك السعيد عود التتر إلى الشام وأنه قد وصل أوَّلهم إلى البيرة، فجهَّز إلى جهتهم جماعة قليلة من العسكر وقدم عليهم سابق الدين أمير مجلس الناصري، فأشار عليه[6] كبراء العزيزية والناصرية بأن هذا ما هو مصلحة، وأن هؤلاء قليلون، فيحصل الطمع بسببهم في البلاد، فلم يلتفت إلى ذلك وأصرَّ على مسيرهم، فسار سابق الدين أمير مجلس بمن معه حتى قاربوا البيرة، فوقع عليهم التتر، بعد أن قُتل غالب مَنْ كان معه. فازداد غيظ الأمراء على الملك السعيد بسبب ذلك، فاجتمعوا وقبضوا عليه، ونهبوا وطاقهُ، وكان قد برز إلى الباب المعروف بباب الله. ولما استولوا على خزانته لم يجدوا فيها مالاً طائلاً، فهدده بالعذاب إنْ لم يقرّ لهم بماله، فنبش من تحت أشجار بباب الله خمسين ألف دينار مصرية ففرقت في الأمراء،

---

(١) المختصر ٣/ ٢٠٨ تحت عنوان ((ذكر إعادة إعمار قلعة دمشق)) وانظر: عيون التواريخ ٢٠/ ٢٣٠، وذيل مرآة الزمان ١/ ٣٧٤.
(٢) الأصل: فيها.
(٣) المختصر ٣/ ٢٠٨ تحت عنوان ((ذكر سلطنة الحلبي بدمشق))، وانظر: عيون التواريخ ٢٠/ ٢٣١، وذيل مرآة الزمان ١/ ٣٧٤.
(٤) المختصر ٣/ ٢٠٨ بتصرف يسير.
(٥) في الأصل: العزيز.
(٦) في الأصل: عليهم.

وحمل الملك السعيد المذكور /٣١٦/ إلى الشغر وبكاس[١] معتقلاً، ثم (لما)[٢] اندفع العسكر من بين يدي التتر (أفرجوا عنه)[٣] ولما جرى ذلك اتفقت الأمراء العزيزية والناصرية، وقدَّموا عليهم الأمير حسام الدين الجوكندار (العزيزي ثم سارت التتر إلى حلب فاندفع حسام الدين الجوكندار)[٤] بعسكره بين أيديهم إلى جهة حماه، ووصل التتر إلى حلب في أواخر هذه السنة، وملكوها وأخرجوا أهلها إلى قرنبيا، وهي مقر الأنبياء، فاختصرها الأعوام ولما اجتمعوا في قرنبيا بذل التتر فيهم السيف، فقتل أكثرهم، وسلم القليل منهم، ووصل حسام الدين الجوكندار ومن معه إلى حماه، فضيَّفه الملك المنصور صاحب حماه وهو مستشعر خائف من غدرهم، ثم رحلوا من حماه إلى حمص، فلما قارب التتر حماه خرج منها الملك المنصور، وبعده أخوه الملك الأفضل. والأمير مبارز الدين وباقي العسكر. واجتمعوا بحمص. فلما[٥] كان يوم الجمعة خامس محرم سنة تسع وخمسين وَصَل التتر[٦] إلى حمص، ووقع الاتفاق على لقائهم، فالتقوا بظاهر حمص في نهار الجمعة المذكورة، وكانت التتر ثلاثة عشر ألفاً بهادرية والمسلمون أقل من ألفي فارس[٧]، ففتح الله تعالى على المسلمين بالنصر، وانهزمت التتر، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون كيف شاؤا، ووصل المنصور إلى حماه بعد هذه الواقعة، وانضم من سلم إلى التتر إلى باقي جماعتهم، وكانوا نازلين قرب سلمية، واجتمعوا ونزلوا على حماه وبها صاحبها المنصور وأخوه الأفضل والعسكر، وأقام التتر على حماه يوماً واحداً، ثم رحلوا عن حماه.

وأراد المنصور /٣١٧/ بعد رحيل التتر السير إلى دمشق فمنعه العامة حتى استوثقوا منه أن يعود عن قريب، فسار هو وأخوه الأفضل في جماعة قليلة وبقي الطواشي مرشد في باقي الجماعة بحماه، ووصل المنصور إلى دمشق، وأما حسام الدين الجوكندار العزيزي، فتوجَّه بمن معه، ولم يدخل دمشق، ونزل بالمرج ثم سار

---

(١) الشفر وبكاس: قلعتان حصينتان على رأس جبلين بينهما واد كالخندق، قرب إنطاكية (معجم البلدان ٣/ ٣٥٢).

(٢) الزيادة عن المختصر.

(٣) الزيادة عن المختصر.

(٤) سقط من الأصل، والتكملة عن المختصر.

(٥) المختصر ٣/ ٢٠٩ تحت عنوان (ذكر كسرة التتر على حمص).

(٦) لم يرد ذكر أعداد التتر والمسلمين في المختصر، وقد جاء فيه: وكان التتر أكثر من المسلمين بكثير. في الأصل: النفر.

(٧) المختصر ٣/ ٢١٠ تحت عنوان (ذكر القبض على سنجر الحلبي الملقب بالملك المجاهد).

إلى مصر، وأقام صاحب حماه وصاحب حمص في دورهما بدمشق والحاكم بها يومئذٍ سنجر الحلبي الملقب بالملك المجاهد، وقد اضطرب أَمْرُهُ فلم يدخلا في طاعته لضعفه وتلاشي أمره.

وأما التتر فساروا من حماه إلى فامية، وكان قد وصل إلى فامية، سيف الدين الدنبلي الأشرفي ومعه جماعة، فأقام بقلعة فامية وقد بقي يغير على التتر، فرحلوا عن فامية وتوجَّهوا إلى الشرق.

وفي هذه السنة: أعني تسع وخمسين. جهز[١] الظاهر بيبرس عسكراً مع علاء الدين البندقدار لقتال علم الدين سنجر الحلبي المستولي على دمشق، فوصلوا إلى دمشق في ثالث عشر صفر، فخرج الحلبي لقتالهم، وكان صاحب حماه وصاحب حمص (مقيمين)[٢] بدمشق، فلم يخرجا معه، واقتتل معهم بظاهر دمشق، فولى الحلبي وأصحابه منهزمين، ودخل إلى قلعة دمشق ثم هرب بالليل إلى جهة بلعلبك، فتبعه العسكر وقبضوا عليه، وحمل إلى الديار المصرية فاعتقل ثم أطلق، واستقرت دمشق في ملك الظاهر، وأقيمت له الخطبة بها، وبغيرها من الشام، مثل حماه وحلب وحمص وغيرها، /٣١٨/ واستقرَّ أيدكين البندقدار الصالحي في دمشق لتدبير أمورها، ولما استقرَّ الحال على ذلك رحل المنصور والأشرف وعادا إلى بلديهما حماه وحمص.

وفي هذه السنة: ورد[٣] مرسوم الظاهر بالقبض على بهاء الدين بغدي الأشرفي وعلى شمس الدين أقوش البرلي وغيرهما من العزيزية والناصرية. فبقي علاء الدين أيدكين متوقعاً ذلك، فتوجه بغدي إلى علاء الدين أيدكين فحال دخوله عليه قبضه، فاجتمعت العزيزية والناصرية إلى أقوش البرلي وخرجوا من دمشق ليلاً على حميَّة، ونزلوا بالمرج، وكان البرلي قد ولاَّه المظفر قطز غزة والسواحل، فلما جهز الظاهر البندقدار لقتال الحلبي، أمر البرلي أن ينضم إليه، فسار البرلي مع البندقدار وأقام بدمشق، فلما قبض على بغدي، خرج البرلي إلى المرج، فأرسل البندقدار إلى البرلي يطيِّب قلبه، ويحلف له. فلم يلتفت ذلك[٤]، ثم توجَّه إلى حماه وأرسل يقول لمنصور صاحب حماه انه لم يبقَ من البيت الأيُّوبي غيرك. فقم لنصير معك ونملك البلاد، فلم

---

(١) المختصر ٣/ ٢١٠ بعنوان (ذكر خروج البرلي عن طاعة الملك الظاهر بيبرس واستيلائه على حلب).

(٢) الزيادة عن المختصر.

(٣) المختصر ٣/ ١٠، بعنوان: (ذكر خروج البرلي عن طاعة الملك الظاهر بيبرس واستيلائه على حلب).

(٤) بعده في المختصر ص٢١١: (وسار البرلي إلى حمص وطلب من صاحبها الأشرف موسى أن يوافقه على العصيان فلم يجبه إلى ذلك).

يلتفت المنصور إلى ذلك وردَّه ردّاً قبيحاً، فاغتاظ البرلي، ونزل على حماه، وأحرق زرع بيدر العشر، وسار إلى شيزر، ثم إلى جهة حلب وكان أيدكين البندقدار لما استقرَّ بدمشق قد جهز عسكراً مع فخر الدين الحمصي للكشف عن البيرة، فإن التتر كانوا قد نازلوها، فلما قدم البرلي إلى حلب كان بها فخر الدين الحمصي المذكور، فقال البرلي: نحن في طاعة الظاهر[1] من غير أن يكلفنا /٣١٩/ وطيء بساطه، فسار الحمصي إلى مصر ليؤدي هذه الرسالة، فلما سار إلى مصر وخرج عن حلب تمكن البرلي في حلب واحتاط على ما بها من الحواصل، واستبدَّ بالأمر، وجمع العرب والتركمان، واستعدَّ لقتال عسكر مصر، ولما توجّه الحمصي لذلك التقى في الرمل جمال الدين المحمدي الصالحي متوجهاً بمن معه من عسكر مصر لقتال البرلي فأرسل الحمصي عرَّف الظاهر برسالة البرلي، فأرسل الظاهر ينكر على فخر الدين الحمصي، ويأمره بالانضمام إلى المحمدي والمسير لقتال البرلي، فعاد من وقته، ثم رضي الظاهر عن علم الدين سنجر الحلبي وجهزه وراء المحمدي في جمع من العسكر، ثم أردفه بعز الدين الدمياطي في جمعٍ آخر، وسار الجميع إلى جهة حلب وطردوه عنها، وانقضت السنة والأمر على ذلك.

وفي هذه السنة[2]: لما بلغ هولاكو كسرة عسكره على عين جالوت ثم كسرته ثانياً على حمص، غضب من ذلك، وأحضر الناصر يوسف، وأخاه الظاهر غازي، وقال: أنت قلت ان عسكر الشام في طاعتك، فغرَّرْت بي، وقتلت المغل. فقال الناصر: لو كنت في الشام ما ضرب أحد في وجه عسكرك بسيف ومن يكون ببلاد توريز[3] كيف يحكم على بلاد الشام. فاستوفى هولاكو ناصحاً[4] ورماه به، فقال الناصر: يا خوند الصنيعة. فنهاه أخوه الظاهر غازي وقال: قد حضرت، ثم رماه بآخر فقتله[5]. وأمر بضرب رقاب الباقين، فقتل الظاهر أخو الناصر والصالح بن صاحب حمص، والجماعة الذين كانوا معهم /٣٢٠/ واستبقوا العزيز بن الناصر لصغره، فبقي

---

(١) بعده في المختصر ص٢١١: فتمضي إلى السلطان وتسأله أن يتركني ومن في صحبتي مقيمين بهذا الطرف، ونكون تحت طاعته.

(٢) المختصر ٣/ ٢١١ تحت عنوان: (ذكر مقتل الملك الناصر) والخبر عن المختصر أيضاً في شفاء القلوب ص٤١٩ والشذرات ٥/ ٢٩٩ وتاريخ مختصر الدول ص٤٩٠ وعيون التواريخ ٢٠/ ٢٥٧ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٠٣ والعبر للذهبي ٥/ ٢٥٦.

(٣) وكذلك رسمت في المختصر، وتكتب تبريز، وهي من أشهر مدن أذربيجان (نب ١/ ١٣).

(٤) في شفاء القلوب: فضربه هولاكو بفردة نشاب... ثم رماه بفردة ثانية فقتله.

(٥) انظر روايات أخرى مغايرة عن قتله في: تاريخ مختصر الدول ص٤٩٠ وعيون التواريخ ٢٠/ ٢٥٧.

عندهم مدة طويلة، وأحسنوا إليه، ثم مات، ووصل الخبر بذلك، وعقد العزاء بجامع دمشق في سابع جمادى الأولى.

وكان هذا الناصر قد تولّى مملكة حلب بعد موت أبيه العزيز وعمره سبع سنين، وأقامت جدته ضيفة خاتون بنت العادل بتدبير مملكته، واستقلَّ بملك حرّان والرها والرقَّة ورأس عين، وما مع ذلك من البلاد. ثم ملك حمص ودمشق وبعلبك والأغوار والسواحل إلى غزَّة، وعظم شأنه، وكسر عساكر مصر، وخطب له بمصر وبقلعة الجبل. وكان يذبح في مطبخه كل يوم أربعمائة رأس غنم. وكانت سماطاته وتجمله إلى الغاية القصوى. وكان حليماً، وتجاوز به الحلم إلى حدٍّ أضرَّ بالمملكة، فإنه لمَّا أمنت قطَّاع الطريق في مملكته من القتل والقطع تجاوزوا الحد في الفساد، وانقطعت الطرق في أيامه، وبقي لا يقدر المسافر على السفر من دمشق إلى حماه وغيرها إلا برفقة من العسكر، وكثر طمع العرب والتركمان في أيامه (وكثرت الحرامية)[١] وكانوا يكبسون الدور[٢]، مع ذلك إذا حضر القاتل إلى بين يدي الناصر المذكور، يقول الحي خير من الميت، ويطلقه، فأدَّى ذلك إلى انقطاع الطرقات والسُبُل بالحرامية.

وكان على ذهن الناصر المذكور شيء من الأدب والشعر. وتروى له أشعار كثيرة منها[٣]:

فوالله لو قطَّعت قلبي تأسُّفاً وجرعتني كاسات دمعي دما صرفا
لما زادني إلا هوى ومحبَّة ولا اتخذتْ روحي سواك لها إلْفا

/ ٣٢١/ وبنى بدمشق مدرسة قريبة من الجامع تعرف بالناصرية، وأوقف عليها وقفاً جليلاً. ووقف بالصالحية تربةً غرم عليها جُملاً مستكثرة، فدفن فيها (كرمون) وهو بعض أمراء التتر. وكانت منيَّة الملك الناصر ببلاد العجم. وكان مولد الناصر المذكور سنة سبع وعشرين وستمائة، (فيكون) عمره اثنتين وثلاثين سنة تقريباً.

وفي هذه السنة[٤] في رجب: قدم إلى مصر جماعة من العرب[٥]، ومعهم شخص أسمر اللون اسمه أحمد، زعموا أنه ابن الإمام الظاهر بالله محمد ابن الإمام الناصر، وانه

---

(١) الزيادة عن المختصر.

(٢) في الأصل: يلبسون الدروع، والتصويب عن المختصر.

(٣) البيتان في: شفاء القلوب ص٤٢١، وفوات الوفيات ٤/ ٤٢٠ وعيون التواريخ ٢٠/ ٢٦٠.

(٤) المختصر ٣/ ٢١٢ تحت عنوان: ((ذكر مبايعة شخص بالخلافة واثبات نسبه)) وانظر الخبر في ذيل مرآة الزمان ٢/ ٩٤، وعيون التواريخ ٢٠/ ٢٥١، وعبر الذهبي ٥/ ٢٥٢ ومرآة الجنان ٤/ ١٥١ والبداية والنهاية ١٣/ ٢٣١ وشذرات الذهب ٥/ ٢٩٧.

(٥) هم بنو مهارش كما في عيون التواريخ ٢٠/ ٢٥١ والمصادر الأخرى.

خرج من دار الخلافة ببغداد لما ملكها التتر. فعقد الظاهر بيبرس مجلساً حضرته جماعة من الأكابر منهم الشيخ عز الدين[١] بن عبد السلام، والقاضي تاج الدين عبد الوهاب[٢] المعروف بابن بنت الأعزّ. فشهد أولئك العرب أنَّ هذا الشخص المذكور هو ابن الإمام الظاهر فيكون عم المستعصم. وأقام القاضي جماعة من الشهود واجتمعوا بأولئك العرب وسمعوا شهاداتهم، ثم شهدوا بالنسب بحكم الاستفاضة، فأثبت القاضي تاج الدين نسب أحمد المذكور، ولقِّب المستنصر بالله أبا القاسم أحمد، وبايعه الظاهر والناس بالخلافة، واهتم الظاهر بأمره، وعمل له الدهاليز والجمدارية وآلات الخلافة، واستخدم له عسكراً وغرم على تجهيزه جملة طائلة قيل انه ألف ألف دينار، وكانت العامة تلقب الخليفة المذكور بالزرابيني، وبرَزَ الظاهر والخليفة الأسودُ المذكور في رمضان هذه السنة. وتوجها إلى دمشق / ٣٢٢/ وكان في كل منزلة يمضي الظاهر إلى دهليزه الخاص به والخليفة إلى دهليزه. ولما وصلا إلى دمشق برز الظاهر بالقلعة، ونزل الخليفة بجبل الصالحية، ونزل حول الخليفة أُمراؤه وأجنادُهُ. ثم جهَّز الخليفة بعسكره إلى جهة بغداد طمعاً في الاستيلاء عليها، وإجماع الناس عليه. فسافر الخليفة وودَّعه الظاهر ووصَّاه بالتأنِّي في الأمور. ثم عاد الظاهر من توديع الخليفة إلى دمشق، ثم سار إلى الديار المصرية، ودخلها في سابع عشر ذي الحجة من هذه السنة، ووصلت إليه كتب الخليفة بالديار المصرية إنه قد استولى على عانة والحديثة وولَّى عليهما. وإن كتب أهل العراق وَصَلَتْ إليه يستحثونه على الوصول إليهم، ثم قبل أن يصل إلى بغداد وصلت إليه التتر، وقتلوا الخليفة المذكور، وقتلوا غالب أصحابه، وجاءت الأخبار بذلك.

وفيها[٣]: لما سار الظاهر إلى الشام أمر القاضي شمس الدين ابن خلكان[٤] فسافر في صحبته من مصر إلى الشام. فعزل عن قضاء دمشق نجم الدين بن صدر

---

(١) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن، السلمي، الدمشقي ثم المصري الشافعي، ولد سنة ٥٧٨هـ، وبدع في الأصول والفقه والعربية والتفسير والحديث، توفي سنة ٦٦٠هـ، شذرات الذهب ٥/ ٣٠١.

(٢) عبد الوهاب بن خلف بن بدر العلامي، قاضي القضاة، تاج الدين، أبو محمد ابن بنت الأعز ولد سنة ٦١٤هـ، وولى مناصباً مهمة، وتقدم أيام الظاهر بيبرس. توفي سنة ٦٦٥هـ. انظر: الوافي ١٩/ ٣٠٠ وذيل الروضتين ص٢٤والعبرة ٥/ ٢٨١، والبداية والنهاية ١٣/ ٢٤٩ وشذرات الذهب ٦/ ٣٣٢.

(٣) المختصر ٣/ ٢١٣.

(٤) أبو العباس، شمس الدين أحمد بن أبي بكر بن خلكان المتوفي سنة ٦٨١هـ، صاحب وفيات الأعيان.

الدين بن سناء الدولة. وكان قطز قد عزل محي الدين بن الزكي الذي ولاّه هولاكو القضاء وولّى ابن سناء الدولة فعزله الظاهر وولّى القاضي شمس الدين بن خلكان.

وفيها[١]: قدم أولاد صاحب[٢] الموصل وهم: الصالح إسماعيل، والمجاهد إسحاق صاحب جزيرة ابن عمر، ثم أخوهما المظفر علي صاحب سنجار أولاد لؤلؤ فأحسن الظاهر إليهم وأعطاهم الإقطاعات الجليلة بمصر، واستمروا في أرغد عيش في طول مدة الظاهر.

وفيها[٣]: ورد / ٣٢٣/ الخبر عن عكا أن سبع جزائر في البحر خُسف بها وبأهلها، وبقي أهل عكا لا بسين السواد، ويبكون ويستغفرون (من الذنوب)[٤] بزعمهم.

وفيها[٥]: جهَّز الظاهر بدر الدين الايدمري فتسلَّم الشوبك في سلخ ذي الحجة من هذه السنة، وأعني سنة تسعٍ وخمسين، وأخذها (من) المغيث صاحب الكرك.

وفي سنة ستين وستمائة[٦]:

في نصف رجب وردت جماعة من مماليك الخليفة المستعصم البغاددة، وكانوا قد تاخَّروا في العراق بعد استيلاء التتر على بغداد وقتل الخليفة. وكان مقدمهم يقال له شمس الدين سلار. فأحسن الظاهر ملتقاهم وعيَّن لهم الإقطاعات بالديار المصرية.

وفيها[٧]: في رجب وصل إلى خدمة الظاهر بالديار المصرية عماد الدين ابن مظفر الدين صاحب صهيون رسولاً من أخيه سيف الدين صاحب صهيون وصحبته هدية جليلة، فقبلها الظاهر وأحسن إليه.

وفيها[٨]: جهز الظاهر عسكراً إلى حلب، ومقدمهم شمس الدين سنقر الرومي، فأمنت بلاد حلب وعادت إلى الصلاح. ثم تقدم الظاهر إلى سنقر الرومي وإلى صاحب حماه المنصور وإلى صاحب حمص الأشرف أن يسيروا إلى إنطاكية وبلادها للإغارة عليها، فساروا إليها ونهبوا بلادها وضايقوها، ثم عادوا. وتوجهت عساكر مصر صحبة سنقر الرومي إلى مصر ووصلوا إليها في تاسع عشرين رمضان هذه السنة. ومعهم أربعمائة أسير فقابلهم / ٣٢٤/ الظاهر بالإحسان والإنعام.

---

(١) المختصر ٣/ ٢١٣.
(٢) الأصل: أصحاب.
(٣) المختصر ٣/ ٢١٣.
(٤) التكملة عن المختصر.
(٥) المختصر ٣/ ٢١٣.
(٦) المختصر ٣/ ٢١٤.
(٧) المختصر ٣/ ٢١٤.
(٨) المختصر ٣/ ٢١٤.

وفيها[١]: لما ضاقت على أقوش البرلي البلاد، وأُخذت منه حلب ولم يبقَ بيده غير البيرة، دَخَل في طاعة الظاهر، وسار إليه. فكتب الظاهر إلى النواب بالإحسان إليه، ورتبت الإقامات له في الطرقات حتى وصل إلى الديار المصرية في ثاني الحجة من هذه السنة. فبالغ الظاهر في الإحسان إليه، وتلقاه أحسن تلقٍّ، فسأل أقوش البرلي من الظاهر أن يقبل منه البيرة، فلم يفعل، وما زال يعاوده حتى قبلها. وبقي البرلي المذكور مع الظاهر إلى أن تغيَّر عليه وقَبَضهُ في رجب سنة إحدى وستين وستمائة، فكان آخر العهد به.

وفيها[٢]: في ذي القعدة: قبض الظاهر على نائبه بدمشق وهو علاء الدين طيبرس الوزيري، وكان قد تولَّى دمشق بعد مسير علاء الدين أيدكين البندقدار عنها، وسبب القبض عليه، أنه بلغ الظاهر عنه أمور كرهها فأرسل إليه عسكراً مع عز الدين الدمياطي، فلما وصلوا إلى دمشق خرج طيبرس لتلقيهم، فقبضوا عليه، وقيَّدوه وأرسلوه إلى مصر، فحبسه الظاهر، واستمر إلحاج طيبرس في الحبس سنة وشهراً. وكانت مدة ولايته بدمشق سنة وشهراً أيضاً. وكان طيبرس رديء السيرة في أهل الشام حتى نزح عنها جماعة كثيرة من ظلمه، وحكم في دمشق بعد قبض طيبرس المذكور الحاج علاء الدين ايدغدي الركني، ثم استناب الملك الظاهر على دمشق الأمير جمال الدين أقوش النجيبي الصالحي.

وفيها[٣]: في يوم الخميس آخر ذي الحجة جلس الملك الظاهر مجلساً عاماً وأحضر /٣٢٥/ شخصاً كان قد قدم إلى الديار المصرية في سنة تسع وخمسين وستمائة من نسل بني العباس اسمه أحمد بعد أن أثبت نسبه ولقبه الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين، وقد اختلف في نسبه، والذي هو مشهور بمصر عند نسابة مصر أنه: أحمد بن حسن بن أبي بكر بن الأمير أبي علي القبي بن الأمير حسن بن الراشد بن المسترشد. وأما عند الشرفاء العباسيين السلمانيين في درج نسبهم الثابت فقالوا: هو أحمد بن أبي علي بن أبي ياسر بن أحمد ابن الإمام المسترشد. ولما أثبت الملك الظاهر المذكور تركه[٤] في برج محترزاً عليه. وأشرك له في الدعاء في الخطبة حسب لا غير.

وفيها: جهز[٥] الملك المنصور صاحب حماه شيخ الشيوخ شرف الدين الأنصاري رسولاً إلى الملك الظاهر، ووصل شيخ الشيوخ المذكور فوجد الملك

---

(١) المختصر ٣/ ٢١٤.
(٢) المختصر ٣/ ٢١٤. وانظر عيون التواريخ ٢٠/ ٢٦٧ وذيل المرآة ٢/ ١٥٥.
(٣) المختصر ٣/ ٢١٥. وانظر النجوم الزاهرة ٧/ ٢١١ وعيون التواريخ ٢٠/ ٢٨٧ وذيل المرآة ٢/ ١٨٦ ودول الإسلام ٢/ ١٢٦ وكنز الدرر ٨/ ٩٤ والبداية والنهاية ١٣/ ١٣٧ وشذرات الذهب ٥/ ٣٠٤.
(٤) في المختصر: نزله.
(٥) المختصر ٣/ ٢٥.

الظاهر عاتباً على صاحب حماه لاشتغاله عن مصالح المسلمين باللهو وأنكر الظاهر على شرف الدين ذلك. ثم انصلح خاطره وحمله ما طيب به قلب صاحب المنصور، ثم عاد إلى حماه.

سنة إحدى وستين إلى سبعين وستمائة

في حادي عشر ربيع الآخر منها: سار[١] الظاهر بيبرس من الديار المصرية إلى الشام، فلاقته والدة المغيث عمر صاحب الكرك بغزَّة، وتوثقت لابنها المغيث من الظاهر بالأمان، وأحسن إليها، ثم توجَّهت إلى الكرك، وتوجَّه صحبتها شرف (الدين)[٢] الحاكي المهمندار[٣] برسم حمل الإقامات في الطرق[٤] / ٣٢٦/ برسم الملك المغيث. ثم سار الظاهر من غزة ووصل الطور في ثاني عشر جمادى الأولى من هذه السنة. ووصل إليه الأشرف موسى صاحب حمص في نصف الشهر المذكور، فأحسن إليه الظاهر وأكرمه.

وفيها[٥]: كان قتل الملك المغيث فتح الدين بن عمر بن العادل بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، وسببه أنه كان في قلب الظاهر بيبرس منه غيظ عظيم لأمور كانت بينهما. قيل إن الغيث المذكور أكره امرأة الظاهر لما قبض المغيث على البحرية وأرسلهم إلى الناصر يوسف صاحب الشام وهرب الظاهر المذكور وبقيت زوجته بالكرك، والله أعلم بحقيقة ذلك. ولم يزل الظاهر يجتهد على حضور المغيث المذكور، وحلف لوالدته على غزَّة، وكان عند المغيث شخص يقال له الأمجد، وكان يبعثه في الرسيلة إلى الملك الظاهر، فكان الظاهر يبالغ في إكرامه وتقريبه، فاغترَّ الأمجد بذلك وما زال على مخدومه الملك المغيث حتى أحضره إلى الملك الظاهر.

فحكى شرف[٦] الدين ابن مزهر وكان ناظراً خزانة المغيث قال: لما عزم المغيث على التوجُّه إلى خدمة الملك الظاهر لم يكن قد بقي بخزانته شيء من المال غير

---

(١) المختصر ٣/ ٣١٩ وانظر الخبر في عيون التواريخ ٢٠/ ٢٨٨ وذيل مرآة الزمان ٢/ ١٩٢ وشفاء القلوب ٤٣٣.

(٢) التكملة في المختصر.

(٣) المهمندارية، وظيفة موضوعها تلقي الرسل الواردين وأمراء العربان وغيرهم ممن يرد من أهل المملكة وغيرها (صبح الأعشى ٤/ ٢٢).

(٤) في المختصر إلى الطرقات.

(٥) المختصر ٣/ ٣١٦ وانظر خبر قتل المغيث في شفاء القلوب ص٤٣٣ والبداية والنهاية ١٣/ ٢٣٨.

(٦) المختصر ٣/ ٢١٦ وفيه: فحكى لي، وعنه في شفاء القلوب ص٤٣٤.

القماش[١]، وكان لوالدته حواصل في البلاد، فبعناها بأربعة وعشرين ألف درهم، واشترينا باثني عشر ألفاً خلعاً من دمشق، وجعلنا في صناديق الخزانة الاثني عشر ألف الأخرى. ونزل المغيث من الكرك وأنا والأمجد، وجماعة من أصحابه في خدمته. وقال: وشرعت البريدية /٣٢٧/ تصل إلى المغيث في كل يوم لمكاتبات الظاهر، ويُرسل صحبتهم مثل غزلان ونحوها والمغيثُ يخلعُ عليهم، حتى نَفَدَ ما كان بالخزانة من الخلع. ومن جهة ما كتب إليه في بعض المكاتبات: إن المملوك ينشد في قدوم مولانا: [الطويل]

خليليَّ هل أبْصَرْتما أو سمعتما بأكرم من مولى تمشَّى إلى عبدِ[٢]

قال: وكان الخوف في قلب المغيث من الظاهر شديداً. قال ابن مزهر: ففاتحني في شيء من ذلك بالليل، فقلت له: احلف لي أنك لا تقول للأمجد ما أقول لك حتى أنصحك، فحلف لي، فقلت له: أُخْرج الساعة من تحت الخام واركب حجرتك النخيلة، ولا يصبح لك الصباح إلاَّ وأنت قد وصلت إلى الكرك، فتعصى فيه ولا تفكر بأحد. قال ابن مزهر: فغافلني وتحدَّث مع الأمجد في شيء من ذلك، فقال له الأمجد: إياك من ذلك. وسار إلى المغيث حتى وصل إلى بيسان، فركب الظاهر بعساكره، والتقاه في يوم السبت سابع وعشرين جمادى الأولى من هذه السنة، فلما شاهد المغيث الظاهر، ترجل فمنعه الظاهر وأركبه. وساق إلى جانبه وقد تغيَّر وجه الظاهر، فلما قارب الدهليز، أفرد الملك المغيث عنه، وأنزله في دهليز[٣] وقبض عليه، وأرسله معتقلاً إلى مصر، وكان آخر العهد به. قيل أنه حمل إلى امرأة الظاهر بقلعة الجبل فأمرت جواريها فقتلنه بالقباقيب. ثم قبض الظاهر على جميع أصحاب المغيث ومن جملتهم ابن مزهر المذكور، ثم بعد ذلك أفرج عنهم[٤].

ولما التقى الظاهر المغيث /٣٢٨/ وقبض عليه، أحضر الفقهاء والقضاة وأوقفهم على مكاتبات من التتر إلى المغيث المذكور وأجوبة عما كتب إليهم به. في إطماعهم في ملك مصر والشام، وكتب لذلك مشروح وأثبت على الحكام. وكان

---

(١) في المختصر: ولا القراش.

(٢) البيت للشاعر نصر بن أحمد بن نصر البصري المعروف بالخبزأرزي المتوفى سنة ٣١٨هـ (وفيات الأعيان ٥/ ١٣).

(٣) في المختصر: خيمة. بعده في المختصر: انتهى كلام ابن مزهر.

(٤) في ذيل المرآة ٢/ ١٩٣ وعيون التواريخ ٢٠/ ٢٨٨: ولما قبض عليه ظهر في وجوه بعض الأمراء كراهية ذلك، فأحضر الملك الظاهر الأمراء والأشرف صاحب حمص... الخ.

للمغيث ولد يقال له: العزيز[١]، فأعطاه الظاهر إقطاعاً بديار مصر وأحسن إليه، ثم جهز الظاهر بدر الدين البيسري الشمس وعز الدين أستاذ الدار إلى الكرك فتسلَّماها في يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى وستين، وسار الظاهر إلى الكرك، ورتَّب أمورها، ثم عاد إلى الديار المصرية، فوصل إليها في سابع عشر رجب.

وفي هذه السنة: أرسل[٢] الظاهر عسكراً هدموا كنيسة الناصرة، وهي أكبر موطن عبادة النصارى، لأن منها خرج دين النصرانية، وأغاروا على عكا وبلادها فغنموا وعادوا، ثم ركب الظاهر، وكان نازلاً على الطور بنفسه وجماعته وأغار ثانية على عكا، وهدم برجاً كان خارج البلد.

ولما وصل الظاهر إلى مصر قبض على الرشيدي[٣] في رجب، ثم قبض [في] ثاني يوم على الدمياطي[٤] والبرلي[٥].

وفي هذه السنة[٦]: توفي الأشرف موسى صاحب حمص بن المنصور إبراهيم ابن المجاهد شيركوه بن محمد بن شيركوه. لما عاد من خدمة الظاهر إلى حمص مرض واشتدَّ مرضُه، وتوفى، وأرسل الظاهر من تَسلُّم حمص في ذي القعدة من هذه السنة، وهذا الأشرف آخر من ملك حمص من بيت شيركوه[٧]. وأخذ الناصر يوسف حمص منه بسبب /٣٢٩/ تسليمه شميمش إلى الملك الصالح أيوب صاحب مصر، وإنه يعوض عن حمص تل باشر، ثم أعاد هولاكو عليه حمص فبقيت في يده حتى توفي، وانتقلت إلى الظاهر، وكان من جملة من ملك حمص منهم خمسة: أولهم شيركوه بن شاذي

---

(١) الملك العزيز عثمان، فخر الدين بن الملك المغيث، كان والده قد أرسله إلى كتبغا مقدم التتر عند وصوله إلى دمشق فاعتقله، فلما دخلها بيبرس أفرج عنه، بل أحس إليه، ولما أمسك الظاهر أباه أعطاه إقطاعاً بمصر ثم اعتقله بعد سنة ٦٦٩هـ، وبقي معتقلاً حتى أفرج عنه خليل بن قلاوون سنة ٦٩٠هـ، فاشتغل بالمطالعة والنسخ حتى وفاته سنة ٧٣٥هـ، انظر: شفاء القلوب ٤٥١، والسلوك ٢/ ٣٨٨.

(٢) المختصر ٣/ ٢١٧.

(٣) سيف الدين بلبان الرشيدي، كما في عيون التواريخ ٢٠/ ٢٨٩ وذيل مرآة الزمان ٢/ ١٩٤.

(٤) عز الدين إيبك الدمياطي كما في عيون التواريخ ٢٠/ ٢٩٠ وذيل مرآة الزمان ٢/ ١٩٤.

(٥) البرلي هو شمس الدين آقوش البرلي، وقد تقدم ذكره.

(٦) المختصر ٣/ ٢١٨ وانظر خبر وفاته وترجمته في ذيل الروضتين ٢٢٩ وعبر الذهبي ٥/ ٢٧٠، والبداية والنهاية ١٣/ ٢٤٣، ومرآة الجنان ٤/ ١٦٠، وعيون التواريخ ٢٠/ ٢٩٦، والشذرات ٥/ ٢١١ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢١٧.

(٧) بعده في المختصر: وقد تقدمت أخبار الأشرف موسى المذكور وأخْذ....

ملَّكه إياها نور الدين الشهيد، ثم ملكها بعده ابنهُ ناصر الدين محمد، ثم ملكها ابنه شيركوه، ثم ملكها ابنه المنصور إبراهيم[١]، ثم ملك الأشرف المذكور. وانقرض بموته ملك المذكورين.

وفي سنة اثنتين وستين:

قبض[٢] الأشكري صاحب قسطنطينية على عز الدين كيكاوس (بن كيخسرو بن كيقباذ صاحب بلد الروم، وسببه أن عز الدين كيكاوس)[٣] المذكور وقع بينه وبين أخيه، فاستظهر أخوه عليه، فهرب كيكاوس وبقي صاحب بلد الروم أخوه ركن الدين قليج أرسلان في سلطنة بلاد الروم، ثم سار كيكاوس المذكور إلى قسطنطينية، فأحسن إليه الأشكري وإلى مَنْ مَعَهُ من الأمراء مدة فعزمت الجماعة الذين مع كيكاوس على اعتقال الأشكري وقتله والتغلب على قسطنطينية، وبلغ ذلك الأشكري، فقبض عليهم، واعتقلِ عز الدين كيخسرو بن كيكاوس في بعض القلاع. وكحل الجماعة الذين عزموا على قتله، وأعمى عيونهم.

وفي سنة ثلاث وستين:

سار[٤] الظاهر من الديار المصرية بعساكرِهِ المتوافرة إلى جهاد الفرنج بالساحل، ونازل قيسارية الشام في تاسع جمادى الأولى، وضايقها وفتحها بعد ستة أيام من نزوله، وذلك /٣٣٠/ في منتصف الشهر المذكور، وأمر بها فهدمت، ثم سار إلى أرسوف[٥] ونازلها وفتحها في جمادى الآخرة من هذه السنة.

وفي فتوح قيسارية يقول ابن عبد الظاهر[٦] من قصيدة:

نصبت للشرك أشراكاً فصدَّتهم ... لم يقدروا وهنا أن يقدروا هربا

قلعتهم بقلاعٍ ظلت تهدمها ... أنت الذي يبتغي المسلوب لا السلبا

ان أسرعوا نقلَةً عنها فانهم ... حلّوا لها كل برج ظلَّ منقلبا

تبت يدا من غدا كفراً أبا لهبٍ ... وتبَّ من لم يغنِ مالٌ عنه قد كسبا

إن الفتوحات لما رثَّ مَلْبَسُها ... سر من برّ قيسارية القُشبا

---

(١) الأصل: ابن إبراهيم.

(٢) المختصر ٣/ ٢١٨.

(٣) ما بين قوسين سقط من الأصل، وأثبتُّه عن المختصر.

(٤) المختصر ٤/ ٢ وانظر: البداية والنهاية ١٣/ ٢٤٤ وعيون التواريخ ٢٠/ ٣١٩.

(٥) أرسوف: مدينة على ساحل البحر بين قيسارية ويافا (معجم البلدان ١/ ١٥١).

(٦) الأبيات لم ترد في المختصر.

في كلِّ أرض جيوش قد بعثت بها حتى لقد أصبحت أيامها عجبا
امطيتها شزباً تزهو السروج بها لا كل مستهجن يستهجن القتبا
كم قد فرقت شياطين العدوّ بها حتى لقد أبصروا من شهبها شهبا
ينثي اعنتها لك عزائمه قد أصبحت في الوغى راحاتها التعبا
لا يحسبن الناس قيسارية ضعفت أو أسلمت نفسها من ... ذهبا
لكنها مذ توفي النصر قد علقت وقد أتته لعكا يطلب الحسبا
وأرسوف جائه لما جاز غانيها ما جاء مختطباً بل جاء محتطبا
ما كان من جرم رأي أن يردهما لا يقطع الرأس حتى يقطع الذنبا
فقل لحساده هذي صنائعه فمن يرى غيره يوماً لها خطبا

/ ٣٣١/ وفي تاسع عشر جمادى الآخرة: مات[١] هولاكو ملك التتر، وهو هولاكو بن طلو بن جنكزخان، وكان موته بالقرب من كور مراغة، وكان مدة ملكه البلاد سنصفها نحو عشر سنين. وخلَّف خمسة عشر ولداً ذكراً. ولما مات جلس في الملك بعده ولده ابغا[٢]، واستقرت له البلاد التي كانت بيد والدِهِ حال وفاته، وهي: إقليم خراسان وكرسيّه نيسابور، وإقليم عراق العجم وهو الذي يعرف ببلاد الجبل وكرسيّة أصفهان. وإقليم عراق العرب وكرسيّه بغداد، وإقليم أذربيجان وكرسيّه تبريز، وإقليم خوزستان وكرسيُّه تستر، التي تسميها العامة تشتر، وإقليم فارس وكرسيّه شيراز، وإقليم ديار بكر، وكرسيّة الموصل وإقليم الروم وكرسيّه قونية، وغير ذلك من البلاد التي ليست في الشهرة مثل هذه الأقاليم العظيمة.

وفيها[٣]: أو التي بعدها، أمسك الظاهر بيبرس زامل بن علي أمير العرب بمكاتبة عيسى بن مهنا في حقّه.

وفيها[٤]: في رمضان استولى نائب الرحبة على قرقيساء وهي حصن الزباء[٥] وفيه خلاف.

وفيها[٦]: قبض الظاهر على سنقر الرومي.

---

(١) انظر خبر وفاته وترجمته في عيون التواريخ ٢٠/ ٣٢٥ والحوادث الجامعة (تحقيق مهدي النجم) ص٢٥٣، وذكرت وفاته سنة ٦٦٤هـ في ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٥٧ و٣٥٩ والعبر للذهبي ٥/ ٢٧٨ والبداية والنهاية ١٣/ ٢٤٥ و٢٤٨ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٢٠ وتاريخ مختصر الدول ص٢٨٤.

(٢) في الأصل: أربغا.

(٣) المختصر ٤/ ٣.

(٤) المختصر ٤/ ٣.

(٥) بعدها في المختصر: التي تقدم خبرها مع جذيمة الأبرش في أوائل الكتاب، وفيه خلاف.

(٦) المختصر ٣/ ٣.

وفي سنة أربع وستين:

خرج[١] الظاهر إلى الشام، وجهز عسكراً إلى ساحل البحر ففتحوا القليعات وحلبا وعرقا، ونزل الظاهر على صفد ثامن شعبان وضايقها بالزحف وآلات الحصار، وقدم إليه وهو على صفد المنصور صاحب حماه، ولاصق الجند بالقلعة، / ٣٣٢/ وكثر القتل والجراح في المسلمين، وفتحها في تاسع عشر شعبان بالأمان، ثم قتل أهلها عن آخرهم ثم سار[٢] بعد ذلك إلى دمشق فلما استقرَّ بها جرّد عسكراً ضخماً، وقدم عليهم المنصور صاحب حماه، وأمرهم بالمسير إلى بلاد الأرمن، فسارت العساكر صحبه المنصور ووصلوا إلى بلاد سيس في ذي القعدة من هذه السنة، وكان صاحب سيس إذ ذاك هيثوم بن قسطنطين بن باسيل قد حصّن الدربندات بالرجالة والمناجيق وجعل عسكره مع ولديه على الدربندات لقتال العسكر الإسلامي، فداستهم العساكر الإسلامية، وأفنوهم قتلاً وأسْراً، وقتل صاحب سيس الواحد وأسر الآخر وهو ليفون بن هيثوم، وانتشرت العساكر الإسلامية في بلاد سيس، وفتحوا قلعة العامودين وقتلوا أهلها، ثم عادت العساكر وقد امتلأت أيديهم من الغنائم. ولما وصل خبر هذا الفتح إلى الظاهر رحل من دمشق إلى حماه، ثم إلى فامية، والتقى عساكره وقد عادت منصورة وأمر بتسليم الأسرى وفيهم ليفون بن هيثوم صاحب سيس، وكان المذكور لما أُسر سلَّمه المنصور إلى أخيه الأفضل، فاحترز عليه وحفظه حتى أحضره بين يدي السلطان، ثم عاد إلى الديار المصرية على طريق الكرك، فتقطر بالملك الظاهر فرسه عند بركة زيزاء، وانكسرت فخذه، وحُمل في محفة[٣] إلى قلعة الجبل.

وفي هذه السنة: نزل[٤] الظاهر على قارا[٥] لما خرج لملتقى عساكرهم. أمر بنهب أهلها، وقتل / ٣٣٣/ كبارهم، فنهبوا وقتل منهم جماعة. لأنهم كانوا نصارى يسرقون أولاد المسلمين ويبيعونهم خفيةً للفرنج. وأخذوا صبيانهم مماليك، فتربوا بين الترك بالبلاد المصرية، وصار منهم أجناد وأمراء.

وفي سنة خمس وستين:

وصل[٦] المنصور صاحب حماه إلى خدمة الظاهر بالديار المصرية[٧]، فاجتمعا بالغرابي، وفي اجتماع الملك الظاهر وصاحب حماه بالغرابي قال ابن عبد الظاهر:

---

(١) المختصر ٤/ ٣ وانظر البداية والنهاية ١٣/ ٢٤٦ وعيون التواريخ ٢٠/ ٣٣٧ وذيل مرآة الزمان ٢/ ٢٤٤.

(٢) المختصر ٤/ ٣ تحت عنوان (ذكر دخول العساكر إلى بلاد الأرمن).

(٣) المحفَّة: سرير يحمل عليه المريض أو المسافر.

(٤) المختصر ٤/ ٤ وعيون التواريخ ٢٠/ ٣٢٨.

(٥) بعدها في المختصر: بين دمشق وحمص.

(٦) المختصر ٤/ ٤.

(٧) ما بعدها لم يرد في المختصر.

[الكامل]

بـالـغـرابـي أن يـجـمـع شـمـلـي لـيـوافـي قـفـوكـم وإيـابـي
فـلَـكَـم بـالـغـراب فـرَّق شـمـلٌ وأرى جـمـع شـمـلـنـا بـالـغـرابـي

ثم طلب دستوراً بالتوجُّه إلى الإسكندرية ليراها، فرسم له بذلك وأمر أهل الإسكندرية بإكرامه واحترامه، وفرش الشقق بين يدي فرسه فتوجَّه المنصور إلى الإسكندرية وعاد إلى الديار المصرية مكرماً، وخلع عليه الظاهر على جاري عادته، وأعطاه دستوراً فتوجَّه إلى بلده.

وفيها[١]: توجَّه الظاهر إلى الشام، فنظر في مصالح صفد، ووصل إلى دمشق وأقام بها خمسة أيام، وقوي الإرجاف بوصول التتر إلى الشام، ثم ورد الخبر بعودهم على عقبهم، فعاد الظاهر إلى ديار مصر.

وفي هذه السنة: مات[٢] بركة خان بن (باطوخان) بن دوشي خان بن جنكيز خان، أعظم ملوك التتر، وكرسي مملكته مدينة صراي، وكان قد مال إلى دين الإسلام. ولما مات جلس في الملك بعده ابن عمه منكوتمر / ٣٣٤/ بن طغان بن باطو بن دوشي خان بن جنكيز خان.

وفي سنة ست وستين:

في[٣] مستهل جمادى الآخرة توجَّه الظاهر بيبرس بالعساكر المتوافرة إلى الشام، وفتح يافا في العشر الأوسط من الشهر، وأخذها من الفرنج.

وفي[٤] أيام المقام بها يقول الفاضل أبو الفضل بن عبد الظاهر:

لـحَـى الله يـافـا إنـهـا شـرُّ مـنـزلٍ بـعـيدٍ عـن الـراحـات والـخـير نـفـعُـهُ
عـقـاربُـهُ مـن كـثـرةِ كـذبـا بـه وذبـابُـهُ مـثـل الـعـقـارب لـسـعُـهُ

ثم سار[٥] إلى إنطاكية ونازلها مستهل رمضان وزَحَفَتْ العساكر الإسلامية على إنطاكية فملكوها بالسيف في يوم السبت رابع رمضان هذه السنة. وقتلوا أهلها وسبوا

---

(١) المختصر ٤/ ٤ وعيون التواريخ ٢٠/ ٣٤٨.

(٢) المختصر ٤/ ٤ وعنه ضبطت الاسم، وانظر ترجمة بركة خان في عيون التواريخ ٢٠/ ٣٥٠، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٦٣، والعبر ٥/ ٢٨٠، والبداية والنهاية ١٣/ ٢٤٩، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٢٢، وشذرات الذهب ٥/ ٣١٧.

(٣) المختصر ٤/ ٤، وانظر: خبر يافا في عيون التواريخ ٢٠/ ٣٦٠، والبداية والنهاية ١٣/ ٢٥١، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٤٧.

(٤) ما بعدها إلى نهاية البيتين لم يرد في المختصر.

(٥) المختصر ٤/ ٤، وانظر المصادر السابقة في خبر إنطاكية.

ذراريهم، وغنموا منها أموالاً جليلة، وكانت إنطاكية للبرنس بيمند بن بيمند، وله معها طرابلس، وكان مقيماً بها لما فتحت إنطاكية.

وفي حادي عشر رمضان: استولى[١] الظاهر على بغراس[٢]، وسبب ذلك أنه لما فَتَح إنطاكية هرب أهل بغراس منها، وتركوا الحصن خالياً، فأرسل الظاهر من استولى عليها في التاريخ المذكور، وشحنه بالرجال والعُدد، وقد تقدم ذكر فتح صلاح الدين الحصن المذكور وتخريبه، ثم عمارة الفرنج له بعد صلاح الدين، ثم حصار عسكر حلب له، ورحيلهم عنه، بعد أن أشرفوا على أخذِهِ.

وفيها[٣]: في شوَّال وقع الصلح بين الظاهر بيبرس وبين هيثوم صاحب سيس، على أنه إذا أحضر صاحب سيس سنقر الأشقر من التتر، وكانوا قد /٣٣٥/ أخذوه من قلعة حلب، لما أخَذَها هولاكو، كما تقدم، وسلم مع ذلك بهنسا[٤] ودربساك[٥]، ومرزبان ورعبان[٦] وشيح الحديد يطلق له ابنه ليفون[٧] فدخل صاحب سيس على أبغا ملك التتر وطلب منه سنقر الأشقر وأعطاه إياه ووصل سنقر الأشقر إلى خدمة الظاهر، وتسلم المسلمون البلاد المذكورة سوى بهنسا، وأطلق الظاهر ليفون صاحب سيس، فتوجه إلى والده، وعاد الظاهر إلى الديار المصرية، ووصل إليها في ذي الحجة هذه السنة.

وفيها[٨]: اتفق معين الدين سلمان البرواناه مع التتر المقيمين معه ببلاد الروم على قتل ركن الدين قليج أرسلان بن كيخسرو بن كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان بن قطلوش بن أرسلان بيغو بن سلجوق، سلطان الروم، فخنق التتر ركن الدين المذكور، وأقام البرواناه ولده غياث الدين بن ركن الدين وعمره أربع سنين[٩].

---

(١) المختصر ٣/ ٥ وانظر: التفاصيل في ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣٨٤، وعيون التواريخ ٢٠/ ٣٦١.

(٢) بغراس: مدينة في جبل المكارم بينها وبين إنطاكية أربعة فراسخ (معجم البلدان ٢٠/ ٦٩٣).

(٣) المختصر ٣/ ٥ وانظر: تفاصيل الخبر في عيون التواريخ ٢٠/ ٣٦١، وذيل مرآة الزمان٢/ ٣٨٤.

(٤) وسماها ياقوت بهنساً، وهي قلعة حصينة بقرب مرعش وسمياط (معجم البلدان ١/ ٥١٦).

(٥) لم تذكر في معجم البلدان، ويفهم أنها قلعة بالثغور.

(٦) رعْبان: مدينة بالثغور بين حلب وسمياط قرب الفرات (معجم البلدان ٣/ ٥١).

(٧) في ذيل المرآة: ((ليفو بن هيثوم)).

(٨) المختصر ٤/ ٥، وانظر تفاصيل الخبر في عيون التواريخ ٤/ ٥، ومرآة الزمان ٢/ ٣٨٧، وعبر الذهبي ٥/ ٢٨٥، والشذرات ٥/ ٣٢٣، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٢٦.

(٩) في عيون التواريخ ((دون العشر سنين)).

وفي سنة سبع وستين:

خرج[١] الظاهر إلى الشام وخيَّم في خربة اللصوص، وتوجَّه إلى مصر في الخفية، ووصل إليها بغتةً (وأهل مصر)[٢] والنائب بها لا يعلمون ذلك إلاَّ بعد أن صار بينهم، ثم عاد إلى الشام.

وفيها: تسلَّم[٣] الظاهر بلانطس[٤] من عز الدين عثمان[٥] صاحب صهيون.

وفيها: توجَّه[٦] الظاهر بيبرس إلى الحجاز الشريف، وكان رحيله من الفوار خامس عشرين شوال، ووصل إلى الكرك، وأقام به أياماً، وتوجَّه من الكرك في سادس ذي القعدة إلى الشوبك، ورحل من الشوبك في الحادي عشر الشهر المذكور، /٣٣٦/ فوصل إلى المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلوة والسلام في خامس عشرينه ووصل إلى مكة في خامس ذي الحجة وقضى مناسك الحج، ورحل من مكة في ثالث عشر ذي الحجة، ووصل إلى الكرك في سلخ ذي الحجة.

وفي سنة ثمانٍ وستين:

توجَّه[٧] الظاهر بيبرس من الكرك مستهل المحرَّم عند عوده من الحجِّ، فوصل إلى دمشق بغتة وتوجَّه من يومه إلى حماه في خامس المحرَّم، وتوجَّه لساعته إلى حلب، ولم يعلم به العسكر إلاَّ هو معهم في الموكب، وعاد إلى دمشق في ثالث عشر المحرَّم، وتوجَّه إلى القدس ثم إلى القاهرة فوصل إليها ثالث صفر هذه السنة.

وفيها: عاد[٨] أيضاً إلى الشام وأغار على عكا وتوجَّه إلى دمشق، ثم إلى حماه.

وفيها: جهَّز[٩] الظاهر عسكراً إلى بلاد الإسماعيلية، فتسلَّموا مصياف في العشر الأوَّل من رجب هذه السنة، وعاد الظاهر من جهة حماه إلى دمشق فدخلها في ثامن

---

(١) المختصر ٤/ ٥ وانتظر الخبر في عيون التواريخ ٢٠/ ٣٨٧، والبداية والنهاية ١٣/ ٢٥٤.

(٢) التكملة عن المختصر.

(٣) المختصر ٤/ ٥ والخبر في عيون التواريخ ٢٠/ ٣٧٨ وذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٠٨.

(٤) بلانطس: حصين منيع بسواحل الشام مقابل اللاذقية، من أعمال حلب (معجم البلدان).

(٥) اسمه في عيون التواريخ ٢٠/ ٣٧٨ وذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٠٨: عز الدين أحمد بن مظفر الدين عثمان بن منكورس.

(٦) المختصر ٤/ ٥ وانظر عيون التواريخ ٢٠/ ٣٧٩ وذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٠٨، ودول الإسلام الشريفة ص٣٦.

(٧) المختصر ٤/ ٥ وانظر: البداية والنهاية ١٣/ ٢٥٦.

(٨) المختصر ٤/ ٦.

(٩) المختصر ٤/ ٦ وانظر: شذرات الذهب ٥/ ٣٢٥.

عشرين رجب، ثم عاد إلى مصر.

وفيها: حصل[١] بين منكوتمر بن طغان ملك التتر بالبلاد الشمالية، وبين الأشكري صاحب قسطنطينية وحشة، فجهز منكوتمر إلى قسطنطينية جيشاً من التتر وعاثوا في بلادها، ومرُّوا بالقلعة التي فيها عز الدين كيكاوس بن كيخسرو ملك بلاد الروم محبوساً، كما قدمنا (ذكره) في سنة اثنتين وستين وستمائة، فحمله التتر بأهْلِهِ إلى منكوتمر، فأحْسَنَ إليه منكوتمر، وأقام عنده إلى أن توفي عز الدين المذكور في سنة سبع وسبعين وستمائة، فسار ابنه مسعود إلى بلاد الروم وصار سلطاناً.

وفيها: قتل[٢] أبو دبوس[٣] / ٣٣٧/ آخر ملوك بني عبد المؤمن، وانقرضت بموته دولتهم، وقد تقدم ذلك، وملكت بلادهم بنومرين على ما يذكر.

وفي سنة تسع وستين:

توجَّه[٤] الظاهر من مصر إلى الشام ونازل حصن الأكراد في تاسع شعبان هذه السنة، وجدَّ في حصاره، واشتدَّ القتال عليه، ومَلَكَهُ بالأمان في رابع عشرين شعبان، ثم رحل إلى حصن عكَّار[٥]، ونازَلَهُ في سابع عشر رمضان، وجَدَّ في حصاره، وملكه بالأمان سلخ رمضان، وعيَّد الظاهر عليه عيد الأضحى، وقال محيي الدين بن عبد الظاهر مهنئاً بفتح عكَّار:

يا مليك الأرض بشراك ... فقد نِلْتَ الإرادةْ[٦]
إن عكار يقيناً ... هي عكًّا وزياده

وفي شوَّال منها[٧]: تسلم الظاهر قلعة العليقة وبلادها من الإسماعيلية.

وفي[٨] آخر شوَّال: سار إلى حصن القرين ونازله في ثاني ذي القعدة وزحف عليه وتسلَّمه بالأمان، وأمر به فهدم، ثم عاد إلى مصر.

---

(١) المختصر ٤/ ٦.
(٢) المختصر ٤/ ٦. وانظر البيان المغرب (قسم الموحدين) ص٤٦٨.
(٣) أبو دبوس، إدريس بن يوسف، أبو العلاء الواثق، انظر وفيات الأعيان ٧/ ١٨.
(٤) المختصر ٤/ ٦ وانظر: ذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٤٤، وعيون التواريخ ٢٠/ ٤٠٠، والشذرات ٥/ ٣٢٨، والبداية والنهاية ١٣/ ٢٥٨.
(٥) في ذيل المرآة (حصن بن عكار).
(٦) البيتان في عيون التواريخ ٢٠/ ٤٠١ وهي برواية مختلفة في كنز الدرر منسوبة لبعض الفضلاء.
(٧) المختصر ٤/ ٦، وعيون التواريخ ٢٠/ ٤٢١، وذيل مرآة الزمان (أحداث سنة ٦٧٠هـ).
(٨) المختصر ٤/ ٦ وانظر عيون التواريخ ٢٠/ ٤٠٣.

وفيها: جهَّز[١] الظاهر شواني[٢] لغزو قبرس فتكسرت في مرسى اليمينون[٣]. وأسر الفرنج من كان بتلك الشواني من المسلمين واهتم الظاهر بعمارة شوان أُخر فَعُمِلَ في المدة اليسيرة ضعف ما تقدم.

وفيها[٤]: توفي هيثوم بن قسطنطين صاحب سيس، ملك بعده ابنه ليفون الذي كان أَسَرَهُ المسلمون حسبما ذكرنا.

وفيها: قبض[٥] الظاهر على عز الدين إيفان[٦] المعروف بسم الموت، وعلى المحمدي وغيرهما.

وفي سنة سبعين وستمائة:

/٣٣٨/ توجَّه الظاهر[٧] إلى الشام، وعَزَل جمال الدين آقوش النجمي[٨] عن نيابة السلطنة بدمشق، وولى فيها عز الدين أيدمر الظاهري، وولَّى عوضه في الكرك علاء الدين أيدكين الفخري الأستاذ دار في مستهل ربيع الأول.

ثم توجَّه الظاهر إلى حمص، ثم إلى حصن الأكراد، ثم عاد إلى دمشق.

وفيها[٩]: والظاهر في دمشق، أغارت التتر على عينتاب. وعلى الرَّوج[١٠] وقميطون إلى قرب فامية، ثم عادوا واستدعى الظاهر من مصر عسكراً، فوصل إليه بدر الدين البيسري، فتوجَّه الملك الظاهر إلى حلب، ثم عاد إلى الديار المصرية في ثالث جمادى الأولى. وفي شوَّال عاد الظاهر من مصر إلى الشام.

سنة إحدى وسبعين إلى ثمانين وستمائة

ثم عاد[١١] في مستهل سنة إحدى وسبعين إلى مصر جريدة، وأقام بقلعة الجبل خمسة عشر يوماً، ثم عاد إلى دمشق، فوصل إليها في ثالث صفر.

---

(١) المختصر ٤/٦ وانظر الخبز مفصلاً في عيون التواريخ ٢٠/ ٤٠٤، والبداية والنهاية ١٣/ ٢٥٨.

(٢) في المختصر عشرة شواني، وفي العيون: سبعة عشر شينياً، وفي البداية والنهاية: اثني عشر.

(٣) في المختصر: اليميسوس.

(٤) المختصر ٤/ ٦.

(٥) المختصر ٤/ ٧ وتنظر الخبر في عيون التواريخ ٢٠/ ٤٠٤، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٤٥٣، والنجوم الزاهرة ٧/ ١٥٣.

(٦) في الأصل: ابغار، وانظر ترجمته في الوافي ١٠/ ٢٤، وذيل المرآة ٣/ ٢٣٠.

(٧) المختصر ٤/ ٧.

(٨) في عيون التواريخ ٢٠/ ٤١٧: النجيبي.

(٩) المختصر ٤/ ٧ وانظر الخبر في عيون التواريخ ٢٠/ ٤١٧.

(١٠) الروج: كورة من كور حلب في غربيها، بيتها وبين المعرَّة (نب ٣/ ٧٦).

(١١) انظر البداية والنهاية ١٣/ ٢٦٣.

وفيها[١]: توفي سيف[٢] الدين بن مظفر الدين عثمان بن منكبرس صاحب صهيون، فسلم ولداه سابق الدين وفخر الدين صهيون[٣] إلى الظاهر، وقدما إلى خدمته، وأحسن إليهما، وأعطى سابق الدين أمرة طبلخاناه.

وفيها: نازل[٤] التتر البيرة، ونصبوا عليها المناجيق، وضايقوها، فسار إليهم الظاهر، وأراد عبور الفرات إلى بر البيرة، فقاتله التتر على المخاضة، فاقتحم الفرات وهزم التتر، فرحلوا عن البيرة وتركوا آلات الحصار بحالها، فصارت للمسلمين، ثم عاد / ٣٣٩/ الظاهر إلى الديار المصرية في الخامس والعشرين من جمادى الآخرة.

وفيها: أُفرِجَ[٥] عن الدمياطي[٦] من الاعتقال[٧].

وفيها: تسلَّمت[٨] نواب الظاهر ما تأخر من حصون الإسماعيلية، وهي الكهف والمنيْقة وقدموس.

وفيها: اعتقل[٩] الظاهر الشيخ خضر[١٠]. وكان قد بلغ عند الظاهر أرفع منزلة، وانبسطت يده ونفذ أمره في الشام ومصر، فاعتقله في قاعة بمصر مكرماً إلى أن مات.

---

(١) المختصر ٤/ ٧.

(٢) الأصل: سابق، والتصويب عن المختصر، وفيه سيف الدين أحمد، وهو في عيون التواريخ ٢١/ ٢٥ محمد، وكذلك في مصادر ترجمته: ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٥، والوافي ٤/ ٨٥، والعبرة ٢٥٦، والشذرات ٥/ ٣٣٥.

(٣) في العيون: صهيون وبرزية.

(٤) المختصر ٤/ ٧، وانظر الخبر في عيون التواريخ ٢١/ ٩، وذيل مرآة الزمان ٣/ ٢، ودول الإسلام الشريفة ص٣٨، والشذرات ٥/ ٣٧٣، والبداية والنهاية ١٣/ ٢٦٣.

(٥) المختصر ٤/ ٧.

(٦) الدمياطي: هو الأمير عز الدين أيبك بن عبد الله الدمياطي الصالحي النجمي، أحد كبار الأمراء المقدمين على الجيوش، حبسه الظاهر مدة ثم أطلقه، ومات بالقاهرة سنة ٦٧٦هـ. (النجوم الزاهرة ٧/ ٢٧٥).

(٧) في الأصل: من هذا الاعتقال.

(٨) المختصر ٤/ ٧ والخبر مفصلاً في ذيل مرآة الزمان ٣/ ٦، والبداية والنهاية ١٣/ ٢٦٤، وعيون التواريخ ٢١/ ١٤.

(٩) المختصر ٤/ ٧، والخبر أيضاً في عيون التواريخ ٢١/ ١٣، وذيل المرآة ٣/ ٥، والبداية والنهاية ١٣/ ٢٦٥.

(١٠) هو الشيخ خضر بن أبي بكر بن موسى العدوي، توفي سنة ٦٧٦هـ، انظر: عيون التواريخ ٢١/ ١٤٥ وذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٦٤.

وفي سنة اثنتين وسبعين:

ملك[١] يعقوب المريني، وهو يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن حمامة المريني، وبنو مرين ملكوا الغرب بعد بني عبد المؤمن[٢]. وكان آخر من ملك من بني عبد المؤمن أبو دبُّوس. وهذه القبيلة أعني بني مرين يقال لها حمامة من بين قبائل العرب بالمغرب. وكان مقامهم بالريف القبلي من تازة، وأول أمرهم إنَّهم خرجوا عن طاعة بني عبد المؤمن المعروفين بالموحدين لما اختلَّ أمرهم، وتابعوا الغارات عليهم حتى ملكوا مدينة فاس، واقتلعوها من الموحدين في سنة بضع وثلاثين وستمائة. واستمرت فاس وغيرها في أيديهم أيام الموحدين. وأول من اشتهر من بني مرين أبو بكر بن عبد الحق بن محيو بن حمامة المريني، وبعد ملكه فاس سار إلى جهة مراكش، وضايق بني عبد المؤمن، وبقي كذلك حتى توفي المذكور سنة ثلاث وخمسين وستمائة، وملك بعده يعقوب بن عبد الحق، وقوي أمرُه وحاصر أبا دبُّوس في مراكش، وملكها يعقوب المذكور، وأزال ملك بني عبد المؤمن / ٣٤٠/ حينئذٍ. واستقرَّت قدمَهُ في الملك، وبقي مستمراً حتى ملك سبته في هذه السنة. ثم توفي وملك بعده ولده يوسف بن يعقوب وكنية يوسف المذكور أبو يعقوب، واستمر يوسف المذكور في الملك حتى قُتل سنة ست وسبع مائة.

وفيها[٣]: وصل الظاهر بعساكره إلى دمشق، وكان الظاهر قد حبس عمرو بن مخلول أحد أمراء العربان بحبس عجلون فقيد هناك. وهرب من الحبس المذكور إلى بلاد التتر، ثم أرسل يطلب الأمان، فقال الظاهر، ما أومنه حتى يعود إلى عجلون ويضع القيد في رجله كما كان، فعاد عمرو المذكور إلى عجلون ووضع القيد في رجله، فعفى عنه الظاهر حينئذٍ.

وفيها: قويت[٤] أخبار التتر لقصد الشام، وجفل الناس.

وفي سنة ثلاث وسبعين[٥]:

توجَّه الظاهر إلى بلاد سيس بعساكره فغنم وعاد إلى دمشق حتى خرجت السنة.

وفي[٦] دخول الملك الظاهر سيس والشمع بأيدي الجند موقود قدامه، قال ابن عبد الظاهر:

---

(١) المختصر ٤/ ٧ تحت عنوان: ((ذكر ملك يعقوب المريني مدينة سبتة وابتداء ملكهم)).

(٢) في الأصل: يعقوب، وكتب فوقها بنفس القلم عبد المؤمن.

(٣) المختصر ٤/ ٨، وانظر: البداية والنهاية ١٣/ ٦٥.

(٤) المختصر ٤/ ٨.

(٥) المختصر ٤/ ٨، وانظر: عيون التواريخ ٢١/ ٥٣.

(٦) ما بعدها حتى نهاية البيتين لم يرد في المختصر.

ملك تَرَى عسكره موقدا شمعاً به يرهج أو ينهج
قد ألجم الكفر بغاراته إذا دهم الليل بها يسرج

وفي سنة أربع وسبعين[(١)]:

نازَلَتْ التتر البيرة، وكان اسم مقدمهم أقطاي، وكان الظاهر بدمشق، فتوجَّه إلى البيرة، فرحلت التتر عنها، ولاقى الظاهر الخبر برحيلهم وهو[(٢)] بالقطيفة، فأتمَّ السير إلى حلب، ثم عاد إلى / ٣٤١/ مصر وبعد وصوله جهَّز[(٣)] جيشاً مع أقسنقر الفارقاني وعز الدين أيبك الأفرم إلى النوبة. فساروا إليها، ونهبوا، وقتلوا، وعادوا بالغنائم.

وفيها[(٤)]: كان زواج الملك السعيد بركة بن الظاهر بيبرس بابنة الأمير سيف الدين قلاوون الصالحي، غازية خاتون.

وفي[(٥)] آخر السنة: عاد الظاهر إلى الشام فوصل في المحرم سنة خمس وسبعين إلى دمشق. وكان بَلَغَهُ ورود الأمراء الروميين الوافدين، وهم بيجار الرومي، وبهادر ولده، وأحمد بن بهادر وغيرهم، فسار الظاهر إلى جهة حلب والتقاهم وأكرمهم، ثم عاد إلى الديار المصرية.

ولما كان يوم الخميس خامس عشر من رمضان من هذه السنة: خرج[(٦)] الظاهر من الديار المصرية، ووصل إلى حلب ثم إلى النهر الأزرق، ثم سار إلى البسلتين[(٧)] فوصل إليها في ذي القعدة، والتقى بها جمعاً من التتر مقدمهم تناون. وكانوا نقاوة المغل فالتقى الفريقان في أرض البلستين[(٨)] يوم الجمعة عاشر ذي القعدة، فانهزم التتر،

---

(١) المختصر ٤/ ٩، وانظر: ذيل مرآة الزمان ٣/ ١١٤، وعيون التواريخ ٢١/ ٦٩، والشذرات ٥/ ٣٤٢، والبداية والنهاية ١٣/ ٢٦٩.

(٢) الأصل: هم.
المختصر ٤/ ٩، وانظر الخبر في عيون التواريخ ٢١/ ٧٢، وذيل مرآة الزمان ٣/ ١١٧، والبداية والنهاية ١٣/ ٢٦٩، ودول الإسلام الشريفة ص٣٩، وتاريخ الخلفاء ص٤٨١.

(٣) المختصر ٤/ ٩، وانظر عيون التواريخ ٢١/ ٧٥ وذيل المرآة ٣/ ١١٩، ودول الإسلام الشريفة ص٣٩ وتاريخ الخلفاء ص٤٨١.

(٤) المختصر ٤/ ٩، وانظر: عيون التواريخ ٢١/ ٧٥ وذيل المرآة ٣/ ١١٩ ودول الإسلام الشريفة ص٣٩.

(٥) المختصر ٤/ ٩، وانظر الخبر مفصلاً في ذيل مرآة الزمان ٣/ ٢٦٤، وعيون التواريخ ٢١/ ٨٩، والسلوك ج١ ق٢ ص٦٢٥.

(٦) المختصر ٤/ ٩.

(٧) في المختصر الايلستين

(٨) في المختصر الايلستين

وأخذتهم سيوف المسلمين، وقتل مقدمهم تناون وغالب كبرائهم، وأُسر منهم جماعة كثيرة صاروا أمراء. وكان من جهة المأسورين في هذه الوقعة سيف الدين قبجق وسيف الدين سلار[1].

ثم سار الظاهر بعد فراغه من هذه الوقعة إلى قيسارية، واستولى عليها وكان الحاكم بالروم يومئذٍ معين الدين سليمان[2] البرواناه، وكان يكاتب الظاهر في الباطن، وكان يظن الظاهر أنه إذا وصل إلى قيسارية يصل إليه البراوناه /٣٤٢/ على ما كان اتفق معه في الباطن، فلم يحضر البراوناه لما أراد الله تعالى من هلاكه، وأقام الظاهر على قيسارية سبعة أيام في انتظار البراوناه وخطب له على منابرها، ثم رحل عنها ثاني عشر ذي الحجة، وحصل العسكر شدَّة عظيمة من نفاذ القوت والعليق، وعدمت غالب خيولهم، ووصلوا إلى عمق حارم، وأقاموا به شهراً، ولما بلغ أبغا بن هولاكو ذلك ساق في جموع المغل حتى وصل إلى البلستين، ووجد عسكره صرعى، ولم يجد أحداً من عسكر الروم مقتولاً فاستشاط غيظاً، وأمر بنهب الروم، وقَتْل من به من المسلمين فنهب وقتل منهم جماعة، ثم سار أبغا إلى الأردو وصحبته معين الدين البراوناه، فلما استقرَّ بالأردو أمر بقتل البراوناه، فقُتل وقُتل معه نيفاً وثلاثين نفساً من مماليكه وخواصه، وكان البراوناه المذكور عارفاً بأمور المملكة ذا مكرٍ ودهاء.

وفيها[3]: توجه الظاهر من عمق حارم إلى دمشق.

سنة ست وسبعين

وفي خامس المحرَّم من سنة ست وسبعين: وصل[4] إلى دمشق ونزل بالقصر الأبلق، فلما كان يوم الخميس، السابع والعشرين من المحرم، توفي الظاهر بدمشق، وقت الزوال إلى رحمة الله تعالى عقب وصوله من جهة بلاد الروم إلى دمشق. واختلف في سبب موته، قيل إنه انكسف القمر كسوفاً كليّاً، وشاع بين الناس أن ذلك لموت

---

(١) في المختصر: أرسلان. وانظر الخبر مفصلاً في عيون التواريخ ٢١/ ١٠٠.

(٢) سليمان بن علي، الصاحب، معين الدين البراوناه. كان أبوه مهذب الدين علي بن محمد يعلم أولاد مستوفي الروم ثم ناب عنه، واستوزره علاء الدين وبعده غياث الدين الذي استوزر ابنه سليمان بعده، وكاتب الظاهر، ثم قتله أبغا، قطع أطرافه وألقاه في مرجل سنة ٦٧٦هـ، وانظر: الوافي ١٥/ ٤٠٧ وفوات الوفيات ٢/ ٧١.

(٣) المختصر ٣/ ١٠.

(٤) المختصر ٤/ ١٠. وانظر: النجوم الزاهرة ٧/ ٢٧٨.

رجل جليل القدر، فأراد الظاهر أن يصرف التأويل إلى غيره، فاستدعى / ٣٤٣/ بشخص من أولاد الملوك الأيوبية يقال له الملك القاهر من أولاد الناصر داود بن المعظَّم عيسى.

وأحضر قمزاً مسموماً، وأمر السقاة بسقي الملك القاهر المذكور، وشرب الظاهر ناسياً بذلك (الهناب)[1] على أثر شرب القاهر، فخاف القاهر عقيب ذلك، وأما الظاهر فحصلت له حمَّى محرقة، وتوفي وكتم مملوكه ونائبه بدر الدين بيليك[2] المعروف بالخزندار موته، وصبره وتركه بقلعة دمشق إلى أن استوت تربته بدمشق فدفن فيها، وارتحل بدر الدين بيليك بالعساكر ومعهم المحفَّة، مظهراً أن الظاهر فيها، وأنه مريض، وكان الظاهر قد حلف العسكر لولده بركة ولقبه الملك السعيد، وجعله وليّ عهده. فوصل بيليك الخزندار بالعساكر والخزائن إلى الملك السعيد بقلعة الجبل وعند ذلك أظهر موت الظاهر، وجلس ابنه الملك السعيد للعزاء. واستقرَّ في السلطنة. ومدة ملك الظاهر نحو سبع عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام، لأنه ملك في سابع عشر ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة، وتوفي في سابع عشرين المحرم سنة ست وسبعين، وكان ملكاً جليلاً شجاعاً عاقلاً، مهيباً، ملك الديار المصرية بالشام وأرسل جيشاً فاستولوا على النوبة، وفتح الفتوحات الجليلة، مثل صفد وحصن الأكراد وإنطاكية وغيرها، وأصله مملوك، قفجاقي الجنس، سمعت[3] أنه مِن برجعلي، وكان أسمراً أزرق العينين، جهوري الصوت، حضر هو ومملوك آخر مع تاجر إلى حماه فاستحضرهما / ٣٤٤/ المنصور محمد صاحب حماه، ليشتريهما، فلم يعجبه واحد منهما. وكان أيدكين البندقدار مملوك الصالح أيوب صاحب مصر قد غضب عليه الصالح أيوب. فتوجه أيدكين إلى جهة حماه، فأرسل الصالح، وقبض عليه واعتقله بقلعة حماه، فتركه المنصور صاحب حماه في جامع قلعة حماه، واتفق عند ذلك حضور الظاهر صحبة التاجر، فلما قلبه المنصور ولم يشتره أرسل أيدكين الصالحي وهو معتقل فاشتراه، وبقي عنده، وأرسل الصالح، وأفرج عن أيدكين (فسار)[4] من حماه وصحبته مملوكه الظاهر وبقي مع أستاذه البندقدار مدَّة. ثم أخذه الصالح من البندقدار، فانتسب الظاهر إلى الملك الصالح دون أستاذه، وكان يخطب له وينقش على الدرهم والدينار

---

(١) الأصل: العناب، والمختصر: الهناء، والتصويب عن عيون التواريخ ٢١/ ١٥٤.

(٢) في الأصل: تتليك، والتصويب عن النجوم الزاهرة ٧/ ٢٧٧.

(٣) الكلام لصاحب المختصر ٤/ ١٠.

(٤) التكملة عن المختصر.

بيبرس الصالحي.

وكان استقرار السعيد بركة في مملكة مصر والشام في أوائل ربيع الأوَّل من هذه السنة. واستقرَّ[١] بيليك الخزندار في النيابة على ما كان عليه، واستمرت الأمور ولم تطل مدة السعيد ولا بيليك، فإن بيليك مات بعد ذلك بمدة يسيرة[٢]، قيل حتف أنْفه، وقيل سُمَّ والله أعلم. وتولَّى نيابة السلطنة بعده شمس الدين الفارقاني[٣]، ثم إن السعيد خبَّط، وأراد تقديم الأصاغر، وأبعد الأمراء الأكابر، وقبض على سنقر الأشقر والبيسري[٤]، ثم أفرج عنهما بعد أيام يسيرة، ففسدت نيات الأمراء الأكابر عليه، وبقي الأمر كذلك حتى دخلت سنة سبع وسبعين.

/ ٣٤٥/ فسار[٥] الملك السعيد إلى الشام وصحبته العساكر، فوصل إلى دمشق وجرّد منها العسكر صحبة قلاوون[٦] الصالحي، وجرَّد أيضاً صاحب حماه فساروا ودخلوا إلى سيس، وشنُّوا الغارة عليها، ثم عادوا إلى جهة دمشق، واتفقوا على خلع الملك السعيد من السلطنة لسوء تدبيره، وعبروا إلى دمشق، ولم يدخلوها، فأرسل إليهم السعيد، واستعطفهم، ودخل عليهم بوالدته، فلم يلتفتوا، وأتموا السير، فركب السعيد، وساق فسبقهم إلى مصر، وطلع إلى قلعة الجبل، وسارت العساكر في أثره، وخرجت السنة والأمر على ذلك.

وفيها: توفي[٧] عز الدين كيكاوس بن كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان بن قطومش بن أرسلان بن سلجوق عند منكوتمر ملك التتر بمدينة صراي. وكيكاوس المذكور هو الذي كان محبوساً بقسطنطينية، وذكر خلاصه واتصاله بملك التتر في سنة ثمانٍ وستين. وخلَّف عز الدين المذكور ولداً اسمه مسعود وقصد منكوتمر أن يزوجه بزوجة ابنه[٨] كيكاوس، فهرب مسعود، واتصل ببلاد

---

(١) الأصل: استقل، والتصويب عن المختصر.

(٢) مات في ربيع الأوَّل سنة ٦٧٦هـ، انظر: عيون التواريخ ٢١/ ١٣٣ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٧٦.

(٣) شمس الدين آقسنقر الفارقاني.

(٤) بدر الدين بيسري.

(٥) المختصر ٤/ ١١. وانظر النجوم الزاهرة ٧/ ٢٦٤ وعيون التواريخ ٢١/ ١٧١.

(٦) قلاوون، أبو المعالي، وأبو الفتوح، التركي الصالحي، النجمي، اشتري بألف دينار.. تقدمت به الحال حتى ولي سلطنة مصر والشام وسترد أخباره. توفي سنة ٦٨٩هـ. انظر ترجمته في الوافي ٢٤/ ٢٦٦، ولابن عبد الظاهر في سيرته ((تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور)).

(٧) المختصر ٤/ ١١.

(٨) كذا في الأصل والمختصر، ولعله أراد: أبيه.

الروم، فحمل إلى أبغا، فأحسن إليه وأعطاه سيواس وأرزن الروم، وأرزكان، واستقرَّت هذه البلاد لمسعود بن عز الدين، ثم بعد ذلك جعلت سلطنة الروم باسم مسعود، وافتقر جداً / ٣٤٦/ وانكسف حاله، وهو آخر من سمِّي سلطاناً من الملوك السلجوقية بالروم.

وفي سنة ثمانٍ وسبعين وستمائة:

وصلت العساكر الخارجون عن[١] طاعة بركة إلى الديار المصرية في ربيع الأوَّل، وحصروه بقلعة الجبل، وخامر عليه غالب من كان معه من الأمراء، مثل لاجين الزيني وغيره. وبقي يهرب واحداً بعد واحد من القلعة وينضم إلى المعسكر المحاصر، فلما رأى السعيد ذلك أجابهم إلى الخلع من السلطنة، وأن يُعطى الكرك، فأجابوه إلى ذلك، وأنزلوه من القلعة، وخلعوه في ربيع الأوَّل، وسفَّروه من وقته إلى الكرك صحبة بيدغان الركني وجماعة، فوصل إليها وتسلَّمها بما فيها من الأموال، وكانت شيئاً كثيراً.

ولما جرى ذلك اتفق أكابر الأمراء مثل بدر الدين بيسري الشمسي[٢] وبكتاش الفخري وغيرهم على إقامة بدر الدين سلامش بن بيبرس في المملكة ولقَّبوه العادل، وعمرَهُ سبع سنين (وسبع)[٣] شهور وخُطب له. وضُربت السكة باسمه، وصار الأمير سيف الدين قلاوون الصالحي أتابك العسكر.

ولما استقر ذلك، جهَّز أتابك العسكر سنقر الأشقر (إلى دمشق)[٤] وجعله نائب السلطنة بالشام.

وكان العسكر لما خالفوا السعيد قبضوا على عزِّ الدين أيدمر الظاهري، نائب السلطنة بدمشق، وتولَّى تدبير دمشق بعد أيدمر آقوش الشمسي، فلما قدم سنقر الأشقر إلى دمشق، فوض إلى آقوش الشمسي نيابة / ٣٤٧/ حلب، فسار وتولاَّها، واستمرَّ الحال على ذلك مدة يسيرة. فلما كان[٥] يوم الأحد الثاني والعشرين من رجب كان جلوس السلطان الملك المنصور قلاوون في السلطنة بعد خلع سلامش وعزله.

ولما تولى المنصور، أقام منار العدل وأحسَنَ سياسة الملك، وقام بتدبير السلطنة

---

(١) المختصر ٤/ ١٢. وانظر عيون التواريخ ٢١/ ٢١٩ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٦٧.

(٢) بعده في المختصر: وأيتمش السعدي.

(٣) في المختصر: سبع سنين وشهور.

(٤) الزيادة عن المختصر.

(٥) المختصر ٤/ ١٢ تحت عنوان (ذكر سلطنة الملك المنصور قلاوون الصالحي) وانظر الخبر في عيون التواريخ ٢١/ ٢٢٤ ودول الإسلام الشريفة البهية ص٤١.

أحسن قيام.

فلما[١] كان رابع عشرين ذي القعدة، جلس سَنْقَر الأشقر بدمشق في السلطنة. وحلف له العسكر الذي بدمشق، وتلقب بالكامل شمس الدين سنقر.

وفيها: توفي[٢] السعيد بركة بن الظاهر بالكرك بعد وصوله إليها بمدة يسيرة وكان سبب موته: أنه لعب بالكرة في سيوان الكرك، فتقطر به الفرس، وحصل له بسبب ذلك حمّى شديدة، وبقي كذلك أياماً يسيرة. وتوفى، وحمل إلى دمشق، ودفن في تربة أبيه.

ولما توفي السعيد اتفق من بالكرك، وأقاموا موضعه أخاه نجم الدين خضر واستقرَّ في الكرك ولقَّبوه الملك المسعود.

وفي سنة تسع وسبعين:

كانت كسرة[٣] سَنْقَر الأشقر المستولي على الشام، وكان المنصور قلاوون قد جهز عساكر مصر مع علم الدين سنجر الحلبي ومعه بدر الدين بكتاش أمير سلاح وبدر الدين الأيدمري، فسارت العساكر إلى الشام، وبرز سنقر بعساكر الشام إلى ظاهر دمشق، والتقى الفريقان في تاسع عشر صفر، فولَّى الشاميُّون وسنقر منهزمين[٤]، ونهبت /٣٤٨/ العساكر المصرية أثقالهم، وكان المنصور قلاوون قد جعل غلامه[٥] لاجين السلحدار نائباً بقلعة دمشق، فلما جلس سنقر في دست المملكة قبض على لاجين، فلما هرب سنقر، أُفرج عنه، وكذلك (كان)[٦] سنقر (قد)[٧] اعتقل بيبرس الحلبي المعروف بالجالق[٨] لأنه لم يحلف له، فأفرج عنه أيضاً، وكتب الحلبي إلى المنصور بالفتح، واستقر حسام الدين المنصوري نائب السلطنة بالشام. وأما سنقر[٩] الأشقر، فإنه هرب إلى الرحبة، وكاتب أبغا بن هولاكو ملك التتر، وأطمعه في البلاد.

---

(١) المختصر ٤/ ١٣، وانظر: عيون التواريخ ٢١/ ٢٥٥.

(٢) المختصر ٤/ ١٣، وانظر: عيون التواريخ ٢١/ ٢٢٥، وذيل المرآة ٤/ ١٠، ودول الإسلام الشريفة ص٤٣، والشذرات ٥/ ٣٦٢، والبداية والنهاية ١٣/ ٢٩٠ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٧١.

(٣) المختصر ٤/ ١٣، وانظر التفاصيل في عيون التواريخ ٢١/ ٢٤٣، وذيل مرآة الزمان ٤/ ٤٠، والبداية والنهاية ١٣/ ٢٩٠.

(٤) الأصل: منهزمون.

(٥) في المختصر مملوكه.

(٦) الزيادة عن المختصر.

(٧) الزيادة عن المختصر.

(٨) الأمير ركن الدين الجالق الصالحي، من كبار الأمراء، توفي سنة ٧٠٧هـ. (انظر الوافي ١٠/ ٣٤٨).

(٩) انظر خبره في تاريخ مختصر الدول ص٥٣.

وكان عيسى[١] بن مهنا ملك العرب مع سنقر، وقاتل معه، وكتب بذلك (إلى)[٢] أبغا أيضاً، مُوافقة له، ثم سار سنقر من الرحبة إلى صهيون في جمادى الأولى واستولى عليها وعلى برزنه وبلاطنس والشغر وبكاس وعكار وشيزر وفامية، وصارت هذه البلاد لسَنْقَر الأشقر.

وفيها[٣]: جعل السلطان الملك المنصور قلاوون ولده الصالح علاء الدين علي ولي عهده، وسلطنه وركب بشعار السلطنة.

وفيها[٤]: سار المنصور من الديار المصرية إلى غزَّة، وكان التتر قد وصلوا إلى حلب، فعاثوا ثم عادوا فعاد السلطان إلى مصر في جمادى الآخرة.

وفيها[٥]: استأذن بلبان[٦] الطباخي أحد مماليك المنصور، وكان نائباً لحصن الأكراد في الإغارة على بلد المرقب[٧] لما اعتمده أهله من الفساد عند وصول التتر إلى حلب، فأذن له في ذلك. فجمع الطباخي عساكر الحصون وسار إلى /٣٤٩/ المرقب. فاتفق هروب المسلمين ونزل الفرنج من المرقب، فقتلوا وأسروا من المسلمين جماعة.

وفي مستهل[٨] ذي الحجة: خرج المنصور من مصر إلى الشام، ودخلت سنة ثمانين والسلطان بالروحاء، وأقام هناك مدة وسار إلى بيسان فقبض على جماعة من الظاهرية، وأعدم منهم جماعة، ثم سار السلطان ودخل إلى دمشق، وأرسل عسكراً إلى شيزر، وهي لسنقر الأشقر، وجرى بينهم مناوشة، ثم ترددت الرسل بين السلطان وبين سنقر، واحتاج السلطان إلى مصالحته لقوة أخبار التتر، ووقع بينهما الصلح على أن يسلم شيزر إلى السلطان، ويتسلَّم سنقر الشغر وبكاس، وكانتا قد ارتجعتا منه، فتسلَّم

---

(١) عيسى بن مهنا، شرف الدين، أمير آل فضل، وملك العرب بالشام، كانت له منزلة كبيرة لدى الملوك، توفي سنة ٦٨٣هـ، وولى المنصور قلاوون ولده مهنا عوضه. انظر: النجوم الزاهرة ٦/ ٣٦٣ وعيون التواريخ ٢١/ ٣٤٤ وذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٣١ ومرآة الجنان ٤/ ١٩٩ وشذرات الذهب ٥/ ٣٨٣.

(٢) الزيادة عن المختصر.

(٣) المختصر ٤/ ١٤. وانظر النجوم الزاهرة ٧/ ٣٠٠.

(٤) المختصر ٤/ ١٤. وانظر النجوم الزاهرة ٧/ ٣٠٠

(٥) المختصر ٤/ ١٤.

(٦) بلبان: الأمير سيف الدين، الطباخي، مملوك المنصور، من كبار الأمراء، وصف بالشجاعة وكثرة المماليك، تولى نيابة حاب مدة وحصن الأكراد وطرابلس وغير ذلك، توفي بالساحل سنة ٧٠٦هـ. انظر الوافي ١٠/ ٢٨٢.

(٧) المرقب. بلد وحصن على الساحل الشامي يقع على مدينة بُلنياس (معجم البلدان ٥/ ١٠٨).

(٨) المختصر ٤/ ١٤ وعيون التواريخ ٢١/ ٢٧٦ والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٠١.

نواب السلطان شيزر، وتسلَّم سنقر الشغر وبكاس، وحلفا على ذلك.

وفيها[١]: استقر الصلح بين المنصور وبين خضر بن الظاهر[٢] وفي هذه السنة[٣]، في شهر رجب كانت الوقعة العظيمة بين المسلمين وبين التتر بظاهر حمص، وذلك أن أبغا بن هولاكو حشد وجمع وسار طالباً الشام، ثم انفرد أبغا المذكور عنهم وسار إلى الرحبة، وسيّر جيوشه إلى الشام وقدَّم لهم أخاه منكوتمر، فسار إلى حمص، وسار المنصور بالجيوش الإسلامية من دمشق إلى جهة حمص، وأرسل إلى سنقر يستدعيه بمن عنده من الأمراء والعسكر بحكم ما استقرَّ بينهما من الصلح واليمين، فسار سنقر من صهيون /٣٥٠/ فلما وصل السلطان إلى ظاهر حمص ووصل إليه المنصور صاحب حماه بعسكره ثم وصل سنقر بعسكره، ورتب السلطان العساكر ميمنة وميسرة، والتقى الفريقان بظاهر حمص في الساعة الرابعة من يوم الخميس رابع عشر رجب الفرد وأنزل الله نصره على القلب والميمنة، فهزموا من كان قبالتهم من التتر.

وركبوا أقْفيتهم يقتلون ويأسرون، وكان منكوتمر قبالة القلب، فانهزم. وأما ميسرة المسلمين، فانهم انكشفوا عن مواقفهم، وتم ببعضهم الهزيمة إلى دمشق، وساق التتر أثر المنهزمين حتى وصلوا إلى تحت حمص، ووقعوا في السوقية وغلمان العسكر والعوام، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، ثم علموا بنصرة المسلمين وهزيمة جيشهم فولوا منهزمين على أعقابهم، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون. وكانت عدَّة التتر نحو ثمانين ألف، منهم خمسون ألفاً من المغل، والباقي مجمعة من أجناس مختلفة ولما وصل خبر هذه الكسرة إلى أبغا وهو على الرحبة يحاصرها رحل عنها على عقبه منهزماً.

وكتب[٤] بهذا الفتح العظيم إلى البلاد الإسلامية فزينت لذلك، ثم أن المنصور أعطى الدستور للعساكر الشمالية، فرجع المنصور محمد صاحب حماه إلى بلده، وسنقر إلى صهيون، وسار عسكر حلب إليها، وعاد السلطان إلى دمشق، والأسرى والرؤوس بين يديه،.

وسار[٥] إلى الديار المصرية كذلك مؤيداً منصوراً، فلما استقرَّ بالديار المصرية، /٣٥١/ قدمت[٦] إليه هدية صاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن

---

(١) المختصر ٤/ ١٤.

(٢) في المختصر: وبين الملك خضر بن الملك الظاهر بيبرس صاحب الكرك.

(٣) المختصر ٤/ ١٤، وانظر عيون التواريخ ٢١/ ٢٧٨ وتاريخ مختصر الدول ص٥٠٤ والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٠٣.

(٤) المختصر ٤/ ١٥ وعيون التواريخ ٢١/ ٢٨٠.

(٥) المختصر ٤/ ١٥.

(٦) من هنا تبدأ المخطوطة بخط مختلف.

علي بن رسول، وطلب أماناً من السلطان، فقبل السلطان هديَّته وكانت من طرائف اليمن[١]، وكتب السلطان له أماناً[٢] وأرسله وهديته من أسلاب التتر وخيلهم، وعادت رسله بذلك مكرمين.

وفيها[٣]: مات منكوتمر بجزيرة ابن عمر مكموداً عقيب كسرته على حمص. وكان موته من تتمة هذا الفتح العظيم.

* * *

(١) بعدها في المختصر: مثل العود والعنبر والصيني ورماح الفنا وغير ذلك.

(٢) بعده في المختصر نصّ الأمان.

(٣) المختصر ٤/ ١٥ وانظر خبر وفاته في عيون التواريخ ٢١/ ٢٩٣.

/ ٣٥٢/ بسم[1] الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

سنة إحدى وثمانين إلى سنة اثنين وتسعين وستمائة

في أوائل سنة إحدى وثمانين:

ولّى[2] السلطان مملوكه شمس الدين قرا سنقر نيابة السلطنة بحلب، فسار إليها واستقرّ بها.

وفي المحرم منها: مات[3] أبغا بن هولاكو بن طلو بن جنكيزخان ملك التتر، قيل إنّه مات مسموماً ببلاد همدان، ومدة ملكه نحو سبع عشرة سنة وكسراً، وخلف من الولد أرغون وكيختو ابنا أبغا. ولما مات أبغا ملك بعده أخوه أحمد بن هولاكو. واسم أحمد المذكور بيكدار[4] فلما جلس في الملك أظهر دين الإسلام، وتسمى بأحمد.

وفيها: وَصلتْ[5] رسل أحمد بن هولاكو ملك التتر المذكور إلى السلطان الملك المنصور قلاوون، وكان كبير الرسل المذكورين الشيخ قطب الدين محمود الشيرازي، وكان إذ ذاك قاضي سيواس، فاحترزهم السلطان ولم يمكن أحداً من الاجتماع بهم. وكان مضمون رسالتهم إعلام السلطان بإسلام أحمد المذكور وطلب الصلح بين المسلمين والتتر، فلم ينتظم ذلك وعادت رسلُهُ بالجواب.

وفيها: مات[6] منكوتمر بن طغان بن ناطو بن دوشي خان بن جنكيز خان ملك التتر بالبلاد الشمالية، وملك بعده أخوه ندان منكو بن طغان، وجلس على كرسي

---

(١) من هنا إلى نهاية الجزء كتب الأصل بخط مختلف.

(٢) المختصر ٤/ ١٦.

(٣) المختصر ٤/ ١٦ وانظر عيون التواريخ ٢١/ ٢٩٣ وذيل مرآة الزمان ٤/ ١٠٠ والبداية والنهاية ١٣/ ٢٩٧، والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٢٨ والشذرات ٥/ ٣٦٦.

(٤) في الأصل: تكدار، والتصويب عن المختصر.

(٥) المختصر ٤/ ١٦ وانظر الخبر في ٢١/ ٣٠٤ وذيل المرآة ٤/ ١٢٤٥ وشذرات الذهب ٥/ ٣٧٠ وانظر نص رسالة أحمد إلى المنصور قلاوون وردّه عليها في تاريخ مختصر الدول ص٥٠٦ ـ ٥١٨.

(٦) المختصر ٤/ ١٦ وانظر خبره في الشذرات ٥/ ٣٧٥ والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٥٥.

الملك بمدينة صراي.

وفيها[١] : عقد للملك الصالح علاء الدين علي بن الملك المنصور على بنت سيف الدين بكية، ثم تزوج أخوه الملك الأشرف بأختها الأخرى. وكان بكية معتقلاً بالإسكندرية، فلما عزم السلطان على ذلك أخرجه من الحبس وفعل ذلك.

وفي سنة اثنتين وثمانين[٢]:

في أوائلها قدم الملك المنصور صاحب حماة وصحبته أخوه الأفضل علي إلى الديار المصرية. فبالغ السلطان الملك المنصور في إكرامه والإحسان إليه وأنْزله بالكبش وأرْكبه بالصناجق السلطانية والجفتا والغاشية[٣]، وسأله عن حوائجه. فقال صاحب حماة: حاجتي أن أُعفى من هذا اللقب فإنه [ما بقى][٤] يصلح لي أن ألقَّب بالملك المنصور، وقد صار هذا لقب مولانا السلطان [الأعظم، فأجابه السلطان بأني ما تلقبت بهذا الاسم][٥] إلا لمحبتي فيك، /٣٥٣/ ولو كان لقبك غير ذلك كنت تلقبت به، فشيء قد فعلته محبة لاسمك كيف أمكن من تغييره.

ثم[٦] طلع السلطان بالعسكر المصري لحفر الخليج الذي بجهة البحيرة، وصار صاحب حماة في خدمته إلى الحفير، ثم أعطاه الدستور بعد ذلك فعاد مكرماً مغموراً بالصدقات السلطانية.

وفيها[٧]: رمى السلطان بالملك الصالح علاء الدين علي بن الملك المنصور قلاوون بَجَعاً بجهة (العباسية)[٨] بالبندق، وادعى[٩] للملك المنصور صاحب حماة فقبله وبالغ في إظهار الفرح والسرور بذلك، وأرسل إليه تقدمة جليلة.

وفيها[١٠]: خرج أرغون بن أبغا بخراسان على عمّه بيكدار المسمى بأحمد سلطان، وسار إليه واقتتلا، فانهزم أرغون وأخذه أحمد أسيراً، وسأل الخواتين في

---

(١) المختصر ٤/ ١٦.

(٢) المختصر ٤/ ١٧ وانظر الخبر في شفاء القلوب ٤٤٣ نقلاً عن مختصر أبي الفداء.

(٣) الغاشية وهي غاشية سرج من أدم غرزه بالذهب تُحمل بين يدي السلطان في المركب (صحيح الأعشى ٤/ ٧).

(٤) التكملة عن المختصر.

(٥) ما بين قوسين سقط عن الأصل، وأثبت عن المختصر.

(٦) المختصر ٤/ ١٧.

(٧) المختصر ٤/ ١٧.

(٨) التكملة عن المختصر.

(٩) في المختصر: أرسله.

(١٠) المختصر ٤/ ١٧ وانظر عيون التواريخ ٢١/ ٣٤١ وتاريخ مختصر الدول ص٥١٨.

إطلاق أرغون وإقراره على خراسان فلم يجب أحمد إلى ذلك (وكانت)[1] خواطر المغل قد تغيرت على أحمد بسبب إسلامه وإلزامه لهم بالإسلام، فاتفقوا على قتله، وقصدوا أرغون بالموضع الذي معتقل فيه. وأطلقوه، وكبسوا الناق[2] نائب أحمد فقتلوه، ثم قصدوا الأردو فأحسَّ بهم السلطان أحمد فركب وهرب فاتبعوه وقتلوه، وملكوا أرغون بن أبغا بن هولاكو، وذلك في جمادى الأول من هذه السنة.

وفيها[3]: قتل أرغون الصبي سلطان الروم الذي أقامه البرواناه بعد قتله أباه حسبما تقدم ذكره في سنة ست وستين وستمائة، وكان اسم الصبي المذكور غياث الدين كيخسرو بن ركن الدين قليج أرسلان بن كيخسرو بن كيقباذ، وفوض اسم سلطنة الروم إلى مسعود بن عز الدين كيكاوس، وهو الذي جرى له مع الأشكري صاحب قسطنطينية ما قدمنا ذكره في سنة اثنين وستين، واستمر اسم سلطنة الروم باسم مسعود المذكور إلى قرب سنة ثمان وسبعمائة، وهو مسعود بن كيكاوس ابن كيخسرو ابن كيقباذ ابن كيخسرو ابن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان (بن سليمان)[4] بن قطلومش بن أرسلان بيغو بن سلجوق، وهو آخر من سمي بالسلطنة من السلجوقية ببلاد الروم، وافتقر مسعود المذكور وانكشف حاله جداً حتى قيل إنه تناول سماً فمات / ٣٥٤/ لكثرة المطالبات من أرباب الديون[5] والتتر.

وفيها[6]: ولى أرغون سعد الدولة اليهودي، وعظّمه ومكّنه، وكان سعد الدولة في مبتدأ أمره دلّالاً بسوق الصاغة بالموصل فحكم بسائر بلاد التتر فيها[7]: قرر أرغون ولديه قازان وخربندة بخراسان، وجعل أتابكهما، أميراً كبيراً من أصحابه اسمه نورود.

وفيها[8]: مات الأشكري صاحب قسطنطينية، واسمه ميخائيل، وملك بعده ماندوسكوس[9]، وتلقب بالدوقس.

وفيها[10]: كاتب الحكام بقلعة الكحنا قراسنقر نائب السلطنة بحلب، وسلموا الكحنا إليه، فجهز قراسنقر عسكراً، وتسلموها، وقرر فيها نواب السلطنة وحصّنها وصارت من أعظم الثغور الإسلامية نفعاً.

وفي[11] رجب: قدم السلطان إلى دمشق، وكان السيل العظيم في العشر الأول

---

(١) التكملة عن المختصر.
(٢) في تاريخ مختصر الدول ص٥٢٠ «اليناخ».
(٣) المختصر ٤/ ١٧.
(٤) لم ترد في المختصر.
(٥) في المختصر: أبوين.
(٦) المختصر ٤/ ١٧
(٧) المختصر ٤/ ١٨.
(٨) المختصر ٤/ ١٨.
(٩) في المختصر: ابنه ماندس.
(١٠) المختصر ٤/ ١٨.
(١١) المختصر ٤/ ١٨ وانظر عيون التواريخ ٢١/ ٣٤٢ والبداية والنهاية ١٣/ ٣٠٣.

من شعبان، والسلطان قلاوون بدمشق، فأخذ السيل ما مرّ به من العمارات والآلات ما لا يحصى، فتوجه السلطان بعد ذلك إلى الديار المصرية، وذهب للعسكر النازلين على جوانب بردى من الخيل والخيم والجمال والرجال ما لا يحصى.

وفي سنة ثلاث وثمانين:

توفي[١] الملك المنصور، أبو المعالي محمد بن الملك المظفر محمود بن الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بعد عوده من خدمة السلطان من دمشق، وكان مرضه حمى صفراوية داخل العروق، ثم صلح مزاجه بعض الصلاح، فأشار الأطباء بدخول الحمام فدخلها فعاده المرض، فأحضر الأطباء من دمشق، واشتدَّ به ذات الجنب، وعالجته الأطباء فلم يفد شيئاً، وفي مدّة مرضه عتق مماليكه، وتاب توبة نصوحة، وكتب إلى السلطان المنصور في إقرار ابنه الملك المظفر محمود في مملكته على قاعدته، واشتد مرضه، حتى توفي بكرة حادي عشر شوال من هذه السنة. وكانت ولادته في الساعة الخامسة من يوم الخميس لليلتين بقيتا من ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين وستمائة / ٣٥٥/ فيكون عمره إحدى وخمسين سنة وستة أشهر وأربعة وعشرين يوماً، وملك حماه يوم السبت ثامن جمادى الأولى سنة اثنتين أربعين وستمائة، وهو (اليوم)[٢] الذي توفي فيه والده الملك المظفر محمود، فيكون مدة ملكه إحدى وأربعين سنة وخمسة أشهر وأربعة أيام. وكان أكبر أمانيه أن يعيش حتى يسمع جوابه من السلطان فيما سأله من إقرار حماة على ولده الملك المظفر محمود، فاتفق وفاته قبل وصول الجواب.

وكان قد أرسل في ذلك على البريد مملوكه سنقر أمير أخور، فوصل بالجواب بعد موت الملك المنصور بستة أيام، ونسخة الجواب[٣] من السلطان بعد البسملة:

المملوك قلاوون، أعز الله أنصار المقام العالي المولوي السلطاني الملكي المنصوري الناصري، ولا عدمه الأنام، ولا فقدته السيوف والأقلام، وحماه من أذى داء، وعود عواد وإلمام (آلام)[٤]، المملوك يجدد الخدمة التي كان يودّ تجديدها

---

(١) المختصر ٤/ ١٨ وانظر ترجمته وخبر وفاته في: عيون التواريخ ٥١/ ٣٤٥ وذيل المرآة ٤/ ٢٠٢ والوافي ٥/ ١١ والبداية والنهاية ١٣/ ٣٠٤ والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٦٣ والشذرات ٥/ ٣٨٤ وشفاء القلوب ص٤٣٩ ـ ٤٤٥.

(٢) التكملة عن المختصر.

(٣) ورد الجواب في شفاء القلب من ٤٤٤ وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٣٣١.

(٤) التكملة عن المختصر.

شفاهاً، ويصف ما عنده من الآلام لما ألَّم بمزاجه (الكريم)[١] حتى أنه لم يكد يفتح بحديث[٢] فاها، ولما وقفنا على كتاب المولى[٣]، المتضمن مرض الجسد المحروس، وما انتهى إليه الحال، كادت القلوب تنشق، والنفوس تذوب حزناً، والرجاء من الله أنْ يتداركه بلطفهِ، وأن يمنّ بعافيتهِ التي رفع بها يديه، وبَسَطَ بها كفَّهُ، وهو يرجو من كرم الله تعالى معاجلة الشفاء ومداركة العافية، الموردة بعد الكَدَر مورد الصفاء، والله تعالى يفسح في عمر[٤] المولى، ويهبه العمر الطويل. وأما الإشارة الكريمة إلى ما ذكره من الحقوق التي يوجبها الإقرار[٥]، والعقود التي آمن بدورها من الأسرار[٦]، نحن بحمد الله فعندنا تلك العهود مَلْحوظة، وتلك المودات محفوظة فالمولى يعيش قرير العين، فما ثم إلا ما يسرّه من إقامة مقامه، ولا يحول ولا يزول ولا يرى على ذلك ذلّة، ولا ذهول، ويكون المولى طيب النفس مستديم الأنس، بصدق العهد القديم، وبكل ما يؤثر من خير مقيم.

ولما وصل الكتاب اجتمع لقراءته الملك الأفضل والملك المظفر، وعلم الدين سنجر المعروف بأبي خوص /٣٥٦/ وقرىء عليهم، فتضاعف سرورهم بذلك[٧].

وكان الملك المنصور صاحب حماة المذكور ذكياً فطناً محبوب الصورة، وكان له قبول عظيم عند ملوك الترك، وكان حليماً إلى الغاية، يتجاوز عما يكره (ويكتمه)[٨] ولا يفضح قائله. من ذلك أن الظاهر بيبرس قدم مرة إلى حماة ونزل بالديار المعروفة الآن بدار المبارز، فرفع إليه أهل حماة عدة قصص يشكون على الملك المنصور، فأمر الملك الظاهر دواداره سيف الدين بلبان الرومي أن يجمع القصص ولا يقرأها ويضعها في منديل ويحملها إلى الملك المنصور صاحب حماة، فحملها الدوادار المذكور، وأعطاها للملك المنصور، قال: إنه والله لم يطلع السلطان (يعني)[٩] الملك الظاهر على قصة منها، وقد حملتها إليك، فتضاعف دعاء الملك المنصور لصدقات الملك الظاهر، وأخذ القصص، فقال بعض الجماعة سوف نرى من تكلّم بما لا ينبغي ما لا

---

(١) الزيادة عن المختصر.
(٢) في المختصر: باكويث.
(٣) في المختصر: الكتاب المولوي.
(٤) في المختصر: وإن الله يفسح من أجل المولى.
(٥) في المختصر: من حقوق يوجبها الأفراد.
(٦) في المختصر: وعهود آمنت بدورها من السرار.
(٧) في المختصر: كذلك.
(٨) التكملة عن المختصر.
(٩) التكملة عن المختصر.

يلقى، وتكلّموا بمثل ذلك، فأمر الملك المنصور بإحضارنا، وحرق جميع تلك القصص، ولم يقف على شيء منها، لئلا يتغيّر خاطره على رافعيها وله مثل ذلك كثير رحمه الله.

ولما[١] بلغ السلطان الملك المنصور قلاوون وفاة الملك المنصور صاحب حماة قرر ابنه الملك المظفر محمود[٢] ملك حماة على قاعدة والده، وأرسل إلى عمّه الأفضل وإلى أوْلاده التشاريف مكاتبة إلى الملك المظفر بذلك. وَوَصلَتْ التشاريف، ولُبسَتْ في العشر الأخير من شوال في هذه السنة.

وكانت نسخة الكتاب بعد البسملة[٣]:

المملوك قلاوون أعز الله نصرة المقام العالي المولوي السلطاني الملكي المظفري التقوي، ونزع عنه لباس البأس، وأَلْبَسَهُ حلل السعد المجلوّة على أعين الناس، وهو يخدم خدمه بولاء قد تبجّسَتْ عُيُونه وتأسست مبانيه، وتناسبت ظنونهُ، وحلت رهونهُ وحلت ديونُه، وأثمرت غصونُه وزَهتْ أفنانُه.

ومنها:

وقد سيرنا المجلس السامي جمال الدين أقوش الموصلي /٣٥٧/ الحاجب، وأصحبناه في الملبوس الشريف ما يغير به لباس الحزن وتنجلي في مطالعه ضياء وجه الحسن، وينجلي بذلك غيوم تلك الغموم، وأرسلنا أيضاً صحبته ما يلبسه هو وذووه كما يبدو البدر بين النجوم.

وآخر الكتاب: وكتب في عشرين شوال سنة ثلاث وثمانين وستمائة.

وكان وقع الاتفاق عند موت الملك المنصور على إرسال علم الدين سنجر أبي خرص الحموي لأجْل هذا المهم فلاقى سنجر المذكور جمال الدين الموصلي بالخلع في أثناء الطريق، فاستمر أبو خرص واصلاً إلى الأبواب العالية وتلقاه السلطان بالقبول وأعاده بكلّ ما يجب، وقال: نحن واصلون إلى الشام ونفعل مع الملك المظفر فوق ما في نفسه، فعاد سنجر أبو خرص إلى حماة ومعه هذا الجواب.

---

(١) المختصر ١٩/٤ تحت عنوان (ذكر ملك الملك المظفر حماة) وعند شفاء القلوب ص٤٥٤.
(٢) انظر ترجمة الملك المظفر محمود في شفاء القلوب ص٤٥٣.
(٣) وردت في شفاء القلوب نقلاً عن مختصر أبي الفداء دون أن يشير إلى ذلك.

وفي صفر سنة أربع وثمانين:

كان[١] ركوب الملك المظفر صاحب حماة بشعار السلطنة بدمشق المحروسة، وذلك إن السلطان الملك المنصور قلاوون وصل في أواخر المحرم إلى دمشق وسار الملك المظفر صاحب حماة وعمّه الأفضل ووصلا إليه إلى د مشق فأكرمهما السلطان إكراماً كثيراً، وأرسل إلى الملك المظفر في اليوم الثالث من وصوله التقليد بسلطنة حماة والمعرة وبارين والتشريف، وهو أطلس[٢] أحمر فوقاني بطراز زركش وسنجاب ودايرة قندس[٣] وقباء[٤] أطلس أصفر تحتاني وشاش تساعي وكلوته[٥] زركش وحياصة[٦] ذهب، وسيف محلّى بالذهب، وتلكش[٧] وعنبرينا وثوب بطرز مذهبة، ولباس وأرسل شعار السلطنة وهو سنجق[٨] بعصائب سلطانية، وفرس بسرج مذهب، ورقبة وكنبوش، وأرسل الغاشية السلطانية فركب الملك المظفر، ولبس شعار السلطنة، وحضرت أمراء السلطان، ومقدموا عساكره، وساروا معه، من الموضع الذي /٣٥٨/ كان فيه، وهو داره المعروفة بالحافظية داخل باب الفراديس بدمشق المحروسة إلى أن وصل إلى قلعة دمشق، ومشت الأمراء في خدمته، ودخل الملك المظفر إلى عند السلطان، وأكرمه وأجلسه إلى جانبه على الطّراحة، وطيّب خاطره، وقال له: أنت ولدي، وأعزّ من الملك الصالح عندي، فتوجّه إلى بلادك، وتأهّب لهذهِ الغزاة المباركة، فأنتم من بيت مبارك، ما حضرتم مكاناً إلا وكان النصر معكم. فعاد الملك المظفر وعمّه الأفضل إلى حماة وعملا أشغالهما، وتأهّبا للمسير إلى خدمة السلطان ثانياً.

ثم[٩] سار السلطان بعد وصوله إلى دمشق بالعساكر المصرية والشامية ونازل حصن المرقب في أوائل ربيع الأول هذه السنة، وهو حصن للاسبتار في غاية العلو والحصانة، لم يطمع أحد من الملوك الماضين في فتحه، ولما زحف العسكر عليه أَخَذَ

---

(١) المختصر ٤/ ٢٠ وعند في شفاء القلوب ص٤٥٥.

(٢) أطلس: نوع من الملابس، يصنع بتبريز. (٣) القندس: كلب الماء.

(٤) القباء: ثوب أبيض يلبس فوق القميص على شكل معطف (المعجم المفصل بأسماء الملابس ص٥٨٤)

(٥) الكلوتة: غطاء للرأس يلبس بعمامة أو بدونها.

(٦) الحياصة: الحزام.

(٧) تلكش أو دلكش لفظ فارسي معناه الجعبة أو الكنانة التي يوضع فيها النشاب أو القسي.

(٨) السنجق: لفظ تركي يطلق في الأصل على الرمح، ثم أُريد به الراية التي تربط به، والجمع سناجق (صحيح الأعشى ٤/ ٨).

(٩) المختصر ٤/ ٢١ وانظر في فتح حصن المرقب: عيون التواريخ ٢١/ ٢٥٥ وذيل مرآة الزمان ٤/ ٢٣٩ وتشريف الأيام والعصور ٧٧ والنجوم الزاهرة ٧/ ٣١٦.

الحجارون النقوب، ونصبت عليه عدة مجانيق كباراً وصغاراً، ولما تمكنت النقوب من أسوار[(١)] القلعة طلب أهلها الأمان فأجابهم السلطان إلى ذلك رغبة في إبقاء عمارته، فإنه لو هدمه وأخذه بالسيف كان حصل التعب في عمارته، فأعطاهم الأمان على أن يتوجهوا بما يقدرون على حمله غير السلاح، وصعدت السناجق السلطانية[(٢)] على حصن المرقب المذكور، وتسلّمه في الساعة الثامنة من يوم الجمعة تاسع عشر ربيع الأول من سنة أربع وثمانين، وكان يوماً مشهوداً أخذ فيه الثأر من بيت الاسبتار، ومميت آية الليل بآية النهار.

ومن كتاب كتبه شيخنا أبو الثناء[(٣)] في فتح المرقب:

وقد علم المجلس أمر هذا الحصن، فإنه طالما[(٤)] شحّت الأحلام أن تخيلَهُ[(٥)] لمن سلف من الملوك في المنام، فكم قصده ذو جنود ماه الفرق، وما بلله دونه الغمام، فلولا سرعة عودِهِ أَدركَهُ الغرق. قد سما في السماء بمناكبه / ٣٥٩/ ونازع فلك علوي الرياح ولا يخاف الجناح في العجز ما لدى على الغمام، ولفح مثل السهام، فكان بها مثل الحنون، فأصبحت وهن جثث القتلى عليها تمام. وصبت عليها المجانيق أبعد من أمسها وأسد العدى، فأعلمتهم أنها لا تطيق الدفاع عن غيرها فكيف عن نفسها، وبسطت أكفها إمارة على الإذعان. ورفعت أصابعها إما إجابة إلى التشهد، وإما إنابةً إلى طلب الأمان، فخاف الفرنج من ظفر هذا الاستظهار، وعلموا أن المجانيق المنصورة فحول تثبت لها الإناث التي بأيديهم، فاستعانوا عليهن مع العدى لطول الخدار، فجعل كمن يكون الأراقم وساسان الضراغم، هذا إلى (...). ومذ دبّت في هذا الحصن دبيب السقام، وتمشّت في مفاصله كما يتمشى في مفاصل شاربها المدام، وحسد طالعه ناراً

---

(١) الأصل: أساور.

(٢) في الأصل: السناجق الصناجق، التصويب عن المختصر، والسناجق مفردها سنجق: اللواء (بالفارسية).

(٣) هو محمود بن سليمان بن فهد الحلبي، شهاب الدين، أبو الثناء، شاعر من الكتاب المترسلين، ولد بحلب سنة ٦٤٤ عمل في دواوين الإنشاء في دمشق ومصر نحو خمسين سنة. وتوفي بدمشق سنة ٧٢٥هـ، له مصنفات طبع منها (أهنى المنائح في أسنى المدائح) و (حسن التوسل إلى صناعة الترسل) وشعره كثير وكذلك رسائله، انظر: الأعلام ٦/ ١٧٢ وفوات الوفيات ٢/ ٢٨٦ والبداية والنهاية ١٤/ ١٢٠ والشذرات ٦/ ٦٩ والوافي بالوفيات ٢٥/ ٣٠١، ورد بعض الرسالة في حسن التوسل ص٣٤٩، ولم ترد في المختصر.

(٤) الأصل: طالت.

(٥) كذا وفي حسن الترسل: إن تخيل فتحه.

تشبه نار النوى تحرق الأحشاء ولا تبدوا ضرام، وهجمت عليه الجيوش هجوم الحتوف وأسرعت (المصا والانفصا)[١]، / ٣٦٠/ فلم ير العدى أهم أم بأيديهم السيوف، فعاذوا عن نسيمها ذات الجناح، وحوله من الأودية خنادقُ لا تُعلَمُ منها الشهور إلا بأنصافها، ولا تُعْرف فيها الأهلّة إلاّ بأوصافها، وقد تقرَّط[٢] بالنجوم وتَقَرْطَقَ[٣] بالغيوم، وسما فرْعَهُ إلى السماء، ورَسَى أصْلُهُ في النجوم، مرر عليه الجو عجيب غمامه، ويفترُّ ثغرُهُ كلما حزر[٤] عنه البرق فاضل لثامه فحين برالله الجيوش المنصور، ذلّت صعابه واسحلت عقابه، فتبادرت إليه تختالُ من دروعها في أبهى حِلل، وتسارعت نحوه تسبق سهامها التي هي أسرى وأسرع من الأجَل، ففي الحال، ضربت عليه من الحتومات سوراً باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب. ووصدت حوله من الأسنة ثغوراً براقة المنايا ولكنها غير عِذاب. وأرسلت من القلعة من سهامها بالأمان. ولسبوا بساحل العفو حين ظنوا أنهم أحيط بهم وجاءهم الموج من كل مكان. وساعة تسطيرها، عَلَت الأعلام المنصورة على ذلك المرقب الذي لا تتطاول إليه . . . . . وأحان الله لفتحه الأيام، فنصر أهل الجمعة يوم الجمعة على أهل الأحد. وأمر[٥] السلطان فحمل أهل المرقب إلى مأمنهم، ثم قرر أموره ورحل عنه إلى الوطأة بالساحل، وأقام بمروج بالقرب من موضع ويسمى برج القرفيص، ثم سار السلطان، ونزل تحت حصن الأكراد، ثم سار ونزل على بحيرة حمص وهي بحيرة قدس.

وفي[٦] نزوله على حمص جاءت البشارة بمولد مولانا السلطان الملك الناصر، ناصر الدنيا والدين محمد بن قلاوون من زوجة السلطان، وهي بنت سكتاي بن قراجين بن جنعان، وسكتاي المذكور ورد الديار المصرية هو وأخوه قرمشي سنة خمس وسبعين وستمائة، صحبة بيجار الرومي في الدولة الظاهرية، فتزوج الملك المنصور قلاوون ابنة سكتاي المذكور في سنة ثمانين وستمائة بعد موت أبيها المذكور بولاية عمها القرمشي، وتضاعف السرور بذلك، ثم عاد السلطان إلى الديار المصرية، وأعطى للملك المظفر عند رحيله من حمص دستوراً فعاد إلى حماة.

---

(١) كذا في الأصل، ولم أعرف لها وجهاً.
(٢) في الأصل: تقرط.
(٣) تقرطق: من لبس القرط.
(٤) كذا في الأصل ولعلها: حَسَرَ.
(٥) المختصر ٤/ ٢١.
(٦) المختصر ٤/ ٢١ والنجوم الزاهرة ٧/ ٣١٧ و٣٦٤.

وفي سنة خمس وثمانين:

أرسل[١] السلطان عسكراً كثيفاً مع نائب السلطنة حسام الدين طرنطاي[٢] المنصوري، وأمر بمنازلة الكرك، فسار إليها وحاصرها وتسلّمها بالأمان، وأقام فيها نواب السلطنة، وعاد وصحبته أصحاب الكرك نجم الدين خضر وبدر الدين سلامش، ولدا الملك الظاهر بيبرس، فأحسن السلطان إليهما، ووفى لهما بأمانه، وبقيا على ذلك مدة، ثم بلغه عنهما ماكره واعتقلهما، وبقيا في الحبس حتى توفي، فنقل خضر وسلامش إلى قسطنطينية.

وفي سنة ست وثمانين:

كان[٣] السلطان قد جهز عسكراً مع مملوكه حسام الدين طرنطاي فنزلوا على صهيون، فنصب المجانيق وحاصرها، فأجاب صاحبها الأمير شمس الدين سنقر الأشقر إلى تسليمها بالأمان، وحلف له حسام الدين طرنطاي، فنزل سنقر الأشقر، وسلَّم صهيون في ربيع الأول. فتسلمها طرنطاي، وأكرم سنقر الأشقر غاية الإكرام، ثم سار حسام الدين طرنطاي إلى اللاذقية، وكان فيها برج الافرنج يحيط به البحر من جميع جهاته، فركب طريقاً في البحر بالحجار إليه، وحاصر البرج المذكور، وتسلّمه بالأمان وهدمه، ثم بعد ذلك توجّه إلى الديار المصرية، وصحبته سنقر الأشقر، ولما وصلا إلى قرب قلعة الجبل ركب السلطان الملك المنصور قلاوون، والتقى مملوكه حسام الدين طرنطاي وسنقر الأشقر، وأكرمه، ووفى له بالأمان، وبقي سنقر الأشقر محترماً مع السلطان إلى أن توفي السلطان وملك بعده ولده الأشرف.

وفيها: نزل[٤] تدان منكو بن طغان بن باطو بن دوش خان بن جنكيز خان عن مملكة التتر الشمالية، وأظهر التزهد والانقطاع إلى الصلحاء، وأشار أن يملكوا ابن أخيه تلابغا بن منكوتمر بن طغان المذكور، فملكوه.

---

(١) المختصر ٤/ ٢١ وانظر البداية والنهاية ١٣/ ٣٠٧ وعيون التواريخ ٢١/ ٣٧٣ والنجوم الزاهرة ٧/ ٣١٩.

(٢) طرنطاي الأمير حسام الدين، أبو سعيد، المنصوري، اشتراه المنصور، فرآه نجيباً لبيباً، فترقى عنده حتى جعله أستاذ دار، ثم جعله نائبه، وكان رجلاً شجاعاً لبيباً حازماً ذا دهاء وسطوة، قتله الأشرف بعدما تسلطن سنة ٦٨٩هـ، انظر الوافي ١٦/ ٤٢٩ والبداية والنهاية ١٣/ ٣١٨ والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٨٣.

(٣) المختصر ٤/ ٢٢، وانظر الخبر في عيون التواريخ ٢١/ ٣٩١ وذيل مرآة الزمان ٤/ ٣١٥ والبداية والنهاية ١٧/ ٣٠٩ وفيه أن الذي حاصر صهيون حسام الدين لاجين. والنجوم الزاهرة ٧/ ٣١٩.

(٤) المختصر ٤/ ٢٢.

وفيها: أرسل[١] السلطان الملك المنصور عسكراً مع علم الدين سنجر المسروري المعروف بالخياط، متولي[٢] القاهرة إلى النوبة، فساروا إليها، وغزوا وغنموا وعادوا.

وفي سنة سبع وثمانين:

توفي[٣] الصالح علاء الدين علي بن الملك المنصور، وهو الذي جعله وليّ عهدْ وسَلْطَنَه في حياته، فوجد عليه وجداً عظيماً، وكان مرضه بالدوسنطرية، وخلّف ولداً اسمه موسى.

وفي سنة ثمان وثمانين:

خرج[٤] السلطان بالعساكر المصرية في المحرم، وسار إلى أن نازَلَ مدينة طرابلس الشام يوم الجمعة، مستهل / ٣٦٢/ ربيع الأول، ويحيط البحر بغالب هذه المدينة، وليس عليها قتال في البر إلاّ من جهة الشرق، وهو مقدار قليل. ولما نازلها السلطان نصب عليها عدّة مجانيق كباراً وصغاراً، ولازمها بالحصار، واشتدَّ عليها القتال، حتى فتحها يوم الثلاثاء رابع ربيع الآخر بالسيف، ودخلها العسكر عنوة، وهرب أهلها إلى الميناء فنجى أقلهم في المركب، وقتل غالب رجالها، وسُبيت ذراريهم، وغنم منها المسلمون غنيمة عظيمة، ولما فرغ حصار الطرابلس المذكور، أمر بها السلطان فهدمت، ودكّت إلى الأرض، وكان في البحر قريباً من طرابلس جزيرة وفيها كنيسة تسمى كنيسة سنطماس وبينها وبين طرابلس المينا، فلما أخذت طرابلس هرب إلى الجزيرة المذكورة وإلى الكنيسة التي بها عالم عظيم من الفرنج، فاقتحم العسكر الإسلامي البحر وعبروا بخيولهم سباحة إلى الجزيرة فقتلوا الجميع مَنْ بها من الرجال، وسبوا النساء والصغار، وأخذوا المال، ثم عاد السلطان إلى الديار المصرية، وأعطى صاحب حماة دستوراً فعاد إلى بلده.

وفيها: مات[٥] قتلاي خان بن طلو بن جنكيز خان، وكانت قد طالت مدّتهُ، وجلس بعده ولدهُ شرمون في ملك التتر بالصين.

---

(١) المختصر ٤/ ٢٢.
(٢) في الأصل: مستولي.
(٣) المختصر ٤/ ٢٢، انظر الخبر في عيون التواريخ ٢١/ ٤٢٨ والبداية والنهاية ١٣/ ٣١٢ والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٧٧.
(٤) المختصر ٤/ ٢٣ وانظر الخبر في عيون التواريخ (٦٨٨ ـ ٦٩٩هـ) ص ١٤ وشذرات الذهب ٥/ ٤٠٣ وخطط المقريزي ٣/ ٩٤ ودول الإسلام الشريفة ص٤٣ والبداية والنهاية ١٣/ ٣١٣ والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٢٠.
(٥) المختصر ٤/ ٢٣.

وفي سنة تسع وثمانين:

في سادس ذي القعدة: توفي[١] الملك المنصور قلاوون، وذلك أنه خرج من مصر بالعساكر عازماً على فتح عكا، وبرز إلى مسجد التبن[٢] فابتدى مرضه بالعشر الأخير من شوال بعد نزوله في الدهليز، وأخذ المرض يتزايد به حتى توفي يوم السبت سادس ذي القعدة بالدهليز. وكان جلوسه في الملك يوم الأحد ثاني عشرين رجب سنة ثمان وسبعين وستمائة، فيكون مدة ملكه نحو أحد عشر سنة وثلاث شهور وأياماً، وخلف ولدين وهما الملك الأشرف صلاح الدين خليل والسلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد، وكان الملك المنصور رجلاً مهيباً / ٣٦٣/ حليماً قليل سفك الدماء، كثير العفو، شجاعاً، فتح الفتوحات الجليلة، مثل المرقب وطرابلس التي لم يَجْسر أحد من الملوك مثل صلاح الدين وغيره على التعرض إليهما لحصانتهما، وكسر جيش التتر على حمص وكانوا في مائتي ألف فارس[٣].

ولما توفي السلطان جَلَسَ في الملك بعده ولدهُ السلطان الملك الأشرف وذلك في سابع ذي القعدة صبيحة اليوم الذي توفي فيه والده، ولما استقرّ الملك الأشرف في المملكة قَبَضَ على حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة في يوم الجمعة ثاني عشر ذي القعدة فكان آخر العهد بهِ[٤]، وفوّض نيابة السلطنة إلى بدر الدين بيدرا[٥] والوزارة إلى شمس الدين (محمد) بن السلعوس[٦].

---

(١) المختصر ٤/ ٢٣ وانظر خبره وترجمته في: دول الإسلام الشريفة ص٤٤ وعيون التواريخ (٦٨٨ ـ ٦٩٩هـ) ص٦٣ والعبر ٥/ ٣٦٣ والشذرات ٥/ ٩ ـ ٤ والنجوم الزاهرة ٧/ ٣٢٥ والبداية والنهاية ١٣/ ٣١٦.

(٢) في المختصر: القيرز وهو تحريف.

(٣) في المختصر: وكانوا في جمع عظيم لم يطرق الشام قبله مثله.

(٤) كان مقرباً من السلطان قلاوون، وصف بأنه كان يميل إلى عقل ودين وحبّ للكتب، إلا أنه خرج فيما بعد على الأشرف وقتله، إلا أنه لم يتم أمره فقتل سنة ٦٩٣ هـ. انظر: الوافي بالوفيات ١٠/ ٣٦٠، وعيون التواريخ (٦١٨ ـ ٦٩٩) ص١٤٩.

(٥) انظر في مقتل طرنطاي: النجوم الزاهرة ٧/ ٣٨٣.

(٦) شمس الدين محمد بن عثمان التنوخي، التاجر، الكاتب، ولي حسبة دمشق، فأحسن السيرة، ثم ولي الوزارة فأساء السيرة وتجبر على الناس، فلما قتل الملك الأشرف قبض عليه خصومه واستصفوا أمواله وقتلوه، وقتلوا أقاربه وذويه. (الشذرات ٥/ ٤٢٤ والحوادث الجامعة ص٣٢٥).

ودخلت سنة تسعين:

فسار[(١)] السلطان الملك الأشرف بالعساكر إلى عكا فتوجه المظفر صاحب حماة وعمه الأفضل صحبته إلى حصن الأكراد، وساقوا منه منجنيقاً عظيماً يسمّى المنصوري حمل مائة عجلة، وكان المسير[(٢)] بالعجل في أواخر فصل الشتاء، واتفق وقوع الأمطار والثلوج بين حصن الأكراد ودمشق، فحصل بسبب ذلك شدّة عظيمة، والحاصل إنه اجتمع على عكا من المجانيق الصغار والكبار ما لم يجتمع على غيرها، وكان نزول العساكر الإسلامية عليها في أوائل جمادى الأولى. واشتد عليها القتال، ولم يغلق الفرنج غالب أبوابها، بل كانت مفتوحة، وهم يقاتلون فيها، وكانت منزلة الحمويين برأس الميمنة. وكانت على جانب البحر على اليمين[(٣)] إذا واجه الشخص عكا، فكان يحضر المراكب المقببة بالخشب. الملبس جلود الجواميس، والفرنج من تحتها يرمون بالنشاب والجروخ، وأحضروا بطسة، وفيها منجنيق يرمي به على المسلمين وعلى خيامهم من جهة البحر حتى اتفق في بعض الليالي هبوب رياح قوية، فاندفع المركب وانحط بسبب الموج، فانكسر المنجنيق الذي في المركب، فانحطم، وكان المسلمون قد قاسوا منه شدّة عظيمة وخرج الفرنج في أثناء / ٣٦٤/ مدة الحصار بالليل وكبسوا العسكر، فهزموا اليزكية واتصلوا إلى الخيام، وتعلقوا[(٤)] بالأطناب، ووقع منهم فارس في جوة[(٥)] مستراح بعض الأمراء، فقتل هناك، وتكاثرت عليهم العساكر فولّى الفرنج منهزمين إلى البلد، وقتل عسكرُ حماة عدّة منهم[(٦)]، فلما أصبح الصباح علّق الملك المظفر[(٧)] من رؤوس الفرنج في رقاب خيولهم التي كسبها العسكر منهم، وأحضر ذلك إلى السلطان الملك الأشرف واشتدّت مضايقة العسكر لعكا، حتى فتحها الله لهم في يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الآخرة بالسيف. ولما هجمها المسلمون هرب من أهلها جماعة في المركب وكان بداخل البلدة عدّة أبرجة عاصية بمنزلة قلاع دَخَلَها عالم عظيم من الفرنج، وتحصّنوا بها، وقتل المسلمون وغنموا من عكا شيء يفوت الحصر من كثرته، ثم استنزل السلطان جميع من عصي

---

(١) المختصر ٤/ ٢٤ وانظر الخبر في خطط المقريزي ٣/ ٩٤ وعيون التواريخ (٦٨٨ ـ ٦٩٩هـ) ص٩٦ والبداية والنهاية ١٣/ ٣١٩ والنجوم الزاهرة ٨/ ٥ والحوادث الجامعة (تحقيق مهدي نجم) ص٣٢٠.

(٢) في المختصر: مسيرنا، وكان مؤلف المختصر قد حضر مع عسكر حماة حصار عكا وشارك في فتحها.

(٣) في المختصر: فكنا على جانب البحر والبحر عن يميننا إذا واجهنا عكا.

(٤) الأصل: وتغرقلوا. (٥) الأصل: جودة.

(٦) الأصل: وقتل عسكر جماعة، وهو تصحيف لما ورد في المختصر.

(٧) صاحب حماة، وصاحب المختصر يتحدث عن عسكر حماة حيث شاركهم في حصار عكا.

بالأبرجة، ولم يتأخر منهم أحد وأمر بهم فضُربت أعناقهم عن آخرهم حول عكا، وأمر بمدينة عكا فهدمت إلى الأرض ودكّت دكاً[(١)].

وفي هذا الفتح يقول شيخنا أبو الثناء[(٢)] يمدح الملك الأشرف: [البسيط]

الحمد لله ذلّت دولة الصلب ... وعز بالنصر[(٣)] دين المصطفى العربي
هذا الذي كانت الأملاك[(٤)] لو طلبت ... رُؤْياه في النوم لاستحيتْ من الطَلَب
ما بعد عكا وقد هُدَّتْ قواعِدُها ... في البحر للشرك عن البرّ من إربِ[(٥)]
عقيلةٌ ذَهَبَتْ أيدي الخطوب بها ... دَهْراً وشدّتْ عليها كفّ مغتصب
لم يبق بعدها للكفر إذْ[(٦)] خَرُبَتْ ... في البر والبحر ما ينجي سوى الهربِ
كانت تخيلها[(٧)] آمالُنا وترى ... أن التفكر فيها غاية[(٨)] العجب
أُمّ الحروب فكم قد أنْشَأَتْ فِتَناً ... شاب الوليد بها هولاً ولم تشب
سوران برٌّ وبحرٌ حول ساحتها ... دار وادناهما أنا من القطب
/ ٣٦٥/ خرفاء أمْنَع سُرَيْها وأَحْصَنَهُ ... غلب[(٩)] الكماة وأقواه[(١٠)] على النوب
مصفَّحٌ بصفاحٍ حولها شرفٌ ... من الرماح وأبراجٌ من اليَلَبِ
مثل الغمائم تهدى من صواعقها ... بالنبل أضعاف ما تهدي من السحب
كأنما كلّ برج حوله فَلَكٌ ... من المجانيق ترمي الأرض بالشهب
ففاجَأتْها جنودُ الله يَقْدِمُها ... غضبانُ لله لا للملك والنشب
كيْتٌ أبى أنْ يَرُدّ الوجه عن أُمَم ... يَدْعون ربَّ الورى[(١١)] سبحانه بأبِ[(١٢)]
تسنحوها فلم يترك ثباتهمُ ... في ذلك الأفق برجاً غير منقلبِ

---

(١) بعده في المختصر: ومن عجائب الاتفاق أن الفرنج استولوا على عكا وأخذوها من صلاح الدين ظهر يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وخمسمائة واستولوا على من بها من المسلمين ثم قتلوهم، فقدر الله في سابق علمه أنها تفتح في هذه السنة في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة على يد السلطان الملك الأشرف صلاح الدين.

(٢) شهاب الدين، محمود، وقد تقدمت ترجمته. والقصيدة في عيون التواريخ ص٧٢ والفوات ١/ ٤١١ والوافي ٤٠٦/١٣ والبداية والنهاية ٣٠٣/١٣ والحوادث الجامعة (تحقيق مهدي النجم) ص٣٢٠. ولم ترد في المختصر.

(٣) في العيون: بالترك.

(٤) في العيون: الآمال.

(٥) الأصل: من أدب.

(٦) في الفوات: مُذْ.

(٧) في العيون: تخيلنا.

(٨) في العيون: أعجب.

(٩) العيون: قلب.

(١٠) الأصلك أفراه.

(١١) الفوات (العلى).

(١٢) بعده في العيون والفوات: ست أبيات.

تسلَّموها فلم تَخْلُ الرقاب بها ... من فتك منتقم أو كف منتخب[١]

أمّوا[٢] حماها، فلم تمنع، وقد وثبوا ... عنها مجانيقهم شيئاً ولم يثبِ

يا يوم عكا (لقد)[٣] أنسيت ما سبقت ... به الفتوح[٤] وما قد خُطَّ في الكتبِ

لم يبلغ الخلق[٥] حدَّ الشكر فيك فما ... عسى[٦] (يقوم به)[٧] ذو الشعر والخطب

كانت تبنى بك الأحكام عن أَمَم[٨] ... والحمد لله شاهدناك عن كثبِ

أَغْضَبْتَ عبّادَ عيسى إذْ أبِدْتَهُمُ ... وكم له[٩] من رضا في ذلك الغضبِ

وأطْلَعَ الله جيش النصر فابتدرت ... طلائع الفتح بين السمر[١٠] والقُضُبِ

وأشرف المصطفى الهادي البشير على ... ما أسْلف الأشرف السلطان من قُرُبِ

فقرَّ عيناً بهذا الفتح وابتهجت ... ببشره[١١] الكعبة الغراء في الحجب

وسار في الأرض مسرى الريح سمعتُهُ ... فالبَرُّ في طرب والبحر في حرب[١٢]

وخاضت البيض في بحر الدماء فما ... أيدت من البيض الأساق[١٣] مختضب

وغاض زرق القنا في زرق أعينهم ... كأنها شطنٌ[١٤] تهوى إلى قُلُبِ

توقّدت وهي توري[١٥] في نحورهم ... فزادها الري في الأشراق واللهب

أجْرتْ إلى البحر بَحْراً من دمائهمُ ... فراح كالراح إذ غرقاه كالحبَبِ[١٦]

/٣٦٦/ وذاب في حرّها عنهم حديدهم ... فقيدتهم بهِ ذُعْراً يدُ الرهب

تحكّمت[١٧] فَسَطَتْ[١٨] فيهم قواضبُها ... قتلاً[١٩] وعفّت[٢٠] لحاديها عن[٢١] السَلبِ

كم أبْرَكت[٢٢] بطلاً كالطود قد بَطُلَتْ ... إقعاده[٢٣] فغدا كالمنزل الخربِ

كأنه وسنان الريح[٢٤] يطلبه ... برجُ هوى وواره كوكبُ الذنبِ

---

(١) البيت لم يرد في عيون التواريخ، وورد في كنز الدرر ٨/ ٣٧٧.
(٢) في كنز الدرر: أتوا.
(٣) التكملة عن العيون.
(٤) الأصل: الصفح.
(٥) في العيون: النطق.
(٦) الأصل: عقبى.
(٧) التكملة عن العيون.
(٨) في العيون: كانت تمنى بك الأيام من أمم، وفي الفوات: من بعده.
(٩) في العيون: لله أي رضاً.
(١٠) غب الأصل: الشمس، وهو تصحيف.
(١١) في الفوات: بفتحه.
(١٢) في العيون: كرب، وفي كنز الدرر: هرب.
(١٣) الأصل: سان.
(١٤) الأصل: منطق.
(١٥) الأصل: تروي.
(١٦) الأصل: كالجنب.
(١٧) في العيون: وسمت.
(١٨) في العيون: فَشطّتْ.
(١٩) الأصل: مثلاً.
(٢٠) الأصل: وعنت.
(٢١) العيون: من.
(٢٢) العيون: أبرزت.
(٢٣) العيون: حواسه.
(٢٤) العيون: الريح.

بشراك يا ملك الدنيا لَقَدْ شَرُفَتْ ... بك الممالك واستعلتْ[1] على الرتب
ما بعد عكّا وقد لانَتْ عريكتُها ... لديك شيء تلاقيه على تعب
فانهض إلى الأرض فالدنيا بأجمعها ... مدّتْ إليك نواصيها بلا نَصَبِ
كم قد دَعَتْ وهي في أَسْرِ[2] العدى زمناً[3] ... صيدَ الملوكِ فلَمْ تُسْمَعْ ولم تجبِ
أتيتها[4] يا صلاح الدين معتقداً ... بأنَّ ظن[5] صلاح الدين لم يخبِ
أَسَلْتَ فيها كما سالَتْ دماؤهم ... قبل إحْرازها نهراً[6] من الذهب
أدْرَكْتَ ثأر صلاح الدين عندهم[7] ... منه بسرٍّ طواه الله في اللقب[8]
وجئتها بجيوشٍ كالسيول على ... أمثالها بين آجام من القصبِ
وحطتها[9] بالمجانيق التي وقَفَتْ ... أمام أسوارها في جَحْفَلٍ لجب
مرفوعة[10] نصبوا أضعافها فغدا[11] ... للكسر والحكم منها كلّ منتصب[12]
وبعد صيحتها بالزحف فاضطربت ... رعباً وأبْدَتْ بخدّيها إلى الترب[13]
وغنّت البيض في الأعناق فارتَقَصَتْ ... أبراجُها[14] لَعِباً منها مع اللَّعبِ
وخَلَّقَتْ[15] بالدم الأسوار فابْتَهَجَتْ ... طيباً ولولا دماء القوم لم تطب
وأبرزت كل خُودٍ كاعب نثرت ... لها الرؤوس[16] وقد زُفَّتْ بلا طَرَب[17]
ظنوا بيوت البروج[18] الشمّ تَعْقلهم ... فاستَعْقَلْتهم فلم تطلق من النوب[19]
فأحرزتهم[20] ولكن للسيوف لكي ... لا يلتجي أحَدٌ منهم إلى الهربِ
وجالت (النار)[21] في أبراجها وغلَتْ ... فأطْفَأَتْ ما بصدر الدين من كربِ
/٣٦٧/ أضْحَتْ أبا لهبٍ تلك البروج وقد ... كانت بتعليقها حمالة الحطبِ
وأفْلَتَ البحرُ منهم من يخير من[22] ... يلقاه من قومِهِ بالويل والحرب

(١) الأصل: واستعمل.
(٢) الأصل: أشر.
(٣) الأصل: العدان منا.
(٤) في العيون: لقيتها.
(٥) في الفوات: داعي.
(٦) في الفوات: بحر، ولم يرد البيت في العيون.
(٧) في العيون: إذ غضبت.
(٨) الأصل: منه بشر طواه الله في القلُبِ.
(٩) الأصل: وخطيتها والتصويب عن العيون.
(١٠) الأصل: من نوعه.
(١١) الأصل: فصفت.
(١٢) الأصل: للجزم والكسر منها.. والتصويب عن الفوات.
(١٣) في الأصل: الرتبِ.
(١٤) في كنزر الدرر: أجسادها.
(١٥) الأصل: وحدثت.
(١٦) في الفوات: رؤوسهم.
(١٧) في الفوات: حين زفوها بلا طرب.
(١٨) في الفوات: بروج البيوت.
(١٩) في الفوات: ولم تطلق ولم تهب.
(٢٠) في الفوات: بل أحرزتهم.
(٢١) التكملة: عن العيون.
(٢٢) في الأصل: وأوْلَتْ البحر من بحر من يلقاه.

وتمّتْ النعمة العظمى وقد كملت[(١)] بفتح صورٍ بلا حصرٍ ولا نَصَبِ
أختان في أن كلا منهما جَمَعَتْ أختان بالكفر لا أختان في النسب[(٢)]
لما رأت أختها بالأمس قد خَرِبَتْ كان الخراب لها أعْدى من الجرَبِ
إن لم يكن تم لونُ البحر منصبِغاً بها إليها وإلا ألْسَن اللهب
فالله أعطاك ملك البحر وابتدأت[(٣)] لك السعادة ملك البر فارتقب[(٤)]
من كان مبدأه عكا وصور معاً فالصين أدنى إلى كفَّيْهِ من حَلَبِ
فلا بَرِحْتَ عزيز النصر[(٥)] مبتهجاً بكل فتحٍ قريب المنح مرتقب

وكتب ابن عبد الظاهر[(٦)] إلى الملك الأشرف في فتح عكا من قصيدة:

أيها السامعون فتح صلاح الدين هذا فتوحه قد أُعيدا
قد رعى في فتوحها لأبيه ولكل من في الأنام عهودا
أنجدته ملائك وملوكٌ كَثَّرت عسكراً له وجُنودا
تجعل الكُفر في العقوب دفينا وتعيد الإيمان خلقاً جديدا
كم بها غلاظ شداد تجعل الناس والحجارة وقودا
ومجانيق لا تمل صدوداً وثقوب ما إن تمل ورودا
كم لهم أرسلت وقالت ملو أو قد تكونوا حجارة أو وقودا
لم يكن للصليب نطق لنادى أنت يا منجنيق أصلب عودا
كل هذا بسعد أشرف ملك زانه الله بسطه وسعودا

/٣٦٨/ ولما فتحت[(٧)] عكا ألقى الله في قلوب الفرنج الذين بساحل الشام رعباً، فأخلوا صيدا وبيروت، وتسلمها الشجاعي في أواخر رجب. وكذلك هرب أهل مدينة صور، فأرسل السلطان وتسلّمها، ثم تسلم عثليث[(٨)] في مستهل شعبان، ثم تسلم

---

(١) في الأصل: ملكت.
(٢) في العيون والوافي: صليبة الكفر لا أختان في النسب.
(٣) في الوافي والفوات: إذْ جمعت. (٤) في الوافي والفوات: ملك البر والعرب.
(٥) في الوافي: قرير العين، وفي عيون التواريخ: عزيز الضر.
(٦) محيي الدين عبد الله بن الشيخ رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان السعدي، الكاتب الناظم، المتوفي سنة ٦٩٢هـ. انظر: عيون التواريخ (٦٨٨ ـ ٦٩٩هـ) ص١٤٠ العبر ٥/ ٣٧٦ فوات الوفيات ٢/ ١٧٩ البداية والنهاية ٣/ ٣٣٤ والوافي ١٧/ ٢٥٧، والقصيدة لم ترد في المختصر.
(٧) المختصر ٤/ ٢٥ وانظر عيون التواريخ ص٨١ والنجوم الزاهرة ٨/ ٨.
(٨) عثليث: اسم حصن بسواحل الشام، ويعرف بالحصن الأحمر، كان فيما فتحه الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ٥٨٣هـ (معجم البلدان ـ عثليث).

أنطرسوس في خامس شعبان.

واتفق لهذا السلطان من السعادة ما لم يتفق (لغيره)[١] من فتح هذه البلاد العظيمة الحصينة بغير قتال ولا تعب، وأمر بها فهدمت عن آخرها، وتكاملتْ[٢] بهذه الفتوحات جميع البلاد الساحلية، وكان أمراً عجيباً لا يُطْمَعُ فيه ولا يرام[٣]، وتطهّر الشام والسواحل من الفرنج بعد أن كانوا قد أشرفوا على أخذ الديار المصرية وعلى ملك دمشق وغيرها من الشام، فلله الحمد والمنّة على ذلك.

ثم رحل[٤] الملك الأشرف ودخل دمشق وأقام مدةً، ثم عاد إلى الديار المصرية، ودخلها في هذه السنة.

ولما[٥] كان الحصار لعكا سعى علم الدين سنجر الحموي المعروف بأبي خرص بين السلطان وبين حسام الدين لاجين[٦] نائب السلطنة بالشام، وقصد أن يهرب وعلم به السلطان، فقبض عليه وعلى أبي خرص، وقيّدهما وأرسلهما محبساً.

وفيها: ولى[٧] الملك الأشرف علم الدين الشجاعي نيابة السلطنة بالشام موضع حسام الدين لاجين.

وفي ربيع الأول: مات[٨] أرغون بن أبغا ابن هولاكو بن طلو بن جنكيز خان ملك التتر، وكان مدة ملكه سبع سنين. ولما مات ملك بعده أخوه كيختو بن أبغا، وخلّف أرغون ولدين هما قازان وخربندا، وكانا بخراسان. ولما تولّى كيختو فحش في الفسق واللواط بأبناء المغل بأبغضوه على ذلك. وفسدت نياتهم عليه.

وفيها: قتل[٩] تلابغا بن منكوتمر بن طغان بن باطو بن دوشي خان بن جنكيز

---

(١) التكملة عن المختصر. (٢) الأصل: تكلمت.

(٣) الأصل: يلازم والتصويب عن المختصر.

(٤) المختصر ٤/ ٢٦ وانظر عيون التواريخ (٦٨٨ ـ ٦٩٩) ص٨٠ والنجوم الزاهرة ٨/ ١٣.

(٥) المختصر ٤/ ٢٦.

(٦) حسام الدين لاجين المنصوري، أحد مماليك المنصور قلاوون، تولى السلطنة فيما بعد، وحكم سنتين وشهرين، ثم قتل سنة ٦٩٨ هـ. ، انظر: خطط المقريزي ٣/ ٩٥. والبداية والنهاية ١٤/ ٣.

(٧) المختصر ٤/ ٢٦ وانظر: عيون التواريخ ص٨٠.

(٨) المختصر ٤/ ٢٦ وانظر: عيون التواريخ ص١٠٣ وعبر الذهبي ٥/ ٣٦٦ والبداية والنهاية ١٣/ ٣٢٤ والنجوم الزاهرة ٨/ ٢٩ وشذرات الذهب ٥/ ٤١١.

(٩) المختصر ٤/ ٢٦.

خان وقد تقدم ذكر ملكه في سنة ست وثمانين وستمائة. /٣٦٩/ قته نغية وجلس بن مغل بن ططو بن دوشي خان بن جنكيز خان. ولما قتل تلابغا، أقام نغيه بعده طقطغا بن منكوتمر أخا تلابغا المذكور، ورتب نغية أخوة طقطغا بن منكوتمر معه، وهم (برلك)[١] وصراي بغا وتدان.

وفي أوائل سنة تسعين:

تكمَّلت[٢] عمارة قلعة حلب، وكان قد شرع قراسنقر في عمارتها في أيام المنصور، فتمت في أيام الأشرف (فكتب عليها اسمه، وكان قد ضربها هولاكو لما استولى على حلب في)[٣] سنة ثمان وخمسين وستمائة، وكان لبثها على التخريب نحو ثلاث وثلاثين (سنة) بالتقريب.

سنة إحدى وتسعين وست مئة إلى سنة سبع مئة

وفي سنة إحدى وتسعين:

سار[٤] الأشرف من مصر إلى الشام، وسار المظفر صاحب حماة وعمه الأفضل إلى خدمته (والتقياه بدمشق، وسارا في خدمته)[٥] وسبقاه إلى حماة، واهتم الملك المظفر في أمر الضيافة والإقامة والتقدمة. ووصل السلطان إلى حماة، وضرب دهليزه بشماليها عند ساقية سلمية، ومدَّ له المظفر سماطاً عظيماً بالميدان، ونَصَبَ خياماً تليق بالسلطان، ونزل السلطان بالميدان، وبسط بين يدي فرسه عدّة كثيرة من الشقق الفاخرة ثم دخل السلطان الملك الأشرف إلى دار الملك المظفر، بمدينة حماة، فبسط الملك المظفر بين يدي فرسه بساطاً ثانياً، وقعد السلطان بالدار، ثم دخل الحمام، وخرج، وجلس على جانب العاصي، ثم راح إلى الطيارة التي على سور باب النقفي المعروفة بالطيارة الحمراء، فقعد فيها، ثم توجه من حماه، وصاحب حماة وعمُّهُ في خدمته إلى المشهد، ثم إلى الحمام والزرقا بالبرية، فصاد شيئاً كثيراً من الغزلان وحمير الوحش، وأما العساكر فسارت على السكة إلى حلب، ثم وصل السلطان إلى حلب، وتوجّه منها

---

(١) الزيادة عن المختصر.

(٢) المختصر ٢/ ٢٦ وانظر البداية والنهاية ١٣/ ٣٢٣.

(٣) سقطت من الأصل، والتكملة عن المختصر.

(٤) المختصر ٢/ ٢٦ وانظر في فتح قلعة الروم: عيون التواريخ (٦٨٨ ـ ٦٩٩هـ) ص١٠٦ والشذرات ٥/ ٤١٨.

(٥) سقط من الأصل، والتكملة عن المختصر.

إلى قلعة الروم، ونازلها في العشر الأول من جمادى الآخرة من هذه السنة، وهي حصن على جانب الفرات في غاية الحصانة، ونصب عليه المجانيق، وهذا الحصار أيضاً من جملة الحصارات التي كانت منزلة الحمويين على رأس الجبل المطل على القلعة من /٣٧٠/ شرقيها، واشتدت مضايقتها ودام حصارها حتى فتحت بالسيف في يوم السبت حادي عشر رجب هذه السنة، ونهب ذراريهم، واعتصم كيناغيلوس خليفة الأرمن المقيم فيها في القلعة، وكذلك اجتمع بها من هرب من أهل القلعة، فبرز مرسوم السلطان، إلى صاحب حماة أن يرمى عليهم بالمنجنيق لإشرافهِ عليهم، فلما وتر[1] المنجنيق ليرمي عليهم طلبوا الأمان من السلطان، فلم يؤمنهم إلا على أرواحهم خاصة، وأن يكونوا أسرى، فأجابوا إلى ذلك، وأخذ كيناغيلوس خليفة الأرمن وجميع من كان (بقلة القلعة) أسرى عن آخرهم.

ورتّب السلطان علم الدين سنجر الشجاعي، وعمّرها وحصنها إلى الغاية.

وفي هذا الفتح يقول شيخنا أبو الثناء[2] الكاتب الحلبي يمدح الملك الأشرف[3]: [الطويل]

لك الراية الصفراء يَقْدمها النصرُ ... فمن كيقباذ إن رآها وكيخسرو
إذا[4] خَفَقَتْ في الأفق هدبُ بنودها هوى[5] ... الشرك واستعلى الهدى وانجلى الكفر
وإن نُشرت مثل الأصائل في وغى ... جلا الفَقْعُ من لألاءِ طلْعتها البدْرُ
وإن يُمِّمتْ زُرْقُ العدى سار تَحْتها ... كتائبُ خضر دوحها البيض والسمْرُ
كأن مثار النقع ليل وخفقُها ... بروقٌ وأنت البدر والفلك والجتر
لها كل يوم أين ساروا لواؤها ... هدية تأييد يقدمها النصر
وفتحٌ أتى في إثر فتح كأنما ... سماء بَدَتْ تترى كواكبها الزهْرُ
فكم وطئت طوعاً وكرهاً معاقلاً ... مضى الدهر عنها وهي عانسةٌ بكر
بذلْتَ لها عزماً فلولا مهابة ... كستها[6] الحيا جاءتك تسعى ولا مهر[7]
فإن رمْتَ حصناً سابقتك كتائبٌ ... من الرعب أو جيشٌ يقدمه النصر[8]

---

(١) في المختصر: وترنا، وكان صاحب المختصر قد حضر فتح قلعة الروم.
(٢) شهاب الدين أبو الثنا محمود بن سليمان الحلبي، وقد مضى ذكره.
(٣) القصيدة لم ترد في المختصر، وهي في عيون التواريخ (٦٨٨ ـ ٦٩٩هـ) ص١٠٩، وكنز الدرر ٨/ ٣٣٤ وتاريخ الإسلام للذهبي حوادث ٦٩١ هـ.، وفوات الوفيات ١/ ٤١٤ والبداية والنهاية ١٣/ ٣٢٨.
(٤) في العيون والمصادر الأخرى: وإن.
(٥) الأصل: قوى.
(٦) في المصادر الأخرى: كساها.
(٧) في العيون: بلا مهر.
(٨) الأصل: جيشاً وكذلك في كنز الدرر.

ففي كل قطر للعدى وحصونهم من الخوف أسياف تجرّد أو خضرُ
فلا حصن إلا وهو سجنٌ لأهْلِهِ ولا جَسَدٌ إلاّ لأرْواحِهِمْ قَبْرُ
/ ٣٧١/ يظنُّونَ أنَ الصبح في طُرَّةِ الدجى عجاجٌ تراءت فيه أسيافك الحُمْرُ
قصدتَ حمى من قلْعةِ الروم لم تُبحْ لغيرك إذْ غرتهم المغْل فاغترّوا
ووالوهم سرّاً ليخفوا أذاهُمُ وفي آخر الأمر استوى السرّ والجهْرُ
وما المغْلُ أكفاءٌ فكيف سواهم ولكنّه غزوٌ وكلُّهم كفرُ[1]
وأيضاً لارغام التتار الذي بهم بمسكهم إذ فهرهم لهم قهرُ
صرفت إليهم همّةً لو صرفتها إلى البحر لاستولى على مدّهِ الجزرُ
ففرّوا ومن كان يرجو نصرهم والوا لقد غرّوهم ولقد برّوا[2]
ووالوا وقد ضاق الفضاء عليهم إلى أنْ غدوا في الضيق كالخاتم البر
تخطفهم[3] أطراف جيشك كلما سروا وأسروا وعاينوا عَلَماً فسرّوا[4]
وما قلعةُ الرُّوم التي حُزْتَ فَتْحَها وإنْ عَظُمتْ إلاّ إلى غيرها جسْرُ
طليعة ما يأتي من الفتح بعدها كما لاح قبل الشمس في الأفق الفجرُ
محجبةٌ بين الجبال كأنّها إذا ما تَبَدَّى[5] في ظهائرها سرُّ
تفاوَتَ وصفاها[6] فللموت فيهما مجالٌ[7] وللنسرين بينهما وكْرُ[8]
فبعضٌ رسا حتى علا الماء فوقه وبعضٌ سما حتى همى دونه القطر
يحيط بها نهران تبرز فيهما كما لاح يوماً في قلائده النحرُ
وبعضهما العذبُ الفراتُ وإنه لتحصينها كالبحر دونه البحر
سريع يفوت الطرف جرياً وعدّه كريح سليمان التي يومها شهْرُ
لها قلّة لم نرض سقياً فراتها وفي روضها ماء المجرّة يَنْجرُّ
مُخاضُ[9] منون السحب فيها كأنها إذا ما استدارت حول أَبْراجها نَهْرُ
على هضبٍ صم[10] يكلّم صخرها ال سديد وفيها عن إجابَتِهِ وَقْرُ
/ ٣٧٢/ لها طرق كالوهْمِ أعْيا سلوكها على الكفر حتى ما يخيّلها الفكر[11]

---

(١) الأصل: وكله.. كفروا.
(٢) كذا العجز في الأصل: ولم يرد في المصادر الأخرى.
(٣) الأصل: تحفظهم، والتصويب عن مصادر القصيدة الأخرى.
(٤) كذا ورد العجز في الأصل.
(٥) في العيون: تبدت.
(٦) الأصل وصفها.
(٧) الأصل: محلل.
(٨) الأصل: ذكر.
(٩) في العيون: تخوضُ.
(١٠) الأصل: سم.
(١١) العيون: الكفر.

إذا خَطَرتْ فيها الرياح تعثّرتْ ... أو الذرُّ يوماً زلَّ عن متنها الذرُّ
يظلُّ القطا فيها ويخشى عقابها العقاب ... ويَهْفُوا في مراقيها النسرُ[(١)]
فصبَّحتها بالجيش كالروض زهرةً[(٢)] ... صوارِمُهُ أنهارُهُ والقنا الزهر
وأبْعَدْتَ بل كالبحر والبيض موجة ... وجرد المذاكي (السفن) والخود الدر[(٣)]
وأغْرَبْتَ بل كالليل عوجٌ سيوفُهُ ... إهلّتُهُ والنبل أنْجُمُهُ الزهرُ
وأخطأت لا بل كالنهار شموسُهُ ... محيّاك والآصال راياتك الصفْرُ
ليوثٌ من الأتراك آجامها[(٤)] القنا ... لها في كلّ يوم في ذرى ظفرِ ظفرُ
فلا الريح تسري بينهم لاشتباكها ... عليهم ولا ينهلُّ من فوقهم قطرُ
غيوثٌ إذا الحرب العوان تعرضَتْ ... لخطابها بالنفس لم يُغْلِها مَهْرُ
ترى الموت معقودٌ بهدب نبالهم ... إذا ما رماها القوس والنظر الشزرُ
ففي كل سرح غصن مهفهف ... وفي كل قوس مدّه ساعد بدرُ
إذا صدموا[(٥)] شمَّ[(٦)] الجبال تزلزلَتْ ... وأصْبَحَ سهلاً تحت خيلهم الوعرُ
ولو وَرَدَتْ ماء الفراتِ خيولُهُم ... لقِيل هُنا قد كان فيما مضى نَهْرُ
إذا رأوا بها[(٧)] سوراً فأضحت كخنصرٍ ... لذي خاتم أو تحت منطقة خَصْرُ
وأرخوا إليها من بحار أكفّهم ... سحاب ردى لم يخْلُ من قطرِهِ قَطْر
كأنَّ المجانيق التي قمنَ حولها ... رواعد سخطٍ وَبْلُها النار والصَخْرُ
أقامت صلاة الحرب ليلاً صخورها ... فأكثرها شفع وأقلّها[(٨)] وتْرُ
لهم أسْهُمٌ مثل الأفاعي طوالُها ... قواتِلُ إلاّ أن أكثرها[(٩)] البتر
سهام حَلَتْ سهم اللحاظ لفتكها ... وما فارقت جفناً وهذا هو السحر
تزور كناساً عندهم أو كنيسةً ... فلا دمية تبدي حذاراً ولا حِذرُ
/٣٧٣/ ودارت[(١٠)] بها تلك النقوب فأشْرَقَتْ ... وليس عليها في الذي فَعَلَتْ حَجْرُ
فأضحتْ بها كالصب يخفي غرامه ... حذار أعاديه وفي قلبه جمرُ

---

(١) الأصل: النصر.
(٢) في العيون والمصادر الأخرى: بهجة.
(٣) العجز في الأصل: وجود المذاكي الحود الدهر.
(٤) العيون: آثامها.
(٥) في كنز الدرر: ضربوا.
(٦) في الفوات: صمم.
(٧) في العيون: إذ أروا بها.
(٨) في العيون: واقتلها.
(٩) في العيون والمصادر الأخرى: افتكها.
(١٠) الأصل: ورادت.

وشبَّتْ بها النيران حتى تمزَّقَتْ ... وباحتْ بما أخْفَتْهُ وانهتك السِّتْرُ
ولاذوا بذيل العفوِ منك ولم يَخِبْ ... رجاؤهم لو لم يكن قصدهم مكرُ[1]
أَمَرْتَ اقتداراً منك بالكف عَنْهُمُ ... ليلاً يرى في غدرهم لهم عذر[2]
فراموا به أمرين تستر ما وَهى[3] ... من السُّور أوْ عَوْد التتار وقد فَرُّوا
لهم وَيْلهم إنَّ التتار الذين رجوا ... إعانتهم لم يحوِ هاربهم فقر[4]
ألم يسمعوا أوَلَمْ يروا حال فعلهم ... بحمص وقد أفْناهُمُ القتل والأسْرُ
إن اندملت تلك الجروح فإنهم ... إذا[5] ذكروا ما مَرَّ ينقضها الذكر
وما كره الملك[6] اشتغالك عنهم ... بما عندنا فروا ولكنهم سرّوا
فأحرزتهم[7] بالسيف قهراً وهكذا ... فتوحك فيما قد مضى كله قَسْرُ
غَدَتْ بشعار الأشْرف الملك الذي ... له الأرضُ داراً وهي من حُسْنِهَا قَصْرُ
فأَضْحَتْ بحمد الله ثغْراً ممنّعاً ... تبيد الليالي بالعدى وهو يَفْتَرُّ[8]
وكانت قذى في ناظر الدين فانجلى ... وَذُخْراً لأهل الشرك فانعكس الأمْرُ
فيا أشرف الأمْلاك بشراك غزوة ... يخصّك منها الفتح والذكر والأجرُ
ليهنك عنه المصطفى إن دينَهُ ... توالى له في يُمْن دولتك النصر
وبشراك أرضَيْتَ المسيح وأحمداً ... وإن غَضَبَ التكفور من ذاك والكفر
فَسِرْ حيثُما تختار فالأرض كلُّها ... بحكْمِكَ والأمصارُ أجْمعُها مصْرُ
وَدُمْ وابْق للدنيا ليحيى بك الهدى ... ويزهى على ماضي[9] العصور بك العصر
فلله في تَخليد ملكك نعمة ... عليك وآلاءٌ يضيق بها الشكرُ

ورجع[10] الملك الأشرف إلى حلب، ثم إلى حماة، وقام الملك المظفر بوظائف / ٣٧٤/ خدمته، ثم توجه السلطان إلى دمشق، وأعطى الملك المظفر صاحب حماة الدستور، فأقام ببلده، ودخل السلطان دمشق، وصام بها رمضان ثم سار بعد العيد إلى الديار المصرية.

وفيها: هرب[11] حسام لاجين المنصوري الذي كان نائباً بالشام من دمشق لما

---

(١) في العيون: لو لم يشب قص هم مكر.
(٢) في العيون: في غدرهم عذرُ.
(٣) في كنز الدرر: هوى.
(٤) في المصادر الأخرى: غدرُ.
(٥) في العيون والمصادر الأخرى: متى.
(٦) في كنز الدرر: المضل.
(٧) العيون والمصادر الأخرى: فاحرزتها.
(٨) العيون: مفترُّ.
(٩) الأصل: ما مضى.
(١٠) المختصر: ٤/ ٢٧.
(١١) المختصر: ٤/ ٢٧ وانظر الخبر في عيون التواريخ (٦٨٨ ـ ٦٩٩هـ) ص١١٧.

وصل السلطان (عائدا)[١] من قلعة الروم، وكان السلطان قد اعتقله لما كان نازلاً على حصار عكا، ثم أفرج عنه في أوائل هذه السنة. وسار مع السلطان إلى قلعة الروم، ثم عاد معه إلى دمشق، فحصل بينهما وحشة، فهرب منه إلى جهة الغرب، فَقَبَضُوهُ وأَحْضَرُوهُ إلى السلطان، فبعث به إلى قلعة الجبل بديار مصر، فحبس بها.

وفيها[٢]: استناب السلطان بدمشق عز الدين أيبك[٣] الحموي، وعَزَل علم الدين سنجر الشجاعي.

وفيها[٤]: عزل قراسنقر المنصوري من نيابة حلب، واستصحبه معه عند عوده من قلعة الروم، وولى موضِعَهُ على حلب سيف الدين بلبان الطباخي، وكان المذكور نائباً بالفتوحات، ومقامُهُ بحصن الأكراد، وولى الفتوحات والحصون طغريل الإيغاني، ثم عزله بعد مدة، وولى موضِعَهُ عز الدين أيبك الخازندار المنصوري.

ولما وصل[٥] الأشرف إلى مصر قبض على شمس الدين سنقر الأشقر وجرمك وكان قد قبض على طقصو[٦] بدمشق فخنقهم عن آخرهم[٧].

في سنة اثنتين وتسعين:

أرسل الأشرف[٨]، أحضر المظفر صاحب حماة وعمه الأفضل على خيل البريد، فتوجها وعندهما خوف عظيم بسبب ذلك، ووصلا إلى قلعة الجبل في اليوم الثامن فشملتهما الصدقات السلطانية، وأمر بهما فأدخلا إلى الحمام بقلعة الجبل وخَلَع عليهما ملابس كثيرة، غير ثياب الطريق، وأقاما في الخدمة أياماً، ثم خرج السلطان على

---

(١) الزيادة عن المختصر.

(٢) المختصر: ٤/ ٢٧ وانظر الخبر في عيون التواريخ ص١١٧ وكنز الدرر ٨/ ٣٣٩.

(٣) أيبك، الأمير، عز الدين التركي، الحموي، ولي نيابة دمشق، وعزل عنها سنة ٦٩٥ هـ. وجعل في قلعة صرخد، ثم ولي قبل موته نيابة حمص، فمات بها سنة ٧٠٣ هـ. وصف بالشجاعة والإقدام. انظر: الوافي بالوفيات ٩/ ٤٧٩ والدرر الكامنة رقم ١١٠٧.

(٤) المختصر: ٤/ ٢٧ وانظر: عيون التواريخ من ١٠٨ وتاريخ ابن الفرات ٨/ ٤٢.

(٥) المختصر: ٤/ ٢٧.

(٦) في الأصل: طقصو، وأثبت ما في المختصر. الأمير، سيف الدين، من أكابر الأمراء المصريين، وهو حمو حسام الدين لاجيك، قتله الأشرف بمصر سنة ٦٩١ هـ.، وكان شجاعاً مقداماً، الوافي ١٦/ ٤٦٩.

(٧) في المختصر فكان آخر العهد بهم. وانظر خبر خنقهم في عيون التواريخ ص١١٨.

(٨) المختصر: ٤/ ٢٨ وانظر عيون التواريخ ص١٣٠ وكنز الدرر ٨/ ٣٤٠.

الهجن إلى جهة الكرك، وسارَتْ / ٣٧٥/ العساكر على الطريق إلى دمشق، وأركب صاحب حماة وعمه الهجن، ورسم لها (بما يليق) بهما، وسارا في خدمته إلى الكرك ولاقتهما تقادمهما إلى بركة زيراء (فقدماها) وقبلها السلطان، وأنعم عليهما ودخل دمشق، ثم سار منها إلى البرية متصيداً، ووصل إلى الفرقلس، وهو جفار في طريق حمص من الشرق، ونزل عليه، وحضر إلى الخدمة هناك مهنا بن عيسى أمير العرب وأخواه محمد وفضل وولده موسى بن مهنا، فقبض السلطان على الجميع وأرسلهم إلى مصر، فحبسوا[1] بقلعة الجبل، ، ووصل السلطان إلى القصب وأعطى صاحب حماة الدستور، فحضر إلى بلده، وأما عمُّهُ الأفضل، فإنه كان قد حصل له تشويش لما كان السلطان بحنيجل وما حواليها (فأعطاه السلطان الدستور، وأرسل إلى السلطان) تقدمةً ثانية، ولم يقدر على الحضور بسبب مرضهِ، فأحضرت والسلطان نازل على القصب، فقبلها وارتحل عائداً إلى مصر فوصل إليها في رجب.

وفي هذه السنة[2]: [كان] قد أحضر بعد العسكر المصري إلى حمص فتقدم إليهم [والي] صاحب حماة وعمُّهُ [الملك الأفضل][3] بالمسير إلى حَلَب والمقام بها، لما في ذلك من إرهاب العدو، فسارت [العساكر][4] إليها، وخرج المظفر وعمّه الأفضل من حماة يوم الجمعة خامس عشرين شعبان [ودخلوا حلب يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شعبان][5]، الموافق الرابع شهر آب، وأقاموا بها في أوائل ذي الحجة هذه السنة أعني سنة اثنين وتسعين وستمائة)[6].

سنة ثلاث وتسعين وستمائة:

في ثاني المحرم: فتكوا[7] بالسلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون بتَرُوجة[8] وهو يتصيّد وليس معه سيف، ولا معه أحد سوى أمير شكار[9]، فتعامل نائبه بيدرا ولاجين، فشدّ بيدرا وأفصله لاجين، ثم سمّوا بيدرا الملك القاهر، وأقْبلُوا به

---

(١) الأصل: فحبسا.
(٢) المختصر: ٤/ ٢٨.
(٣) الزيادة عن المختصر.
(٤) الزيادة عن المختصر.
(٥) الزيادة عن المختصر.
(٦) لم ترد في المختصر، وبها ينتهي المزلف من النقل عن المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء.
(٧) انظر الخبر في عيون التواريخ (٦٨٨ ـ ٦٩٩هـ) ص١٤٩ وكنز الدرر ٨/ ٣٤٥ والبداية والنهاية ١٣/ ٣٣٤ وشذرات الذهب ٥/ ٤٢٢ وخطط المقريزي ٣/ ٩٥ والمختصر ٤/ ٢٩ والنجوم الزاهرة ٨/ ٣٩ والحوادث الجامعة ص٣٢٥.
(٨) تَرُوجة: قرية بمصر من كور البحيرة من أعمال الإسكندرية (معجم البدلان ٢/ ٢٧).
(٩) هو شهاب الدين ابن الأشل.

يملّكوه، فحمل عليه كتبغا بالخاصكية، فقتلوه من الغد واختفى لاجين، وقراسنقر وجماعة/٣٧٦/ وخلفوا لمولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدين خلّد الله (ملكه)[١] وهو ابن تسع سنين، وأهلك الوزير ابن السعلوس[٢] تحت الضرب، وقتل الشجاعي[٣]، وكان قد عزم على أن يتملّك، فلم يتم له، وعمل نائبه السلطان أيده الله تعالى زين الدين كتبغا، وركب في دست السلطنة، وتدبير البلاد، ثم بعد أشهر ظهر حسام الدين بن لاجين[٤]، وشفع فيه كتبغا، فأنعم عليه السلطان وأعطاه خبز مكتوب العلائي.

وكانت دولة الأشرف ثلاث سنين وشهرين، وعاش أزيد من ثلاثين سنة بقليل، وكان بديع الجمال، تام الشكل، ضخماً، مهيباً، مستدير اللحية، كامل الشجاعة، عالي الهمة، يملأ العين، ويُرجف القلب، خَضَعَتْ لَهُ الملوك ودانت له الأُمم.

وكان بيدرا من أكبر (أمراء)[٥] دولة السلطان الملك المنصور، ومن أعز الناس على أستاذه، ثم اتخذه الأشرف الشهيد نائباً فكافأه. وكان بيدرا يرجع في الجملة إلى دين وعدلٍ، عاشَ نيفاً وثلاثين سنة. وكان الشجاعي طويلاً تام الهيئة، أبيض، أسود اللحية، ومهيباً وقوراً، فيه عَسْف وجبروت، وعنده خبرة بالأمور وفطنة، ودخل طلبة في غزاة قلعة الروم وهو في محملٍ عظيم لا ينبغي أن يكون إلاّ لسلطان.

وفيها: مات ابن[٦] ابغا بن هولاكو طاغية التتار. تسلطن بعد موت أرغون سنة تسعين، ومالت طائفة إلى بيدرو ابن أخيه ما هو بن أخيه بل لسببٍ له بعده فملكوه، ووقع الخلف بينهم، ثم قوي بيدو، وقاد الجيوش، فالتقى الجمعان، فقتل كيختو، واستقلَّ بيدو بالممالك. فخرج عليه نائب خراسان غازان بن أرغون، وجمع الجيوش، فَطَلَبَ المُلْكَ.

وفيها: مات قاضي القضاة بدمشق، شهاب الدين، أحد الأعلام، محمد[٧] بن

---

(١) الزيادة يقتضيها السياق.

(٢) شمس الدين محمد بن عثمان بن أبي الرجاء التنوخي المعروف بابن السعلوس مضت ترجمته، انظر: عيون التواريخ (٦٨٨ ـ ٦٩٩هـ) ص١٦٠ والعبرة/ ٣٨٠ والوافي ٤/ ٦ والبداية والنهاية ٢٣/ ٣٣٢ والشذرات ٥/ ٤٢٤.

(٣) علم الدين الشجاعي، انظر خبر قتله في عيون التواريخ (٦٨٨ ـ ٦٩٩هـ) وكنز الدرر ٨/ ٣٥٣ والمختصر ٤/ ٣١ والنجوم الزاهرة.

(٤) انظر: عيون التواريخ (٦٨٨ ـ ٦٩٩هـ) ص١٥٩ والسلوك ١/ ٨٠٣.

(٥) زيادة يقتضيها السياق.

(٦) هو كيختو، كما سيرد، وانظر الخبر في عيون التواريخ (٦٨٨ ـ ٦٩٩هـ) ص١٧٠.

(٧) انظر ترجمته في: عيون التواريخ (٦٨٨ ـ ٦٩٩هـ) ص١٦٦، والعبر للذهبي ٥/ ٣٧٩، وفوات

=

قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن الخليل، الخويي الشافعي، وله سبع وستون سنة.

سنة أربع وتسعين وستمائة:

/ ٣٧٧/ في المحرم: ذهب مولانا السلطان ناصر الدين إلى الكرك، وأعرض عن الملك وتسلطن[(١)] زين الدين كتبغا التركي، المغلي، المنصوري، ولقب بالملك العادل، وزينت البلاد، وقد جاوزت الأربعين، وهو من سبي وقعة حمص الأولى في سنة تسع وخمسين. وكان من أكابر أمراء المنصورية، وصيّر نائبه حسام الدين لاجين المنصوري، وكسر النيل السنة عن نقص كبير، فخاف الناس، وغَلَتِ الأسعار.

وفيها: دخل[(٢)] ملك التتار غازان بن أرغون في الإسلام، وتلفظ بالشهادتين بإشارة نائبه نوروز، ونثر الذهب واللؤلؤ على الخلق، وكان يوماً مشهوداً ثم لقيه نوروز شاه من العراق ودخل رمضان فَصامه وفَشَا الإسلام في التتار.

وفيها: توفي خطيب دمشق ومفتيها أحمد[(٣)] بن أحمد المقدسي، وقد نيّفَ عن السبعين.

وشيخ المشايخ عز الدين أحمد بن إبراهيم الواسطي، الفاروقي[(٤)]، المقرئ المفسر الواعظ، الخطيب في (ذي) الحجة بواسط، وله ثمانون سنة.

وشيخ الحرم الفقيه الحافظ، محب الدين أحمد[(٥)] بن عبد الله الطبري، وصنف الأحكام عن تسعٍ وسبعين سنة.

وسلطان إفريقية المستنصر بالله عمر بن يحيى بن عبد الواحد الخفقاتي وكان ملكُهُ

= الوفيات ٣/ ٣١٣ والبداية والنهاية ١٣/ ٢٣٧، وشذرات الذهب ٥/ ٤٢٣.

(١) انظر الخبر في عيون التواريخ (٦٨٨ ـ ٦٩٩هـ) ص١٧٧ والبداية والنهاية ١٣/ ٣٣٨ والسلوك ١/ ٨٠٦ والمختصر ٤/ ٣١ والنجوم الزاهرة ٨/ ٥٥.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ٨/ ٧١.

(٣) أحمد بن أحمد بن نعمة بن أحمد، شرف الدين، المقدسي الشافعي خطيب دمشق، انظر الشذرات ٥/ ٤٢٤ وعيون التواريخ (٦٨٨ ـ ٦٩٩هـ) ص١٨١ والعبر ٥/ ٣٨٠ وفوات الوفيات ١/ ٥٧ والوفي ٦/ ٢٣١ والبداية والنهاية ١٣/ ٣٤١.

(٤) الأصل: الفاروقي، والتصويب عن مصادر ترجمته، وفاروث قرية على دجلة، انظر: شذرات الذهب ٥/ ٤٢٥ والعبر ٥/ ٣٨١ وفوات الوفيات ١/ ٥٥ واليافعي ٤/ ٢٢٣ والبداية والنهاية ١٣/ ٣٤٢، وعيون التواريخ (٦٨٨ ـ ٦٩٩هـ) ص٢٠٢ وفيه أنه مات سنة ٦٩٥ هـ..

(٥) أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن محمد الشيخ الحرم، انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٤٢٥ والنجوم الزاهرة ٨/ ٧٤.

أحد عشر سنة[١].

وفيها: توفي صاحب اليمن السلطان الملك المظفر شمس الدين يوسف[٢] ابن السلطان عمر بن علي بن رسول التركماني، وكانت دولتُه تسعاً وأربعين سنة، وعاش أزيد من ثمانين سنة.

سنة خمس وتسعين وستمائة:

كان القحط المفرط[٣] بمصر، وبلغ الأردب مائة وستون درهماً. وأكلوا الجيف، وعظم الوباء، ومات الخلق في الطرق جوعاً وهلاكاً. وبلغ الخبز كل خمس أواق بالدمشقي بدرهم، وكان الغلاء بدمشق بَلَغَتْ الغرارة مائةً وخمسين درهماً، ويقال: أحصى من مات بمصر والقاهر في مدة شهر صفر فزادوا /٣٧٨/ مائة ألف، ثم بلغتْ الغرارة مائة وثلاثين درهماً، وانصلح أمر مصر في جمادى الأولى ( )[٤]، الناس ( )[٥] وانحطّت الأسعار.

وفي ذي القعدة: قدم[٦] السلطان الملك العادل، زين الدين، وزينت دمشق، وصلى الجمعة بالمقصورة، وكان أسمراً، مغْلياً، قصيراً، في ذقنه شعرات قليلة، وعنقه قصير، وكان يوصف بالشجاعة والإقدام والدين التام، وسلامة الباطن، ذو رأي وحزم، وخلع على الخطيب بدر الدين بن جماعة، وزار المصحف العثماني، وصلى على يمينه الشيخ حسن[٧] بن الحريري وعن شماله صاحب حماة[٨]، وتلى ابن الحريري نائب المملكة حسام الدين لاجين، ثم نائب دمشق عز الدين الحموي، ثم بدر الدين بيسري، ثم قراسنقر المنصوري. ثم لعب بالكرة، واستناب على دمشق مملوكه غرلو.

وفيها: مات شيخ الحنابل بمصر العلامة نجم الدين أحمد[٩] بن حمدان الحراني

---

(١) النجوم الزاهرة ٨/ ٧٥.

(٢) انظر: شذرات الذهب ٥/ ٤٢٧ والوافي ٢٩/ ٢٦٣ والعبر ٥/ ٤٨٣ والبداية والنهاية ١٣/ ٣٤١ والنجوم الزاهرة ٨/ ٧١.

(٣) انظر: شذرات الذهب ٥/ ٤٢٨ وعيون التواريخ ص١٩٣ والبداية والنهاية ١٣/ ٣٤٣ والنجوم الزاهرة ٨/ ٧٩.

(٤) كلمة في الأصل غير مفهومة. (٥) كلمة في الأصل غير مفهومة.

(٦) انظر الخبر في المختصر ٤/ ٣٣ وعيون التواريخ ص١٩٥ والبداية والنهاية ١٣/ ٣٤٤.

(٧) حسن بن الشيخ علي الحريري، الشيخ الصالح الزاهد توفي سنة ٦٩٧هـ، انظر عيون التواريخ ص٢٥٠ والبداية والنهاية ١٣/ ٣٥٣ والنجوم الزاهرة ٨/ ١١٣.

(٨) الملك المظفر محمود.

(٩) أحمد بن حمدان بن شبيب بن حمدان بن محمود الحراني الحنبلي، مات بالقاهرة، انظر: عيون =

في صفرن وله اثنان وتسعون سنة.

وقاضي القضاة تقي الدين عبد الرحمن[١] ابن قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز الشافعي بمصر كهلاً.

وشيخ الحنفية الصاحب العلامة محي الدين محمد[٢] بن يعقوب بن النحاس الأسدي الحلبي بالمزة، وله إحدى وثمانين سنة.

وشيخ الحنابلة العلامة زين الدين المنجا،[٣] التنوخي، وله أربع وستون سنة.

سنة ست وتسعين وستمائة:

في أوّلها[٤] رجع السلطان العادل من حمص وجلس بدار العدل، وتناول من الناس القصص بيده، وصلى الجمعة، وزار قبر هود، ثم زار قبر مغارة الدم، ثم سافر، فلما كان آخر المحرم، غلقت قلعة دمشق وتهيّأ غرلو، وجمع الأمراء وركبوا من باب النصر، فوصل قبل العصر السلطان في خمس مماليك، وقد زالت دولته فدخل القلعة، وضربت البشائر، وصوده القلعة بوادي فحمة أن نائب السلطنة الحسام لاجين ركب وقتل الأميرين بتحاص وبكتوك / ٣٧٩/ الأزرق وكانا جناحي العادل، فلما سمع بخطبه ركب فرس النوبة وساق إلى دمشق وتبعه خمسة فقط، وساق حسام الدين الخزائن والجيش، وركب تحت العصائب في دست السلطنة، فبايعوه كلّهم، ودخل إلى مصر، وزينت البلاد.

وأما العادل، فإنه أقام ثلاثة عشر يوماً، ثم صحّت بدمشق الأخبار بسلطنة حسام الدين، ثم بعد ذلك بعشرة أيام قدم كجكُنْ[٥]، فنزل بالصات[٦]، وأعلن باسم المولى

= التواريخ ص٢١٣ والوافي ٦/ ٣٦٠ وشذرات الذهب ٥/ ٤٢٨.

(١) انظر ترجمته في عيون التواريخ ص٢٠١ وفوات الوفيات ٢/ ٢٧٩ واليافعي ٤/ ٢٢٨ والنجوم الزاهرة ٨/ ٨٢ وشذرات الذهب ٥/ ٤٣١ والبداية والنهاية ١٣/ ٣٤٦.

(٢) ابن النحاس أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن إبراهيم، الأسدي، الحلبي، الحنفي انظر: شذرات الذهب ٥/ ٤٣٢ والوافي بالوفيات ٥/ ٢٢٤ والجواهر المضيئة ٣/ ١٤٤ والدارس ١/ ٥٢٤ وأعلام النبلاء ٤/ ٥٢٥ وعيون التواريخ ص٢٢٨ وفيه أنه مات سنة ٦٩٦ هـ.

(٣) زين الدين، أبو البركات، المنجا بن عثمان بن أسعد بن المنجا، التنوخي الحنبلي انظر: عيون التواريخ ص٢٠٠٣ والبداية والنهاية ١٣/ ٣٤٥ وشذرات الذهب ٥/ ٤٣٣.

(٤) انظر: عيون التواريخ ص٢٢١ والبداية والنهاية ١٣/ ٣٤٥.

(٥) كحكن، الأمير سيف الدين المنصوري، عمّر دهراً طويلاً، مات سنة ٧٣٩ هـ.، انظر: الواقي ٢٤/ ٣٣٠ والدرر الكامنة ٣/ ٣٥١.

(٦) كذا في الأصل، وفي النجوم الزاهرة ٨/ ٦٥: ميدان الحصا.

السلطان حسام الدين، فسارع إليه أمراء دمشق، وأذعن العادل بالطاعة، وسلّمَ نفسه، فاعتقلوه، في مكان بالقلعة، وضُرِبت البشائر، ثم اجتمعت القضاة والنائب غرلو وأظهر السرور أنا[١] السلطان حسام الدين هو الذي عينني لنيابة دمشق، وإلا فأستاذي استصغرني عن ذلك.

وفي تاسع عشر صفر: ركب السلطان بمصر بقلعة الحاكم بأمر الله، ثم حرك كتبغا إلى صرخد، ثم في ربيع الأول وصل قبجق[٢] على نيابة دمشق، وناب بمصر قراسنقر المنصوري، ثم بعد أشهر أمسك وناب منكوتمر الحسامي وعمل وزارة مصر والشدّ[٣] شمس الدين الأعسر[٤]، ثم في أواخر العام أُمسك وصودر.

وفيها: مات محدث مصر، جمال الدين أحمد[٥] بن محمد بن الظاهري، الحافظ وله سبعون سنة.

والقاضي تاج الدين عبد الخالق[٦] بن عبد السلام الشافعي، ببعلبك وله ثلاث وسبعون سنة.

سنة سبع وتسعين وستمائة:

فيها: قبض على البيسري أكبر أمراء الدولة.

وفيها: قَدِم الدواداري[٧] بعسكر، فسار ببعض الشاميين، فنزلوا حصون سيس، فأخذوا قلعة مرعش في رمضان، ودُقَّت البشائر.

وفي شوال: فتحو قلعة خميص وقلعة بخيمة.

وفيها: قبض بمصر على عزل الدين أيبك الحموي، الذي كان نائب دمشق.

---

(١) كذا في الأصل والعبارة غامضة، وفي النجوم الزاهرة: الملك المنصور لاجين هو الذي كان عينني لنيابة دمشق.

(٢) سيف الدين قبجق المنصوري.

(٣) أي شدّ الدواوين.

(٤) شمس الدين سنقر الأعسر.

(٥) أحمد بن محمد بن عبد الله الظاهري، أبو العباس شيخ المحدثين بالديار المصرية، أنظر عيون التواريخ ص٢٢٨ وشذرات الذهب ٥/ ٢٤٥ وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٧٩ والسلوك ١/ ٨٣٠ وحسن المحاضرة ١/ ٣٥٧.

(٦) عبد الخالق بن عبدا لسلام بن سعيد بن علوان البعلبكي، تاج الدين أبو محمد، انظر: شذرات الذهب ٥/ ٤٣٥ والوافي ١٨/ ٩٢ وتذكرة الحفاظ ١٤٨٠.

(٧) علم الدين الدواداري، وانظر المختصر ٤/ ٣٥ وعيون التواريخ ص٢٤٧.

وفيها: مات مسند العراق الكمال عبد الرحمن[١] بن عبد اللطيف المقري المكثر شيخ المستنصرية / ٣٨٠/. ولد ثمان وتسعون سنة.

سنة ثمان وتسعين وستمائة:

توجّسَتْ نفوس الدولة بما يفعله منكوتمر من إمساك وسقى بعضهم وذهب نائب دمشق قبجق بالعساكر فنزلوا بأرض حمص وهناك بكتمر السلحدار بطائفةٍ من المصريين فتكلّموا في مصلحتهم[٢]، وأن منكوتمر لا يفتر منهم، فاتفقوا على المسير إلى قازان ملك التتار لعلمهم بإسلامه فسار من حمص المذكوران والبكّى ونزلا نحو أصهم فأخذوا على ناحية سلمية وعبروا الفرات، فلم يكن بعد عشرة أيام من مسيرهم إلاّ وقد جاء البريد لصلة السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصوري، وقتله منكوتمر، وعلم الأُمراء المخامرون بقتلهما وهم بأرض سنجار، وفات الأمر وأحضروا[٣] مولانا السلطان من الكرك وله أربع عشر سنة، وتسلم السلطنة وخلعوا له، ثم قتل طغجي وكرجي، وكان ممن قتل المنصور ونائبه. ثم ناب بمصر سيف الدين سلار والأتابك هو حسام الدين استاددار، وركب السلطان أيّده الله في دست المملكة بالخلعة وتقليد الخليفة.

وجاء على نيابة دمشق جمال الدين آقوش الأفرم، ثم أخرج الأعسر وولي الوزارة، وأخرج قراسنقر وأُعطي قلعة الصبيبة، ومات بالحبس البيسري الصالحي[٤]، وكان كبير الشأن، موصوفاً بالشجاعة، وممن يذكر للسلطان وعمل له العزاء تحت قبة النسر، فحضره سند دمشق ناصر الدين عمر بن القواس، وله ثلاث وتسعون سنة[٥]، وشيخ العربية بمصر بهاء الدين محمد بن إبراهيم بن النحاس الحلبي[٦] عن إحدى وسبعين سنة والعلامة جمال الدين محمد[٧] بن سليمان بن النقيب، البلخي ثم

---

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٥/ ٤٣٨ والوافي بالوفيات ١٨/ ١٥٩ وتاريخ علماء بغداد للسلامي ص٦٧.

(٢) انظر خبرهم في شذرات الذهب ٥/ ٤٤٠ والبداية والنهاية ١٤/ ٢.

(٣) أنظر: دولة الإسلام الشريفة البهية ص٥١ والبداية والنهاية ١٤/ ٣.

(٤) شمس الدين البيسري: من أكابر الأمراء، أنظر البداية والنهاية ١٤/ ٥.

(٥) من الواضح أن كلمة أو كلمات قد سقطت من الأصل جراء سهو الناسخ، ولعل قوله: ولد ثلاثة وتسعون سنة، هي من خبر وفاة علم بلغ هذا العمر.

(٦) انظر: النجوم الزاهرة ٨/ ١٨٣.

(٧) في البداية والنهاية ١٤/ ٤: جمال الدين عبد الله بن محمد بن سليمان.

المقدسي، صاحب التفسير الكبير.

وصاحب حماة الملك المظفر محمود[(١)] بن المنصور، وكانت دولته خمس عشرة سنة، مات في ذي القعدة، فأعطيت جمال الدين قراسنقر، فسار إليها من الصبيبة.

وكان / ٣٨١/ حسام الدين لاجين أشقراً، رومياً، طويلاً، مهيباً، موصوفاً بالشجاعة والإقدام، فيه دين وعقل. وكانت دولته سنتين وثلاث شهور.

ركب[(٢)] يوم الخميس وهو صائم، فلما كان بعد العشاء وهو على السجادة يلعب بالشطرنج مع أمير وعنده بريد البدوي والقاضي حسام الدين الحنفي، فحكى القاضي قال: رفعتُ رأسي، فإذا ستة أسياف نازلة على السلطان. قلت: بدأ كرجي مقدم فضربه بالسيف حل كتفه، وأسرعوا إلى منكوتمر فقتلوه. وكان السلطان من أبناء الخميسين سنة.

وفيها: مات ببغداد ياقوت المستعصمي[(٣)] الرومي صاحب الخط البديع.

سنة تسع وتسعين وستمائة:

وصل الأمراء قبجق وبكتمر السلحدار والبكي إلى خدمة قازان، فأكرمهم وقصد الشام، وعلم بقتل صاحب مصر ونائبه، واضطراب الأمور، فأقبل[(٤)] في جيش عظيم وعدّا الفرات، وخرج السلطان أيّده الله فكان المصاف في السابع والعشرين من ربيع الأول بوادي الخزندار على ثلاثة فراسخ من حمص وكانت ملحمة عظيمة قتل فيها فوق عشرة آلاف من التتار. ولاحت أمارات النصر، وثبت السلطان بمماليكه ثباتاً كلياً، ثم انكسرت ميمنة المسلمين وكان العدو ثلاثة أضعافهم، فتحيز السلطان بمن ثبت معه، وساروا على ناحية البقاع، واستولى قازان، وقضي الأمر. ثم دخلت التتار دمشق، وشرعوا في المصادرة والعسف، ونهبوا الصالحية، وسبوا أهلها، وتغير الخلق، ووقع الحريق من صاحب سيس والكفرة، فأحرقوا جامع العُقَيْبيّة وعدّة أماكن، وحاصروا القلعة، وعملوا المجانيق والنقوب. فأحرق أهل القلعة دار السعادة، ودار الحديث،

---

(١) أنظر خبر وفاته وخروج حماة عن البيت الأيوبي في المختصر ٤/ ٤١ والشذرات ٥/ ٤٤٣ والبداية والنهاية ١٤/ ٥.

(٢) انظر خبر مقتله في البداية والنهاية ١٤/ ٣.

(٣) ياقوت: المستعصمي الرومي، أبو الدر، كمال الدين. أنظر: الشذرات ٥/ ٤٤٣ وتاريخ علماء بغداد ص١٨٧ والنجوم الزاهرة ٨/ ١٨٧ والحوادث الجامعة ص٣٣٧.

(٤) انظر الخبر في المختصر ٤/ ٤٢ والشذرات ٥/ ٤٤٣ والبداية والنهاية ١٤/ ٥ والنجوم الزاهرة ٨/ ١٥٧ والحوادث الجامعة ص٣٣٨.

والعادلية والنُورية، وخربت تلك الناحية كلها، فهرب أهلها، وبقي باب البريد اصطبلاً فيه الزبل نحو ذراع، ثم أذِن / ٣٨٢/ قازان وكان نازلاً بالمرج بجيشه في نهب دمشق، وبات الخلق في ليلة الله بهم عليم، ثم أن الله لطف وألقى في قلب قازان أن أَمر بالكف عن دمشق، وصمَّمَ على ذلك وأخَذَ من مثل الوجيه بن المنجا وطبقته سبعون ألفاً، ويلحقها من الترسيم للمغل تتمة مائة ألف. وعلى الطبقة الثانية من الرؤساء ثلاثون ألفاً، حتى أخذ من الفاملة واللحامين، فحكى الوجيه بن منجا[١]: إن الذي حمل إلى خزانة قازان. ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف سوى التراسيم فيكون نحو الربع من ذلك، واتصل إلى ( )[٢] شيخ الشيوخ فرتب الستمائة ألف، وأسروا من الصالحية نحو الأربعة آلاف نسمة، وقتلوا بها نحو الثلثماية أكثرهم في التعذيب على المال، ودخل الباقون في جوع وعري وبرد مفرط، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فلقد جرى ما لا يُعَبَّر عنه، وَغَلَتْ الأسعار، وافتقر خلق، ثم ترحَّلَتْ التتار من الشام بالسبي والمكاسب وقد استغنوا، وجعلوا قبجق نائبهم بدمشق، ومعه بكتمر السلحدار، وعجزوا عن القلعة سلّمها الله بعزم متولّيها الأمير علم الدين أرجواش[٣] والله يرحمه، ودامت التتار بالشام نحو أربعة أشهر، ثم إن السلطان أيّده الله دَخَل مصر بجيوشه المصرية والشامية، وقد ذهب رخم[٤] وأثقالهم وتلفت أكثر خيلهم وتضعضعوا كثيراً، ونقصوا وتفرقوا، ففتح بيوت الأموال، وأنفق في الجيش نفقة ما سمع بمثلها قط، كان يعطي الجندي خمسين ديناراً، فشرعوا في شراء ما يصلحهم من الخيل والعدد، حتى بيع الشيء بأضعاف أمثاله، ثم خرجت العساكر إلى الشام مع سلار، فبادر إلى خدمته قبجق وبكتمر والبكي، فصفح عنهم السلطان، وأعطى قبجق الشوبك، فذهب إليها، وقدم جيش دمشق ونائبها الأفرم في عاشر شعبان، ثم قدمت جيوش مصر مع سلار والحسام استاددار وأمير سلاح / ٣٨٣/ فنزلوا بالمرج، ثم إنهم رجعوا بعد شهر.

وفيها: مات خلق من مشايخ دمشق منهم:

المسند شرف الدين أحمد[٥] بن هبة الله بن عساكر وله خمس وثمانون سنة.

---

(١) انظر كلامه في البداية والنهاية ١٤/ ٩.

(٢) كلمة غير مفهومة.

(٣) أرجواش، الأمير علم الدين سنجر المنصوري نائب قلعة دمشق من أيام المنصور، دافع عنها التتار ببسالة، توفي سنة ٧٥١هـ. انظر: الوافي بالوفيات ٨/ ٣٢٨ والدرر الكامنة ١/ ٣٤٩.

(٤) كذا في الأصل: ولم أفهم لها معنى.

(٥) انظر ترجمته في تاريخ علماء بغداد للسلامي ص٣٢ وشذرات الذهب ٥/ ٤٤٥ والبداية والنهاية

=

وقاضي الشام إمام الدين عمر[١] بن عبد الرحمن القزويني الشافعي، مات منجفلاً بمصر وله ست وأربعون سنة.

والأمير الكبير فخر المحدثين مقدم الجيوش، علم الدين سنجر[٢] الدواداري الصالحي وهو في عشر الثمانين.

ونائب طرابلس سيف الدين[٣] كرت المنصورين استشهد بوادي الخزندار.

وشيخ المغرب الواعظ القدوة أبو محمد عبد الله[٤] بن محمد المرجاني بتونس.

سنة سبعمائة:

كثرت[٥] الأراجيف لمجيء التتار وانجفل الناس، واشتد الأمر ووصل السلطان إلى العريش، ووصل غازان إلى حلب، مستهل جمادى الأولى، والناس في حال لا يعلمها إلا الله، ثم وصل بكتمر السلحدار بألف فارس ورجع السلطان، وانجفل الغني والفقير، ومروا إلى دمشق في الأسواق، ويقول[٦]: لعودكم؟ من قدر على السفر فليبادر، ثم نودي بذلك في دمشق، وصاح النساء والأطفال، وأُغْلق البلد، وازدحم الخلق بالقلعة، واقتسموا طرقها بالسير، ثم بعد يومين خرجوا من شدّة الحرج والضنك، وسافر أعيان البلد.

وفي تاسع عشر الشهر: وقع نزل حماة عبارة التتار فكسروهم، وقتلوا نحو مائة، وصَحَّتْ الأخبار برجوع قازان من حلب، فَبَلَعَ الناس ريقهم. وترجّوا كشف الضرّ من الله. وهلك عدد كبير من التتار بحلب من الثلج والغلاء وغلا اللحم بدمشق حتى بيع الرطل بتسعة دراهم، ثم دخل الأفرم والأمراء من المرج بعد أن أقاموا به أربعة أشهر.

وفي شعبان: ألبس النصارى واليهود بمصر والشام العمائم الزرق والصفر واستمر ذلك.

وفيها: /٣٨٤/ توفي بدمشق المسندون: عز الدين إسماعيل بن عبد الرحمن بن

= ١٤/ ١٣ والنجوم الزاهرة ٨/ ١٩٠.

(١) انظر ترجمته في الشذرات ٥/ ٤٥١ والبداية والنهاية ١٤/ ١٣.

(٢) انظر: شذرات الذهب ٥/ ٤٤٩.

(٣) شذرات الذهب ٥/ ٤٤٩.

(٤) شذرات الذهب ٥/ ٤٥١ وعيون التواريخ ص٢٨٤ والعبر ٥/ ٤٠٨.

(٥) انظر: شذرات الذهب ٥/ ٤٥٥ والمختصر ٤/ ٤٥ والبداية والنهاية ١٤/ ١٤.

(٦) من الواضح أن بضعة كلمات سقطت قبلها. وفي البداية والنهاية ونادى ابن النحاس متولي البلد في الناس: من قدر على السفر فلا يقعد بدمشق.

الفراء المرادي[١]، وعز الدين أحمد بن العماد بن عبد الحميد المقدسي[٢]، وأبو الحجاج يوسف بن أحمد الغسولي[٣].

والأمير عز الدين أيدمر[٤] الذي كان نائب دمشق في دولة الظاهر.

سنة إحدى وسبع مائة إلى سنة عشر وسبع مئة

سنة إحدى وسبعمائة:

في صفر: خُنق شيخ الحنفية العلامة ركن الدين عبد الله بن محمد السمرقندي مدرس الظاهرية، وأُلْقي في بركتها، وأُخِذ ماله، ثم ظهر قاتله أنه قيم الظاهرية فشنق على حائطها.

وفي ربيع الأوّل: ثبت على قاضي مادين ونُقل ثبوته إلى قاضي حماة أنه وقع هناك برد عظيم على صورة حيات وعقارب وطيور ورجال وسباع.

وفي جمادى الأولى: مات أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله أبو العباس، ودفن عند السيدة نفيسة، وكان خلافته أربعين سنة وأشهراً[٥].

خلافة المستكفي بالله[٦]:

أمير المؤمنين عهد إليه بالأمر، أبوه الحاكم بأمر الله وقرأ تقليده بعد عزاء والده، وخطب له على المنابر.

وفي جمادى الآخرة: توفي المسند الفقيه تقي الدين أحمد[٧] المحدث بن عبد الرحمن بن موسى الصالحي، وله أربع وثمانون سنة.

---

(١) إسماعيل بن عبد الرحمن بن عمر المرادي، الصالحي الحنبلي، المعروف بابن الفراء، انظر شذرات الذهب ٥/ ٤٥٥.

(٢) أحمد بن العماد عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة، المقدسي الصالحي، الحنبلي، عز الدين أبو العباس، انظر ترجمته في: شذرات الذهب ٥/ ٤٤٥ والوافي بالوفيات ٧/ ٣٣ ومعجم الألقاب ٤: ١/ ٥.

(٣) المعروف بابن غالية، انظر ترجمته في الوافي بالوفيات ٧/ ٩٢ وشذرات الذهب ٥/ ٤٥٨.

(٤) عز الدين الظاهري، أيدمر ـ الأمير الكبير، انظر: الشذرات ٥/ ٤٥٦.

(٥) أبو العباس أحمد بن أبي يحيى بن أبي بكر المسترشد بالله العباس، انظر: الشذرات ٦/ ٢ وتاريخ الخلفاء ص٤٨٣ والمختصر ٤/ ٤٦ والبداية والنهاية ١٤/ ١٨.

(٦) سليمان بن أحمد، أبو الربيع، المستكفي بالله العباس، انظر المختصر ٤/ ٤٦.

(٧) ترجمته في شذرات الذهب ٦/ ٣ والدرر الكامنة ١/ ١٦٨ والوافي ٧/ ٤٦ وفيها كلها: أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المؤمن.

وفي رمضان: توفّي المحدث الإمام أبو الحسين علي[١] بن محمد اليونيني ببعلبك شهيداً من جرح في دماغه، وثَبَ عليه مجنون بسكين، وعاش إحدى وثمانين سنة.

وفيها: جاء جراد إلى دمشق لم يسمع بمثله ترك غالب الغوطة عصا مجردة ويبست أشجار لا تحصى.

وفي ذي الحجة: مات مسند الديار المصرية أبو المعالي أحمد[٢] بن إسحاق الأبرقوهي بعد قضاء نسكه، وله أربع وثمانون سنة.

سنة اثنين وسبعمائة:

في صفر: فتحت[٣] جزيرة أرواد، وهي بقرب أنطرسوس، وحوصرت يوماً وقتل بها عدة من الفرنج نحو الألفين /٣٨٥/ ومروا على دمشق بالأسرى قريباً من خمسمائة أسير.

وفي صفر: مات قاضي القضاة، بقية الأعلام محمد[٤] بن علي بن دقيق العيد بالقاهرة وله سبع وسبعون سنة.

وفي شعبان: عدت[٥] التتار الفرات، وانجفل الناس، وخرج السلطان أيّده الله بجيوشه المنصورة من مصر.

وفي عاشره[٦]: كان المصاف بعُرْض[٧] بين التتار وبين المسلمين. كان المسلمون ألْفاً وخمسمائة وعليهم اسندمر[٨]، وغرلو[٩] العادلي وبهادرآص. وكان التتار نحو من أربعة آلاف، فانكسروا، وقُتل منهم خلق كبير، وأُسر مقدمهم.

---

(١) علي بن أحمد بن محمد بن أحمد اليونيني الحنبلي، انظر ترجمته في الشذرات ٦/ ٣.

(٢) أحمد بن إسحاق بن المؤيد، الأبرقوهي، نسبة إلى أبرقوه بلدة بأصفهان، انظر ترجمته في: شذرات الذهب ٦/ ٤ والدرر الكائنة ١/ ١٠٩ والوافي ٦/ ٢٤٢ والنجوم الزاهرة ٨/ ١٩٨.

(٣) انظر: المختصر ٤/ ٤٧ والبداية والنهاية ١٤/ ٢١.

(٤) محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القشيري، المنفلوطي، الشافعي، المالكي، المصري المعروف بابن دقيق العيد، انظر ترجمته في: شذرات الذهب ٦/ ٥ والوافي بالوفيات ٤/ ١٩٣ والبداية والنهاية ١٤/ ٢٧.

(٥) انظر: المختصر ٤/ ٤٩.

(٦) انظر الخبر في المختصر ٤/ ٤٨ والنجوم الزاهرة ٨/ ١٥٧.

(٧) عُرْض: بليدة في برية الشام يدخل في أعمال حلب، وهو بين تدمر والرصافة الهشامية (معجم البلدان/ ١٠٣) وفي المختصر أن الوقعة كانت: على الكوم قريباً من عرض.

(٨) اسندمر كرجي نائب طرابلس، تفى سنة ٧٢١هـ. في الدرر الكامنة وفي المنهل الصافي أنه توفي سنة ٧١١هـ.

(٩) كذا في الأصل، وهي كما في النجوم الزاهرة: إغزلو العادلي.

ثم دخل من المصريين خمس تقادم عليهم الجاشنكيز والحسام استاذدار. ثم دخل بعدهم ثلاثة آلاف عليهم أمير سلاح ويعقوبا وأيبك الخزندار، ثم أتى عسكر حلب وحماة تقهقر من التتار، وجمعت العساكر إلى الحسودة واختبط الناس، واختنق في باب دمشق غير واحد، وهرب الخلق، وبلغتْ القلوب الخناجر، ووصل السلطان إلى الغور، وامتلأت الطرقات والأزقة بأهل البر ومواشيهم، وغلقت الأبواب، واشتدَّ الخطب، وضَجَّ الخلق إلى الله، وأيسوا من الحياة واستهل رمضان ليلة الجمعة، وتعلقت الآمال ببركة الشهر، وأصبح الناس وأخبار الجيوش معماة عليهم، ثم بعد الجمعة وَصَلتْ إلى المرج، وساروا إلى جهة الكسوة، وبعدوا عن دمشق بكرة السبت، وغلب على الظنون أن اليوم تكون الوقعة، فابتهل الناس بالدعاء والاستغاثة بالله في الأسواق والجامع، وطلعت النساء والأطفال إلى الأسطحة مكشفين الرؤوس يجأرون إلى الله، ويبكون ويسألونَهُ ويتذلّلون وهم صائمون، قمت ساعة قبل الظهر لا يمكن أن يُعبَّر عنها، وليس الخبر كالمعاينة، ثم بعدها حَصَلَ في النفوس سكينة وثقة بالله بأن الله لا يردّهم / ٣٨٦/ خائبين، ونزل بالحال مطر عظيم ثم بعد الظهر وقعت البطاقة بوصول الركاب الشريف، واجتماع الجيوش المحمدية بمرج الصفر، ثم وقعت بطاقة تتضمَّن طلب الدعاء وحفظ أسوار البلد، وبعد الظهر وقع المصاف، والتحم الحرب، فحملت التتار على الميمنة فكسرتها، واستشهد مقدمها الحسام، وثبت السلطان كعوائده، ومن العصر استمر القتال والنزال حتى دخل الليل. وردّت التتار من حملتها على الميمنة بغلس، وقد كلّ حدّهم، فتعلّقوا بالجبل المانع. وطلع الضوء من بكرة الأحد والمسلمون محدقون بالتتار. فلم يكن ضحوة إلاّ وقَدْ ركن التتار إلى الفرار وولّوا الأدبار، ونزل النصر، ودقّت البشائر، وزيّن البلد فأين غمرة السبت من سرور يوم الأحد. فوالله ما ذقنا يوماً أحلى منه، ولا أمرّ من الذي قبله، وكان التتار نحواً من خمسين ألْفاً عليهم قتلغ شاه نائب قازان، ورجع قازان من حلب في ضيق صدره من كسرةِ أصحابه يوم عرض، ثم أخزاه الله بهذه الكائنة العظمى التي رجع فيها إليه من جيوشه نحو الثلث في حفاء وجوع وذلّ لا يُعبّر عنه، وتمزقوا لبعد المسافة، ويخطفهم أهل الحصون. ووصل السلطان والخليفة بالنصر والظفر، وساق وراء المنهزمين سلار وقبجق إلى القريتين، واستشهد حسام الدين لاجين الرومي استاددار وكان شهماً مهيباً مليح الشيبة، من أبناء السبعين، والأمير علاء الدين الجالي[1] شيخ، مهيب، كردي، من أمراء دمشق، والأمير حسام الدين بن قرمان وسنقر الشمسي الحاجب، وشمس

---

(١) في الشذرات: الحاكي.

الدين سنقر الكافري، وكانا من أمراء الميمنة وعز الدين محمود بن يعقوبا، وصلاح الدين ولد الملك الكامل.

وسافر السلطان في حفظ الله بعد العيد، وفي يوم الأضحى توفي الملك العادل زين الدين كتبغا[١] المنصوري صاحب حماة ثم نقل إلى تربته بسفح قاسيون، وعاش بضعاً /٣٨٧/ وخمسين سنة. وكان فيه شجاعة ودين وخير، وحسن خلق.

وفي ذي الحجة: كانت الزلزلة العظمى[٢] بمصر والشام، وكان تأثيرها بالإسكندرية أعظم من غيرها، ذهب تحت الردم بها عدد كثير، وطلع البحر إلى نصف البلد، وأخذ الجمال والرجال، وغرقت المراكب، وسقطت بمصر دور لا تحصى.

سنة ثلاث وسبعمائة:

في المحرم: توفي الشيخ الإمام القدوة الزاهد الكبير، وليّ الله الشيخ إبراهيم[٣] بن أحمد الرقي بدمشق، وكانت جنازته مشهودة، وحُمِل على الرؤوس وعاش بضعاً وخمسين سنة.

وفي صفر: مات خطيب دمشق[٤]، شيخ دار الحديث زين الدين عبد الله بن مروان الفارقي، وله سبعون سنة.

وفيها: قدم[٥] أمير سلاح في ثلاثة آلاف، وسار معه عسكر من دمشق، وقجق في عسكر حماة، واسندمر في عسكر الساحل، وقراسنقر في عسكر حلب، فنازلوا تل حمدون[٦]، وأخذوها، ودخل بعضهم الدربند وأغاروا نهبوا وأسروا خَلْقاً، وضُربت البشائر.

وفي شوال: مات[٧] صاحب العراق غازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو بقرب همدان مسموماً، وكان شاباً لم يكتهل، وتملك بعده أخوه خربندا محمد.

---

(١) انظر: المختصر ٤/ ٤٩ والشذرات ٦/ ٥ والبداية والنهاية ١٤/ ٢٧ والنجوم الزاهرة ٨/ ٢٠٦.

(٢) تاريخ الخلفاء ٤٨٤ والبداية والنهاية ١٤/ ٢٧ والنجوم الزاهرة ٨/ ٢٠١.

(٣) أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن معالي بن محمد بن عبد الكريم الرَّقي، الحنبلي، انظر ترجمته في الشذرات ٦/ ٧ والوافي بالوفيات ٥/ ٣١٣ والدرر الكامنة ١/ ١٤ والبداية والنهاية ١٤/ ٢٩.

(٤) الأصل: القدس دمشق، وانظر ترجمة زين الدين عبد الله بن مروان بن عبد الله بن فيروز الفارقي الشافعي في: شذرات الذهب ٦/ ٨ والوافي بالوفيات ١٧/ ٦٠٢ ومرآة الجنان ٤/ ٢٣٩ والبداية والنهاية ١٤/ ٣٠ والدرر الكامنة ٢/ ٤١١.

(٥) انظر: المختصر ٤/ ٥١.

(٦) تل حمدون من بلاد سيس، وانظر الخبر في الشذرات ٦/ ٧.

(٧) انظر: المختصر ٤/ ٥٠ والشذرات ٦/ ٩.

سنة أربع وسبعمائة:

توفي المسند المعمر ركن الدين أحمد[1] بن عبد المنعم الطاووسي القزويني الصوفي، وله مائة سنة وثلاث سنين.

ومحدث الإسكندرية تاج الدين علي[2] بن أحمد الحسيني العراقي وله سبع وسبعون سنة.

سنة خمس وسبعمائة:

فيها: نازل نائب دمشق[3] بعساكره جبل الجرد[4] وقهرهم وأذلّهم، وهم روافض فتكوا بالجيش وقت الهزيمة، وعملوا كلَّ قبيح.

وفي شوال: توفي خطيب دمشق ونحويها الشيخ شرف الدين أحمد[5] بن إبراهيم بن سباع الفزاري أخو شيخنا تاج الدين وله خمس وسبعون /٣٨٨/ سنة. وحافظ العصر العلامة شرف الدين عبد المؤمن[6] بن خلف الدمياطي بالقاهرة وله إثنان وسبعون سنة.

سنة ست وسبعمائة:

فيها: توفي مقدم الجيوش قائد الغزاة بدر الدين بكتاش[7] الصالحي أمير سلاح وقد نيّف على السبعين أو الثمانين، وكان موصوفاً بالشجاعة والخير.

وخطيب دمشق شمس الدين محمد[8] بن أحمد بن عثمان الخلاطي ابن إمام

---

(١) أحمد بن عبد المنعم بن أبي الغنائم، القزويني، الطاووسي ركن الدين، كبير الصوفية بدمشق، ترجمته في شذرات الذهب ٦/ ١٠ والوافي بالوفيات ٧/ ١٥٨ والدرر الكامنة ٢/ ١٩٣.

(٢) علي بن أحمد بن عبد المحسن، الحسيني، القرافي، تاج الدين، نسبة إلى نهر القراف تحت واسط، انظر: الشذرات ٦/ ١٠ والدرر الكامنة.

(٣) هو جمال الدين آقوش الأفرم.

(٤) في المختصر: جبال الظنينين وانظر الخبر في البداية والنهاية ١٤/ ٣٥.

(٥) أحمد بن إبراهيم الشافعي، الفزاري، المولود بدمشق سنة ٦٣٠هـ، انظر: الشذرات ٦/ ١٢ والبداية والنهاية ١٤/ ٣٩ والنجوم الزاهرة ٨/ ٢١٧.

(٦) عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف الدمياطي، الشافعي، المولود سنة ٦١٣هـ، انظر: الشذرات ٦/ ١٢ والوافي بالوفيات ١٩/ ٢٣٩ والدرر الكامنة ٣/ ٣٠ وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٧٧ ومرآة الجنان ٤/ ٢٤١ والبداية والنهاية ١٤/ ٤٠ والنجوم الزاهرة ٨/ ٢١٨.

(٧) انظر المختصر ٤/ ٥٣ والوافي ١٠/ ١٨٨ والنجوم الزاهرة ٨/ ٢٢٤.

(٨) انظر ترجمته في: شذرات الذهب ٦/ ١٤ والوافي بالوفيات ٢/ ١١٩ و ١٦٩ والدرر الكامنة ٣/ ٣٣٥.

الكلاسة فجأة وله اثنان وستون عاماً، وكان طيب الصوت إلى الغاية في المحراب وفيه صلاح وتعبّد.

سنة سبع وسبعمائة:

في أولها: ظلم[١] ملك التتار أهل جيلان، وألزمهم بفتح الطريق إلى بلادهم فامتنعوا، فجهّز لحربهم أربعين ألفاً مع خطلوشاه. وعشرون ألفاً مع جوبان فنزل خطلوشاه بعسكره في صحراء الجيلان، ففتح أهلها سكراً يعرفونه من البحر على التتار. وألْقوا النيران في تلك الشعاب، فكادوا يغرقون ويحرقون، وثارت عليهم شطار الجيلانيين فقتلوا أيضاً منهم مقتلة عظيمة، وجاء في خطلوشاه سهم قتله فلله الحمد.

سنة ثمان وسبعمائة:

في رمضان: ذهب[٢] السلطان أيّده الله إلى الكرك مظهراً للحج، فأقام بالكرك وأمر نائبها بالتحوّل إلى مصر، وعند دخوله انكسر جسرها، فوقع نحو خمسين مملوكاً[٣] إلى الوادي، مات منهم أربعة[٤]، وتكسّر جماعة، وأعرض السلطان عن أمر مصر، فوثب بها بعد أيام ركن الدين الجاشنكير على السلطنة، وخطب له وركب بخلعة الخلافة والتقليد بمشورة /٣٨٩/ الأمراء عندما جاءهم كتاب الملك الناصر يأمرهم باجتماع الكلمة، ولقب الجاشنكير بالملك المظفر.

وفيها: مات في ذي الحجة مسند دمشق أبو جعفر محمد[٥] بن علي الموازيني وله أربع وسبعون سنة.

سنة تسع وسبعمائة:

في رجب: خرج[٦] مولانا السلطان من الكرك قاصداً إلى دمشق ليعود إلى ملكه وكان قد ساق إليه من مصر مائة وسبعون فارساً، مساس أهل دمشق ودخلوا من

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٤/ ٤٤.
(٢) الخبر في المختصر ٤/ ٥٤ والبداية والنهاية ١٤/ ٤٧.
(٣) في المختصر ٤/ ٥٥: سقط من مماليك مولانا السلطان خمس وثلاثون إلى الخندق وسقط غيرهم من أهل الكرك.
(٤) في المختصر: ولم يهلك منهم غير واحد.
(٥) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٦/ ١٨ والوافي بالوفيات ٤/ ٢١٣ والدرر الكامنة ٤/ ٦٣ والبداية والنهاية ١٤/ ٤٩.
(٦) انظر الخبر مفصلاً في البداية والنهاية ١٤/ ٥١.

الحواضر، فوصل مملوك السلطان إلى الأفْرم بأن السلطان قد وصل إلى الخمان[١] فقوى ملك الأمراء نفسه معرفة، فأسرع إلى خدمة السلطان بيبرس المجنون وبيبرس العلمي. ثم ذهب بهادراص إلى السلطان ليكشف القضية، فوجد السلطان قد ردّ. ثم بعد أيام ركب السلطان، وقَصَدَ دمشق، وكان قد مضى إليه سيف الدين قطلبك والحاج بهادر فخاف نائب دمشق جمال الدين الأفرم، وهمَّ بالهرب، ثم أرسل الجاولي والزردكاش، إلى باب السلطان لإصلاح أمره، والاعتذار عما بَدَا منه، ثم قلق الأفرم ونزح بخواصه عن دمشق وسلك إلى شقيف أربون، وخلا قصر السلطان، فبادر بيبرس العلالي وامتحنا المشد وأمير علم في إصلاح الخير والعصاب واهبة السلطنة الشريفة فإن السلطان كان قد ردّ جميع هذا إلى مصر، ثم جاء الأمان إلى الأفرم، وتسارع الأمراء لتلقي الركاب الشريف، ودعي له على المنابر، وزينت البلد، واكريت الأسطحة للفرجة على دخول السلطان بأغلى ما يمكن. وحصل لأهل دمشق من السرور أمر كبير، فعبر مولانا السلطان قبل الظهر في دست السلطنة بحسب الإمكان، وفتح له باب السر[٢] وقبل الأرض نائب القلعة[٣] فولى رأس فرسه إلى ناحية القصر، فنزل. وبعد أربعة أيام / ٣٩٠/ جاء إلى الخدمة الأفرم فأكرمه السلطان. وأمره بمباشرة السلطنة، ثم بعد يومين وصل نائب حماة قفجاق. ونائب طرابلس اسندمر، فتلقاهما السلطان. وأعاد السلطان قاضي القضاة تقي الدين الحلبي وخلع عليه، وكان قد عزله الجاشنكير من نحو ثلاثة أشهر بشهاب الدين ابن الحافظ.

وفي ثامن وعشرين شعبان: وصل نائب حلب إلى الخدمة وهو قراسنقر وتواصلت عساكر الشام كلّها إلى الركاب الشريف، ثم خرج السلطان لقصد الديار المصرية في تاسع رمضان ومعه القضاة والأكابر ونواب الشام في هيئة عظيمة ثم دخل غزة، وكان يوم دخولهِ يوماً مشهوداً، وجاء عدّة أمراء وأخبروا بنزول الجاشنكير عن السلطنة، ،إنّه طلب مكاناً يأوي إليه، وهرب من مصر مغرباً، وهرب عنها نائب السلطنة سلار مشرقاً، وضُربت البشائر ببلاد الإسلام، وعملت الزينة، وجلس السلطان على تخْتِ ملكه يوم عيد الفطر ولله الحمد بلا ضربة ولا طعنة، وقبض على عدّة أمراء أُولي طيش وذعارة كل واحد منهم لا يقع إلا بالملك، فأهلك بعضهم كالمخلوع ونائبه، ولم

(١) في المختصر: قرية قريب من رأس الماء.
(٢) كلمة غير مفهومة، وفي البداية والنهاية: نصب له الجسر. والتصويب عن النجوم الزاهرة ٩/ ٧.
(٣) هو الأمير سيف الدين السنجري كما في البداية والنهاية ١٤/ ٥٢.

ينتطح فيها عنزان، وقرر الأفرم بصرخد، واستناب بمصر سيف الدين بكتمر أمير جندار وبدمشق قراسنقر المنصوري.

وفي شوال: هاجت[(١)] القيسية واليمانية بحوران، وحشدوا، وبَلَغَتْ المقتلة أَلْف نفس مقرب السويداء.

وقدم[(٢)] قفجق المنصوري على نيابة حلب والحاج بهادر على نيابة طرابلس.

سنة عشرة وسبعمائة:

في المحرم: وصل اسندمر على نيابة حماة.

وفيها: صرف[(٣)] ابن جماعة عن قضاء الديار المصرية، وولي جمال الدين /٣٩١/ الزرعي، وصرف السروجي[(٤)]، وطلب القاضي شمس الدين بن الحريري فولي به قضاء الحنفية.

فتوفي شمس الدين السروجي بعد أيام قليلة، ومات بطرابلس الحاج بهادر[(٥)] وقد شاخ، ومات بحلب نائبها قفجق المنصوري بإسهال مفرط، ثم ناب بحلب اسندمر، وناب بحماة عماد الدين إسماعيل[(٦)] بن علي بن صاحب حماة المظفر محمود، وناب بطرابلس الأفرم وتحوّل من صرخد إليها.

وفي رمضان: مات بتبريز عالم تلك الديار الشيخ قطب الدين محمود[(٧)] بن مسعود الشيرازي صاحب التصانيف وهو في عشر الثمانين.

ومسند مصر العمر بهاء الدين علي[(٨)] بن عيسى بن رمضان بن القيم وله سبع

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٤/ ٥٥.
(٢) البداية والنهاية ١٤/ ٥٥.
(٣) انظر البداية والنهاية ١٤/ ٥٨.
(٤) قاضي القضاة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الغني السروجي الشافعي، توفي سنة ٧١٠هـ، انظر شذرات الذهب ٦/ ٢٣ والنجوم الزاهرة ٩/ ٢١٢.
(٥) بهادر، الحاج المنصوري، الأمير، سيف الدين، نائب طرابلس، انظر ترجمته في الوافي بالوفيات ١٠/ ٢٩٥ والنجوم الزاهرة ٩/ ٢١٦.
(٦) الملك المؤيد إسماعيل بن علي بن محمود ين محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شاذي، تولى نيابة حماة سنة ٧١٠ هـ. ، ثم تولى حماة سنة ٧٢٠ هـ. ، وتوفى سنة ٧٣٢ هـ. ، وكان أديباً عالماً، وهو صاحب كتاب المختصر في أخبار البشر، وتقويم البلدان، انظر ترجمته في شفاء القلوب ص٤٥٨ والوافي ٩/ ١٧٣ والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٩٢ وفوات الوفيات ١/ ٢٨ والدرر الكامنة ١/ ٣٧١ وشذرات الذهب ٦/ ٩٨.
(٧) في الأصل: قطب الدين بن محمود. انظر ترجمته في الوافي ٢٥/ ٣٦٢ وتلخيص مجمع الآداب ٢/ ٧١٦ والمختصر ٤/ ٦٥ والنجوم الزاهرة ٩/ ٢١٣.
(٨) علي بن عيسى بن سليمان بن رمضان، التغلبي المصري الشافعي، انظر: الوافي ٢١/ ٣٧١.

وتسعون سنة.

سنة إحدى عشرة وسبع مئة إلى سنة عشرين وسبع مئة

سنة إحدى عشرة وسبعمائة:

في أوّلها: نُقل قراسنقر من دمشق إلى نيابة حلب. وولي كراي[١] المنصوري دمشق.

وفي ربيع الأول: أُعيد ابن جماعة إلى قضاء الديار المصرية، وتقرر الزرعي عن[٢] المصروف قضاء العساكر ومدارس.

وفي جمادى الأولى: عزل[٣] عن نيابة دمشق كراي، وقُيّد، ومسك خطلُبك نائب صَفَد وحبسا بالكرك، وقبض قبلهما على اسندمر من حلب، وسجنوا بالكرك، ثم ناب بدمشق جمال الدين أقوش الأشرفي الذي كان نائب الكرك.

وفيها: توفي الحافظ البارع قاضي القضاة سعد الدين مسعود[٤] بن أحمد الحارثي الحنبلي.

سنة اثنتي عشرة وسبعمائة:

في أولها: سحب من دمشق عز الدين الزردكاش وبلبان الدمشقي، وأمير ثالث إلى الأفرم نائب طرابلس، ثم ساقوا بمماليكهم إلى قراسنقر المنصوري وكان قد سبقهم، وأقام بالبريّة في ذمام مهنا، فاحتيط على أموالهم وأملاكهم ثم عبروا الفرات إلى خدمة خربندا / ٣٩٢/ ملك التتار، فاحترمهم وأقبل عليهم.[٥]

وفي ربيع الأول: طلب نائب دمشق جمال الدين الكركي فراح على البريد.

---

(١) ويقرأ كرية المنصوري، انظر: المختصر ٤/ ٦٤ وانظر ترجمته في الوافي ٢٤/ ٣٣١ والدرر الكامنة ٣/ ٣٥٢ والبداية والنهاية ١٤/ ٦١.

(٢) كذا وردت في الأصل، وفي العبارة اضطراب.

(٣) انظر البداية والنهاية ١٤/ ٦٢.

(٤) سعد الدين، أبو محمد وأبو عبد الرحمن مسعود بن أحمد بن مسعود، المحدث، الحافظ، قاضي قضاة الحنابلة بمصر، انظر: شذرات الذهب ٦/ ٢٨ والوافي بالوفيات ٢٥/ ٥٣٧ وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٩٥ ومرآة الحيان ٤/ ٢٥١ والبداية والنهاية ١٤/ ٦٤ والدرر الكامنة ٥/ ١١٦ والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٢١.

(٥) انظر الخبر في المختصر ٤/ ٦٦ والبداية والنهاية ١٤/ ٦٥.

وفيها: مات صاحب ماردين الملك المنصور غازي[(١)] بن المظفر قرا أرسلان الأرتقي في عشر السبعين، وكانت دولته نحو من عشرين سنة، فولى بعده أخوه الملك الصالح[(٢)].

وفيها: مسك[(٣)] نائب حمص بيبرس العلائي، ومن دمشق بيبرس المجنون وطوغان وبيبرس التاجي، وسيف الدين كشلي والبرواني، فحبسوا في الكرك، ومُسك بمصر جماعة.

وفي ربيع الآخر: قدم[(٤)] ملك الأمراء سيف الدين تنكز الناصري على نيابة الشام، وحضر يوم الجمعة إلى الجامع الأموي، وأوقد له الشمع. وكثر دعاء الرعية له، وولي نيابة مصر الجناب العالي سيف الدين أرغون الناصري الدويدار.

وفيها: مات مسند مصر الصالح أبو الحسن[(٥)] علي بن محمد بن هرون التغلبي المحدث، وله ستّ وثمانون سنة.

وفي أوائل رمضان: قويت[(٦)] أراجيف مجيء التتار، وانجفل الناس ودخل أهل الغوطة. ونازل[(٧)] خربندا بجيوشه بلد الرحبة. فحاصروها ثلاثة وعشرون يوماً، جدّوا في القتال خمسة أيام، ورموها بالمجانيق، وأخذوا الثقوب، ثم أشار رشيد الدولة المسلماني على خربندا بالعفو، وعلى أهلها أن ينزلوا إلى خدمة الملك، فنزل قاضيها وجماعة، وأهدوا لخربندا خمسة أفراس وعشرة أباليج سكر، فرحل منهم، وحلّفهم على أنهم طائعين له، وأما أهل الشام فانجفلوا من كل ناحية لتأخر الجيش المنصوري[(٨)]. ثم جاءت الأخبار في آخر رمضان برحيل التتار وحصل الأمن، وضُرِبت البشائر، /٣٩٣/ وأما السلطان، فإنه عيّد وخرج إلى الشام فوصل إلى دمشق في ثالث

---

(١) انظر: المختصر ٤/ ٦٧ والشذرات ٦/ ٣١ والبداية والنهاية ١٤/ ٦٨.

(٢) ملك بعده ابنه الإلبي الملك العادل عماد الدين علي نحو ثلاثة عشر يوماً، ثم مات، قيل سمّ، فملك عمّه شمس الدين صالح وتلقّب بالملك الصالح: الشذرات ٦/ ٣١، والمختصر ٤/ ٦٧.

(٣) انظر البداية والنهاية ١٤/ ٦٥.

(٤) البداية والنهاية ١٤/ ٦٥.

(٥) انظر ترجمته في: شذرات الذهب ٦/ ٣٠، والوافي بالوفيات ٢٢/ ١٥٢ وفيه وفي مصادر أخرى الثعلبي والبداية والنهاية ١٤/ ٦٨ والدرر الكامنة ١٣/ ١٢١.

(٦) انظر البداية والنهاية ١٤/ ٦٦.

(٧) انظر خبر حصار الرحبة في المختصر ٤/ ٦٩ والبداية والنهاية ١٤/ ٦٦.

(٨) بعدها أربع كلمات غير مفهومة.

وعشرين شوال، فكان دخوله يوماً مشهوراً فأقام بالقلعة يومين وتحوّل إلى القصر، ثم صلى الجمعة بجامع دمشق، وعمل دار العدل بحضور القضاة والدعاء له.

وفي شوال: مات بمصر المسند زين الدين حسن[١] بن عبد الكريم سبط زيادة[٢] وله خمس وتسعون سنة.

وفي ثاني ذي القعدة: توجّه[٣] السلطان أيّده الله بنصرِهِ إلى الحج.

وفيها: مات ملك القفجاق طقططاي[٤] وله ثلاثون سنة. وقد جلس على سرير الملك وله سبع سنين، مات على الشرك، وكان له ابن قد أسْلَم فمات قَبْلَهُ، وتسلْطَنَ بَعْدَهُ أزبك خان[٥]، وهو شاب مسلم موصوف بالشجاعة ومملكته واسعة مسيرة ستة أشهر لكنها قليلة المدائن.

سنة ثلاث عشرة وسبعمائة:

يوم حادي عشر المحرم: وصل[٦] زين الحاج مولانا السلطان الملك الناصر إلى دمشق، وصلّى بجامعها جمعتين، ثم سافر إلى مصر.

وفي ذي القعدة: توفي بحلب المعمر علاء الدين بيبرس[٧] التركي العديمي وقد نيّف على التسعين.

وكان روك[٨] أقطاعات الجيوش.

---

(١) حسن بن عبد الكريم ب عبد السلام، الفخاري، المصري، المالكي، انظر: شذرات الذهب ٦/ ٣٠ والوافي بالوفيات ١٢/ ٧٣ والدرر الكامنة ٢/ ١٩ وحسن المحاضرة ١/ ١٦٤.

(٢) هو الفقيه زيادة بن عمران كما في الوافي.

(٣) وانظر: المختصر ٤/ ٧٠.

(٤) وفي الشذرات: طقططية، وفي الدرر: طقطاي. وانظر النجوم الزاهرة ٩/ ٢٢٦.

(٥) أزبك القان بن طقطاي: أسلم وحسن إسلامه، وأسلم معه بعض رعيته، توفي سنة ٧٤٢هـ انظر ترجمته في الوافي بالوفيات ٨/ ٣٦٧ والدرر الكامنة ١/ ٣٥٤.

(٦) انظر الخبر في المختصر ٤/ ٧١ والبداية والنهاية ١٤/ ٦٨.

(٧) في الشذرات ٦/ ٣٢: ركن الدين بيبرس وانظر ترجمته في الوافي ١٠/ ٣٥١.

(٨) الروك: كلمة قبطية قد اصطلح على استعمالها للقيام بعملية قياس الأرض وحصرها في سجلات وتثمينها، أي تقدير درجة خصوبة تربتها لتقدير الخراج عليها. (عيون التواريخ (٦٨٨ ـ ٦٩٩هـ) ص٢٤٦. وانظر الخبر في النجوم الزاهرة ٩/ ٣٦.

سنة أربع عشرة وسبعمائة:

في رجب: توفي بحلب نائبها سيف الدين سودي[١]، وكان مشكور السيرة وولي بعده علاء الدين الطنبغا الصالحي الحاجب.

وفي رجب: مات بمصر شيخ الحنفية رشيد الدين إسماعيل[٢] بن عثمان بن المعلم الدمشقي، عن إحدى وتسعين سنة، وقد كان عرض عليه قضاء دمشق فامتنع.

وقدم[٣] سلطان جيلان، وهو شمس الدين دوباج ليحج فمات بغباغب من ناحية تدمر، ونقل فدفن بقاسيون. وعملت له تربة مليحة، وعاش أربعاً وخمسين سنة. وهو الذي رمى خطلوشاه بسهم فقتله، وانهزم / ٣٩٤/ التتار ولله الحمد.

سنة خمس عشرة وسبعمائة:

في أولها: سار المقر الشريف سيف الدين تنكز بجيش دمشق، ويقدمه ستة آلاف من عسكر المصريين، ثم سار من حلب على المصريين والشاميين لغزوِ ملطية[٤]، فصبحوها يوم الحادي والعشرين من المحرم، وإذا بأهلها قد تهيأوا للحصار والدفع عن أنفسهم، فلما عاينوا كثرة الجيوش المحمدية خرج متولي البلدة وقاضيه وجماعة يطلبون الأمان على أنفسهم وأموالهم فأعطاهم ملك الأمر الأمان لهم دون النصارى، ثم دخل الناس المدينة وقتلوا بها خلقاً من النصارى، وسبوا ونهبوا، وتعدى الأذى من أوباش الجيش إلى المسلمين، ثم ألقيت النار في خرائب ملطية، وأُخرب سورها، ثم ساروا بعد ثلاث بالغنائم، وقطعوا الدربند، وضُربت البشائر، وزينت البلاد.

وفي المحرم: مات بالموصل عالم تلك الأرض السيد ركن الدين حسن[٥] ابن شرف الحسيني الاسترابإذي، صاحب التصانيف، وكان من أبناء السبعين.

وفي شعبان: سار[٦] شطر جيش حلب لحصار قلعة عرمية من أعمال آمد، فتسلّموها بلا كلفة، وقتلوا بها طائفة، وساع أهو مدوه وعلق على القلعة. وأغار العسكر على قرى الأرمن والأكراد ورجعوا سالمين بالمكاسب.

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٤/ ٧٢ والمختصر ٤/ ٧٤ والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٢٩.
(٢) انظر ترجمة رشيد الدين في الشذرات ٦/ ٣٣ والوافي ٩/ ١٥٥ والدرر الكامنة ١/ ٣٦٩.
(٣) انظر: البداية والنهاية ١٤/ ٧١.
(٤) انظر خبر غزوها في المختصر ٤/ ٧٤ والبداية والنهاية ١٤/ ٧٣.
(٥) انظر ترجمته في الشذرات ٦/ ٣٥ والوافي ١٢/ ٥٤ وفيه: حسن بن شرف شاه، والدرر الكامنة ٢/ ١٦ ومرآة الجنات ٤/ ٢٥٥ والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٣١.
(٦) انظر البداية والنهاية ١٤/ ٧٤.

وفي ذي القعدة: مات فجأة قاضي القضاة تقي الدين سليمان[١] بن حمزة المقدسي الحنبلي. وله ثمان وثمانون سنة، وكان مسند الشام في وقته رحمه الله آخره والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه وسلم تسليماً كبيراً.

وفيها أيضاً: مات الأصولي صفي الدين محمد[٢] بن عبد الرحيم الأرموي. ثم الهندي بدمشق عن إحدى وسبعين / ٣٩٥/ سنة شيخ الشيوخ ومدرس الظاهرية.

وقدموا بابن شيخ حطين دمشق مسمراً على جمل بكونه حول منته الدولة التي أوصت امتثال أيدعدى شقير وبها داراص ونائب طرابلس أيْدمر الحاجب.

ومات قاضي الموصل كمال الدين موسى[٣] بن محمد بن العلامة كمال الدين موسى بن يونس.

وفيها: عملت دار الخشب سوقاً كبيراً وقيسارية مليحة للتجار.

ومات مسند مصر الشريف عز الدين موسى[٤] بن علي بن أبي طالب الموسوي عن ثمان وثمانين سنة. وروى عن مكرم والكبار.

ومات سلطان الهند صاحب دله[٥] علاء الدين محمود[٦]، وتملك بعده ابنه غياث الدين.

ودخلت سنة ست عشرة وسبعمائة:

مات الشيخ السيوفي بزاويته التي بقاسيون، وهو عز الدين عيسى بن شاه أرمن الرومي.

والمحدث الأديب علاء الدين علي[٧] بن المظفر الكندي، مؤلف التذكرة عن ست وسبعين سنة، وله نظم رائق.

وست الوزراء[٨] بنت عمر بن أسعد بن المنجا التنوخية، راوية الصحيح ومسند

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٦/ ٣٥ والوافي بالوفيات ١٥/ ٣٧٠ وفوات الوفيات ٢/ ٨٣ والدرر الكامنة ٢/ ٢٤١ والبداية والنهاية ١٤/ ٧٥.

(٢) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٦/ ٣٧ والبداية والنهاية ١٤/ ٧٤.

(٣) انظر ترجمته في الدرر الكامنة ٥/ ١٥٢.

(٤) موسى بن علي بن أبي طالب بن أبي عبد الله بن أبي البركات، العلوي، الحسيني، انظر ترجمته في: الدرر الكامنة ٥/ ١٥٠ وشذرات الذهب ٦/ ٣٦.

(٥) وتكتب أيضاً: دلي.

(٦) محمود بن سنجر: انظر ترجمته في الدرر الكامنة ٥/ ٩٤.

(٧) ويعرف بكاتب ابن وداعة، انظر ترجمته في الشذرات ٦/ ٣٩.

(٨) انظر ترجمتها في الشذرات ٦/ ٤٠ والوافي بالوفيات ١٥/ ١١٧ والدرر الكامنة ٢/ ٢٢٣ والبداية

الشافعي، وولها ثلاث وتسعون سنة، توفيت فجأة في شعبان.

وصدر الدين إسماعيل[١] بن يوسف بن مكتوم القيسي. وله ثلاث وتسعون سنة. تلا على السخاوي، وحدث عن ابن اللتي وتفرّد وعَمَّر.

وفيها: مات صاحب الشرق خربنده[٢] بن أرغون بن أبغا المغلي عن بضع وثلاثين سنة، وكان قد أظهر الرفض. وأمر قبل هلاكه يبذل السيف في أهل باب الأزج لامتناعهم من إقامة الخطبة على شعار الشيعة. فما أمهله الله، فمات بهيضة شديدة، وملكوا بعده ولده أبا سعيد، فأظهر السنة.

ومات العلامة ذو الفنون والذكاء والنظم الرائق صدر الدين محمد[٣] بن وكيل بيت المال، خطيب دمشق زين الدين عمر بن مكي بن المرحل الشافعي بمصر في شوال عن إحدى وخمسين /٣٩٦/ سنة، تصدر ودرّس وأفتى، وتخرج به الأصحاب.

ومات عالم سبتة المقرئ النحوي أبو إسحاق إبراهيم[٤] بن أحمد الغافقي وله خمس وسبعون سنة.

سنة سبع عشرة وسبعمائة:

أنشأ[٥] ملك الأمراء تنكز دمشق جامعاً كبيراً ووليه الشيخ نجم الدين الغفجاري.

وجاءت[٦] الزيادة العظمة التي لم يسمع بمثلها ببعلبك في صفر فغرق فيها بداخل المدينة مائة وأربعون نفساً ونيف، وهدت من سور البلد برجاً وبدنه وهو من الصخر المحكم، فخرق من السور مساحة أربعين ذراعاً مسيرة خمسمائة ذراع، ثم تفسخ بعد واندك، وهدم السيل ما مرّ عليه إلى أنْ ملأ الجامع فخرق حائط القرى وأذهب الأموال وخنق الرجال والأطفال، ثم أسرع إلى الخندق الذي للقلعة فخرق من سور البلد محال مساحة خمسة وعشرين ذراعاً، وانحطّ إلى البساتين. وكان منظراً مهولاً، فظنّ أنها

=

والنهاية ١٤/ ٧٩ والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٣٧.

(١) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٦/ ٣٨ والوافي بالوفيات ٩/ ٢٤٦ والدرر الكامنة رقم ٩٨٤.

(٢) انظر: شذرات الذهب ٦/ ٤٠ والوافي ٥/ ١٨٥ باسم محمد خربنده. والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٣٨.

(٣) أبو عبد الله محمد بن عمر بن مكي، المعروف بابن، المرحّل وبابن الوكيل المولود بدمياط سنة ٩٦٥هـ. انظر فيه في الشذرات ٦/ ٤٠ والوافي بالوفيات ٤/ ٢٦٤ وفوات الوفيات ٢/ ٣١٥ والدرر الكامنة ٤/ ١١٥ والبداية والنهاية ١٤/ ٨٠ والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٣٣.

(٤) انظر: شذرات الذهب ٦/ ٣٨ والوافي بالوفيات ٥/ ٣١٢ والدرر الكامنة ١/ ١٣ وبغية الوعاة ص١٧٧.

(٥) انظر: البداية والنهاية ١٤/ ٨١.

(٦) انظر أخبار غرق بعلبك في الشذرات ٦/ ٤٣ والمختصر ٤/ ٨٢ والبداية والنهاية ١٤/ ٨١.

القيامة، وتواترت الأخبار بذلك، وما الخبر كالعيان والذي انخرب من البيوت والحوانيت ستمائة موضع، وحدثني القاضي شمس الدين بن المجد أن السيل دخل بيته وغرق كتبه وزوجته وحماته فرمى بهما إلى الأمينية، فماتت الأم، ودفع السيل الزوجة فألقاها على عقد باب الأمينية، ثم أنزلت بعد بسلام، وحمل الماء رأس عمود حتى ألقاها على ركن بحد العامود في ارتفاعه، وهذا من أعجب ما سمعت.

وفي رمضان: توفي صاحب ديوان الإنشاء شرف الدين عبد الوهاب[١] بن فضل الله بن مجلّي العدوي بدمشق عن أربع وتسعين سنة. كتب السر بمصر عشرين سنة، ثم نقل إلى دمشق فكتب السر إلى أن توفي، وكان كبير القدر، مصوناً ديناً، كامل العقل.

وفيها: أبطلت /٣٩٧/ الفاحشة، وضمان الخمور بالسواحل، وقرئت بذلك المراسيم، وكثر الدعاء للسلطان.

وظهر[٢] للنصيرية رجل زعم أنه المهدي، وكثر جمعه بناحية اللاذقية، وبلغوا ثلاثة آلاف، فتارة زعم أنه المنتظر، ومرة قال إنَّهُ علي بن أبي طالب، وتارة إنه محمد المصطفى، وإنَّ الأمة كفره، وعاث في تلك الأرض حتى انتدب له العسكر، فقُتل من جمعه مائة وعشرين نصيرياً، وحدثت أُمور، ثم قتل لا رحمه الله، وكان جبلياً خماراً جاهلاً ودَخَلتْ سنة ثمان عشرة وسبعمائة:

فكان[٣] القحط المفرط بديار الموصل وأربل، وأكلوا الجيف، وباعوا أطفالهم وبلغ الخبز كل أربع أواق بالدمشقي بدرهم. ومات خلق من الجوع حتى أن رجلاً باع ولده برغيف فأكله، ثم مات، وجرى ما لا يوصف، واستمر ذلك زماناً. وحدثني فقيه أنه بقي نحو من أربع سنين، قال: وأكلتُ أنا وأهلي في نهار واحد خبزاً بثمانية عشر درهماً، وكانت تباع حرزة خبز بدرهم، قيمتها فلس. وخَلَتْ أربل حتى بقي فيها خمسمائة بيت من خمسة عشر ألف بيت، واتصل الغلاء بالعراق، لكن لم يأكلوا الميتة ولا باعوا أبناءهم، ودثرت القرى فلله الأمر، وكان سبب القحط مجيء جراد عظيم أولا بالجزيرة.

وفيها: توفي شيخنا القدوة الشيخ محمد[٤] بن عمر ابن الشيخ الكبير أبي بكر بن قوام البالسي، وله ثمان وستون سنة.

وفيها: قتل رشيد الدولة فضل[٥] اللدين أبي الخير بن عالي الهمداني مُدَبِّر

(١) انظر: النجوم الزاهرة ٩/ ٢٤٠.
(٢) انظر الخبر في المختصر ٤/ ٨٣ والبداية والنهاية ١٤/ ٨٣.
(٣) انظر البداية والنهاية ١٤/ ٨٦.
(٤) انظر ترجمته في الوافي ٤/ ٢٨٤ والدرر الكامنة ٤/ ١٢٤ والبداية والنهاية ١٤/ ٨٩.
(٥) انظر ترجمته في: شذرات الذهب ٦/ ٤٤ والوافي ٢٤/ ٧٨ والدرر الكامنة ٣/ ٣١٤.

مماليك التتار. وكان[١] عطاراً طبيباً يهودياً، صار[٢] به الحال إلى أن صار الوزراء والأُمراء من تحت أوامره، وكثرت أموالَهُ بحيث أنه وزن في نكبته ألف ألف دينار، فقيل إنه أعطى القان /٣٩٨/ مسهلاً في حال الهيضة لينقي بدنه فخارت قوته ومات، فقام عليه أضداده فضربت عنقُه، وكان يتفلسف. وقد وَزَرَ ابنُهُ محمد الملك أبي سعيد.

وفيها: أنشأ الجامع الكريمي بالغبيبات عمله الصاحب كريم الدين المصري.

ومات المعمر الصالح أبو بكر بن زين الدين أحمد بن عبد الكريم الصالحي[٣] عن ثلاث وتسعين سنة، مات في رمضان، وتفرد عن جماعة.

ومات شيخ دار الحديث العلامة كمال الدين أحمد[٤] بن محمد بن أحمد بن الشريشي الشافعي، وله خمس وستون سنة.

ومات شيخ العربية مجدالدين أبو بكر[٥] بن القاسم التونسي المقري، وله اثنان وستون سنة، وأنشأ جامع باب شرقي الصاحب شمس غبريال.

سنة تسع عشرة وسبعمائة.

فيها: سار ركب العراق في حشمة وتجمل. فيهم متولي العراق بولا واح معه حلقتان لباب الكعبة ألفا مثقال، فما ركبتا بل أخذها رميثة[٦] أمير مكة.

وفي صفر: استسقوا بدمشق بقرب مسجد القدم، وخطب الناس الإمام القدوة خطيب العصبة صدر الدين سليمان الجعفري، وأُغيثوا.

ومات بمصر شيخها القدوة الرباني أبو الفتح نصر[٧] بن سليمان المنيحي، وله نيف وثمانون سنة.

واختلف[٨] أمر التتار، واقتتلوا، فذهب، فذهب بحد السيف أُلُوف وانتصر

---

(١) في الشذرات: كان أبوه عطاراً..

(٢) الأصل: قال.

(٣) اسمه في شذرات الذهب ٦/ ٤٨: أبو بكر بن المنذر بن زين الدين أحمد بن عبد الدايم بن نعمة المقدسي الحنبلي: وانظر الدرر الكامنة ١/ ٤٨٦ والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٤٢.

(٤) كمال الدين، أحمد بن محمد بن الشريشي الوائلي البكري الشافعي، وكيل بيت المال وشيخ دار الحديث وشيخ الرباط الناصري. انظر شذرات الذهب ٦/ ٤٧ والبداية والنهاية ١٤/ ٩١.

(٥) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٦/ ٤٧ وفيه: توفي عن اثنين وثمانين سنة.

(٦) رميثة بن أبي نمي، العلوي، الحسني، واسمه منجد ويكنى بأبي عرادة، أسد الدين، ولي إمرة مكة وتوفي سنة ٧٤٦هـ، انظر: عمدة الطالب ص١٤٦ وشذرات الذهب ٦/ ١٤٩ والدرر الكامنة ٢/ ٢٠٤.

(٧) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٦/ ٥٢ والوافي ٢٧/ ٦٧ والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٤٤.

(٨) انظر البداية والنهاية ١٤/ ٩٣.

جوبان. وقتل يحيى وقرمشي ودقماق والكائنة منها طول وتتبع جوبان بضعة وثلاثين أميراً من أضداده فذبحهم صبراً، وأخَذَ أموالهم.

وفي رمضان: جاء سيل عرم بدمشق والشمس طالعة، والسفرجل معبّى تحت الشجر، مبطن وبحلوه. ولم أر السيل أشدّ عكراً من هذه المرّة حتى كأن الماء طحينة، قيل الرطل منه تصفى ثلثه طيناً / ٣٩٩/ شديداً وكان وقوعه بأرض الشرق، وكان موداح شعبان من ثلاثة أشهر ليس فيه قطرة، ثم بعد يومين نشف وانقطع عدة عيون كفناه ملكاً، ويبست الأشجار.

ومات المعمر عيسى[١] بن عبد الرحمن المطعم في ذي الحجة عن بضع وتسعين سنة، تفرّد بالعوالي..

سنة عشرين وسبعمائة:

توفي بمصر القاضي العلامة زين الدين محمد[٢] بن العلم محمد بن حسين بن عتبق بن رشيق المالكي عن اثنين وتسعين سنة، حدث عن ابن الحميري.

وفيها: تَسلْطَن مولانا الملك الناصر لصاحب حماة عماد الدين إسماعيل[٣] ابن علي، ولقب بالمؤيد.

ومات بمصر المعمر حسين[٤] بن عمر الكردي، المقرىء، عن نيف وتسعين سنة، حضر ابن اللتي ومكرّماً، وتلا ختمة على السخاوي.

وبَلَغَنا أمر الوقعة الكبرى بالأندلس[٥]، أنه كان في العام الماضي وذلك أن ملوك الفرنج تجمعوا وأقبلوا في مائة ألف أو يزيدون، وعلى الجميع دوسر، وأحاطوا بغرناطة، فبرز لحربهم الغالب بالله أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن الأحمر في نحو من ألف وخمسمائة فارس، ونحو من ثلاثة آلاف جرحى، فالتقى الجمعان، وأحاط العدو بالمسلمين كشامة بيضاء في ثور أسود، فصدق المسلمون الحملة بعد أن أتابوا إلى الله

---

(١) عيسى بن عبد الرحمن بن المعالي بن أحمد الصالحي المطعم في الأشجار، ثم السمسار في العقار، سمع من جماعة وكان أمياً. انظر الشذرات ٦/ ٥٢ والبداية والنهاية ١٤٠/ ٩٥.

(٢) انظر ترجمته في الدرر الكامنة ٤/ ٢٩٢ والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٥٠.

(٣) صاحب كتاب المختصر في أخبار البشر، الذي نقل عنه المؤلف أغلب هذا الخبر، من موسوعته، قد فصّل أبو الفداء الخبر في المختصر ٤/ ٨٦.

(٤) كذا في الأصل، وهو في الدرر الكامنة ٢/ ١١٤ والوافي ١٢/ ١٩٥: حسن بن عمر بن عيسى. ويعرف بابن القيم الكردي.

(٥) انظر الشذرات ٦/ ٥١ «أحداث سنة ٦١٩» والمختصر ٤/ ٨٥.

واستعانوا به. وحملوا على الصف الذي فيه ملك العدو، فقتلوه، بل قتلوا جميع الملوك الذين معه، وكانوا نيفاً وعشرين ملكاً، وذهب رجّالة الإسلام، وداروا إلى خيام النصارى، فخذل العدو، وفرّ ولات حين فرار، وحصل بهم الدمار، وقُتل منهم النصف، وقيل بل أزْيَد من ستين ألفاً، وتمزّقوا، ونزل النصر العزيز والفتح المبين، وكانت ملحمة لا عَهدَ الإسلام/ ٤٠٠/ بمثلها، وهذا ولم يقتل من الأجناد سوى أحَدَ عشر[١] فارساً، وغنم المسلمون ما لا يُعبَّر عنه.

ثم جَرَتْ وقعةٌ أخرى في يوم عاشوراء من سنة عشرين بين جند مالقة وبين الفرنج ونصر الله، وقتل من العدوّ خلق، وأسر منهم خمسمائة واستشهد رجل واحد، ولله الحمد.

وفيها: أُبْطِلَتْ الفواحش، وأريقتْ الخمور في السلطانية وغيرها في بلاد الشرق، وزوّجت ألوف الحواظي، وحج من بغداد وفد كثير وسهل مَحْمَل سلطاني بالذهب والجواهر التي قوّمت بأزيد من مائتي ألف دينار مصريّة.

ومات المعمّر أمين الدين محمد[٢] أبي بكر بن هبة الدين النحاس الحلبي بدمشق عن نيف وتسعين سنة. يروي عن صفية[٣] وشعيب الزعفراني والساوي.

سنة إحدى وعشرين وسبع مئة إلى سنة ثلاثين وسبع مئة

ودخلت سنة إحدى وعشرين وسبعمائة:

في المحرم: مات عالم المغرب المحدث العلامة، ذو النون، أبو عبد الله محمد[٤] بن عمر بن محمد بن رشيد السبتي بفاس، وأنشأ بالقابون[٥] جامع مليح من مال الصاحب كريم الدين.

وكان بمصر الحريق المتواثر، وذهب أموال وأملاك كثيرة، ثم ظهر ذلك من كيد النصارى، فوجد مع بعضهم آلة الإحراق ونقط وغير (ذلك) فأخذوا وأَقرّوا، فقتل منهم ستة، وأسلم عدة، ورَجَمَت العامة الصاحب الكريم، توهموا أن ذلك من مكره، فاستنصر له ولي الأمر وقطع أيدي أربعة من الذين رجموه، وقيّد آخرون.

---

(١) في الشذرات: ثلاثة عشر نفساً.

(٢) محمد بن أبي بكر بن إبراهيم بن هبة الله بن طارق الأسدي، الحلبي، الصفار، ابن النحاس. انظر: شذرات الذهب ٦/ ٥٣، والوافي بالوفيات ٢/ ٣٦٥ والدرر الكامنة ٣/ ٣٩٩.

(٣) صفية القرشية كما في الشذرات.

(٤) محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن إدريس بن سعيد بن مسعود بن حسن بن عمر بن محمد بن رشيد، أبو عبد الله الفهري السبتي، انظر ترجمته في الوافي بالوفيات ٤/ ٢٨٤ والشذرات ٦/ ٥٦.

(٥) القابون: موضع بينه وبين دمشق ميل واحد في طريق القاصد إلى العراق (معجم البلدان ٤/ ٢٩٠).

وأخربت كنيسة لليهود، أخربها القراون من نحو مائة سنة داخل دروبهم بدمشق فدكت بحكم الحاكم.

وجرى الصلح بين السلطان وبين أبي سعيد، وأبرم ذلك وتهادوا ولله الحمد.

وفي ذي الحجة: صاحب اليمن المؤيد هزبر الدين / ٤٠١/ داود بن[١] الملك المظفر يوسف بن عمر التركماني بتعز، وكانت أيّامه بضعاً وعشرين سنة، وكان شجاعاً حازماً، عالماً.

ومات مسند دمشق سعد الدين يحيى[٢] بن محمد بن سعد المقدسي عن تسعين سنة، روى عن ابن اللتي والهمداني حضوراً، وعن ابن صباح وابن روزبة وخلق بالإجازة، وطاب الثناء عليه.

ودخلت سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة:

مات في ربيع الأول شيخ الحرم، إمام المقام، رضي الدين إبراهيم[٣] بن محمد الطبري الشافعي، وله ست وثمانون سنة وكان من العلماء العاملين، يروي عن شعيب وابن الحميري.

وفيها: افتتحت إياس[٤] وُخربت، وأغاروا على بلدسيس.

ومات الشريف الكبير العابد محي الدين محمد[٥] بن عدنان بن حسن الحسيني الدمشقي جد السيد نقيب الأشراف، شرف الدين عدنان[٦]، وله ثلاث وتسعون سنة، وكان يرى مذهب الإمامية ويترضى عن الصحابة.

وتوفي مسند الثغر، العدل محيي الدين عبد الرحمن[٧] بن مخلوف بن جماعة الربعي، المالكي، يوم التروية، عن ثلاث وتسعين سنة، تفرّد بالرواية عن علي بن زيد التارسي[٨]، وجعفر الهمداني.

---

(١) داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول المؤيد هزبر الدين، انظر: شذرات الذهب ٦/ ٥٥ والمختصر ٤/ ٩١ والنجوم الزاهرة. ٩/ ٢٥٣.

(٢) انظر ترجمته في الشذرات ٦/ ٥٦ والدرر الكامنة ٥/ ٢٠١ والبداية والنهاية ١٤/ ١٠١.

(٣) انظر ترجمته في: شذرات الذهب ٦/ ٥٦ والوافي بالوفيات ٦/ ١٢٦ والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٥٥ والدرر الكامنة ١/ ٥٤ ومرآة الجنان ٤/ ٢٦٧.

(٤) إياس، من بلاد سيس، انظر خبر افتتاحها في المختصر ٤/ ٦١.

(٥) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٦/ ٥٧ والوافي ٤/ ٩٣ والدرر الكامنة ٤/ ٤٧.

(٦) شرف الدين عدنان ين جعفر. ولي نقابة الأشراف في حياة جدّه المذكور (الوافي ٤/ ٩٣).

(٧) انظر ترجمة ابن مخلوف الإسكندراني في الوافي ١٨/ ٢٦٥ والدرر الكامنة، ٢/ ٤٥٦ والسلوك ٢/ ١: ٢٣٩.

(٨) الأصل: السدارسي: بحروف مهملة، والتصويب عن مصادر ترجمة ابن مخلوف.

ومات بعده بليال مسندة ببيت المقدس أم محمد زينب[١] بنت أحمد بن عمر بن شكر الصالحية، العابدة عن أربع وتسعين سنة، سمعت من ابن اللتي وجعفر الهمداني، وتفرّدت.

وفيه: توفي مسند أسيوط. الرئيس زين الدين عبد الرحمن[٢] بن أبي صالح رواحة بن علي بن حسين بن رواحة الأنصاري، الحموي، الشافعي عن أربع وتسعين سنة وشهور، يروي عن جدّه لأمه القاسم بن رواحة أجاز / ٤٠٢/ له الشيخ شهاب الدين السهروردي وغيره، وسمع أيضاً من صفية الزبيرية.

سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة:

توفي العلامة الأديب مؤرخ العراق، كمال الدين عبد الرزاق[٣] بن أحمد بن محمد بن أحمد بن الفوطي الشيباني، صاحب التصانيف، عن إحدى وثمانين سنة ومرض كريم الدين[٤] وكيل السلطان ثم عوفي، فزينت له القاهرة.

ومات بعض الناس من الازدحام على صدقته.

ومات قاضي دمشق ورئيسها نجم الدين أحمد[٥] بن صصري التغلبي الشافعي في ربيع الأول عن ثمان وستين سنة، يروي عن الرشيد العطار حضوراً، وعن ابن عبد الدايم.

وقتل بمصر السخويُّ البارع ضياء الدين عبد الله الدربندي[٦] الصوفي وله خمس وأربعون سنة، أقرأ العربية بالكلاسة، ثم افتتن . . . . . ونقص عقله، ثم ذهب إلى مصر متغيراً، وطلع إلى القلعة، واستلَّ سيفه جندي وضرب به وجه نصراني، فأُخذ وضُربتْ عنقُه من غير تأمّل.

وفيها: أمسك[٧] وكيل السلطان كريم الدين، وزالت سعادته، ثم شنق. وكان قد

---

(١) زينت بنت أحمد بن عمر بن أبي بكر بن شكر، المقدسي، انظر: الشذرات ٦/ ٥٦ والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٥٨.

(٢) انظر ترجمته في الشذرات ٦/ ٥٦ والوافي بالوفيات ١٨/ ١٤٥ والدرر الكامنة ٢/ ٢٣٦ وحسن المحاضرة ١/ ٣٩٢.

(٣) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٦/ ٦٠ والوافي بالوفيات ١٤/ ٤١٢ وفوات الوفيات ٢/ ٣١٩ والبداية والنهاية ١٤/ ١٠٦ والدرر الكامنة ٢/ ٤٧٤ ولسان الميزان ٤/ ١٠ والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٦٠ والبدر الطالع ٢/ ٣٥٦. وللشيخ محمد رضا الشبيبي: مؤرخ العراق ابن الفوطي في جزئين.

(٤) كريم الدين بن عبد الكريم، وسياتي خبر عزله وشنقه، وانظر الخبر في البداية والنهاية ١٤/ ١٠٥.

(٥) أحمد بن محمد بن سالم بن هبة الله بن محفوظ بن صصري، انظر: شذرات الذهب ٦/ ٥٩ والمختصر ٤/ ٩٢ والوافي ٨/ ١٦، والدرر الكامنة ١/ ٢٦٣، والفوات ١/ ٦٢ والبدر الطالع ١/ ١٠٦ والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٥٨ والبداية والنهاية ١١/ ١٠٦ والدارس ١/ ١٣٢.

(٦) انظر البداية والنهاية ١٤/ ١٠٧ وفيه الزربندي.

(٧) انظر البداية والنهاية ١٤/ ١١١ و ١١٦ (أحداث سنة ٦٢٤هـ).

بلغ من التقدم والرفعة ما لا مزيد عليه، يركب عدّة أُمراء في خدمته، وداره عبارة عن بيوت الأموال، وعاش سبعين سنة أو أكثر، وأسلم سنة نيف وسبعمائة، وكان من دهاة الرجال، ذا كرم وسكون، والله أعْلم وطويتُه.

وتوفي المحدث اللغوي صفي الدين محمود[1] بن أبي بكر الأرموي القرافي الصوفي بدمشق وله ست وسبعون سنة. كان من أحسن الناس قراءة للحديث، وجمع كنابا حافلاً في اللغة يحتوي على الصحاح والتهذيب المحكم، وكان تغير من /٤٠٣/ السوداء ولم يختلط.

وتوفي مسند الشام بهاء الدين القاسم[2] بن مظفر بن محمود بن عساكر الطبيب وقف أماكن، ودُفِن بتربة، وعاش أربعاً وتسعين سنة، مات في شعبان وله سماعات وإجازات، وتَفرّد بأشياء، قرأ البرزالي نحو من ثمان مائة جزء حدث عن ابن اللتي وعِدّة.

وتوفي بالمزّة مسند الوقت الشيخ شمس الدين[3] أبو نصر الشيرازي عن ثلاث وتسعين سنة وشهرين، توفي في ليلة عرفة ببستانه، سمع من جدّه والعلم بن الصافي وابن الصلاح وعدة، وأجاز له الكبار، وروى شيئاً كثيراً خرف قبل موته نحو عامين وتغيّر وما اختلط.

سنة أربع وعشرين وسبعمائة:

أبطل[4] السلطان أيّدَهُ الله مكوس الغلّة بالشام كلّه، وكان مبلغاً عظيماً يؤخذ من ثمن الغرارة ثلاثة دراهم وتصرف.

ومات بالقابون شيخ الباجريقية محمد[5] ابن المفتي جمال الدين عبد الرحيم

---

(١) محمود بن محمد بن حامد الأرموي، صفي الدين، القرافي الصوفي، انظر: شذرات الذهب ٦/ ٦٢. والوافي بالوفيات ٢٥/ ٢٣٨، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٩٤ وفوات الوفيات ٤/ ٩٨ والبداية والنهاية ١٤/ ١٠٨ والدرر الكامنة ٥/ ١١٠.

(٢) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٦/ ٦١ والوافي بالوفيات ٢٤/ ١٦٨ والبداية والنهاية ١٤/ ١٠٨ وفيه بهاء الدين أبو القاسم والسلوك ٢/ ١/ ٢٥٣ والدرر الكامنة ٣/ ٣٢٣.

(٣) شمس الدين، أبو نصر، محمد بن محمد بن محمد بن جميل الشيرازي، الدمشقي، انظر ترجمته في الشذرات ٦/ ٦٢ والبداية والنهاية ١٤/ ١٠٩ والدرر الكامنة ٤/ ٣٥١ وفيه: محمد بن محمد بن محمد بن هبة الله بن محمد بن يحيى بن بندار ابن مميل الشيرازي.

(٤) انظر: الشذرات ٦/ ٦٢ والمختصر ٤/ ٩٢.

(٥) انظر ترجمته في شذرات الذهب ٦/ ٦٤ وفيه: الضال الذي حكم القاضي المالكي بضرب عنقه مدة بعد أخرى لثبوت أمور فظيعة وكلها شنيعة فتغيب عن دمشق. وانظر: الوافي بالوفيات ٣/ ٢٤٩ وفوات الوفيات ٢/ ٢٧٩ والدرر الكامنة ٤/ ١٢ والبداية والنهاية ١٤/ ١١٥.

الباجريقي الزاهد، المطعون في عقيدته، وكان قد حكم المالكي بإراقة دمه، ففرَّ إلى العراق مدّة، وعاش ستين سنة.

وفي ربيع الآخر: كان الغلاء[1] بدمشق وغيرها حتى بَلَغَتْ الغرارة مائتي درهم، ثم نزل إلى مائة وعشرين عندما جاء الجلْب من مصر.

ومات وزير الشرق علي شاه[2] بن أبي بكر التوريزي.

وقدم[3] للحج ملك التكرور موسى بن أبي بكر في جمع كثير، وقدّم للسلطان أربعين ألف دينار، فخلع عليه خلعةً سوداء، وسيفاً مذهباً، وحصاناً أشْهَب مرمادي أطلس، فَدَخَل إلى خدمة السلطان، وهو فقيه مالكي.

وبلغ[4] النيل ثمانية عشر ذراعاً وتسعة عشر إصبعاً، فغرق شيء كثير.

ومات شيخ دار الحديث النورية المفتي علاء الدين علي[5] بن إبراهيم بن العطار وله سبعون سنة.

سنة خمس وعشرين وسبعمائة:

/ ٤٠٤/ توفي بمصر شيخ القراء تقي الدين محمد[6] بن أحمد بن عبد الخالق الصائغ عن تسع وثمانين سنة.

وسار[7] نحو ألفي فارس عليهم بيبرس الحاجب نجدةً لصاحب اليمن، ودخلوا زبيد، وألبسوا الملك المجاهد خلعة السلطنة.

وضَرب[8] بمصر شهاب الدين أحمد بن مري المذكر نحو من خمسين سوطاً ونفي إلى القدس بسبب مسألة الاستغاثة، قال: لا يجوز الاستغاثة بمخلوق ولا بنبي.

وكان الغرق[9] العظيم ببغداد، ودام أربعة أيام حتى بقيت بغداد شبه جزيرة في الماء، وعم الخلق كلُّهم الليل والنهار في الكسورة، وانهدم ما لا يحصى وارتفع الماء في الخندق نحو عشر قامات، وغرق خلقٌ من أهل القرى، وبكى الناس، وعاينوا

---

(١) شذرات الذهب ٦/ ٦٢.
(٢) انظر خبره في المختصر ٤/ ٩٣ والبداية والنهاية ١٤/ ١١٦.
(٣) انظر البداية والنهاية ١٤/ ١١٢.
(٤) انظر البداية والنهاية ١٤/ ١١٢.
(٥) انظر ترجمته في شذرات الذهب، ٦/ ٦٣ والدرر الكامنة ٣/ ٧٣ والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٦١.
(٦) انظر ترجمته في الشذرات ٦/ ٦٩ والوافي بالوفيات والدرر الكامنة ٣/ ٣٢٠ والبداية والنهاية ١٤/ ١١٩.
(٧) انظر التفاصيل في المختصر ٤/ ٩٤ وانظر البداية والنهاية ١٤/ ١١٧.
(٨) انظر البداية والنهاية ١٤/ ١١٧.
(٩) انظر الخبر في شذرات الذهب ٦/ ٦٦ والبداية والنهاية ١٤/ ١١٧.

التلف، وغَلَتْ الأسعار، ووقع النهب، وذكر ابن السبال القاضي أن جملة ما خرب (بالجانب)[١] الغربي خمسة آلاف بيت وستمائة بيت وحدثني ثقات حتى جزمت بذلك، أن الماء دخل دهليز مقبرة الإمام أحمد علو ذراع وأكثر، ثم وَقَفَ بإذن الله، ولم يدخل في البقعة، فكان ذلك آيةً، وفي تفاصيل ما جرى لهم عجائب.

وتوفي كاتب السر بدمشق العلامة شهاب الدين محمود[٢] بن سلمان الحلبي، وقد نيّف على الثمانين، وكان من نظراء القاضي الفاضل.

ومات العفيف إسحاق[٣] الآمدي عن أربع وثمانين سنة، ولم يثبت بدمشق، عيد الفطر إلى قريب الظهر، ثم صلوا عليه من الغد.

ومات كبير الأمراء ركن الدين بيبرس[٤] الخطائي المنصوري الدويداري صاحب التاريخ.

والقاضي صدر الدين سليمان بن هلال الجعفري[٥] خطيب العقبية، عن أربع وثمانين سنة.

وعالم الإمامية الجمال بن المطهر[٦] بالحلة، ولو تواليف.

سنة ست وعشرين وسبعمائة:

/ ٤٠٥/ فيها: قتل ناصر الدين[٧] بن الهيتي بسوق الخيل على الزندقة.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) شهاب الدين: أبو الثناء محمود بن سليمان الحلبي، الشاعر، الكاتب، انظر ترجمته في الشذرات ٦/ ٦٩ والوافي بالوفيات ٢٥/ ٣٠١ ـ ٣٦١ وذيل مرآة الزمان ٣/ ١٧٨، ٣١٨ و ٤/ ١١٣، ٢٠٢ وفوات الوفيات ٤/ ٨٢ والغيث المسجم ١/ ٢٦٢ والبداية والنهاية ١٤/ ١٢٠ والدرر الكامنة ٥/ ٩٢ والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٦٤ والدارس ١/ ٣٢٤.

(٣) عفيف الدين إسحاق بن يحيى الآمدي الحنفي، انظر: الشذرات ٦/ ٦٦ وفيه: عن ثلاث وثمانين، والوافي بالوفيات ٨/ ٤٣٠ والدرر الكامنة ١/ ٣٥٨ والبداية والنهاية ١٤/ ١٢٠ والدارس ١/ ٣٥٨.

(٤) انظر: شذرات الذهب ٦/ ٦٤ والدرر الكامنة ٢/ ٤٣ والوافي بالوفيات ١٠/ ٣٥٢ وذيل المرآة ١/ ٨٦ والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٦٣.

(٥) الجعفري: نسبة إلى جعفر بن أبي طالب عليه السلام، وانظر ترجمته في الشذرات ٦/ ٩٧ والوافي ١٥/ ٤٣٨ وفوات الوفيات ٢/ ٨٢ والدرر الكامنة ٢/ ١٦٥ والبداية والنهاية ١٤/ ١٢٠.

(٦) ابن المطهر الحلي الأسدي جمال الدين الحسين بن يوسف، كان عالماً بالمعقولات، وصف بأنه رضيّ الخلق حليماً. له مصنفات كثيرة. وكتب ابن تيمية عليه رداً في أربع مجلدات، وقد أقذع في خطابه فسماه: ابن المنجّس. انظر: النجوم الزاهرة ٩/ ٢٦٧ والوافي بالوفيات ١٣/ ٨٥ والدرر الكامنة ٢/ ١٥٨ ولسان الميزان ٢/ ٣١٧.

(٧) ناصر الدين بن أبي الفضل، انظر: الشذرات ٦/ ٧٤.

وتوفيت ست الفقهاء[١] بنت تقي الدين إبراهيم بن علي بن الواسطي عن ثلاث وتسعين سنة، وأنشئت قيسارية الدهشة بسوق علي، وأسكنتها أعيان التجار.

وقتل الراهب توما[٢] الذي أسلم عند ابن تيمية، ثم بعد مدة ارتدّ.

وفيها: اعتقل[٣] شيخنا ابن تيمية في قاعة بالقلعة إلى أن مات وعزّر جماعة من أتباعه.

ووصل الماء إلى بطن مكة من مال.

وتوفي الزاهد الكبير الشيخ حماد[٤] الحلبي القطان بالعقيبة عن ست وتسعين سنة.

وتوفي بالمدينة النبوية طالباً للحج القاضي شمس الدين محمد[٥] بن مسلم الصالحي عن أربع وستين سنة، وكان من القضاة العدل.

سنة سبع وعشرين وسبعمائة:

توفى بمصر الشيخ علي[٦] بن عمر الداني عن نيف وتسعين سنة، يروي عن ابن رواح والسبط والإمام الرباني القدوة، شرف الدين عبد الله بن (عبد)[٧] الحليم بن التيمية. وله إحدى وستين سنة.

وطلب قاضي دمشق جلال الدين محمد[٨] بن عبد الرحمن القزويني فولي قضاء مصر عوضاً عن ابن جماعة، لضرورة.

وكان عرس[٩] ابنة المولى السلطان على الأمير قونْصُون الناصري.

وفي رجب: كانت كائنة[١٠] الإسكندرية، اختصم مسلم وفرنجي وضربه بالمداس، فركب متولي الثغر الكركي وأغلق باب السحر قبل المغرب والناس في الفرجة، فمشى

---

(١) انظر ترجمتها في الشذرات ٦/ ٧١ والوافي بالوفيات ١٥/ ١١٧ والدرر الكامنة ٢/ ٢٢٣.

(٢) انظر: الشذرات ٦/ ٧٥. (٣) انظر الخبر في الشذرات ٦/ ٧١.

(٤) حماد التاجر بن القطان، انظر: شذرات الذهب ٦/ ٧٢، والبداية والنهاية ١٤/ ١٢٥.

(٥) محمد بن مسلم بن مالك بن مزروع بن جعفر الزيني الصالحي، الفقيه الحنبلي، انظر الشذرات ٦/ ٧٣، والوافي بالوفيات ٥/ ٢٨ والدارس ٢/ ٣٨ والدرر الكامنة ٤/ ٢٥٨ وبغية الوعاة ص١٠٥ والبداية والنهاية ١٤/ ١٢٦.

(٦) علي بن عمر بن أبي بكر الوالي الصوفي، انظر: الشذرات ٦/ ٧٨، والوافي ٢١/ ٣٦٦، ونكب الهميان ٢١٥ والدرر الكامنة ٣/ ١٦٣.

(٧) الزيادة عن مصادر ترجمته، وانظر: الشذرات ٦/ ٧٦ والوافي بالوفيات ١٧/ ٢٤٠ ومرآة الجنان ٤/ ٢٧٧ والدرر الكامنة ٢/ ٣٧١.

(٨) محمد بن عبد الرحمن بن عمر قاضي القضاة، جلال الدين القزويني، ينتهي نسبه إلى أبي دلف العجلي، توفي سنة ٧٣٩هـ، انظر الوافي بالوفيات ٣/ ٢٤٢، وسيأتي ذكره في وفيات ٧٣٩هـ.

(٩) البداية والنهاية ١٤/ ١٢٨. (١٠) انظر البداية والنهاية ١٤/ ١٢٨.

أعيان البلد إليه فأمر بفتح الباب بعد هوي من الليل وازدحم الخلق، وسلّت السيوف، وجرح جماعة، وخطفت عمائم، ثم اصطلحوا، وإذا نحو عشرة موتى من الزحمة، ثم جاء الوالي إلى الصلاة الجمعة، فرجته الغوغاء. فدخل داره، واستمر الزحم، وجمعوا فينا وأحرقوا /٤٠٦/ باب السلطان، ويعرف بباب اليهود. فأخرجوا المحبوسين، ونهبوا دار من لاتباع الوالي. فنطق الوالي إلى السلطان وغوث، فشمّر السلطان وانزعج وظن الحبس الذي فتح هو الذي فيه الأمراء، فأمر ببذل السيف في البلد وبهدمه، ثم جهز جيشاً عليهم الوزير الجمالي، فقدم وطلب الحاكم ونائبيه، وأهانهم فقال أحد النائبين وهو ابن السني ما يلزمني شيء ولا يحل لكم أن تهينوا الشرع، فبطحه الوزير وضربه غير مرة ثم طلب الكارميه وسبّهم، وأَخَذَ منهم أموالاً عظيمة، حتى أفقر كثيراً منهم، ووسط ثلاثين رجلاً وقت صلاة الجمعة، فجرت في الجامع خبطة وخطفت العمائم، ثم طلب الجمالي القزازين وصادَرَهم، وضربهم، وجرى ما لا يعبّر عنه، ثم قتل غير واحد ممن طافوا في الطريق يدعون عليه، وعزل الحاكم بالقاضي علم الدين الأخنائي.

وفي شعبان: توفي شيخ الحنفية، وقاضي دمشق صدر الدين علي[١] بن أبي القاسم البصروي عن خمس وثمانين سنة.

وطلب السلطان قاضي حلب شيخنا كمال الدين محمد[٢] بن علي الشافعي بن الزملكاني إلى مصر ليشافهه بقضاء دمشق، فأدركه أَجَلَهُ ببلبيس رحمه الله وله ستون سنة.

ثم حمل التقليد والخلعة والعصابة إلى الشيخ بدر الدين أبي اليسر بن الصائغ فامتنع وصمَّمَ، وألَحّوا عليه فأبى، ثم قدم على المنصب الشيخ علاء الدين علي بن إسماعيل القونوي.

وجاء يوم الأضحى على بلبيس سيل عظيم، وقاسوا شدّة.

سنة ثمان وعشرين وسبعمائة:

توفي بالثغر شيخ الحديث الإمام عز الدين إبراهيم[٣] بن أحمد الحسيني العراقي وله تسعون سنة.

وقدم متولي ممالك الروم تمرتاش[٤] /٤٠٧/ ابن جوبان إلى خدمة السلطان.

---

(١) انظر ترجمته وخبر وفاته في الشذرات ٦/ ٧٨ والوافي بالوفيات ٢١/ ٣٨٩ والدرر الكامنة ٣/ ١٧٠ والجواهر المضيئة ١/ ٣٦٩ و ١/ ٣٨٤.

(٢) انظر ترجمته وخبر وفاته في الشذرات ٦/ ٧٨ والوافي بالوفيات ٤/ ٢١٤ وفوات الوفيات ٢/ ٣١٢ والدرر الكامنة ٤/ ٧٤ وطبقات السبكي ٥/ ٢٥١ بروكلمان ٢/ ٨٤ والبداية والنهاية ١٤/ ١٣١.

(٣) إبراهيم بن أحمد بن محمد، الرقي، الحنبلي، الموسوي، انظر ترجمته في الوافي ٥/ ٣١٣ والدرر الكامنة ١/ ١٤ وشذرات الذهب ٦/ ٨٠ وفيه (الشافعي).

(٤) انظر المختصر ٤/ ٩٨ والبداية والنهاية ١٤/ ١٣٣.

ونقض[(١)] شطر الحائط القبلي من جامع دمشق لانحداب في وسطه من زلزلة قديمة وبني في خمسين يوماً، ورخّم في وسطه محراب للحنفية.

وجدّد رخام كبير بالجامع، ووقع[(٢)] حريق كثير في القرابين أذهب أموال الناس، ثم جدد بعده قيساريتان.

وتوفي مسند العراق عفيف[(٣)] الدين محمد بن عبد المحسن الأزجّي ابن الدواليبي الواعظ، شيخ المستنصرية وله تسعون سنة، وكان عالي الرواية.

وبمصر قاضي القضاة شمس الدين محمد[(٤)] بن عثمان الأنصاري الدمشقي ابن الحريري الحنفي وله خمس وتسعون سنة، وكان من خيار الحكام.

وتوفي مفتي العراق مدرس المستنصرية جمال الدين عبد الدين[(٥)] محمد بن علي الواسطي ابن العاقولي عن تسعين سنة وأشهر، وكان من أكابر الشافعية.

وفي ذي القعدة: توفي الشيخ شيخ الإسلام تقي الدين أحمد[(٦)] بن عبد الحكيم[(٧)] ابن تيمية[(٨)] الحراني بالقلعة عن سبع وستين سنة، وأشهر، وشيّعَهُ خلق قلّما حرروا بستين ألفاً. ولم يخلف بعده من يقارنه في العلم والفضل.

وقتل مقدم المغول جبوبان[(٩)]، ونقل في تابوت، فما مكن من الدفن في مدرسته التي بالمدينة، فدفن بالبقيع.

سنة تسع وعشرين وسبعمائة:

توفي شيخ الشافعية برهان الدين إبراهيم[(١٠)] ابن الشيخ تاج الدين عبد الرحمن

---

(١) انظر: شذرات الذهب ٦/ ٨٠ والبداية والنهاية ١٤/ ١٣٣.

(٢) انظر البداية والنهاية ١٤/ ١٣٤.

(٣) الشذرات ٦/ ٨٨ والوافي بالوفيات ٤/ ٢٨ والدرر الكامنة ٤/ ٢٧.

(٤) الشذرات ٦/ ٨٨ والوافي بالوفيات ٤/ ٩٠ والدرر الكامنة ٤/ ٣٩ والجواهر المضيئة ٣/ ٩٠.

(٥) الشذرات ٦/ ٨٧ والوافي بالوفيات ١٧/ ٥٩١ ومرآة الجنان ٤/ ٢٧٧ وطبقات الشافعية للأسنوي ٢/ ٢٣٥ والبداية والنهاية ١٤/ ١٤٢ والسلوك ٢/ ١/ ٣٠٥ والدرر الكامنة ٢/ ٤٠٥ والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٧٤ وتاريخ علماء بغداد ص٦٠ وتاريخ علماء المستنصرية ١/ ١٣٩.

(٦) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني الحنبلي، انظر ترجمته في الشذرات ٦/ ٨٠ والوافي بالوفيات ٦/ ١٥ ـ ٣٣ وتذكرة الحفاظ ١٤٩٦ والدرر الكامنة ١/ ١٤٤ والبدر الطالع ١/ ٦٣ ولابن عبد الهادي: العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية.

(٧) الأصل: عبد الحليم.

(٨) الأصل: التيمية.

(٩) انظر تفاصيل الخبر في المختصر ٤/ ٩٦.

(١٠) انظر ترجمته في الشذرات ٦/ ٨٨ والوافي بالوفيات ٦/ ٤٣ والدارس ١/ ٢٠٨ والدرر الكامنة ١/ ٣٤ وطبقات السبكي ٦/ ٤٥.

الفزاري بالبادرائية عن سبعين سنة سوى أشهر، وكانت جنازته مشهودة.

وشيّع الحنابلة مجد الدين إسماعيل[(١)] بن محمد بن الفرّاء، الحرّاني عن ثلاث وثمانين سنة.

وبمصر: مسندها الفتح يونس[(٢)] بن إبراهيم بن عبد القوي الكناني الدبابيسي عن بضع وتسعين سنة. سمع من ابن القيّر وأجاز له كبار.

وتوفي قاضي دمشق علاء الدين علي[(٣)] بن إسماعيل بن يوسف القونوي الشافعي الأصولي عن ستين سنة وأشهراً، وكان محموداً دَيّناً علاّمة.

ورئيس دمشق الصاحب عز الدين حمزة[(٤)] بن المؤيد /٤٠٨/ ابن القلانسي عن إحدى وثمانين سنة.

وأخْرجت الكلاب من دمشق وأُلقوا في الخندق.

سنة ثلاثين وسبعمائة:

في صفر: توفي مسند العصر أبو العباس أحمد[(٥)] بن أبي طالب بن الشحنة الحجار الصالحي، وله مائة سنة ونحو من ست سنين، وبين سماعه لصحيح البخاري وبين موته مائة عام، وقد رواه نحواً من سبعين مرة.

وأنشأ الأمير قوصون[(٦)] جامعاً كبيراً بالقرب من جامع طولون وجعل لخطيبه[(٧)] في الشهر ثلثمائة درهم.

وتوفي المعمّر زين الدين أيوب[(٨)] بن نعمة الدمشقي الكحال في ذي الحجة عن تسعين سنة. يروي عن الرسي وجماعة.

---

(١) مجد الدين أبو الفدا إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن الفراء، الحراني، ثم الدمشقي، الحنبلي، انظر: الشذرات ٦/ ٨٩ والوافي بالوفيات ٩/ ٢١٣ والدرر الكامنة ١/ ٤٠٣.

(٢) فتح الدين الكناني، العسقلاني، الدبابيسي، انظر: الشذرات ٦/ ٩٢ والوافي بالوفيات ٢٩/ ٣٧٣ والدرر الكامنة ٥/ ٢٥٩.

(٣) انظر ترجمته في الشذرات ٦/ ٩٠ والدرر الكامنة ٣/ ٩٣.

(٤) حمزة بن أسعد بن مظفر بن أسعد بن حمزة، الصاحب عز الدين بن القلانسي التميمي الدمشقي، انظر: الوافي بالوفيات ١٣/ ١٩٠ وشذرات الذهب ٦/ ٨٩ ومعجم الأدباء ١٠/ ٢٧٨ والبداية والنهاية ١٤/ ١٤٧ والعبر ٤/ ١٥٦ والدرر الكامنة ٢/ ١٦٢.

(٥) شهاب الدين أحمد بن أبي طالب بن نعمة بن حسن الصالحي ابن الحجار بن الشحنة من أهل دمشق، انظر: الشذرات ٦/ ٩٣.

(٦) الأمير سيف الدين قوصون الناصري، انظر الخبر في المختصر ٤/ ١٠١.

(٧) هو القاضي فخر الدين محمد بن شكر، المختصر ٤/ ١٠١.

(٨) أيوب بن نعمة، النابلسي، الدمشقي، الكحال، انظر: شذرات الذهب ٦/ ٩٣ والوافي ١٠/ ٥٤ والدرر الكامنة ١/ ٤٦٤.

سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة إلى سنة أربعين وسبع مئة

سنة إحدى وثلاثين[(١)] وسبعمائة:

توفي بمصر المعمر بدر الدين يوسف بن[(٢)] عمر الختني عن خمسٍ وثمانين سنة.

ووصل[(٣)] إلى حلب نهر الساجور بعد عمل كثير وتعب وغرامة أمول.

وتوفي صاحب المغرب السلطان أبو سعيد يعقوب[(٤)] بن عبد الحق المريني. وكانت دولتُهُ اثنين وعشرين سنة، وعاش نيفاً وستين سنة، وتملك بعده ولده السلطان الفقيه الجليل أبو الحسن.

سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة:

جاء[(٥)] بحمص سيل عظيم، فاختنق بالحمام[(٦)] الذي على بابها مائتي[(٧)] نسمة من نساء وولدان.

وعمل مسبك الفولاذ بدمشق، قنسارية لملك الأمر اللعبي[(٨)] بحماة، صاحبها الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل[(٩)] بن علي الأيوبي في آخر الكهولة، وله تانيف ومعرفة، وتسلطن بعده ولده علي ولقب بالأفضل[(١٠)]

وتوفي، قاضي[(١١)] الحنابلة شرف الدين عبد الله حسن الحافظ فجأة عن ثمانين سنة.

ومات كبير الأطباء أمين الدين سليمان[(١٢)] بن داود / ٤٠٩/ الدمشقي عن بضعٍ وستين سنة.

وتوفّي المقرّي[(١٣)] صاحب التصانيف عن اثنين وتسعين سنة.

---

(١) الأصل: أربعين.

(٢) انظر ترجمته في الشذرات ٦/ ٩٧ والدرر الكامنة ٥/ ٢٤٢.

(٣) انظر البداية والنهاية ١٤/ ١٥٢.

(٤) انظر خبر الوفاة وترجمته في الشذرات ٦/ ٩٦.

(٥) الشذرات ٦/ ٩٧، المختصر ٤/ ١٠٤.

(٦) في الشذرات: حمام النائب، وفي المختصر حمام الدكنز.

(٧) كذا في الأصل، والصواب مائتا، ولعله أراد نحو مائتي فسقط (نحو).

(٨) العبارة غير واضحة في الأصل، وفي البداية والنهاية ١٤/ ١٥٦: حولها دكنز قيسارية ببركة.

(٩) مؤيد الدين، إسماعيل بن علي الأيوبي، صاحب المختصر في تاريخ البشر الذي نقل عنه المؤلف أغلب أحداث هذا الجزء والجزئين الذين قبله، وله مؤلفات أخرى منها تقويم البلدان، انظر ترجمته، في المختصر ٤/ ١٠٤ والشذرات ٦/ ٩٨ والبداية والنهاية ١٤/ ١٥٨.

(١٠) في المختصر ٤/ ١٠٤ الملك الأفضل ناصر الدين محمد (وليس علي).

(١١) انظر: الشذرات ٦/ ١٠٠ والوافي بالوفيات ١٧/ ١٣٤ والبداية والنهاية ١٤/ ١٥٩ والدارس ٢/ ٤٠.

(١٢) الشذرات ٦/ ١٠٠ والوافي بالوفيات ١٥/ ٣٨٠ والدرر الكامنة ٢/ ٢٤٦ والبداية والنهاية ١٤/ ١٦٠.

(١٣) هو برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري، الخليلي الشافعي، انظر: البداية والنهاية ١٤/ ١٦٠.

وفي شعبان: نكب الصاحب غُبْرِيال[(١)] المصري وصودر إلى أن مات[(٢)] وأخذ منه نحو من ألف ألف دينار، وسهم من التسليم، فإنه آذى الناس بالزغل في الدينار الحسودي.

ومات في ذي القعدة: قاضي دمشق علم الدين محمد[(٣)] بن أبي بكر الأخنائي بالعادلية[(٤)]، وكان من قضاة العدل، متوسطاً في الفضيلة، عاش ثمانياً وستين سنة.

سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة:

زينت[(٥)] البلاد لقدوم السلطان من مجه...[(٦)] معه في البرية كبير الدولة سيف الدين بكتمر الساقي وابنه الأمير أحْمد عن أموال لا تحصى.

وفي جمادى الأولى: توفي قاضي القضاة بدر الدين محمد[(٧)] بن إبراهيم بن جماعة الكناني بمصر عن أربع وتسعين سنة. صنّف التصانيف، وكان من خيار القضاة.

وتوفي مدرس البادرائية، المفتى شهاب الدين أحمد بن جهيل[(٨)] عن ثلاث وستين سنة.

ومات مسند حماة تاج الدين أحمد[(٩)] بن إدريس بن مزير في رمضان عن تسعين سنة.

وتوفي بين الحرمين القدوة الرباني الشيخ علي[(١٠)] بن الحسين الواسطي العابد عن ثمانين سنة سوى سنة، رحمه الله.

وتوفيت المعمرة المسندة أسماء[(١١)] بنت محمد بن سالم بن صصري التغلبية

---

(١) شمس الدين غبريال المصري، انظر ترجمته في الدرر الكامنة ٣/ ٢٩٧.

(٢) في المختصر ٤/ ١٠٤: إنه أطلق سنة ٧٣٣هـ، وفي الدرر أنه مات بعد العقوبة بأسبوع.

(٣) محمد بن أبي بكر شمس الدين قاضي القضاة بن عيسى بن بدران، السعدي الأخنائي المصري الشافعي، انظر، الشذرات ٦/ ١٠٣ والوافي بالوفيات ٢/ ٢٧٢ والدرر الكامنة ٣/ ٤٠٧.

(٤) نسبة إلى العادل كتبغا.

(٥) انظر الخبر في البداية والنهاية.

(٦) فراغ في الأصل بمقدار كلمة، لعلها تخبر عن وفاة بكتمر الساقي وابنه الأمير أحمد.

(٧) بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الدين جماعة بن حازم بن صخر، الكناني، الحموي، الشافعي، انظر: الشذرات ٦/ ١٠٥ والمختصر ٤/ ١٠٥ والوافي بالوفيات ٢/ ١٨ وفوات الوفيات ٢/ ٢١٧ والبداية والنهاية ١٤/ ١٦٣.

(٨) في الأصل: جميل، وهو أحمد بن يحيى بن إسماعيل بن طاهر بن نصر بن جهيل الشافعي، الحلبي الأصل، الدمشقي المعروف بابن جهيل، انظر: الشذرات ٦/ ١٠٤ والمختصر ٤/ ١٠٩ والبداية والنهاية ١٤/ ١٦٣.

(٩) انظر ترجمته في: الشذرات ٦/ ١٠٤ والمختصر ٤/ ١٠٩ والدرر الكامنة ١/ ١٠٨ وفيه: أحمد بن إدريس بن محمد بن أبي الفرج بن إدريس بن الحسين بن مُذير.

(١٠) الشذرات ٦/ ١٠٥ وفيه علي بن الحسن وكذلك في البداية والنهاية ١٤/ ١٦٤.

(١١) الشذرات ٦/ ١٠٥ والوافي بالوفيات ٩/ ٥٨ والدرر الكامنة رقم ٩٠٣.

بدمشق في ذي الحجة عن خمسٍ وتسعين سنة.

سنة أربع وثلاثين وسبعمائة:

توفي قاضي القضاة جمال الدين سليمان[(١)] بن عمر الأذرعي، عرف بالزرعي[(٢)] بمصر، وله تسع وثمانون سنة.

والحافظ العلامة فتح الدين محمد[(٣)] بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري، عن ثلاث وستين سنة.

والصاحب غبريال المذكور[(٤)].

والإمام سراج الدين عبد اللطيف[(٥)] بن أحمد بن الكويك قاصداً بلاد التكرور للتجارة عن أربع وأربعين /٤١٠/ سنة.

وفيها: أخربت[(٦)] كنائس بغداد، وأسلم ديان اليهودية سديد الدولة، هو: منصور ابن شمس الدولة أبي الربيع، وعدة يهود.

وأسقط[(٧)] عن بغداد مكوس كثيرة.

وأشهر[(٨)] عن جماعة من الشيعة في قرية بتي أنهم دخلوا على فقيه لهم مريض، فبقي يصيح: ويْلكم أخَذَني المغْلُ خلّصوني منهم، ثم فُقد في الحال من بينهم ولم يقعوا له على أثر.

سنة خمس وثلاثين وسبعمائة:

رجع[(٩)] من مصر ملك العرب مهنا بن عيسى.

(توفي)[(١٠)] رئيس المؤذنين[(١١)] البرهان بن مؤذن القلعة الواني[(١٢)] ثم ولده

---

(١) سليمان بن عمر بن سالم الأذرعي.. انظر فيه في الشذرات ٦/ ١٠٧ والوافي بالوفيات ١٥/ ٤١٦ والدرر الكامنة ٢/ ٢٥٥ والمختصر ٤/ ١١٠ والبداية والنهاية ١٤/ ١٦٧.

(٢) نسبة إلى زرع التي ولي قضاءَها.

(٣) انظر ترجمته في الشذرات ٦/ ١٠٨ والمختصر ٤/ ١١٠ والبداية والنهاية ١٤/ ١٦٩.

(٤) انظر المختصر ٤/ ١١٢ وقد سبق ذكر مصادرته.

(٥) انظر ترجمته في الوافي بالوفيات ١٩/ ١٢٤ والدرر الكامنة ٣/ ١٨.

(٦) انظر الخبر في المختصر ٤/ ١١٣. (٧) المختصر ٤/ ١١٣.

(٨) المختصر ٤/ ١١٣.

(٩) انظر الخبر في المختصر ٤/ ١١٣ والداية والنهاية ١٤/ ١٧٠.

(١٠) بياض في الأهل.

(١١) الأهل: المبدسين، وهو تحريف، وهو برهان الدين إبراهيم بن محمد الخلاطي الشافعي الوالي شيخ المؤذنين وأنداهم صوتاً، انظر: المختصر ٤/ ١١٤ والشذرات ٦/ ١٠٩ والبداية والنهاية ١٤/ ١٧١.

(١٢) الأصل: اللواني.

المحدّث أمين الدين محمد بن إبراهيم كهلاً.

والمجوّد بهاء الدين محمود[١] بن خطيب بعلبك.

وفي رجب: مات بمصر محدثها الحافظ قطب الدين عبد الكريم[٢] بن عبد النور الحلبي عن إحدى وسبعين سنة. وله عدة تواليف.

وفيه: أخرج[٣] السلطان من السجن ثلاثة عشر أميراً وخَلَع عليهم، منهم: بيبرس الحاجب وتمر الساقي نائب طرابلس.

وفي شوال: أغار[٤] جيش حلب على بلاد سيس فغنموا وأسروا، فثار لذلك نصارى إياس وجمعوا مَنْ عندهم من المسلمين في خان وأحرقوه فقلّ[٥] من نجا. فهلك نحو الألفين يوم عيد الفطر رحمهم الله.

ووقع[٦] بحماة حريق كبير، وذهب أموال التجار، واحترق مائتان وخمسون دكاناً، وقيل بل مائتان وخمسة وثلاثون، وكذلك وقع بأنطاكية حريق عظيم.

وتوفيت في ذي القعدة المسندة زينت[٧] بنت يحيى بن الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وروت الكثير، وعمرت سبعاً وثمانين سنة.

وفي صفر: توفي ملك العرب حسام الدين مهنا[٨] بناحية سلميّة عن نيف وثمانين سنة.

وفي صفر: توفي مسند دمشق البدر عبد الله[٩] بن حسين بن أبي التائب الأنصاري الدمشقي عن نيف وتسعين سنة.

---

(١) محمود بن خطيب بعلبك محيي الدين محمد بن عبد الرحيم المسلمي، انظر الشذرات ٦/ ١١٢ والبداية والنهاية ١٤/ ١٧١.

(٢) انظر ترجمته في الشذرات ٦/ ١١٠ والوافي بالوفيات ١٩/ ٨٠ والدرر الكامنة ٣/ ١٢ والسلوك ٢/ ٣٨٨ والنجوم الزاهرة ٩/ ٣٠٦ والبداية والنهاية ١٤/ ١٧١ وحسن المحاضرة ١/ ٣٥٨.

(٣) انظر الخبر في المختصر ٤/ ١١٥.

(٤) انظر المختصر ٤/ ١١٥ والبداية والنهاية ١٤/ ١٧٠.

(٥) الأصل: فقتل.

(٦) انظر الخبر في الشذرات ٦/ ١٠٩ والبداية والنهاية ١٤/ ١٧٠.

(٧) انظر ترجمتها في الشذرات ٦/ ١١٠ والوافي ١٥/ ٦٨ ومرآة الجنان ٤/ ٢٩١، والدرر الكامنة ٢/ ٢١٥.

(٨) الأصل، سهيل، وانظر في الشذرات ٦/ ١١٢ والمختصر ٤/ ١١٦ والبداية والنهاية ١٤/ ١٧٢.

(٩) الشذرات ٦/ ١١٠ والوافي بالوفيات ٧/ ١٤٧ والدرر الكامنة ٢/ ٣٦٢.

سنة ست وثلاثين وسبعمائة:

/ ٤١١/ في أولها: سار[١] نائب الشام[٢] في[٣] الجيش إلى مدينة جعبر وتصيّد، وقرر قواعد البلد، وكان قد دثر من أثار هولاكو.

وتوفي المعمر الشيخ علي[٤] بن ممدود البندنيجي بالسميساطية عن اثنين وتسعين سنة، وكان عالي الإسناد.

وتوفي الإمامان مدرس الناصرية كمال الدين أحمد[٥] بن محمد الشيرازي عن ست وستين سنة، وقد ذُكر للقضاء. ومدرس الأمينية قاضي العسكر علاء الدين[٦] علي بن محمد بن القلانسي المحتسب.

وفي ربيع الآخر: مات صاحب الشرق القان أبو سعيد[٧] بن خربندا ودفن بالسلطانية وله بضع وثلاثون سنة، وكانت دولته عشرين سنة وكان فيه دين وعدل، كتب المنسوب، وأجاد ضرب العود.

وفيها: افتتحت قلعة النقير من بلاد سيس ودكّت.

سنة سبع وثلاثين وسبعمائة:

افترق[٨] جيش العراق بعد موت أبي سعيد، وملكوا اثنين، ثم التقوا فانتصر علي باشا وسلطانه موسى، وحكموا على أذربيجان وغيرها، وقتلوا صبراً الوزير محمد بن الرشيد الشاب الذي كان سلطنه ادبه كاوون.

وفي أول سنة سبع: جاء الخبر أن التتار اقتتلوا فقتل علي باشا الملك موسى بن علي بن بيدو بن نغبة بن هولاكو، فكانت دولته ثلاثة أشهر ودولة المقتول قبله ستة أشهر، وتمكن الشيخ حسين بن افتغا واسم سلطانه والصبي الذي سلطنه.

---

(١) المختصر ٤/ ١١٦ والبداية والنهاية ١٤/ ١٧٣.

(٢) هو الأمير سيف الدين تنكز.

(٣) كلمة بعدها كلمة غير مفهومة.

(٤) علي بن محمد بن ممدود بن جامع، أبو الحسن، البندنيجي البغدادي، الصوفي، انظر: الشذرات ٦/ ١١٣ والبداية والنهاية ١٤/ ١٧٤.

(٥) أحمد بن محمد بن محمد بن هبة الله، الشيرازي، الشافعي، انظر: الشذرات ٦/ ١١٢ والوافي بالوفيات ٨/ ١٢٧ والدرر الكامنة ١١/ ٣٠١ والدارس ١/ ٢٠٩ والبداية والنهاية ١٤/ ١٧٥.

(٦) انظر المختصر ٤/ ١١٨ والوافي ٢٢/ ١٣٨ والبداية النهاية ١٤/ ١٧٥ والدرر الكامنة ٣/ ١١٨ والدارس ١/ ١٩٨.

(٧) انظر: الشذرات ٦/ ١١٣ والمختصر ٤/ ١١٨ والبداية والنهاية ١٤/ ١٧٤ والنجوم الزاهرة ٩/ ٣٠٩.

(٨) انظر: الشذرات ٦/ ١١٣.

وتوفي المحدث الصالح محب الدين عبد الله[١] بن أحمد بن المحب المقدسي كهلاً.

وشيخ نابلس الإمام شمس الدين عبد الله بن العفيف محمد[٢] بن يوسف عن ثمان وثلاثين سنة.

وتوفي بمصر في جمادى الآخرة، مسندها شرف الدين يحيى[٣] بن يوسف المقدسي، ثم المصري، وقد جاوز التسعين.

والشيخ الكبير المتزهد محمد[٤] بن عبد الله بن المجد المرشدي بقريته. ويحكى عنه أحوال وأطعام كثير /٤١٢/ تجاوز الوصف، ويقال كان حتى قيل إنه أنفق في ثلاث ليال ما يساوي خمسة وعشرين ألف درهم.

وفيها: غزى[٥] المسلمون بلاد سيس، وضايقوا صاحبها حتى سلّم ست حصون فصولح بعد على حمل ستمائة ألف في السنة. فأخرب بعض القلاع.

[سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة]:

توفي المعمر أبو بكر محمد[٦] بن الرضي المقدسي عن تسع وثمانين سنة، فكان من أعيان المسندين.

وفي رمضان: توفي القاضي محيي الدين يحيى[٧] بن فضل الله العدوي، كاتب السر بمصر عن ثلاث وتسعين سنة، نقل في تابوت إلى دمشق وله رواية عالية، ومحاسن وأموال.

وفي ذي القعدة: توفي عالم الوقت شيخ الشافعية شرف الدين هبة الله[٨] بن عبد الرحيم بن البارزي بحماة عن أزيد من ثلاث وتسعين سنة، صنف التصانيف، وتخرج به أئمة وقته.

---

(١) أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد، السعدي، الصالحي، المقدسي، الحنبلي، انظر: الشذرات ٦/ ١١٤ والوافي بالوفيات ١٧/ ٦٠ والبداية والنهاية ١٤/ ١٧٨ والدرر الكامنة ٢/ ٣٤٨.

(٢) عبد الله بن محمد بن يوسف بن عبد المنعم، أبو محمد، المقدسي النابلسي، انظر: الشذرات ٦/ ١١٥ والبداية والنهاية ١٤/ ١٧٩.

(٣) ترجمته في الشذرات ٦/ ١١٦ والدرر الكامنة ٥/ ٢٠٥.

(٤) انظر ترجمته في الشذرات ٦/ ١١٦ والبداية والنهاية ١٤/ ١٧٩.

(٥) انظر التفاصيل في المختصر ٤/ ١١٩ والبداية والنهاية ١٤/ ١٧٨.

(٦) أبو بكر بن محمد بن الرضي الصالحي القطان، انظر ترجمته في الشذرات ٦/ ١١٦.

(٧) انظر المختصر ٤/ ١٢٢ والدرر الكامنة ٥/ ١٩٩ والبداية ووالنهاية ١٤/ ١٨٣.

(٨) انظر ترجمته هبة الله المعروف بابن البارزي في الشذرات ٦/ ١١٩ والدرر الكامنة ٥/ ١٧٤ والبداية والنهاية ١٤/ ١٨٢.

وتوفي قاضي القضاة جمال الدين يوسف[١] بن إبراهيم بن جملة الشافعي عن سبعٍ وخمسين سنة، وأعطى قبل موته تدريس الشافعية الكبرى.

وفيها: بعد موت ابن المجد عبد الله[٢] قدم على قضاء دمشق قاضي القضاة جلال الدين[٣].

سنة تسع وثلاثين وسبعمائة:

فيها: زلزلت[٤] طرابلس، فأخرج من تحت الهدم ستون جنازة.

ومات قاضي الشام ومصر جلال الدين محمد[٥] بن عبد الرحمن القزويني عن ثلاث وسبعين سنة.

والحافظ علم الدين القاسم[٦] بن محمد البرزالي محرماً عن خمس وسبعين سنة.

والإمام بدر الدين أبو اليسر[٧] بن[٨] القاضي عز الدين محمد بن الصائغ، عن ثلاث وستين سنة.

وعالم بغداد صفي الدين عبد المؤمن[٩] بن عبد الحق الحنبلي، وله ثمانون سنة.

وكبير أمراء دمشق سيف الدين كجلن[١٠] المنصوري، وقد قارب التسعين.

---

(١) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن إبراهيم، الحجي، الدمشقي، الصالحي، انظر: الشذرات ٦/ ١١٩ والدرر الكامنة ٥/ ٢١٩ والبداية والنهاية ١٤/ ١٨٢.

(٢) اسمه في الشذرات ٦/ ١١٨: شهاب الدين محمد بن المجد الأربلي.

(٣) جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزوينين، يذكره المؤلف في وفيات سنة ٧٣٩هـ.

(٤) انظر: الشذرات ٦/ ١٢٠.

(٥) جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر، ينتهي نسبه إلى أبي دلف العجلي، انظر: شذرات الذهبي ٦/ ١٢٣ المختصر ٤/ ١٢٨ والوافي بالوفيات ٣/ ٢٤٢ والبداية والنهاية ١٤/ ١٨٥.

(٦) القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد البرزالي، محدث الشام، انظر: الشذرات ٦/ ١٢٢ والمختصر ٤/ ١٣١ (أحداث سنة ٧٤٠هـ) والوافي بالوفيات ٢٤/ ١٦١ وتذكرة الحفاظ ١٧ البداية والنهاية ١٤/ ١٨٥ والدرر الكامنة ٣/ ٣٢٦.

(٧) أبو اليسر محمد بن محمد (عز الدين) بن عبد القادر الأنصاري، بن الصائغ الدمشقي، انظر: الشذرات ٦/ ١٢٣ والمختصر ٤/ ١٢٩.

(٨) في الأصل (نسيب).

(٩) عبد المؤمن بن عبد الحق بن عبد الله بن علي بن مسعود بن شمايل البغدادي، الحنبلي، انظر ترجمته في، الشذرات ٦/ ١٢١ والوافي بالوفيات ٩/ ٢٤٥ والدرر الكامنة ٣/ ٣٢ وتاريخ علماء بغداد ص٩٨.

(١٠) كجلن المنصوري: أحد الأمراء الكبار بدمشق، انظر: الدرر الكامنة ٣/ ٣٥١.

سنة أربعين وسبعمائة:

في شعبان: توفي أمير المؤمنين المستكفي بالله سليمان[١] بن الحاكم، وهو ابن بضع وخمسين سنة، وخلافته تسع وثلاثون سنة، مات بقوص.

وفيها: كان[٢] شأن النار السمائية بأعمال طرابلس، فأحرقت من الشجر والزرع والخشب، فكانت آية، وأُطفيت وأحرقت فيه أخشاب في عين الفسيحة وثلاث بيوت.

وكثر الوباء والمرض بالشام.

وماتت مسندة الوقت زينب[٣] بنت الكمال عن أربع وتسعين سنة بكراً وعذراء.

والمعمّر الشيخ إبراهيم[٤] بن القريشية.

وعساكر التتار في اختلاف وبلاء من بعد أبي سعيد، وأهل العراق في غلاء وهرج.

وفيها: كان[٥] الحريق الكبير في دمشق بالدهشة، ثم بقيسارية القواسين وذهب لأهلها أموالهم، وأحرق المأذنة الشرقية، وذلك من فعل النصارى، أقرَّت طائفة، فَصُلب أحد عشر، ثم بعد أن أَخَذَ منهم قريب من ألف ألف درهم وأسلم ناس (منهم)[٦].

وفي آخر ذي الحجة: أُمسك[٧] تنكز نائب دمشق، ثم أهلك بالإسكندرية بالسم بعد أيام عن بضع وستين، وناب بعده الطنبغا.

سنة إحدى وأربعين وسبع مئة إلى سنة خمسين وسبع مئة

سنة إحدى وأربعين وسبعمائة:

في المحرم: وسط[٨] (بدمشق)[٩] طغية وجنغية[١٠].

---

(١) أبو الربيع سليمان بن الحاكم، انظر: المختصر ٤/ ١٣٢ والشذرات ٦/ ١٢٦ وتاريخ الخلفاء ص٤٨٦ والبداية والنهاية ١٤/ ١٨٧.

(٢) الخبر في الشذرات ٦/ ١٢٤.

(٣) زينب بنت الكمال أحمد بن عبد الرحيم المقدسية، أم عبد الله، انظر: الشذرات ٦/ ١٢٦ والوافي بالوفيات ١٥/ ٦٨ ومرآة الجنان ٤/ ٣٠٥ والدرر الكامنة ٢/ ٢٠٩.

(٤) إبراهيم بن بركات بن أبي الفضل بن القرشية البعلبكي الصوفي، انظر الشذرات ٦/ ١٢٤ والوافي بالوفيات ٥/ ٣١٧ والدارس ٢/ ١٣٩ والدرر الكامنة ١/ ٣٠ وفيها: ابن القريشة.

(٥) الشذرات ٦/ ١٢٦ والمختصر ٤/ ١٣٢ والبداية والنهاية ١٤/ ١٨٦.

(٦) زيادة يقتضيها السياق.

(٧) انظر تفاصيل الخبر في المختصر ٤/ ١٣٣ والبداية والنهاية ١٤/ ١٨٧.

(٨) انظر الخبر في المختصر ٤/ ١٣٣.

(٩) الزيادة عن المختصر.

(١٠) في البداية والنهاية: الحجي بغا العادلي وطنبغا الحجي.

ومات شيخ خانقاه الجاولي العلامة افتخار[١] الدين جابر بن بركة الخوارزمي عن بضع وسبعين سنة.

والملك أنوك[٢] بن الملك الناصر رحمه الله.

وزاهد الوقت الشيخ محمد[٣] بن أحمد بن تمام عن تسعين سنة.

وشيخ الشافعية عصر بن القماح عن سبعين سنة.

والعابدة أم محمد زوجة الحافظ المزّي.

والأمير صلاح الدين يوسف بن السلطان الملك الأوحد.

والزاهد خالد بن بدر بن دمشق.

والمقري العابد محمد بن عبيدان، وله نحو الثمانين ببعلبك.

والمسند علي بن علي /٤١٤/ الصيرفي في عشر الثمانين.

وفي يوم الأربعاء من عشرين ذي الحجة: وردت الأخبار بوفاة[٤] سلطان الإسلام السلطان الملك الناصر ابن الشهيد الملك المنصور قلاوون الصالحي رحمه الله تعالى. وحصل بموته ألمٌ عظيم[٥]، لأنهم لم يلقوا[٦] منه إلا خيراً رحمه الله تعالى، وعوّضه الجنّة، عن ستين، وعُهِدَ عند موتِهِ لولدِهِ السلطان الملك المنصور أبي بكر، فجلس على كرسي المملكة قبل موت والده بثلاثة أيام، وضُرِبت البشائر له في الدنيا، جَعَلَهُ الله مباركاً على المسلمين.

سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة:

في المحرم: بايع[٧] مولانا السلطان الملك المنصور للخليفة[٨] الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بن الخليفة المستكفي بالله أبي الربيع سليمان بعهد[٩] مَنْ كان قد عهد

---

(١) انظر ترجمته في الشذرات ٦/ ١٢٩ وهو جابر بن محمد بن محمد بن عبد العزيز بن يوسف الخوارزمي الكاتي والنجوم الزاهرة ٩/ ٣٢٦.

(٢) انظر الخبر: المختصر ٤/ ١٣٣ وترجمته في الوافي ٩/ ٤٣١ والدرر الكامنة رقم ١٠٨٣.

(٣) انظر: المختصر ٤/ ١٣٣ والشذرات ٦/ ١٣١ والوافي ٢/ ١٥٢ والدرر الكامنة ٣/ ٣١١ والفوات ٢/ ٢٢٨ وشذرات الذهب ٦/ ١٣١.

(٤) انظر الخبر في: المختصر ٤/ ١٣٤ والشذرات ٦/ ١٣٤ والبداية والنهاية ١٤/ ١٩٠.

(٥) الأصل: ألماً عظيماً. (٦) الأصل: يلقون.

(٧) انظر: الشذرات ٦/ ١٣٥ وتاريخ الخلفاء ص٤٩٠ المختصر ٤/ ١٣٥.

(٨) الأصل: انظر النجوم الزاهرة ١٠/ ٤.

(٩) زيادة يقتضيها السياق.

إليه والده، ولم يُبايع في حياة الملك الناصر، فأما ولي ولده أمر بمبايعته، فبويع وجلس معه السلطان على كرسي الملك، وبايعه القضاة وغيرهم، والحمد لله.

وفي شهر صفر: توفي شيخ الإسلام الحافظ جمال الدين المزي[١] صاحب التصانيف عن ثمان وثمانين سنة رحمه الله تعالى.

تواترت[٢] الأخبار بفساد الملك المنصور وشربه للخمور حتى قيل إنه جامع زوجات أبيه ـ ثبت الله إيماننا ـ ثم خُلع من السلطنة، وأرسل إلى قوص، فأقام بها، وأمر قوصون واليها بقتله، فقتل رحمه الله. وتسلطن أخوه الملك الأشرف كجك[٣] وهو ابن ثمان سنين جعل الله العاقبة إلى خير.

وفي شهر جمادى الآخر: أمر[٤] قوصون ـ وقد كان من بعض خواص الملك الناصر ـ الفخري[٥]، وسيّر معه ثمانمائة نفساً لحصار السلطان أحمد بن الملك الناصر بقلعة الكرك، وأرسل معه أيضاً إلى نائب دمشق الطنبغا / ٤١٥/ وأمر أن يسير إلى نائب حلب طشتمر، وأن يقاتله، وكان طشتمر قد امتنع من مبايعة السلطان الملك الأشرف كجك. فسار الطنبغا في جيش دمشق، وهو عشرة آلاف، وأمد بمال من قوصون إلى أن وصل إلى حلب، فلما سمع طشتمر بقدومه، واستعظم قتال المسلمين، فهرب في بعض خواصه إلى درنة[٦]، فدخل الطنبغا بالجيش إلى حلب، فنهب أمواله وأثاثه وحواصله، ثم عرج الفخري إلى دمشق بعد محاصرة الكرك أياماً، وبايع صاحبها السلطان أحمد، وأتى بمن معه، فبايعه من بقي من الجيش الذين تأخروا عن (المضي إلى)[٧] حلب، فاشتدّ أمر الفخري قليلاً، ثم ذهب إلى ثنيّة العقاب[٨] وأخذ من مخزن الأيتام أربعمائة

---

(١) هو جمال الدين أبو الحجاج، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الملك بن يوسف المزي، الشافعي، الحافظ الكبير، انظر: شذرات الذهب ٦/ ١٣٦ وتاريخ الخلفاء ص٤٩٩ والوافي بالوفيات ٢٩/ ٢٤٢ وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٩٩ وفوات الوفيات ٤/ ٣٥٣ والبداية والنهاية ١٤/ ١٩١.

(٢) انظر: الشذرات ٦/ ١٣٥ والمختصر ٤/ ١٣٥ وخطط المقريزي ٣/ ٩٦ والنجوم الزاهرة ١٠/ ١٢.

(٣) انظر: المختصر ٤/ ١٣٥.

(٤) الأشرف علاء الدين كجك ابن السلطان الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون الألفي الصالحي النجمي، ولي سلطنة مصر بعد خلع أخيه أبي بكر الملك الناصر محمد سنة ٧٤٢هـ، وعمره دون السبع سنين، وخلع في نفس السنة وولي مكانه أخوه أحمد بن الناصر، وقتل سنة ٧٤٦هـ. النجوم الزاهرة ١٠/ ٣٠ ـ ٤٩.

(٥) هو الأمير قطلبغا الفخري الناصري.

(٦) في الأصل كلمة غير مقروءة.

(٧) زيادة يقتضيها السياق.

(٨) ثنية العقاب، ثنية مشرفة على غوطة دمشق، يطؤها القاصد من دمشق إلى حمص، وقف عليها

=

ألف درهم، وكان الطنبغا قد استدان منه مائة ألف درهم غيره الله، فهو الذي فتح الباب فإنا لله وإنا إليه راجعون.

كل ذلك والطنبغا في خلب، فلما وصل خبر ما جرى بدمشق رجع على عقبه رادّاً، فلما قرب من دمشق قدم بعض الأمراء إلى الفخري وبايعه ثم أرسل الفخري القضاة إلى الطنبغا في أن يقدم بلا قتال، وأن يحقن دماء المسلمين في شهر الله الأصمّ، كل ذلك ألقوا في نفسه، وتأبّى، وأقام على ذلك أياماً حتى هلك بعض الجيش من الجوع والقلّة، وكان الفخري قد استعان بأهل كسروان الجبلية والحرافيش، ودفع لهم مالاً، ثم لبس كل من الفريقين عدد القتال، فلما قربت الوقعة، قدمت الميسرة إلى الفخري ثم تبعتها الميمنة، وبقي الطنبغا في أميرين أحدهما المرقبي والآخر ابن الأبو بكري، والثالث الحاج أرقطاي نائب طرابلس، فمضى الثلاثة بقليل من الخيل إلى مصر، ثم أرسل الفخري إلى دمشق، فدقّت البشائر بالنصر، وأرسل إلى الكرك /٤١٦/ فأعْلم صاحبها بالنصر، ثم خُطب له بدمشق وغزّة والقدس، فلما أن وصل الطنبغا ومن مَعَهُ إلى مصر، تغيّر أمر قوصون، واختلف عليه، وكان قد غَلَب على الأشرف لصغرِهِ. وصار الأمر له، فقبض عليه أيدغمش أمير آخور الناصر رحمه الله، ونُهب دارُهُ، واتفق هو والمصريين[١] على إرساله إلى إسكندرية، وقيّد الطنبغا وحبس بمصر، فلما وصل إلى طشتمر ما جرى قدم من درنه إلى دمشق، فاجتمع الفخري بالقضاة، وخرجوا إلى (....) بكلما يحتاج إليه، ثم أقام طشتمر بدمشق أياماً، ثم عزم على الرحيل إلى مصر هو والفخري ومن معهما.

وفي أواخر رمضان[٢]: عزم السلطان الملك الناصر على مصر، فخرج من الكرك ومعه جماعة قليلة، فدخل مصر، وعمل أعزية لوالده ولأخيه، ثم حبس على كرسي الملك هو والخليفة، وبويع وعقد المبايعة بينهما قاضي القضاء بدر الدين السبكي. وكان قد سار هو ورفقاؤه الثلاثة، وخلع السلطان عليهم خلعاً سنية، وزينت له مصر عشرين يوماً أوْ أزيد، فلما وَصَلَتْ الأخبار بجلوسه على كرسي الملك زينت له البلد سبعة أيام، ودقّت له البشائر والمغاني ولله الحمد على ذلك، ثم أمر بغرق الطنبغا وقوصون في البحر، فأعدموا.

= خالد بن الوليد ناشراً رايته التي كانت لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتسمى العقاب، فسميت الثنية بها (معجم البلدان ٢/ ٨٥).

(١) كذا والصوب: المصريون.

(٢) المختصر ٤/ ١٣٦، والبداية والنهاية ١٤/ ١٩٩ والنجوم الزاهرة ١٠/ ٥٨.

وفي شهر ذي الحجة: أمر مولانا السلطان بتوسط الفخري وطشتمر، فوسطا بالكرك[١].

واستهلت؛

سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة:

في شهر الله المحرم: تواترت الأخبار برجوع[٢] الملك الناصر إلى قلعة كرك بعد أن أخَذَ الأموال التي بقلعة الجبل، وتحجَّبَ عن الناس، ونُسِبتْ إليه أشياء قبيحة لا تليق بالملوك، فانقلب عسكر الشام عليه /٤١٧/ إلى مصر فخلعوه وولّوا السلطان الملك الصالح إسماعيل بن الملك الناصر[٣]، فوردت الأخبار إلى دمشق بذلك، وضُرِبت البشائر، وزينتْ دمشق سبعة أيام.

وفي شهر ربيع الآخر: رسم السلطان أعَزَّ الله أنصاره أن تحاصر الكرك لأجل سلطانها الملك شهاب الدين أحمد، وأظْهَرَ إنَّ السبب إنما هو ما اخَذَهُ عند رواحِهِ من قلعة الجبل، فتحصن بها، ونصب المجانيق، وسيّر جيشاً يسيراً من دمشق وكذلك من مصر، وبعد ليال وَقَعَتْ بينهما وقعة قتل فيها من الكرك قريب خمسمائة، ومن الغرباء قريب المائتين وحصل بسبب ذلك غلاء كثير، حتى وصل الخبز الرطل بدرهمين، جَعَلَ الله العاقبة إلى خير.

وفي شهر جمادى الأولى: زينت دمشق بسبب عافية السلطان.

وفي مستهل جمادى الآخرة: توفي في ثالث يوم منه الأمير علاء الدين أيدغمش[٤] ودفن بالقبيبات، وكانت سيرته نحسة.

وفي شهر رمضان: توفي الأديب تاج الدين عبد الباقي اليماني[٥] وكان فاضلاً.

وفي مستهل شوّال: خرج[٦] الأمير ركن الدين بيبرس الأحمدي من مصر ومعه

---

(١) انظر: المختصر ٤/ ١٣٨.

(٢) انظر المختصر ٤/ ١٣٨ والشذرات ٦/ ١٣٧ ودول الإسلام الشريفة ص٦٣ والنجوم الزاهرة ١٠/ ٦٧.

(٣) السلطان الملك الصالح عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن الملك الناصر. ولي سنة ٧٤٣هـ بعد خلع أخيه الناصر باتفاق الأمراء وتوفي سنة ٧٤٦هـ. النجوم الزاهرة ١٠/ ٧٨.

(٤) أيدغمش، أمير آخور الناصري، علاء الدين من مماليك سيف الدين بلبان الطباخي انظر ترجمته في الوافي ٩/ ٤٨٨ والدرر الكامنة رقم ١١٢٠.

(٥) عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله بن أبي المعالي، تاج الدين اليمني المخزومي، المكي انظر ترجمته في الوافي ٨/ ٢٣ وفوات الوفيات ٢/ ٢٤٦ والدرر الكامنة ٢/ ٤٢٣ والنجوم الزاهرة ١٠/ ١٠٤ وشذرات الذهب ٦/ ١٣٨ والبدر الطالع ٢/ ٣١٧.

(٦) انظر النجوم الزاهرة ١٠/ ٨٥.

جيش لحصار الكرك، وكذلك خرج من دمشق جيش كثير، وأقاموا على الحصار العظيم بالمناجيق والنفط وغير ذلك، ووقع الغلاء إلى أن بَلَغَ الخبز بها الأوقية بدرهم، ووقع في هذه المدة أيضاً الغلاء بدمشق وأكل الناس الشعير، وبلغتْ الغرارة القمح بدمشق إلى مائتين. واستمرّ الحصار إلى انقضاء هذه السنة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

سنة أربع وأربعين وسبعمائة:

في أولها: جهزا[1] إلى الكرك، وقدم من كان بها، وقتل جماعة من /٤١٨/ الشاميين.

وفي جمادى الأولى: توفي الإمام شمس الدين محمد بن عبد الهادي[2] عن ست وأربعين سنة، وكان بحراً في العلم.

وفي شهر جمادى الآخرة: قتل إبراهيم بن يوسف بن أبي بكر المقصاتي الرافضي إلى لعنة الله، وشهد عليه بشتم الصحابة رضي الله عنهم، وقذف عائشة رضي الله عنها، ووقع في حق جبريل عليه السلام.

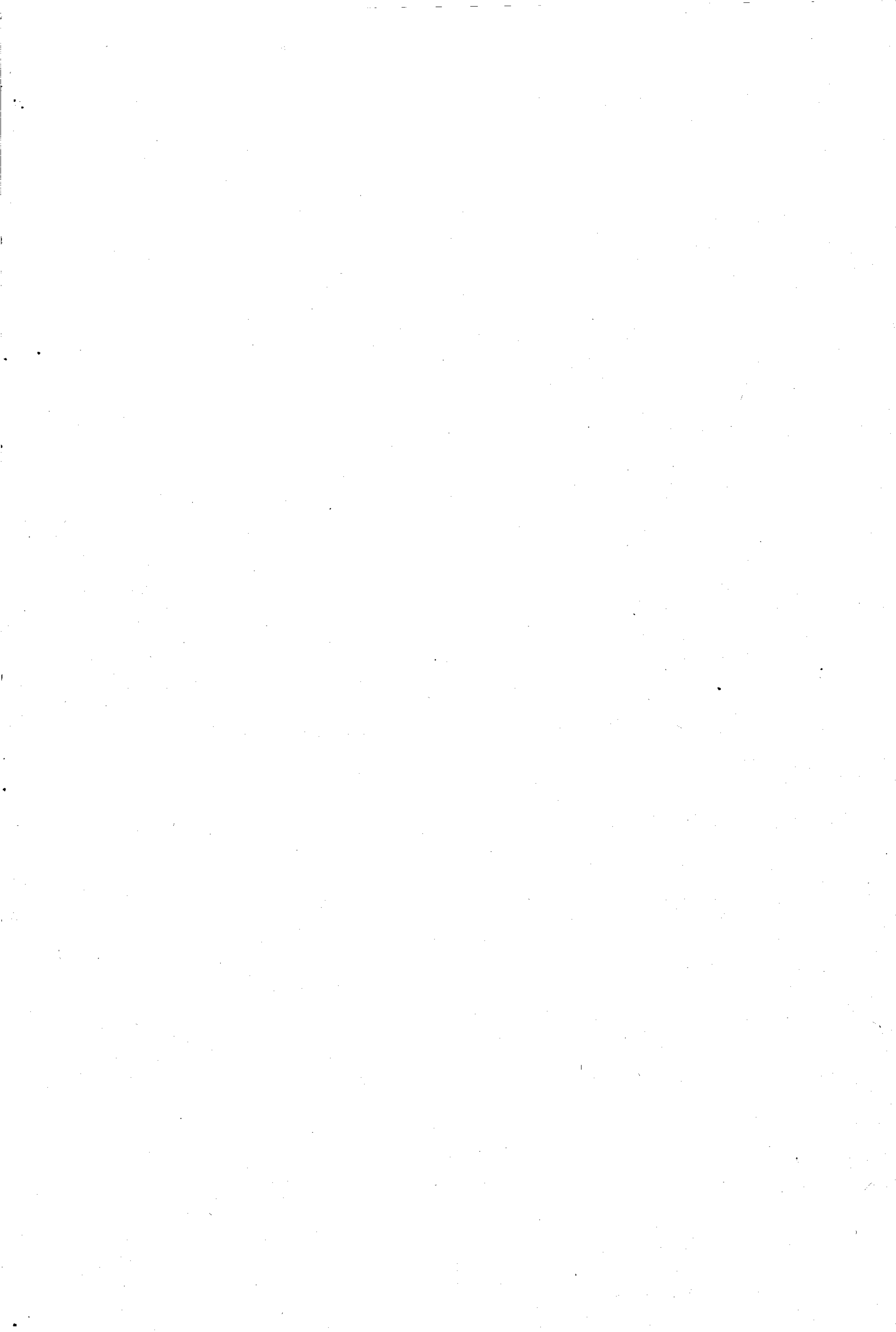
* * *

تم الجزء المبارك وهو آخر جزء من كتاب
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار
جمع الشيخ الإمام العلامة
شهاب الدين، أبي العباس، أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري الشافعي
رحمة الله تعالى عليه
وذلك في ثامن عشرين شعبان المبارك عام تسع عشرة وثمانمائة من الهجرة النبوية
على صاحبها أفضل الصلاة والسلام
إن شاء الله تعالى
والحمد لله،
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

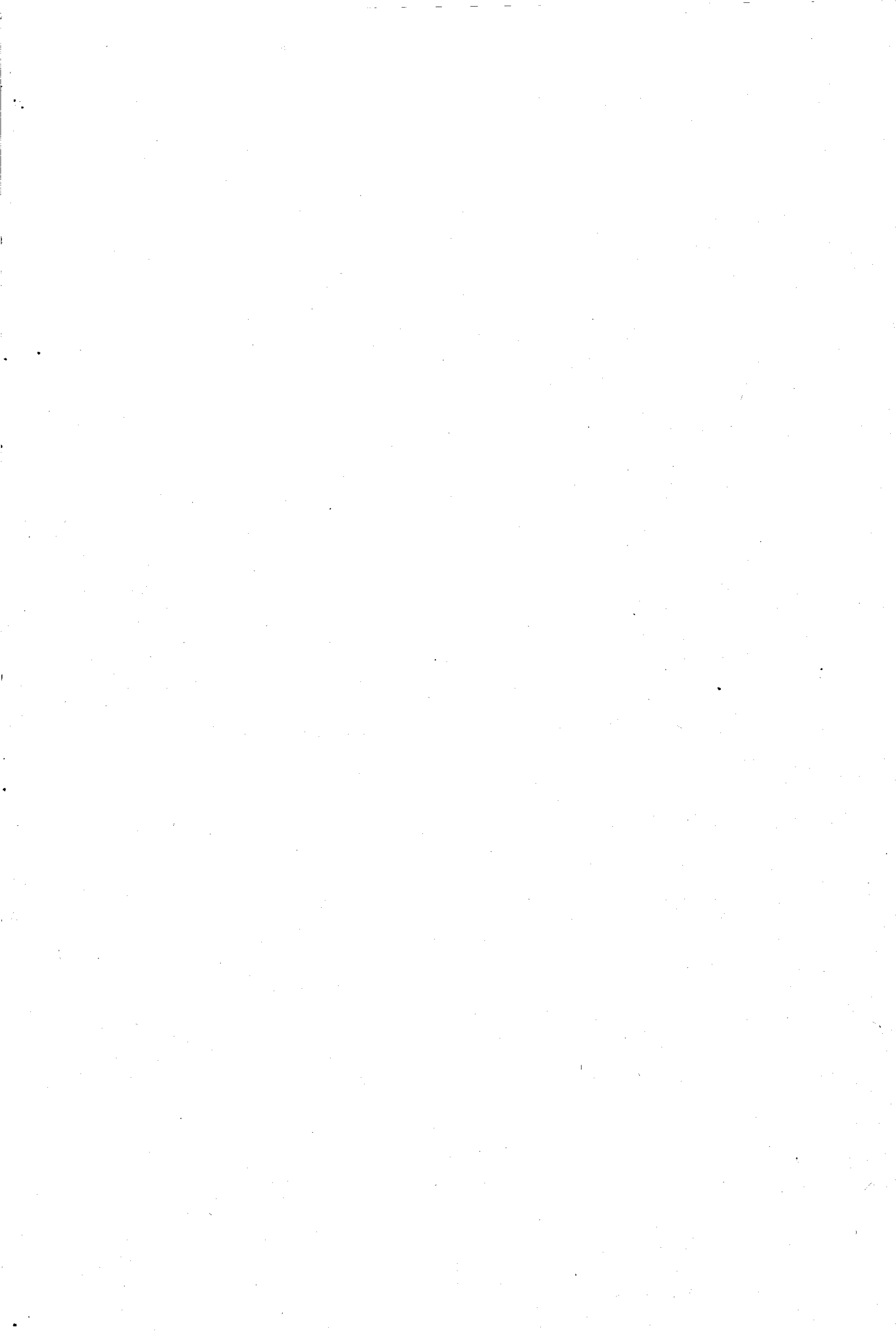
* * *

(١) بعده في الأصل كلمة غير مقروءة.

(٢) محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي، المقدسي، ثم الصالحي، الفقيه الحنبلي، انظر ترجمته في الشذرات ٦/ ١٤١ والوافي بالوفيات ٢/ ١٦١.



مصادر ومراجع التحقيق



مصادر ومراجع التحقيق

• اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، للمقريزي، تحقيق د. جمال الدين الشيال و د. محمد حلمي محمد أحمد نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣.

• الاستبصار في عجائب الأمصار لكاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري. تحقيق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد، بغداد ١٩٨٦.

• الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، أحمد بن خالد الناصري، الدار البيضاء، ١٩٥٤.

• البداية والنهاية. أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير، مطبعة السعادة، مصر ١٩٣٢.

• البدر الطالع: محمد بن علي الشوكاني، مطبعة السعادة بمصر ١٣٤٨هـ.

• البرق الشامي، عماد الدين الأصفهاني الكاتب. تحقيق: د. مصطفى الحياري، عمان، ١٩٨٧.

• البيان المغرب لابن عذارى المراكشي، (١ ـ ٢) تحقيق: كولان ليفي وليفي بروفتال (ليدن ١٩٤٨)، و(قسم الموحدين)، تحقيق محمد إبراهيم الكناني ومحمد بن تاويت ومحمد زنيبر وعبد القادر زمامة، بيروت ١٩٨٥.

• تاريخ إربل: المبارك بن أحمد اللخمي، تحقيق: سامي السيد فارس، بغداد: ١٩٨٠.

• تاريخ بغداد، الحافظ أحمد بن علي الخطيب البغدادي، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٣١.

• تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٤٤.

• تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر.

• تاريخ علماء بغداد، المسمى منتخب المختار، أبو المعالي محمد بن رافع

السلامي، محمد عباس العزاوي، بيروت ٢٠٠٠م.

• تاريخ علماء المستنصرية، د. ناجي معروف، القاهرة، ط٣.

• تاريخ مختصر الدول، غريغوريوس المعروف بابن العبري، تحقيق الأب أنطون صالحاني اليسوعي، بيروت، ١٩٨٣.

• ثمرات الأوراق، لتقي الدين أبي بكر بن علي بن محمد بن حجة الحموي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الخانجي بمصر ١٩٧١.

• الحماسة، أبو تمام الطائي، تحقيق د. عبد المنعم أحمد صالح، بغداد.

• الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، عبد الرزاق بن الغوطي، تحقيق: مصطفى جواد، بغداد، ١٣٥١هـ. واعتمدت في بعض المواضع على تحقيق مهدي عبد الحسين النجم، بيروت، ٢٠٠٣م.

• خريدة القصر وجريدة العصر (قسم العراق): عماد الدين الأصفهاني، تحقيق. محمد بهجت الأثري. بغداد، ١٩٧٣.

• خطط المقريزي، أحمد بن علي المقريزي، كتاب التحرير، القاهرة.

• الدارس في تاريخ المدارس، عبد القادر بن محمد النعيمي، تحقيق جنو الحسني. دمشق ١٩٤٨.

• دول الإسلام الشريفة البهية وذكر ما ظهر لي من حكم الله الخفية في جلب طائفة الأتراك إلى الديار المصرية، أبو حامد محب الدين محمد بن خليل المقدسي، تحقيق صبحي لبيب وأولويش هارمان، بيروت، ١٩٩٧.

• الدرر الكامنة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد سيد جاد الحق، القاهرة ١٩٦٦.

• ديوان شرف الدين الأنصاري، تحقيق د. عمر موسى باشا، دمشق ١٩٦٧.

• ديوان دعبل بن علي الخزاعي، تحقيق عبد الكريم الدجيلي، النجف ١٩٦٢.

• ديوان ابن عفيف، تحقيق خليل مردم بك، دمشق ١٩٤٦.

• الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت.

• كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، القاهرة، ١٢٨٧هـ.

• السلوك لمعرفة دول الملوك، أحمد بن علي المقريزي، القاهرة ١٩٣٤.

• شذرات الذهب: عبد الحق بن العماد الحنبلي، دار المسيرة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩.

• شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، أحمد بن إبراهيم الحنبلي، تحقيق ناظم رشيد، بغداد، ١٩٧٨.

• صبح الأعشى، أبو العباس القلقشندي، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩١٣.

• ضحى الإسلام، أحمد أمين، القاهرة.

• الطالع السعيد، جعفر بن ثعلب الأدفوي، تحقيق سعد محمد حسن، القاهرة ١٩٦٦.

• العبر في خبر من غبر، الحافظ الذهبي، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، الكويت: ١٩٦٠ ـ ١٩٦٦.

• العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك: الملك الأشرف الغساني، تحقيق شاكر محمود عبد المنعم، بغدا ١٩٧٥.

• عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ابن عنبة، أحمد بن علي الحسني، النجف، ١٩٨٨.

• عيون التواريخ، لمحمد بن شاكر الكتبي، تحقيق د. فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود، بغداد ١٩٨٠ ـ ١٩٩١.

• الغيث المسجم، خليل بن أيبك الصفدي المطبعة الأزهرية، مصر ١٣٠٥هـ.

• الفخري في الأحكام السلطانية، محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي، المطبعة الرحمانية بمصر، ١٩٢٧.

• الفهرست، لابن النديم، مطبعة الاستقامة بالقاهرة.

• فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٥١.

• الفوائد الجلية في الفرائد الناصرية، داود بن عيسى الأيوبي، تحقيق د. ناظم رشيد، بغداد ١٩٩٢.

• الكامل في التاريخ، ابن الأثير الجزري، بيروت.

• لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، حيدر آباد، الركن، ١٣٣١هـ.

• المختصر في أخبار البشر، لأبي الفدا، القاهرة، ١٣٢٥هـ.

• مرآة الجنان وعبر اليقظان، عبد الله بن أسعد اليافعي، حيدر آباد الدكن، ١٣٣٨هـ.

• مرآة الزمان في تاريخ الأعيان: يوسف بن قزاو غلي، سبط ابن الجوزي، الهند ١٩٥١.

• معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق مرجليوث.

• معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار الكتاب العربي، بيروت.

• المغرب في حلى المغرب (قسم القاهرة) لابن سعيد. تحقيق د. حسين نصار، دار الكتب ١٩٧٠.

• مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، لابن واصل، تحقيق د. جمال الدين الشيال (القاهرة ٩٥٣ ـ ١٩٦٠)

• المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي (٥ ـ ١٠) حيدر آباد الركن، ١٣٥٧هـ.

• الموسوعة الميسرة، بإشراف محمد شفيق غربال، القاهرة.

• ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد الذهبي. ط الخانجي، القاهرة، ١٣٢٥هـ.

• النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٣٦.

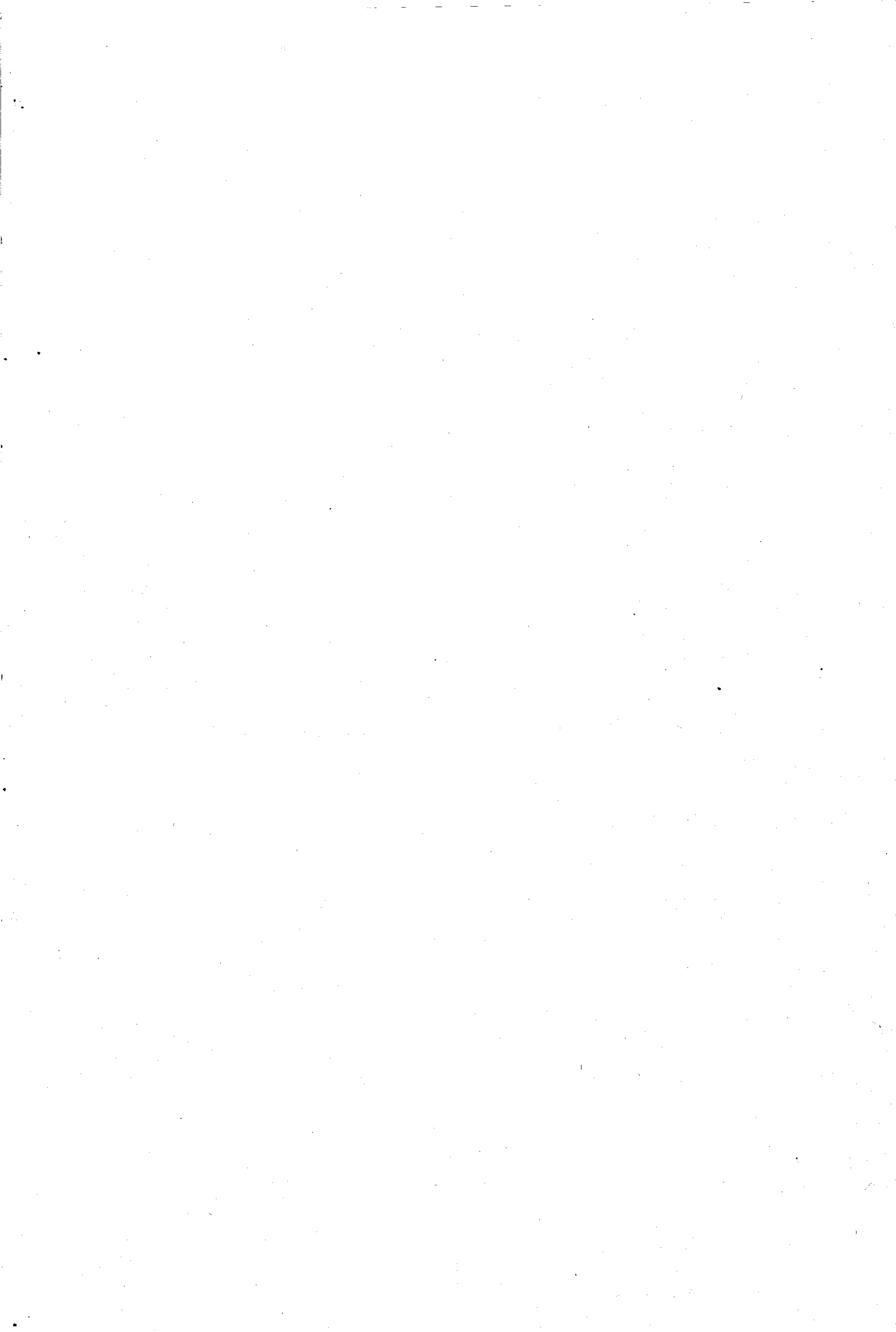
• نكت الهميان في نكت العميان، خليل بن أيبك الصفدي، المطبعة الجمالية بمصر ١٩١١.

• الوافي بالوفيات، للصلاح الصفدي، باعتناء هلموت ريتر، جمعية المستشرقين الألمانية (١٩٣١ ـ ١٩٥٩).

• وفيات الأعيان، شمس الدين ابن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس. دار صادر ١٩٧٧.

* * *

فهرس الموضوعات



فهرس الموضوعات

MASĀLIK AL-ᵓABṢĀR FĪ MAMĀLIK AL-ᵓAMṢĀR

by

Šahābuddīn Ibn faḍlullah al-ᶜUmari

Edited by

Mahdi al-Najm

Volume XXVI
Volume XXVII



أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban